



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العقائد

من

الكتاب المقدس

الذي هو أساس العقائد المسيحية

والاسلام

والهندوسية





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

٤٠٤٥٧

مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْعِلْمُ الْكَبِيرُ

بِ

الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَدَبِ

كِتَابٌ دِينِي، عِلْمِي، فَنِّي، تَارِيخِي، أَدَبِي، أَخْلَاقِي
مُسْتَكْرَفِي بِمَوْضُوعِهِ، فَزِيدِي فِي بَابِهِ، يَخْتَصُّ بِمَنْ عَمِلَتْ عَلَيْهِ كِتَابًا وَسُنَّةً وَأَدَبًا، وَيُضَمِّنُ تَرَاثِمَ
أُمَّةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ رِجَالَاتِ الْعِلْمِ وَالِدِينِ وَالْأَدَبِ مَنْ لَدَيْنَ نَظْمِ هَذِهِ الْأَقَارِفِ مِنَ الْعِلْمِ وَغَيْرِهِمْ

الجزء السابع

العلامة الشيخ عبد الحسين الخليلي الأميني النجفي
(١٣٢٠-١٣٩٠هـ)

تحقيق
مركز الغدير للدراسات الإسلامية

بإشراف

آية الله السيد محمود الهاشمي الشاهرودي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جمعہ ذریٰ اموال

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

۵۵۵۶۸

ش-اموال

أميني ، عبدالحسين ، ١٢٨١ - ٥١٣٤٩ .

موسوعة الفدير في الكاب والسنة والأدب : كئاب دینی ، علمی ، فنی ... / عبدالحسين أحمد الأميني النجفي ، تحقيق مركز الفدير للدراسات الإسلامية [مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي ، طبقاتاً لمذهب أهل البيت عليه السلام] : إشراف محمود الهاشمي الشاهرودي . - قم : مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي ، طبقاتاً لمذهب أهل البيت عليه السلام ، ١٤٣٠ ق = ٢٠٠٩ م = ١٣٨٨ . ج ١٤ .

ISBN: 964 - 8360 - 03 - 0 (دور)

ISBN: 964 - 8360 - 11 - 1 (ج ٨)

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات نیا .

عربی .

چند سیزدهم و چهاردهم كتاب حاضر "الفهارس الفنية" می باشد .

كتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است .

چاپ پنجم : ١٣٨٨ .

کتابنامه :

١ . غدیر خم . ٢ - علي ابن أبي طالب عليه السلام ، امام لون ، ٢٣ قبل از هجرت - ٤٠ ق - اثبات خلافت . الف . هاشمی شاهرودی . محمود . ١٣٢٨ - ب . مؤسسة دائرة المعارف فقه اسلامی . ج . مؤسسة دائرة المعارف فقه اسلامی ، مركز الفدير للدراسات الإسلامية . د . عنوان .

٢٩٧/٤٥٢

BP٢٢٢٣/٥٤/١٨ الف

١٣٨٢

کتابخانه ملی ایران

م ٨٢-٢٠١٩٩

الطبعة الخامسة

١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م

وتشتمل على تصحيحات وإضافات تحقيقية مفيدة

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة طبع أو ترجمة هذه الطبعة إلا
بترخيص من مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي طبقاتاً لمذهب أهل البيت عليه السلام

عدد النسخ : ٣٠٠٠ نسخة

المطبعة : محمد



الناشر :

مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي

Islamic Jurisprudence Encyclopedia Institute

Iran - Qum

P.O. Box 3796/37185

Tel. +982517739999 / Fax +982517744963

ایران - قم المقدسة

ص . ب : ٣٧١٨٥ / ٣٧٩٦

هاتف : ٧٧٣٩٩٩٩ / فاكس : ٧٧٤٤٩٦٣

وكلاء التوزيع :

لبنان : بيروت - حارة حريك - بنایة البنك اللبناني السويسري - مركز الفدير للدراسات والنشر والتوزيع

هاتف : ٩٦١١٥٥٨٢١٥ + ، نقال : ٩٦١٣٦٤٤٦٦٢ + ، تلفاكس : ٩٦١١٥٥٢٢٦٢ +

العراق : النجف الأشرف - دار الفدير للطباعة والنشر . تلفون : ٩٦٤٣٣٣٧٣٥٦٣ +



شُعْرَاءُ الْغَدِيرِ

فِي

الْقَرْنِ الْتَّاسِعِ



وَهُمْ ثَلَاثَةٌ حَلِيُونَ

وفي هذا الجزء من الدروس العلميّة الدينيّة التاريخيّة
ما تدعم به الحقائق، ويحقّق للباحث أن يكون به أعنى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ ، وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ، وَمَا عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلَاغَ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ، هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ، يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ، تُحَاجُّونَ فِيهَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ، وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا ، أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ، وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ، الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ .

الأميني

شُعْرَاءُ الْغَدِيرِ

فِي

الْقَرْنِ الْتَّاسِعِ



مركز بحوث ودراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية

١ - ابن العرندس الحلي

٢ - ابن داغر الحلي

٣ - الحافظ البرسي الحلي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ابن العرندس الحلبي

٢/٧

أضحى يمس كغصن بانٍ في حُلَى قمرٌ إذا ما مرَّ في قلبي حنلاً
سلبَ العقولَ بناظرٍ في فترةٍ فيها حرامُ السحرِ بانٍ محللاً
وانحلَّ شدُّ عزائي لما غدا عن خصره بندُ القباءِ محللاً
وزها بها كافورٌ سالفٍ خدّه لما بریحانِ العذارِ تسلسلا
وتسلسلتُ عبثاً سلاسلُ صدغِهِ فلذاك بثٌ مقيداً ومسلسلا
قمرٌ قويمٌ قوامِهِ كقناتِهِ ولحاظه في القتلِ تحكي المنصلا
وجناته جوريةٌ وعيونه حوريةٌ تسبي الغزالَ الأكحلا
أهوى فواترها المراضِ إذا رنتُ وأحبُّ جفنيها المراضِ الثغزلا
جارت وما صفحت على عشاقه فتكأً وعاملُ قدّه ما أعدلا
ملكته محاسنهُ ملوكاً طالما أضحى لها المذكُ العزيزُ مذللاً
كسرى بعينيه الصراحِ وخدّه النعمانُ بالخالِ النجاشي خولاً
كتب العليُّ على صحائفِ خدّه نوني قسي الحاجبين ومثلاً
فرمى بها في عينِ غنجِ عيونه سهمَ السهامِ أصاب مني المقتلا
فاعجب لعينِ عبيرِ عنبرِ خالِهِ في جيمِ جمره خدّه لن تشعلا
وسلا الفؤادَ بحرِّ نيرانِ الجوى مني فذاب وعن هواه ما سلا
فتي بشيرُ الوصلِ يأتي منجحاً وأبسيتُ مسروراً سعيداً مُقبلاً

ولقد برى مني السقام وبث في
وجرت سحائب عبرتي في وجنتي
الصائم القوام والمتصدق الطعام
رجل بصيوان الغمامة جدّه
وأبوه حيدرة الذي بعلمه
والأم فاطمة المطهرة التي
نسب كمنبلج الصباح يزينه
السيّد السنّد السعيد الساجد
السبط الشهيد المستضام المبتلى
قرّ بكت عين السماء لأجله
تالله لا أنساه فرداً ظامياً
والسيّد العباس قد سلب العدى
والطفل شمس حياته قد أصبحت
وبنو أمية في جسيم صحابه
شربوا بكاسات القنا خمر الفنا
وتقاطعت أرحامهم وجسومهم
وتوارثوا من بعد سلب نفوسهم
والسبط شاك ما له من ناصر
ظام إلى ماء الفرات فإن يرم
والقوم محذقة عليه بجحفل
متلاطم سغب^(٢) به أسيافهم
ومن العجائب أنه يشكو الظما

لجج الغرام معالجاً كرب البلا
كدم الحسين على أراضي كربلا
أفرس من على فرس علا
المختار في حرّ الهجير تظلاً
وبفضله شرح الكتاب تفضلاً
بالمجد تاج فخارها قد كُتلاً
حسب شبه الشمس زاهي المجتلى
السبط الشهيد المستضام المبتلى
أسفاً وقلب الدهر بات مقلقلاً
والماء ينهل منه ذيبان الفلا
عنه اللباس وصيروه مجدلاً
بالخسف في طفلي وجل مؤثلاً^(١)
قد حطموا السمر اللدان الذبلاً
مزعج البلاء به فأمسوا في البلا
كرماً وأوصلت الرؤوس الأرجلا
دار المقامة في القيامة مؤثلاً
شاك إلى ربّ السموات العلى
نهلاً يرى البيض الصوارم منها
كالبحر آخره يحاكي الأولا
فغدا لهم لحم الفوارس مأكلاً
وأبوه يسقي في المعاد السلسلاً

(١) الطفل من طقلت الشمس : دنت للغروب . المؤث : الدائم . (المؤلف)

(٢) السغب والسغب : الجوع . (المؤلف)

حامت عليه للحمام كواسرٌ
 أمست به سمرُ الرماحِ وزرقُها
 هاتيك بالدمِ قد صبغَنَ وهذه
 عقدتُ سنابكُ صافناتِ خيوله
 ودجتُ عجاجته ومدَّ سواده
 وكأنَّ لمعُ الصوارمِ تحتهُ
 جيشٌ ملا فوه الفلا وأتى فلا
 أبناءُ من جحدَ الوصيَّ وكذبَ الـ
 بذلوا النفوسَ وبدلوا من جهلهم
 فحللُ قد صيروه محرماً
 وتعمدوا قتل الوصيِّ وحرّفوا
 وأتوا إلى قتلِ الحسينِ وأججوا
 فسطا عليهم بالزلالِ بعزمةٍ
 من فوقِ طرفِ أعوجيِّ سابحِ
 فرسٌ حوافرهُ بغيرِ جماجمِ الـ
 أضحى بمبيضُ الصباحِ مجللاً

ظمئتُ فأشربتِ الحمامَ دمَ الطلا^(١)
 حمراً وشهبُ الخيلِ دُهماً جفلاً^(٢)
 ٥/٧ صُبغتُ بنقعِ صبغةٍ لن تنصلاً
 من فوقِ هاماتِ الفوارسِ قسطلاً^(٣)
 حتى أعادَ الصبحُ ليلاً أليلاً
 برقُ تآلقَ في غمامِ فأنجلي
 أمست سنابكُ خيله تفلّي الفلا
 يهادي النبيَّ وكان حقاً مرسلاً
 ما ليس في الإسلامِ كان مبدلاً
 ومحرّمٌ قد غادروه محللاً
 ما كان أحمدُ في الكتابِ له تلا
 ناراً هيبُ ضرامها لن يُصطلي
 تذرُ الحسامَ المشرقيَّ مفللاً
 كالبرقيِّ يسبقُ في سَراهِ الشمالِ^(٤)
 فرسانِ في يومِ الوغى لن تنعلا
 وغدا بمسودَّ الظلامِ مسربلاً

(١) الكواسر جمع الكاسرة مؤنث الكاسر: العقاب. الطلا: ولد الظبي ساعة يولد، الصغير من كل شيء. (المؤلف)

(٢) الشهب والشهباء: بياض يتخلله سواد. الدهمة: السواد. الجفل من جفل الشعر: شعث وثار. (المؤلف)

(٣) السنبك: طرف الحافر، والجمع السنايك. الصافنات جمع الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم مطرفاً حافر الرابعة. القسطل: المنية، الغبار الساطع في الحرب. (المؤلف)

(٤) الطرف من الخيل: الكريم الطرفين. السابح من سبح في الماء: عام وانبسط فيه، ويستعار لمزّ النجوم وجري الفرس. النسال: ربح الشمال. (المؤلف)

وبكفهِ سيفُ جُرَّازٍ باترٍ
 فقرَ الجَهاجِمَ والطلا بغيره^(٢)
 فكأنه وجواده وحسامه^(٣)
 شمس على الفلكِ المدارِ بكفه
 والخيلُ محذقةٌ بجيمِ جماله
 والسبطُ يخترقُ المواكبَ حاملاً
 فسينِ سمرَ الخطِ يطعنُ أنجلاً
 فتخالُ طاءَ الطعنِ أنى أعجمتُ
 حتى إذا ما السبطُ آن بمائة
 داروا به النفرُ الطغاةُ بنو الزنا
 ورماه بعضُ المارقين بعيطلِ
 وأتى بغيُّ بني ضبابٍ ضائلاً
 وجنا على صدرِ الحسينِ وقلبه
 فبرى بسيفِ البغي رأساً طالما
 وأسودَ قرصُ الشمسِ ساعةً قتله
 ونعاه جبريلُ وميكايلُ وإس
 عضبٌ يضمُّ الغمدُ منه جدولاً^(١)
 من كلِّ كفارٍ وأبرى المفضلا
 يا صاحبي لمن أراد تأملاً
 قرئ منازلهُ الجهاجِمُ والطلا
 وقنوبهمُ في الغلي تحكي المرجلا^(٤)
 بعزيمة تُردِي الخميسَ الجحفلا
 وبياءِ بيضِ الهندِ يضربُ أهدياً^(٥)
 نقطاً وضادِ الضربِ كيف تشكلا
 وعليه سلطانُ الجِهامِ توكللا
 العاهراتِ وطبَّقوا رحبَ الفلا
 سهاً فخرَّ على الصعيدِ مجدلاً
 بالقسِّ تغميضِ القطامي الأجدلا^(٦)
 حقداً وعدواناً عليه قد امتلا
 لثمَ النبيِّ ثنيتيه وقبلا
 أسفاً وشهبُ الفلكِ أمست أفلا
 رافيلُ والعرشُ المجيدُ تنزللا

(١) الجراز يضم المعجمة: السيف القطاع. الباتر: سيف لقاطع والجمع بواتر. العضب: السيف القاطع. (المؤلف)

(٢) الفقر: الحز. الطلا يضم المهملة وكسرهما: قشرة الدم. الغرار: حد السيف. (المؤلف)

(٣) سبقه إلى مثل هذه البداعة شيخنا علاء الدين الشافعي بما هو أوسع وأبلغ. راجع: ٣٦٣/٦.

(المؤلف)

(٤) المرجل: القدر. (المؤلف)

(٥) الأنجل من نجل الرجل نجلاً: وسعت عينه وحسنت. الأهدل: المسترخى المشفر أو الشفة. (المؤلف)

(٦) القس: السيف. القطامي الأجدل: الصقر.

والطيرُ في الأغصانِ ناعٍ مغرداً
وأق الجوادُ ولا جوادُ فوقه
عالي انصهيل بمقلّةٍ إنسانها
فسمعن نوازُ الحسينِ صهيله
ينثون من جَونِ العيونِ مدامعاً
حتى إذا قُتِلَ الحسينُ وأصبحتُ
ومنازلُ التنزيلِ حلَّ بها العزا
بغتِ البغاةُ جهالةً سبيَ النسا
نصبوا بمرفوعِ القناةِ كريمةً^(٢)
وسروا ينسوته السراةُ بلا ملا
وغدوا بزينِ العابدينِ الساجدِ الـ
وسكينةً أمستُ وساكنُ قلبها
وبدالِ دمعِ العينِ منها غرقتُ
وديارهنَّ الأنساتُ بلاقعُ
والصبرِ عني ظاعنُ مترحلُ
ومدامعي فوقِ الخدودِ نوازلُ
تسري بهنَّ إلى الشامِ عصابةً
تُرضي يزيدَ لكي يزيدَ لها العطا

والوحشُ في القيعانِ ناعٍ وأعولا
مستوجعاً مستفجعاً متوجلاً
باكٍ يسحُ الدمعَ نقطاً مهملاً
فهرزن من خللِ المضاربِ ثكلاً
حمرّاً على بيضِ السوالفِ هُطلاً^(١)
من بعده غرُّ المدارسِ عطلاً
ومن الجليسِ أنيسُ مربعها خلا
وبغتِ وحقٌ لمن بغى أن يجهلاً
جهراً وجروا للمعاصي أذنبلاً
حسرى يلاحظهنَّ الحاظُ الملا
حبرِ الأمينِ مقيداً ومغلاً
متحركٌ فيه الأسى لن يرحلا
صاد الصعيدِ وأنبتت كاف الكلا
أقوتُ^(٣) وكنَّ بها الأحبةُ نزلاً
لما شددن على المطيِّ الأرحلا
لما زمن جاهلنَّ البرلاً^(٤)
أمويّةً تبغي العطاءَ الأجزلا
جهلاً ويتحفها السؤالُ معجلاً

٧/٧

(١) ينثون من ثنا نشأ: فرق ونشر. الجون: الأبيض. الأسود، السوالف: جمع السالفة صفحة العنق، وسالفة الفرس: ما تقدم من عنقه. هطل المطر: نزل متتابعاً متفرقاً عظيم القطر فهو هاطل والجمع هطل. (المؤلف)

(٢) الكريمة: كل جارحة شريفة. (المؤلف)

(٣) أقوت الدار: خلت من ساكنها. (المؤلف)

(٤) زمم الجهال: خطمها. بزأ، البعير: أنشق نابه: فهو بازل والجمع بوازل وبزل. (المؤلف)

فلألعنن بني أمية ما حدا ال
ولألعنن زيادها ويزيدها
تبتأ لهم فعلوا بآل محمد
ولأبكين على الحسين بدمع
ياطف طاف على ثراك من الحيا
ذو هيدب متراكب متلاحم^(٢)
يشفيك إذ يسقيك منه بوابل
ثم السلام من السلام على الذي
تالي كتاب الله أكرم من تلا
زوج البتول أخ الرسول مطلق الدنيا وقالها بنيران القلا
رجل تسربل بالعفاف وحبذا
تلقاه يوم السلم غيثاً مُسبلاً
ذو الراحة اليمنى التي حسنتها
والمسجزات الباهرات النيرا
منها رجوع الشمس بعد غروبها^(٥)
ولسيره فوق البساط فضيلة^(٦)

حادي وما سرت الركائب قفلاً
ويزيدها ربي عذاباً منزلاً
ما ليس تفعله الجابرة الألى
قان أبلى به الصعيد المحلا
هام تسير به السحاب جفلاً^(١)
عالي البروق يسح دمعاً مُسبلاً
عذب له أريج يحاكي المنذلا^(٣)
نصبت له في خم رايات الولا
وأجل من للمصطفى الهادي تلا
رجل بأثواب العفاف تسربلا
وتراه يوم الحرب ليثاً مشبلاً
مدت على كيوان باعاً أطولا^(٤)
ت المشقات المعذرات لمن غلا
نسباً تصير له البصائر ذهلاً
أوصافها تُعي الفصيخ المقولا

(١) الحيا: المطر. هام: فاعل من همى يهيم هيمياً، أي سال لا يشنيه شيء. جفل: أي أسرع والجفيل: الكثير. (المؤلف)

(٢) الهيدب من السحاب: المتدلي الذي يدنو من الأرض. المتلاحم: المتلاصق والمتلائم. (المؤلف)

(٣) الوابل: المطر الشديد. الأريج: الرائحة الطيبة. المنذل بفتح الميم: العود الطيب الرائحة. (المؤلف)

(٤) كيوان: زحل تحيط به منطقة نيرة يضرب به المثل في العلو والبعد. الباع: قدر مدّ اليدين. (المؤلف)

(٥) مَرَّ حديث ردّ الشمس في الجزء الثالث: ص ١٢٦ - ١٤١. (المؤلف)

(٦) أخرجها الثعلبي [في الكشف والبيان: الورقة ٣١٠ سورة الكهف]، والفقير المغازلي [في مناقب،

علي بن أبي طالب: ص ٢٣٢ ح ٢٨٠]، والقزويني عن ابن عباس وأنس بن مالك، وستأتي بلفظها

في محلها إن شاء الله تعالى. (المؤلف)

وخطابُ أهلِ الكهفِ منقبةٌ غلتُ
 وصعودُ غاربِ أحمدٍ فضلٌ له
 هذا الذي حاز العلومَ بأسرها
 هذا الذي بصلاته وصلاته
 هذا الذي بحسامه وقناته
 وأبادَ مرحبَ في النزالِ بضريه
 وكتائبُ الأحزابِ صيرَ عمرها
 وتبوكُ نازلَ شوسها فأبادهم
 وبه توصلَ آدمُ لما عصى
 وبه دعا نوحُ فسارت فلكه
 وبه الخليلُ دعا فأضحى ناره
 وبه دعا موسى تلقفت العصى
 وبه دعا عيسى المسيحُ فأنطق الـ
 وبخمسٍ وإخاه النبيُّ محمدُ
 عدلَ النواصبُ في هواه وعنفوا
 ومدحتُه رغماً على أنافهم
 وترابُ نعلِ أبي ترابٍ كلما
 فعليه أضعافُ التحيةِ ما سرى
 سمعاً أميرَ المؤمنينِ قصائدُ
 عربيَّةٌ نشأت بحلتهِ بابلٍ
 سادت فشادت للعرندسِ صالحٍ

وعلتُ فجاوزتِ السماءَ الأعزلا
 دونَ القرابةِ والصحابةِ أفضلا
 ما كان منها مجملاً ومفضلاً
 للدينِ والدنيا أتمَّ وأكملًا
 في خيرٍ صعبُ الفتوحِ تسهلاً
 ألقَتْ على الكفارِ عبئاً مُثقلًا
 بدمائه فوقَ الرمالِ مُرملاً
 ضرباً بصارمِ عزيمةٍ لن يُفلا
 حتى اجتباهُ ربُّنا وتقبلاً
 والأرضُ بالطوفانِ مفعمةٌ ملا
 برداً وقد أذكت حريقاً مُشعلاً
 حياتِ سحرٍ كُنَّ قديماً أحبلاً
 حيثَ الدفينَ به وقام من البلا
 حقاً وذلك في الكتابِ تنزلاً
 فعصيتهم وأطعتُ فيه من غلا
 مدحاً به ربِّي صدا قلبي جلا
 مسَّ القذا عيني يكون لها جلا
 سارٍ وما سخَّ السحابُ وأهملا
 تزدادُ ما مرَّ الزمانُ تجملاً
 فعدت تُنجلُ بالفصاحةِ جرولاً^(١)
 مجدداً على هامِ النجومِ مؤثلاً

(١) جرول من خطباء العرب وفصحائها المشهورين، يضرب المثل به في الخطابة فيقال: أخطب من جرول.

وسمت قلوب حواسدي وسمت علي' (تم العذار بعارضية وسلسلا) (١)
وعلت بمدجك يا علي' ووازنت (لم أبك ربعا لأحبة قد خلا) (٢)

ما يتبع الشعر

ذكر شاعرنا ابن العرندس في قصيدته هذه جملة من مناقب مولانا أمير المؤمنين وقد مرّ تفصيل بعضها، وستوافيك كلمتنا الضافية في بعضها الآخر، وتقتصر في المقام علي' ما أشار إليه بقوله:

وصعودُ غاربِ أحمدٍ فضلُ له دون القرابة والصحابة أفضلًا

عن علي' عليه السلام قال: «انطلق بي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأصنام فقال: اجلس. فجلست إلى جنب الكعبة ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي' منكبي ثم قال: انفض بي إلى الصنم. فنهضت به فلما رأى ضعفي تحته قال: اجلس فجلست وأنزلته عني وجلس لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال لي: يا علي' اصعد علي' منكبي. فصعدت علي' منكبيه ثم نهض بي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما نهض بي خيل لي أني لو شئت نلت أفق السماء، وصعدت على الكعبة وتنحى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فألقيت صنمهم الأكبر صنم قريش وكان من نحاس موتدأ بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عاجله فعالجته فما زلت / أعاجله ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إيه إيه إيه. فلم أزل أعاجله حتى استمكنت منه. فقال: دقه فدققته وكسرتة ونزلت».

وفي لفظ: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اقذف به. فقذفت به فتكسر كما تنكسر القوارير ثم نزلت. وفي لفظ: ونزوت من فوق الكعبة».

(١) مطلع قصيدة للشيخ علاء الدين الحلبي المذكورة في الجزء السادس: ص ٢٨٣. (المؤلف)

(٢) هي قصيدة جمال الدين الخلمي المترجم في الجزء السادس: ص ١٢ - ١٩ والقصيدة في الإمام السبط الشهيد تقدر بـ (٧٥) بيتاً كما مرّ في ١٨/٦. (المؤلف)

وعن جابر بن عبد الله قال: دخلنا مع النبي ﷺ مكة وفي البيت وحوله ثلاثمائة وستون صنماً، فأمر بها رسول الله ﷺ فألقيت كلها لوجوهها، وكان على البيت صنم طويل يقال له: هبل. فنظر النبي ﷺ إلى علي وقال له: «يا علي تركب علياً أو أركب عليك لألقي هبل عن ظهر الكعبة؟ قلت: يا رسول الله بل تركبني، فلما جلس علي ظهري لم استطع حمله لثقل الرسالة قلت: يا رسول الله بل أركبك. فضحك ونزل وطأطأ لي ظهره واستويت عليه فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو أردت أن أمسك السماء لأمسكتها بيدي، فألقيت هبل عن ظهر الكعبة فأنزل الله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾^(١).

وعن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ لعلي: «قم بنا إلى الصنم في أعلى الكعبة لنكسره» فقاما جميعاً، فلما أتياه قال له النبي ﷺ: «قم علي عاتقي حتى أرفعك عليه» فأعطاه علي ثوبه فوضعه رسول الله ﷺ على عاتقه ثم رفعه حتى وضعه على البيت فأخذ علي الصنم وهو من نحاس، فرمى به من فوق الكعبة فنادى رسول الله ﷺ: «انزل» فوثب من أعلى الكعبة كأنما كان له جناحان.

هذه الأثرارة أخرجتها أمة من الحفاظ وأئمة الحديث والتاريخ، وأخذها منهم رجال التأليف في القرون المتأخرة وذكروها في كتبهم مرسلين إياها إرسال المسلم من دون أي غمز في سندها.

وإليك جملة منهم:

١ - أسباط بن محمد القرشي: المتوفى (٢٠٠) روى عنه أحمد في المسند^(٢).

٢ - الحفاظ أبو بكر الصنعاني: المتوفى (٢١١) حكاه عنه السيوطي^(٣).

(١) الإسراء: ٨١.

(٢) مسند أحمد: ١٣٦/١ ح ٦٤٥.

(٣) جامع الأحاديث: ٢٧٢/١٦ ح ٧٩٢٧.

٣ - الحافظ ابن أبي شيبة^(١) : المتوفى (٢٣٥) حكاه عنه الزرقاني^(٢) والسيوطي .

٤ - إمام الحنابلة أحمد : المتوفى (٢٤١) في مسنده^(٣) (٨٤/١) بإسناد صحيح

رجاله كلهم ثقات .

٥ - أبو علي أحمد المازني : المتوفى (٢٦٣) روى عنه النسائي^(٤) .

٦ - الحافظ أبو بكر البزار : المتوفى (٢٩٢) ، كما في الينابيع^(٥) .

١١/٧

٧ - الحافظ ابن شعيب النسائي : المتوفى (٣٠٣) ، في الخصائص (ص ٣١)^(٦) .

٨ - الحافظ أبو يعلى الموصلي : المتوفى (٣٠٧) ، في مسنده^(٧) .

٩ - الحافظ أبو جعفر الطبري : المتوفى (٣١٠) ، كما في جمع الجوامع^(٨) .

١٠ - الحافظ أبو القاسم الطبراني : المتوفى (٣٦٠) ، كما في تاريخ الخميس^(٩) .

١١ - الحافظ الحاكم النيسابوري : المتوفى (٤٠٥) ، في المستدرک (٣٦٧/٢)

وصححه^(١٠) .

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث

١٢ - الحافظ أبو بكر الشيرازي : المتوفى (٤٠٧، ٤١١) ، في نزول القرآن من

طريق جابر .

(١) المصنف : ٥٢٤/٨ ح ٩ .

(٢) شرح المواهب : ٣٣٦/٢ .

(٣) مسند أحمد : ١٣٦/١ ح ٦٤٥ .

(٤) السنن الكبرى : ١٤٢/٥ ح ٨٥٠٧ .

(٥) ينابيع المودة : ١٢٨/١ باب ٤٨ .

(٦) خصائص أمير المؤمنين : ص ١٣٤ ح ١٢٢ .

(٧) مسند أبي يعلى : ٢٥١/١ ح ٢٩٢ .

(٨) جامع الأحاديث : ٢٧٢/١٦ ح ٧٩٢٧ .

(٩) تاريخ الخميس : ٨٦/٢ - ٨٧ .

(١٠) المستدرک على الصحيحين : ٣٩٨/٢ ح ٣٢٨٧ .

١٣- الحافظ أبو محمد أحمد بن محمد العاصمي: [المولود سنة ٣٧٨]، في زين الفتى شرح سورة هل أتى،

١٤- الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: المتوفى (٤٣٠)، روى عنه الخطيب إملاءً.

١٥- الحافظ أبو بكر البيهقي: المتوفى (٤٥٨)، روى من طريقه الخوارزمي^(١).

١٦- الحافظ الخطيب البغدادي: المتوفى (٤٦٣)، في تاريخه (٣٠٢/١٣).

١٧- الفقيه أبو الحسن ابن المغازلي: المتوفى (٤٨٣)، في مناقبه من طريق أبي

هريرة^(٢).

١٨- الحافظ أبو عبد الله الفراوي: المتوفى (٣٥٠)، كما في كفاية الكنجي^(٣).

١٩- أخطب خطباء خوارزم: المتوفى (٥٦٨)، في المناقب^(٤) (ص ٧٣) من

طريق الحافظين: البيهقي والحاكم.

٢٠- الحافظ رضي الدين أبو الخير الحاكمي: [المتوفى ٥٩٠] في أربعينه في

فضائل علي^(٥).

٢١- الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي: المتوفى (٥٩٧)، في صفة الصفوة^(٦) (١١٩/١).

٢٢- الحافظ أبو عبدالله ابن النجار: المتوفى (٦٤٣)، كما في الكفاية^(٧).

٢٣- أبو سالم بن طلحة الشافعي: المتوفى (٦٥٢)، في مطالب السؤول (ص ١٢).

٢٤- أبو المظفر يوسف سبط ابن الجوزي: المتوفى (٦٥٤)، في التذكرة^(٨).

(١) المناقب: ص ١٢٣ ح ١٣٩.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب: ص ٢٠٢.

(٣) كفاية الطالب: ص ٢٥٧ باب ٦٢.

(٤) المناقب: ص ١٢٣ - ١٢٤ ح ١٣٩.

(٥) الأربعون المنتقى في فضائل علي المرتضى^(عليه السلام): ص ١٢٧ باب ٤٠ ح ٦٣.

(٦) صفة الصفوة: ٣١٠/١ رقم ٥.

(٧) كفاية الطالب: ص ٢٥٧ باب ٦٢.

(٨) تذكرة الخواص: ص ٢٧.

- ٢٥ - المحافظ أبو عبدالله الكنجي : المتوفى (٦٥٨)، في الكفاية (ص ١٢٨)^(١) .
وقال : رواه الحاكم والبيهقي ، وهو حديث حسن ثابت عند أهل النقل .
- ٢٦ - المحافظ الصالحاني ، كما في تاريخ الخميس .
- ٢٧ - المحافظ محب الدين الطبري : المتوفى (٦٩٤) ، في الرياض النضرة^(٢)
(٢٠٠/٢) نقلاً عن أحمد وابن الجوزي والحاكمي .
- ٢٨ - جمال الدين أبو عبدالله ابن النقيب المتوفى (٦٩٨) ، في تفسيره .
- ٢٩ - شيخ الإسلام الحمّوني : المتوفى (٧٢٢) ، في فرائد السمطين^(٣) .
- ٣٠ - المحافظ شمس الدين الذهبي : المتوفى (٧٤٨) ، في تلخيص المستدرک^(٤)
وقال : إسناده نظيفُ والمتن منكرٌ .
- قال الأميني : لم يك يعرف أيّ حافظ هذه النكارة في تلكم القرون الخالية إلى
أن جاد الدهر بالذهبي ، وكوى الحديث بعينه ، فكوه نار حقه ، غير أن تلك النكارة
الموهومة دفنت معه ولم يتبع أثره فيها أيّ محدث بعده .
- ٣١ - المحافظ الزرندي : المتوفى بضع و (٧٥٠) في نظم درر السمطين^(٥) .
- ٣٢ - المحافظ جلال الدين السيوطي : المتوفى (٩١١) ، في الجامع الكبير كما في
ترتيبه^(٦) (٤٠٧/٦) عن ابن أبي شيبه ، وعبد الرزاق ، وأحمد ، وابن جرير ، والخطيب ،

(١) كفاية الطالب : ص ٢٥٧ - ٢٥٨ باب ٦٢ .

(٢) الرياض النضرة : ١٥٠/٣ .

(٣) فرائد السمطين : ٢٤٩/١ ح ١٩٣ .

(٤) تلخيص المستدرک : ٣٩٨/٢ ح ٣٢٨٧ .

(٥) نظم درر السمطين : ص ١٢٥ .

(٦) كنز العمال : ١٧١/١٣ ح ٣٦٥١٦ .

والحاكم وقال: صحّحه. وذكره في الخصائص الكبرى^(١) (٢٦٤/١).

٣٣ - المحافظ أبو العباس القسطلاني: المتوفى (٩٢٣)، في المواهب اللدنية^(٢)

(٢٠٤/١) نقلاً عن ابن النقيب.

٣٤ - القاضي الديار بكري المالكي: المتوفى (٩٦٦، ٩٨٢)، في تاريخ الخميس^(٣)

(٩٥/٢) نقلاً عن الطبراني والزرندي والصالحاني وابن النقيب المقدسي والمحجب الطبري

وصاحب شواهد النبوة فقال: ثم إن علياً أراد أن ينزل فألقى نفسه من صوب الميزاب

تأدباً وشفقةً على النبي ﷺ ولما وقع على الأرض تبسم فسأله النبي ﷺ عن

تبسمه، قال: «لأنني ألقيت نفسي من هذا المكان الرفيع وما أصابني ألم». قال:

«كيف يصيبك ألم وقد رفعك محمد وأنزلك جبريل؟» وقال الشاعر:

قيل لي قل في عليٍّ مدحاً ذكره يحمد ناراً موصده
قلت لا أقدم في مدح امرئ ضلّ ذو اللبِّ إلى أن عبده
والنبيُّ المصطفى قال لنا ليلة المعراج لما صعده
وضع الله بظهري يده فأحسَّ القلبُ أن قد برده
وعليٌّ واضعٌ أقدامه في محلٍّ وضع الله يده

٣٥ - نور الدين الحلبي الشافعي: المتوفى (١٠٤٤)، في السيرة الحلبيّة (٩٧/٣)^(٤).

٣٦ - أبو عبدالله الزرقاني المالكي: المتوفى (١١٢٢)، في شرح المواهب

(٣٣٦/٢) عن / ابن أبي شيبه والحاكم فقال: قد أجاد القائل:

ياربُّ بالقدمِ التي أوطأها من قابِ قوسينِ المحلِّ الأعظما

(١) الخصائص الكبرى: ٤٣٨/١.

(٢) المواهب اللدنية: ٥٨٦/١.

(٣) تاريخ الخميس: ٨٦/٢.

(٤) السيرة الحلبيّة: ٨٦/٣.

وبجرمة القدم التي جُعِلَتْ لها كتفُ المؤيد بالرسالة سلماً
 ثَبَّتْ على متن الصراطِ تكزماً قدمي وكن لي منقذاً ومسلماً
 واجعلها ذخري فن كانا له ذخراً فليس يخاف قطَّ جهنماً

٣٧ - شهاب الدين الألوسي : المتوفى (١٢٧٠)، في شرح العينية (ص ٧٥) وقد مرّت كلمته في (٢٢/٦).

٣٨ - الشيخ أبو بكر بن محمد الحنفي : المتوفى (١٢٧٠)، في قرّة العيون المبصرة (١٨٥/١).

٣٩ - خواجه كلان القندوزي : المتوفى (١٢٩٤)، في ينابيع المودة^(١) (ص ١٩٣) عن البرّار وأبي يعلى الموصلي.

٤٠ - السيّد أحمد زيني دحلان المكي : المتوفى [١٣٠٤]^(٢)، في السيرة النبوية^(٣) هامش الحليّة (٢٩٣/٢) فقال : وقد أجاد القائل :

ياربّ بالقدم التي أوطأتها
 إلى آخر الأبيات المذكورة.

٤١ - السيّد محمود القراغولي الحنفي ، في جوهرة الكلام (ص ٥٥ ، ٥٩).

الشاعر

الشيخ صالح بن عبدالوهاب بن العرنديس الحلّي الشهير بابن العرنديس ، أحد أعلام الشيعة ومن مؤلّفي علمائها في الفقه والأصول ، وله مدائح ومراتٍ لأئمة

(١) ينابيع المودة : ١٣٨/١ باب ٤٨.

(٢) في الأصل : ١٢٣٢ وهي سنة ولادته ، فتصحّفت فجُعِلت سنة لوفاته .

(٣) السيرة النبوية : ١٠٢/٢ .

أهل البيت عليهم السلام تتمُّ عن تفانيه في ولائهم ومناوآته لأعدائهم، ذكر شرطاً منها شيخنا الطريحي في المنتخب^(١)، وجملة منها مبثوثة في المجاميع والموسوعات، وعقد له العلامة السماوي في الطليعة ترجمة أطراه فيها بالعلم والفضل والتقوى والنسك والمشاركة في العلوم. وأشفع ذلك الخطيب الفاضل اليعقوبي في البابليات^(٢)، وأثنى عليه ثناءً جميلاً، وذكر في الطليعة أنه توفي حدود (٨٤٠) بالحلّة الفيحاء ودفن فيها وله قبر يزار ويتبرك به.

١٤٧/٧ كان ابن العرندس يحاول في شعره كثيراً الجناس على غط الشيخ علاء الدين الشفهيني المترجم في الجزء السادس (ص ٣٥٦) وتعلوه القوّة والمتانة، ويعرب عن تضلّعه من العربيّة واللغة، ولولا تهالكه على ما تجده في شعره من الجناس الكثير لكان ما ينظمه أبلغ وأبرع ممّا هو الآن. ومن شعر شيخنا الصالح رائية أشهر بين الأصحاب أنّها لم تقرأ في مجلس إلا وحضره الإمام الحجّة المنتظر عجل الله تعالى فرجه، توجد برمتها في منتخب شيخنا الطريحي^(٣) (٧٥/٢) وهي:

| | |
|--------------------------------|--|
| يعطّرها من طيب ذكراكم نشر | طوايا نظامي في الزمان لها نشر ^(٤) |
| بواطنها حمدٌ ظواهرها شكر | قصائدٌ ما خابت لهنّ مقاصد |
| فأخلاقها زهرٌ وأنوارها زهر | مطالعها تحكي النجوم طوالعاً |
| أكاليلها درٌّ وتيجانها تبر | عرانس تجلي حين تجلي قلوبنا |
| على وجهها تبرٌ يُزان بها التبر | حسانٌ لها حسانٌ بالفضل شاهد |

(١) المنتخب: ٢٥٤/٢.

(٢) البابليات: ١٤٤/١ رقم ٤٧.

(٣) المنتخب: ٣٥٢/٢.

(٤) في المصدر: نثر.

أنظّمها نظم اللآلي وأسهر الـ
 فيا ساكني أرضِ الطفوفِ عليكمُ
 نشرْتُ دواوينَ الثنا بعد طيِّها
 فطابق شعري فيكمُ دمع ناظري
 فلا تتهموني بالسلو فإنما
 فذلّي بكم عزٌّ وفقري بكم غنى
 ترقُّ بروقُ السحبِ لي من ديارِكُم
 فعيناي كالخنساء^(١) تجري دموعها
 وقفت على الدار التي كنتمُ بها
 وقد درست منها الدروس وطالما
 وسالت عليها من دموعي سحائبُ
 فراقِ فراقِ الروحِ لي بعد بُعديكمُ
 وقد أقلمت عنها السحابُ ولم يجد
 إمامُ الهدى سبطَ النبوةِ والد الـ
 إمامُ أبوه المرتضى علم الهدى
 إمامُ بكته الإنسُ والجنُّ والسما
 له القبةُ البيضاءُ بالطفِّ لم تنزل^(٢)
 وفيه رسولُ الله قال وقوله
 حُبِّي بثلاثٍ ما أحاطَ بمثلها
 ليالي ليحيني لي بها وبكم ذكرُ
 سلامٌ محبٌّ ما له عنكم صبرُ
 وفي كلِّ طرسٍ من مديحي لكم سطرُ
 فبيضُّ ذا نظمٍ ومحمرُّ ذا نثرُ
 مواعيدُ سلواني وحقِّكمُ الحشرُ
 وعسري بكم يسرُ وكسري بكم جبرُ
 فينهلُّ من دمعي لبارقها القطرُ
 وقلبي شديدٌ في محبَّتكم صخرُ
 فمغناكمُ من بعد مغناكمُ فقرُ
 بها درّس العلمُ الإلهي والذكرُ
 إلى أن تروى البانُ بالدمعِ والصدرُ
 ودارُ برسمِ الدارِ في خاطري الفكرُ
 ولا درُّ من بعد الحسين لها درُّ
 أئمة ربِّ النهي مولى له الأمرُ
 وصيُّ رسولِ الله والصنوّ والصهرُ
 ووحشِ الفلا والطيرُ والبرُّ والبحرُ
 تطوفُ بها طوعاً ملائكةُ غرُّ
 صحيحٌ صريحٌ ليس في ذلكمُ نكرُ
 وليُّ فمن زيدٌ هناك ومن عمرو

١٥/٧

(١) هي الخنساء بنت عمرو بن الحارث شاعرة صحابية شهيرة، لها شعر كثير في رثاء أخيها لأبيها صخر وقد قتله بنو أسد. (المؤلف)

(٢) تلك القبة المقدسة كانت بيضاء في تلكم القرون، وأما اليوم فقد تغشّتها صفائح النضار، فهي صفراء لونها تسر الناظرين كما أن باطنها صرح محرّد من قوارير. (المؤلف)

له تربةٌ فيها الشفاءُ وقبةٌ
 وذريئةٌ دريئةٌ منه تسعةٌ
 أُسقتلُ ظماناً حسينُ بكر بلا
 ووالدهُ الساقى على الحوضِ في غدٍ
 فوالهفَ نفسي للحسينِ وما جنى
 رماهُ بجيشٍ كالظلامِ قسيهُ الـ
 لراياتهمِ نصبٌ وأسيفهمِ جزمٌ
 تجمَعُ فيها من طغاةِ أميةٍ
 وأرسلها الطاغى يزيدُ ليملك الـ
 وشدَّ لهم أزراً سليلُ زيادها
 وأمَرَ فيهم نجلُ سعدٍ لنحسبه
 فلما التقى الجمعانِ في أرضِ كربلا
 فحاطوا به في عشرِ شهرٍ محرمٍ
 فقام الفتى لما تشاجرتِ القنا
 وجال بطرفٍ في المجالِ كأنه
 له أربعٌ للريحِ فيهنَّ أربعُ
 ففرَّقَ جمَعِ القومِ حتى كأنهم
 فأذكرهم ليلَ الهريرِ فأجمَعُ الـ

يجابُ بها الداعي إذا مسه الضرُّ
 أئمةٌ حقٌّ لا ثمانٍ ولا عشرُ
 وفي كلِّ عضوٍ من أنامله بجرُ
 وفاطمةٌ ماءُ الفراتِ لها مهرُ
 عليه غداةُ الطفِّ في حربه الشمْرُ
 أهلةٌ والخرصانُ أنجمُه الزهرُ^(١)
 وللنقعِ رفعٌ والرماحُ لها جرُّ
 عصابةٌ غدِرٍ لا يقوم لها عذرُ
 عراقٌ وما أغنته شامٌ ولا مصرُ
 فحلَّ به من شدِّ أزريهمُ الوزرُ
 فما طال في الريِّ اللعينِ له عُمرُ
 تباعدَ فعلُ الخيرِ واقتربَ الشرُّ
 وبيضُ المواضي في الأكفِّ لها شمْرُ
 وصالٍ وقد أودى بمهجته الحَرُّ
 دجى الليلِ في لألاءِ غرَّتِه الفجرُ
 لقد زانه كَرٌّ وما شانه الفرُّ
 طيورُ بُغاتٍ^(٢) شتَّ شملهمُ الصقرُ
 كلابٌ على الليثِ الهزبرِ وقد هروا^(٣)

(١) الخرصان والمخارص: الأستة.

(٢) البغات بتثنية الباء: طائر أبغث أصغر من الرخم بطيء الطيران والجمع بغثان. (المؤلف)

(٣) ليلة الهرير من ليالي صفين؛ قتل فيها ما يقرب من سبعين ألف قتيل، ولمولانا أمير المؤمنين ولأصحابه في تلك الليلة مواقف شجاعة تذكر مع الأبد. الهرير - كأمير - : هرير الكلب صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد. (المؤلف)

هناك فدته الصالحون بأنفسٍ
 وحادوا عن الكفار طوعاً لنصره
 ومدّوا إليه ذبلاً سمهريّة^(٢)
 فغادره في مارق^(٣) الحرب مارق
 فمال عن الطرف الجواد أخو الندى
 سنان سنان خارق منه في الحشا
 تجرّ عليه العاصفات ذبولها
 فرجت له السبع الطباق وزلزلت
 فيالك مقتولاً بكته السما دماً
 ملابسه في الحرب حمز من الدما
 ولهي لزين العابدين وقد سرى
 وآل رسول الله تسبي نساؤهم
 سبايا بأكوار المطايا حواسراً
 ورملة^(٧) في ظل القصور مصونة

يضعف في يوم الحساب لها الأجر
 وجاد له بالنفس من سعده الحز^(١)
 لطول حياة السبط في مدّها جزر
 بسهم لنحر السبط من وقعه نحر
 الجواد قتيلاً حوله يصل المهر^(٤)
 وصارم شمّر في الوريد له شمّر^(٥)
 ومن نسج أيدي الصافنات له طمر^(٦)
 رواسي جبال الأرض والتطم البحر
 فغبر وجه الأرض بالدم حمز
 وهن غداة الحشر من سندس خضر
 أسيراً عليلاً لا يفك له أسر
 ومن حولن الستر بهتك والخدر
 يلاحظهن العبد في الناس والحز
 يناط على أقراطها الدر والتبر

(١) الحرّ بن يزيد الرياحي التيمي اليربوعي؛ كان سلام الله عليه شريف قومه جاهلية وإسلاماً كما قاله ابن الأثير. (المؤلف)

(٢) الذبل - بضم المعجمة ثم الموحدة المفتوحة - جمع الذابل: الرقيق. السمهري: الرمح الصلب. (المؤلف)

(٣) في المنتخب: في مازق الحرب. (المؤلف)

(٤) الطرف - كما مر - من الخيل: الكريم الطرفين: الأب والأم. المهر: ولد الفرس. (المؤلف)

(٥) الشمر - بفتح المعجمة - من شمر تشميراً: مرّ مسرعاً. وأشمره بالسيف: أدرجه. (المؤلف)

(٦) العاصفات: الأرياح الشديدة. الصافنات - راجع ص [١٤] - الضمر: الثوب اليابس. (المؤلف)

(٧) رملة بنت معاوية بن أبي سفيان، شبيب بها عبد الرحمن بن حسان بأبيات أولها:

رمل هل تذكرين يوم غزال
 إذ قطعنا مسيرتنا بالتقي

ولهذا التشبيب قصة توجد في معاجم التراجم. (المؤلف)

فويل يزيد من عذاب جهنم
 ملبسها ثوب من السم أسود
 تنادي وأبصار الأنام شواخص
 وتشكو إلى الله العلي وصوتها
 فلا ينطق الطاعي يزيد بما جئ
 فيؤخذ منه بالقصاص فيحرم النعيم ويخلى في الجحيم له قصر
 ويشدو له الشادي فيطر به الغنا
 فذاك الغنا في البعث تصحيفه العنا
 أيقرع جهلاً تغر سبط محمد
 فليس لأخذ الثار إلا خليفة
 تحف به الأملاك من كل جانب
 عوامله في الدارعين شوارع
 تظلل حقا عمامة جده
 محيط على علم النبوة صدره
 هو ابن الإمام العسكري محمد الت
 سليل علي الهادي ونجل محمد ال
 علي الرضا وهو ابن موسى الذي قضى
 وصادق وعدي إنه نجل صادق
 وبهجة مولانا الإمام محمد
 سلالة زين العابدين الذي بكى
 سليل حسين الفاطمي وحيدر ال

إذا أقبلت في الحشر فاطمة الطهر
 وآخر قان من دم السبط محمر
 وفي كل قلب من مهابتها دعر^(١)
 علي ومولانا علي لها ظهر
 وأنى له عذر ومن شأنه الغدر
 النعيم ويخلى في الجحيم له قصر
 ويسكب في الكاس النصار له خمر
 وتصحيف ذاك الخمر في قلبه الجمر
 وصاحب ذاك الثغر يحمي به الثغر
 يكون لكسر الدين من عدله جبر
 ويقدمه الإقبال والعز والنصر
 وحاجبه عيسى وناظره الخضر
 إذا ما ملوك الصيد ظللها الجبر
 فطوبى لعلم ضمته ذلك الصدر
 سقى النقي الطاهر العلم الخبر
 جواد ومن في أرض طوس له قبر
 ففاح على بغداد من نشره عطر
 إمام به في العلم يفتخر الفخر
 إمام لعلم الأنبياء له يقر
 فمن دمعه ييس الأعاشيب مخضر
 وصي فمن طهر نى ذلك الطهر

(١) الشواخص من شخص البصر، أي: فتح عليه عينيه فلم يطرف. الذعر: الفرع والخوف. (المؤلف)

له الحسنُ المسموم عمُّ فحبذا ال
 سميُّ رسولِ الله وارثُ علمِه
 هم النورُ نورُ الله جلَّ جلاله
 مهابطُ وحيِ الله خزانُ علمِه
 وأسماؤهم مكتوبةٌ فوقَ عرشِه
 ولولاهم لم يخلقِ الله آدمًا
 ولا سطحتُ أرضٌ ولا رُفعتُ سما
 ونوحٌ به في الفلكِ لما دعا نجا
 ولولاهم نارُ الخليلِ لما غدت
 ولولاهم يعقوبُ ما زالَ حزنُه
 ولانَ لداودَ الحديدُ سرُّهم
 ولما سليمانُ البساطُ به سرى
 وسخرتِ الرياحُ الرخاءَ بأمرِه
 وهم سرُّ موسى والعصا عندما عصى
 ولولاهم ما كان عيسى بنُ مريمٍ
 سرى سرُّهم في الكائناتِ وفضلُهم
 علا بهمُ قدري وفخري بهمُ غلا
 مصابكمُ يا آلَ طه مصيبةٌ
 سأندبكمُ يا عدتي عند شدتي
 وأبكيكمُ ما دمتُ حيًّا فإن أمت
 عرائسُ فكرِ الصالحِ بنِ عرندسٍ
 وكيف يحيطُ الواصفون بمدحكمُ
 ومولدكمُ بطحاءِ مكة والصفاء

إمامُ الذي عمُّ الوريُّ جوده الغمرُ
 إمامُ على آباءه نزلَ الذكرُ
 هم التينُ والزيتونُ والشفعُ والوترُ
 ميامينُ في أبياتهم نزلَ الذكرُ
 ومكنونةٌ من قبلِ أن يُخلقَ الذرُّ
 ولا كان زيدٌ في الأنامِ ولا عمرو
 ولا طلعت شمسٌ ولا أشرقَ البدرُ
 وغيضُ به طوفانه وقضي الأمرُ
 سلاماً وبرداً وانطفي ذلك الجمرُ
 ولا كان عن أيوبَ ينكشفُ الضرُّ
 فقدَّر في سردٍ يحير به الفكرُ
 أسيلت له عينٌ يفيض له القطرُ
 فغدوتها شهرٌ وروحها شهرُ
 أوامرُه فرعونُ والتقف السحرُ
 لعازر من طيِّ اللحودِ له نشرُ
 وكلُّ نبيٍّ فيه من سرُّهم سرُّ
 ولولاهم ما كان في الناسِ لي ذكرُ
 ورزةٌ على الإسلامِ أحدثه الكفرُ
 وأبكيكمُ حزناً إذا أقبل العشرُ
 ستبكيكمُ بعدي المرائي والشعرُ
 قبولكمُ يا آلَ طه لها مهرُ
 وفي مدحِ آياتِ الكتابِ لكم ذكرُ
 وزمزمُ والبيتُ المحرَّمُ والحجرُ

١٩/٧

جعلتكم يومَ المعادِ وسيلتي
سُيُلي الجديدانِ الجديدَ وحبُّكم
عليكم سلامُ الله ما لاح بارقُ

وله من قصيدة يرثي بها الحسين عليه السلام:

باتَ العذولُ على الحبيبِ مسهداً
ورأى العذارِ بسالفه مُسللاً
هذا الذي أمسى عذولي عاذري
ريمٌ^(١) رمى قلبي بسهمٍ لحاظه
قرَّ هلالُ الشمسِ فوق جبينه
وقوامه كالغصنِ رنحه الصبا
فإذا أرادَ الفتكُ كان قوامه
تلقاه منعطفاً قضيماً أميداً
في طاء طرته وجيم جبينه
ليلٌ وصبحٌ أسودٌ في أبيضٍ
لا تحسبوا داودَ قدَرِ سردهُ
لكنَّما ياقوتُ خساءِ خدودهِ
يا قاتلَ العشاقِ يا من طرفهُ

فأقام عذري في الغرامِ ومهداً
فأقامَ في سجنِ الغرامِ مقيداً
فيه وراقدٌ مقلتيه تسهداً
عن قوسٍ حاجبه أصابَ المقصدا
عالٍ تغارُ الشمسُ منه إذا بدا
فيه حمامُ الحيِّ بات مغرداً
لديناً وجردتِ اللحاظُ مُهدداً
وتراه ملتفتاً غزلاً أغيداً^(٢)
ضدانِ شأنهما الضلالةُ والهدى
هذا أضلُّ العاشقين وذا هدى
في سين سالفه فبات مُسرِّداً
نمَّ^(٣) العذارُ به فصار زبرجداً
الرشاقُ يرشُقنا سهاماً من ردى^(٤)

(١) الريم: الظبي الخالص البياض. (المؤلف)

(٢) منعطفاً: متنبهاً. القضيبي: السيف القطاع، القوس عملت من قضيبي أو غصن غير مشقوق.

الأميد من ماد يميد ميدياً: تحرك واضطرب. الأغيد من غيد يغيد غيداً: مالت عنقه لانت أعطافه

فهو أغيد وهي غيداء. (المؤلف)

(٣) نمَّ غماً: زين [ونمَّ: ظهر]. (المؤلف)

(٤) الرشق: الرمي. الردى: الهلاك. (المؤلف)

قسماً بثناء الشجر منك لأنه
وبراء ربي كالمدام مزاجه
إني لقد أصبحت عبدك في الهوى
فاعدل بعبدك لا تجز وأسمع ولا
وابد الوفا ودع الجفا وذر العفا
وفجعت قلبي بالتفرق مثلاً
سبط النبي المصطفى الهادي الذي
وهو ابن مولانا علي المرتضى
أسمى الوري نسباً وأشرفهم أباً
بحر طما ليث حمى غيث همي
السيد السنن الحسين أعمهم
لم أنسه في كربلا مستظلياً
والمقنب الأموي حول خبائه
عصّب عصت غصت بخيلهم الفضا
حمت كستائه وثار عجاجه
للنصب فيه زماجر مرفوعة
صامت صوافنه وبيض صفاحه
نسج الغبار على الأسود مدارعاً
والخيل عابسة الوجوه كأنها
حتى إذا لمعت بروق صفاجها

ثغر به جيم الجمان تنضداً^(١)
شهد به تروى القلوب من الصدى
وغدوت في شرح المحبة سيذا
تبخل بقرب من وفاك الأبعدا
فلقد غدوت أخوا غرام مُكّدا
فجعت أمية بالحسين محمدا
أهدى الأنام من الضلال وأرشدا
بجر الندى مروى الصدا مُردى العدا
وأجلّهم حسباً وأكرم محمدا
صح أضا نجم هدى بدر بدا
للخافقين ندى وأسمحهم يدا
في الكرب لا يلقى لماء موردا
النبوي قد ملأ الفدافد فُدفداً^(٢)
غصبت حقوق بني الوصي وأحمدا
فحكى الخضم المدلهم المزبدا
جزمت بها الأسماء من حرف الندا
صلت فصيرت الجهاجم سجدا
فيه فجسدت النجيع وعسجدا
العقيان تخترق العجاج الأربدا
وغدا الجبان من الرواعد مُرعدا

(١) الثغر: مقدم الأسنان. الجمان: اللؤلؤ. (المؤلف)

(٢) المقنب: الجماعة من الخيل تجتمع للغارة. الفدافد - بفتح الفاء -: الفلاة. فدفد بضم الفاء الجافي الكلام المرتفع الصوت. (المؤلف)

صال الحسينُ على الطغاة بعزمه
 وغدا بلامِ اللدنِ يطعن أنجلاً
 فأعاد بالضربِ الحسامَ مقللاً
 فكأنما فتكأتهُ في جيشهم
 جيشٌ يريدُ رضا يزيدَ عصابةً
 جحدوا العليَّ مع النبيِّ وخالفوا
 وغواهمُ شيطانهم فأضلهمُ
 ومن العجائبِ أنَّ عذب فراتها
 طامٍ وقلبُ السبطِ ظامٍ نحوه
 وكأنَّه والظرف والبتار وال
 شمسٌ على فلكٍ وطوع يمينه
 والسيدُ العباسُ قد سلبَ العدي
 وابنُ الحسينِ السبطِ ظمانُ الحشا
 كالبدْرِ مقطوعُ الوريدِ له دمٌ
 والسادةُ الشهداء صرعى في الفلا
 لا يَحْتَشِي من شربِ كأسِ الردي
 وبغينِ غربِ العضبِ يضربُ أهوداً^(١)
 وثنى السنانَ من الطعانِ مقصداً^(٢)
 فتكاتُ حيدر يومٍ أُحِدِ في العدي
 غصبتُ فأغضبتُ العليَّ وأحمدا
 الهادي الوصيَّ ولم يخافوا الموعدا
 عمداً فلم يجدوا ولياً مُرشدا
 تسري سلسلةً ولن تتقيدا
 وأبوه يسقي الناسَ سلسله غدا
 خرصان في ظلِّ العجاج وقد بدا^(٣)
 قرُّ يقابل في الظلامِ الفرقدا^(٤)
 عنه اللباسُ وصيروه مجرّدا
 والماءُ تنهله الذئبابُ مُبرّدا
 أمسى على تربِ الصعيدِ مُبّدا
 كلُّ لأحقافٍ^(٥) الرمالِ توسّدا

(١) الأنجل: الواسع الطويل العريض، يقال: طعنه طعنة نجلاء، أي واسعة. الأهود من الهوادة: اللين والرفق. (المؤلف)

(٢) المقصدة من القصدة بالكسر: القطعة مما يكسر. يقال: ربح قصد وقصيد وأقصاد: أي متكسر. (المؤلف)

(٣) الظرف - راجع ص ١٤ [١٤] - البتار: السيف القاطع. الخرصان، جمع الخرص: الرمح القصير السنان. (المؤلف)

(٤) هذه البداعة مأخوذة من علاء الدين الشفهي كما مرّت في ٣٦٢/٦ ومرّت لابن العرندس أيضاً في هذا الجزء: ص ١٥ [١٥]. (المؤلف)

(٥) الأحقاف جمع الحقف: ما اعوجّ من الرمح واستطال. (المؤلف)

فأولئك القومُ الذين على هدىً
والسبطُ حرَّانُ الحشا لمصابهم
حتى إذا اقتربت أباعيد الردي
دارت عليه علوجُ آل أمية
فرموه عن صُفر القسيِّ بأسهمٍ^(١)
فهوى الجوادُ عن الجوادِ فرجت
واحترَّ منه الشمرُ رأساً طالما
فبكته أملاكُ السمواتِ العلى
وارتدَّ كفُّ الجودِ مكفوفاً وطر
والوحشُ صاحَ لما عراه من الأسي
وسروا بزین العابدينِ الساجدِ ال
وسكينةُ سكنَ الأسي في قلبها
وأسال قتلُ الطفِّ مدمعَ زينبِ
ورأيت ساجعةً تنوحُ بأيككةٍ^(٥)
بيضاء كالصبحِ المضيءِ أكفها
ناشدتها يا ورقُ ما هذا البكا
والطوقُ فوقَ بياضِ عنقكِ أسودُ
لما رأت وهي وتسألِي لها
من ربهم فمن اقتدى بهم اهتدى
حيرانُ لا يلقى نصيراً مُسعدا
وحياؤه منها القريبُ تبعدا
من كل ذي نقص يزيد تمردا
من غير ما جُرم جناه ولا اعتدا
السبع الشداد وكان يوماً أنكدا
أمسى له حجرُ النبوة مرقدا
والدهرُ بات عليه مشقوقَ الردا
ف العلمِ مطروفاً^(٢) عليه أرمدا
والطيرُ ناحَ على عزاه وعددا^(٣)
بأكي الحزينِ مُقيداً ومُصفدا
فبغدا بضمها^(٤) مُقيماً مُقعدا
فجرى ووسط الخدِّ منها خددا
سجعت فأخرستِ الفصيخَ المنشدا
حمرُّ تطوقت الظلامَ الأسودا
ردِّي الجوابَ فجعتِ قلبي المكدا
وأكفُّكِ حمرُّ تحاكي العسجدا
ولهيبَ قلبي ناره لن تخسدا

(١) الصفر: الدائرة. القسي جمع القوس: آلة معروفة ترمى بها السهام. (المؤلف)

(٢) المطروفة من العين: التي أصابها شيء فدمعت. (المؤلف)

(٣) عدد الميت: عدد مناقبه ووصفها. (المؤلف)

(٤) ضمر فهو ضامر: هزل ودق وقل لحمه. (المؤلف)

(٥) الأيككة: الشجر الكثير الملتف. (المؤلف)

رفعت بمنصوب الغصون لها يداً
 قُتِلَ الحسينُ بكربلا يا ليته
 فإذا تطوّق ذلك دمعي أحمرُّ
 ولبستُ فوق بياضِ عنقي من أسى
 فالآن ها ذي قصتي يا سائلي
 فاندب معي بتقرّحٍ وتحرّقي
 فلألعننّ بني أميّة ما حدا
 ولألعننّ يزيدها وزيادها
 ولأبكينّ عليك يا ابن محمدٍ
 ولأحلينّ على غلاك مدائحاً
 غريباً فصاحاً في الفصاحةِ جاوزت
 قلدها بقلائدٍ من جودكم
 يرجو بها نجلُ العرندسِ صالحُ
 وسقى الطفوف الهامرات من الحيا
 ثم السلام عليك يا ابن المرتضى

جزمت به نوح النوائح سرمدا
 لاقى النجاةً بها وكنتُ له الفدا
 قانٍ مسحتُ به يدي توردا
 طوقاً بسينِ سوادِ قلبي أسودا
 ونجيعُ دمعي سائلٌ لن يجمدا
 وابكي وكن لي في بكائي مُسعدا
 حادٍ وما غار الحجيجُ وأنجداً^(١)
 ويزيدها ربّي عذاباً سرمدا
 حتى أوسدَ في التراب مُلحداً
 من درّ ألفاظي حساناً خُرّدا
 قُباً^(٢) وبات لها لبيد^(٣) مُبلدا
 أضحى بها جيدُ الزمان مُقلدا
 في الخلدِ مع حورِ الجنانِ تخلدا
 سحباً تسحُّ عيونها دمع الندى^(٤)
 ما ناح طيرٌ في الغصون وغردا

وله قصيدة تناهز (٥٦) بيتاً يرثي بها الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه،
 توجد في المنتخب لشيخنا الطريحي^(٥) (١٩/٢) طبع بمبي مطلعها:
 نوحوا أيا شيعة المولى أبي حسنٍ على الحسين غريب الدارِ والوطنِ

(١) غار الرجل: سار. أنجد الرجل: أتى نجداً، قرب من أهله. (المؤلف)

(٢) قس بن ساعدة الايادي خطيب العرب قاطبة والمضروب به المثل في البلاغة. (المؤلف)

(٣) لبيد بن ربيعة العامري توفي في أول خلافة معاوية وهو ابن مئة وسبع وخمسين سنة. (المؤلف)

(٤) الهامرات من همر الماء: انصب. والهمار من السحاب: السيتال. الحيا: المطر. سح الماء: صبه صباً

متتابعاً غزيراً. الندى: المطر. (المؤلف)

(٥) المنتخب: ٢٥٤/٢.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ابن داغر الحلبي

٢٤/٧ حيا الإله كتيبةً مرتادها
قصدت أمير المؤمنين بقبة
يطوى له سهل الفلا ووهادها
يُبنى على هام السماء عمادها
وفدت على خير الأنام بحضرة
عند الإله مكرمٌ وفادها
فيها الفتى وابن الفتى وأخو الفتى
أهل الفتوة ربها مقتادها
فله الفخارُ قديمه وحديثه
والفاضلاتُ طريفها وتلاذها^(١)
مولى البرية بعد فقد نبيها
وإمامها وهمامها وجوادها
وإذا القرومُ تصادمت في معركة
والخيلُ قد نسج القتام طرادها
وترى القبائل عند مختلف القنا
منه يحذر جمعها آحادها
والشوسُ تعثرُ في المجال وتحتها
جردٌ تجذُّ إلى القتال جياذها^(٢)
فكأنَّ منتشرَ الرعال لدى الوغى
زجلٌ تنشرُ في البلاد جرادها
ورماحهمُ قد شظيَّت عيدانها^(٣)
وسيوفهمُ قد كسرت أغمادها

(١) الطريف: المكتسب حديثاً. التلاذ والتلبد: ما كان من قديم. (المؤلف)

(٢) الشوس جمع أشوس: الشديد الجري في القتال. تعثر: يقال: عثر الرجل عثوراً إذا هجم على أمر لم يهجم عليه غيره. المجال: محل الجولان أي الميدان. جرد جمع الأجرد: السباق من الخيل. يجذ من جذ في سيره: أسرع. الجياد جمع الجواد: السريع من الفرس. (المؤلف)

(٣) شظي شظية: فرق. تشظى العود: تطاير شظايا. عيدان وأعود وأعواد جمع العود: الخشب.

والشهب تُعَمَدُ في الرؤوسِ نصولها
فترى هناك أخا النبي محمدٍ
متردياً عند اللقاء بحسامه
عضد النبي الهاشمي بسيفه
واخاءه دونهم وسد دوينه
وحباه في يوم الغدير ولاية
فغدا به يوم الغدير مفضلاً
قبلت وصية أحمد وبصدرها
حتى إذا مات النبي فأظهرت
منعوا خلافة ربها ووليها
واعصوبوا في منع فاطمة حقها
وتوقيت غصصاً وبعد وفاتها
وغدا يُسب على المنابر بعلها
ولقد وقفت على مقالة حاذقٍ
(أعلى المنابر تعلنون بسبه
يا آل بيت محمد يا سادة
أنتم مصايح الظلام وأنتم
فضلاؤها علماؤها حلماؤها

والسمرُ تصعد في النفوسِ صعادها^(١)
وعليه من جهد البلاءِ جلاؤها
متصدياً لكتابتها يسطاؤها
حتى تقطع في الوعى أعضاؤها
أبوابهم فتأخها سداؤها
عام الوداع وكلهم أشهادها
بركاته ما تنتهي أعدادها
تخفي لآل محمد أحقادها
أضغانها في ظلمها أجنادها
ببصائر عميت وضل رشادها
فقضت وقد شاب الحياة نكادها^(٢)
قتل الحسين وذبحت أولادها
في أمة ضلت وطال فسادها
في السالفين فراق لي إنشادها
وبسيفه نُصبت لكم أعودها^(٣)
ساد البرية فضلها وسدادها
خير الأنام وأنتم أمجادها
حكماؤها عبادها زهادها

(١) الشهب جمع الشهاب: السنان، سمي به لما فيه من بريق. نصول جمع النصل: حديدة الرمح والسهم. السمر: الرمح. صعاد جمع الصعدة: القناة المستوية. (المؤلف)

(٢) اعصوبوا: اجتمعوا وصاروا عصائب. شاب: خلط وغش. النكاد: الكدر. (المؤلف)

(٣) هذا البيت من قصيدة لأبي محمد عبدالله بن محمد بن سنان الحنفاجي الحلبي المتوفى ٤٦٦. (المؤلف)

أما العبادُ فأنتمُ ساداتها
تلك المساعي للبرية أوضحت
وإليكم من شاردات (مغامس)
كملت بوزن كمالكم وتزيتت
ناديتها صوتاً فذ أسمعها
نفقت لدي لأنها في مدحك
رحم الإله مُدّها أقلامه
فتشفعوا لكبائر أسلفتها
جرماً لو أن الراسيات حملته
هيئات تُمنع عن شفاعه جدكم
صلى الإله عليكم ما أرعدت

وله قوله من قصيدة تناهز الاتين والتسعين بيتاً:

كيف السلامة والخطوب تنوب
إن البقاء على اختلاف طبائع
العيش أهونه وما هو كائن
والدهر أطوار وليس لأهله
ليس اللبيب من استغفر بعيشه
يا غافلاً والموت ليس بغافل
أبدية هوك إذ زمانك مقل
فمن النصير على الخطوب إذا أتت
علل الفتى من علمه مكفوفة
وتراه يكدح في المعاش ورزقه
ومصائب الدنيا الغرور تصوب
ورجاء أن ينجو الفتى لعصيب
حتم وما هو واصل فقريب
إن فكروا في حالته نصيب
إن المفكر في الأمور لبيب
عش ما تشاء فإنك المطلوب
زاهٍ وإذ غصن الشباب رطيب
وعلا على شرح الشباب مشيب
حتى الممات وعمره مكتوب
في الكائنات مقدّر محسوب

إِنَّ اللَّيَالِي لَا تَزَالُ مَجْدَةً فِي الْخَلْقِ أَحْدَاثُ لَهَا وَخَطُوبُ
 مِنْ سَرٍّ فِيهَا سَاءَ مِنْ صَرْفِهَا رَيْبٌ لَهُ طَوَّلُ الزَّمَانِ مَرِيبُ
 عَصَفَتْ بِخَيْرِ الْخَلْقِ آلِ مُحَمَّدٍ نَكْبَاءُ إِعْصَارٍ لَهَا وَهَبُوبٌ^(١)
 أَمَّا النَّبِيُّ فَخَانَهُ مِنْ قَوْمِهِ فِي أَقْرَبِيهِ بِجَانِبٍ وَصَحِيبُ
 مِنْ بَعْدِ مَا رَدُّوا عَلَيْهِ وَصَاتَهُ حَتَّى كَأَنَّ مَقَالَهَ مَكْذُوبُ
 وَنَسُوا رِعَايَةَ حَقِّهِ فِي حَيْدِرٍ فِي خَمٍّ وَهُوَ وَزِيرُهُ الْمَصْحُوبُ
 فَأَقَامَ فِيهِمْ بَرَهَةً حَتَّى قَضَى فِي الْغَيْظِ وَهُوَ بِغَيْظِهِمْ مَغْضُوبُ

ومنها قوله في رثاء الإمام السبط عليه السلام:

بِأَبِي الْإِمَامِ الْمُسْتَضَامِ بِكَرْبَلَا يَدْعُو وَلَيْسَ لِمَا يَقُولُ مَجِيبُ
 بِأَبِي الْوَحِيدِ وَمَا لَهُ مِنْ رَاحِمٍ يَشْكُو الظَّمَا وَالْمَاءَ مِنْهُ قَرِيبُ
 بِأَبِي الْحَبِيبِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَمَحَمَّدٌ عِنْدَ الْإِلَهِ حَبِيبُ
 يَا كَرْبَلَاءَ أَفِيكَ يُقْتَلُ جَهْرَةً سَبَطَ الْمَطْهَرِ إِنَّ ذَا لِعَجِيبُ
 مَا أَنْتِ إِلَّا كَرْبَةٌ وَبَلِيَّةٌ كُلُّ الْأَنْامِ يَهْوِلُهَا مَكْرُوبُ
 لَهْفِي عَلَيْهِ وَقَدْ هَوَى مُتَعَفِّراً وَبِهِ أَوَامٌ فَادِحٌ وَلَغُوبٌ^(٢)
 لَهْفِي عَلَيْهِ بِالظَّفُوفِ مَجْدَلًا تَسْنِي عَلَيْهِ شِمَالٌ وَجَنُوبُ
 لَهْفِي عَلَيْهِ وَالْخَيْوَلُ تَرْضُهُ فَلَهْفٌ رَكُضٌ حَوْلَهُ وَخَبِيبُ^(٣)
 لَهْفِي لَهُ وَالرَّأْسُ مِنْهُ مَمِيزٌ وَالشَّيْبُ مِنْ دَمِهِ الشَّرِيفِ خَضِيبُ
 لَهْفِي عَلَيْهِ وَدِرْعُهُ مَسْلُوبَةٌ لَهْفِي عَلَيْهِ وَرَحْلُهُ مَسْهُوبُ

(١) الإعصار: ريح ترتفع بالتراب. الهبوب من الرياح: المثيرة للغبرة. (المؤلف)

(٢) الأوام: العطش. القادح: الصعب الثقيل. اللغوب: المتعب المعين. (المؤلف)

(٣) الخبيب من خبب الفرس في عدوه: راوح بين يديه ورجليه؛ أي قام على إحداهما مرّة وعلى الأخرى مرّة. (المؤلف)

لهفي على حُرَمِ الحسينِ حواسراً
 حتى إذا قطع الكريم بسيفه
 لله كم لطمتُ خدودُ عندهُ
 ما أنس إن أنس الزكيَّةُ زينباً
 تدعو وتندبُ والمصابُ تكظها
 الأخيَّ بعدك لاحتيتُ بغبطةِ
 الأخيَّ بعدك من يدافعُ جاهلاً
 حزني تذوب له الجبالُ وعنده
 شعناً وقد ريعتُ هنَّ قلوبُ
 لم يثنه خوفٌ ولا ترعيبُ
 جزعاً وكم سُقتُ عليه جيوبُ
 تبكي له وقناعها مسلوبُ
 بين الطفوفِ ودمعها مسكوبُ^(١)
 واغتالي حتفُ إليَّ قسريبُ
 عني ويسمع دعوتي ويجيبُ
 يسلو وينسى يوسفاً يعقوبُ

الشاعر

الشيخ مغامس بن داغر الحلبي، طُفح بذكر المغامس في حبِّ آل الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ غير واحد من المعاجم المتأخرة كالحصون المنيعة للعلامة الشيخ علي آل كاشف الغطاء، والطلية للعلامة السماوي، والبابليات للخطيب يعقوبي^(٢)، وذكر شطراً من شعره / شيخنا فخر الدين الطريحي في المنتخب^(٣)، والأديب الأصبهاني في التحفة الناصرية، وتضمن غير واحد من المجاميع قريضه المتدفق بمدح أهل بيت الوحي أئمة الهدى وراثتهم صلوات الله عليهم حتى جمع منها الشيخ السماوي ديواناً باسم المترجم يربو على ألف وثلاثمائة وخمسين بيتاً ولعلَّ التالف منها أكثر وأكثر.

فهو من شعراء أهل البيت المكثرين المتفانين في حبِّهم وولائهم غير أنَّ الدهر أنسى ذكره الخالد، ولعلَّ هذا الانقطاع عن غيرهم عليه السلام هو الذي قطع أطراد ذكره في جملة من الموسوعات أو المعاجم لمن لا يألف إلى ودَّهم كما فعلوا ذلك بالنسبة إلى

(١) تكظها من كظ الأمر كظاً: غمَّ وبهظ. الطفوف جمع الطف: ما أشرف من الأرض. (المؤلف)

(٢) البابليات: ١٣٢/١ رقم ٤٤.

(٣) المنتخب: ٢٨٤/٢ و ٢٩٢ و ٣٠٠ و ٣٢٣.

كثيرين من أمثال المترجم فتركوا ذكره أو أثبتوه بصورة مصغرة، وعندهم مكبرات لذكريات أناس هم دون أولئك في الفضيلة والأدب، وكم للتاريخ من جنائيات في الخفض والرفع والمجرّ والنصب لا تستقصى!

كان الشيخ مغامس من إحدى القبائل العربية في ضواحي الحلة الفيحاء فهبطها للدراسة، ولم يبارحها حتى قضى بها نحبه شاعراً خطيباً في أواسط القرن التاسع، ويعرب شعره عن أنه كان له شوط في مضمار الخطابة كما كان يركض في كلّ حلبة من حلبات القريظ، قال:

فتارةً أنظم الأشعارَ ممتدحاً وتارةً أنثرُ الأقوالَ في الخطبِ

وكان أبوه داغر شاعراً موالياً وهو الذي علّمه قرض الشعر ومزّنه على ولاء العترة الطاهرة كما يأتي في قوله:

أعملتُ في مدحكُم فكري فعلمني نظمَ المدحِ وأوصاني بذلك أبي

فحسب الله الوالد والولد. وإليك فهرست قصائده التي وقفنا عليها في مجاميع الأدب:

| عدد القصائد | المطلع | عدد الأبيات |
|---|------------------------------------|-------------|
| (١) محبُّ الليالي في مساعيه متعبُ | يساق إليه حتفه وهو يدأبُ (٩٣) | |
| (٢) تذكرُ ما أحصى الكتابُ فتابا | وحاذرَ من مسِّ العذابِ عقابا (٩٢) | |
| (٣) أصبحتَ للتقوى بجهلك تدعي | دعواك باطلةً إذا لم تقلعِ (٨١) | |
| (٤) هل حين عممه المشيبُ وقتعنا | أتراه يصنعُ في الهدايةِ مصنعا (٩٠) | |
| (٥) أتطلب دنياً بعد شيب قذال ^(١) | وتذكر أيتاماً مضت وليالي (٩٢) | |
| توجد جملة من هذه القصيدة في المنتخب ^(٢) (٤٥/٢) طبع بمبي. | | |

(١) القذال بفتح القاف: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس. (المؤلف)

(٢) المنتخب: ٣٠٠/٢.

(٦) فصلتُ صروفَ الحادثاتِ مفاصلي وأصاب سهمُ النَّائبِ مقاتلي
 قطع الزمان عرى قواي وكل ما قطع الزمانُ فما له من واصلٍ (٧٧)
 هذه القصيدة ذكرها شيخنا الطريحي في المنتخب^(١) (٣٦/٢).

(٧) لغيرك يا دنيا ثنيتُ عناني وذاك لأمر عن غناك عناني (٩٩)
 توجد هذه القصيدة برمتها في المنتخب^(٢) (٥٨/٢).

(٨) لبني الهادي مناحي في غدوي ورواحسي
 صاح ما قلبي بصاح ما الحزني من براح (١٠٥)
 (٩) هجر الغمض وسادي وكوى الحزن فؤادي
 فحياتي في نكادي لقتيل ابن زياد (٦٢)
 (١٠) ليثني كنت فداءً للحسين وهو بالطف قطيع الودجين
 ينظرُ الشمْرَ بعينٍ وبعينٍ ينظرُ الشوَّةَ بين العسكرين (١٠٦)
 (١١) بكيت وما لربعان الشباب ولا لدروس منزلة خراب
 ولا لقوات عيش مستطاب ولا لفراق زينب والرباب (٨٠)
 (١٢) صحبتك لا أني بودك مغرم فبيني فغيري في هواك المستيم (٨٨)
 (١٣) رحل الشباب وإنه لكريم وفراغه عند النفوس عظيم (٨١)
 (١٤) أزال الشباب الغض عنك مزيل فهل أنت للبيض الحسان خليل (٧٥)
 (١٥) يمدح بها النبي الأعظم ﷺ قوله:

عرج على المصطفى يا سائق النجب
 عرج على السيد المبعوث من مضر
 عرج على رحمة الباري ونعمته
 عرج على خير مبعوثٍ وخير نبي
 عرج على الصادق المنعوت في الكتب
 عرج على الأبطحي الطاهر النسب

(١) المنتخب: ٢٨٤/٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٢٣.

رآه آدمُ نوراً بين أربعة
 فقال يا رب من هذا فقل له
 هم أوليائي وهم ذرية لكما
 أما وحقهم لولا مكائهم
 كلاً ولا كان من شمسٍ ولا قرٍ
 ولا سماءٍ ولا أرضٍ ولا شجرٍ
 ولا جنانٍ ولا نارٍ مؤججةٍ
 وقال للملأ الأعلى ألا أحد
 فلم يجيبوا فأنبا آدمُ بهم
 فقال للملأ الأعلى اسجدوا كملأ
 وصير الله ذاك النور ملتماً
 وخاف نوحٌ فناجى ربه فنجا
 وفي الجحيم دعا الله الخليل بهم
 وقد دعا الله موسى إذ هوى صعقاً
 فظل منتقلاً والله حافظه
 حتى تقسم في عبد الإله معاً
 فأودع الله ذاك القسم آمنه
 حتى إذا وضعته أنهد من فزع
 وانشق إيوان كسرى وانطفت حذراً
 تساقطت أنجم الأملاك مؤذنة
 حتى إذا حاز سن الأربعين دعا
 فقال لبيك من داع وأرسله
 لألاؤها فوق ساق العرش من كذب
 قول المحب وما في القول من ريب
 فقر عيناً ونفساً فيهم وطب
 مني لما دارت الأفلاك بالقطب
 ولا شهابٍ ولا أفقٍ ولا حجب
 للناس يهمي عليه واكف السحب^(١)
 جعلت أعداءهم فيها من الخطب
 يني بأسمائهم صدقاً بلا كذب
 لها بعلم من الجبار مكتسب
 لآدم وأطيعوا وأتقوا غضبي
 في الوجه منه بوعدٍ منه مرتقب
 بهم على دسر الألواح والخشب
 فأخذت بعد ذاك الحر واللهب
 بحقهم فنجا من شدة الكرب
 على تنقله من حادث الثوب
 وفي أبي طالب عن عبد مطلب
 يوماً إلى أجلٍ بالحملٍ مقرب
 ركن الضلال ونادى الشرك بالحرب
 نيرانهم وأقر الكفر بالغلب
 بالرجم فاحترق الأصنام باللهب
 ربي به في لسان الوحي بالكتب
 إلى البرية من عجم ومن عرب

(١) هي الماء يهمي هياً: سال لا يثنيه شيء. الواكف: المطر المنهل. (المؤلف)

فأظهر المعجزات الواضحات لهم
 أراهم الآية الكبرى فواعجباً
 رامت بنو عمه تبييته سحراً
 وبات يفديه خيراً الخلق حيدرة^(١)
 فأدبروا إذ رأوا غير الذي طلبوا
 فراهم عنكب في الغار إذ جعلت
 حتى إذا ردهم عنه الإله مضى
 فحلّ دار رجالٍ بايعوه على
 في كل يومٍ لمولى الخلق واقعة
 يمشي إلى حربهم والله ناصرُهُ
 في فتية كالأسود المحذرات لها
 عافوا المعائل للبيض الحسان فما
 فالحق في فرح والدين في مَرَح
 حتى استراح نبي الله قاضية
 يا من به أنبياء الله قد ختموا
 إن كنت في درجات الوحي خاتمهم
 قد بشرت بك رسل الله في أمم

بالبيئات ولم يحذر ولم يهب
 ما بالهم خالفوا من أعجب العجب
 فعاذ منهم رسول الله بالهرب
 على الفراش وفي يُمناه ذو شطب^(٢)
 وأوغلوا لرسول الله في الطلب
 تسدي وتلحم في أبردها القشب
 ذاك النجيب على المهريّة الثجب
 أعدائه فدماء القوم في صب
 منه على عابدي الأوثان والصلب
 مشي العفرنة في غاب القنا السلب^(٣)
 برائن^(٤) من رماح الخط والقضب
 معاقل القوم غير البيض واليلب^(٥)
 والشرك في ترح والكفر في نصب
 بهم وراحتهم في ذلك التسم
 فليس من بعده في العالمين نبي
 فانت أولهم في أول الرتب
 خلث فما كنت فيما بينهم بغبي^(٦)

(١) مرّ حديث ليلة المبيت في الجزء الثاني: ص ٤٧. (المؤلف)

(٢) الشطب جمع الشطبة بضم الأول وكسره: الخط في متن السيف. (المؤلف)

(٣) يقال: أسد عفرني ولبوة عفرنة: أي قوية.

(٤) البرثن من السباع والطيور بمنزلة الإصبع من الانسان. والجمع: برائن. (المؤلف)

(٥) المعقل: الملجأ. البيض جمع بيضاء: السيف. اليلب: الترس أو الدروع اليمانية من الجنود، خالص

الحديد. (المؤلف)

(٦) المستور، المجهول. (المؤلف)

تكون في باطلٍ يوماً بمنجذبٍ
حُبّاً ومن يدعُهُ المحبوبُ يستجيبُ
وكان بعدك فيهم خيرَ منتصبٍ
تخيروه وليس النبعُ كالغربِ^(١)

شهدتُ أنّك أحسنتَ البلاغَ فما
حتى دعائك إلهي فاستجبتَ له
وقد نصبتَ لهم في دينهم خلفاً
لكنهم خالفوه وابتغوا بدلاً

ويقول فيها:

إلى زيارةٍ خيرِ العجمِ والعربِ
ونلتَ إدراكَ ما في النفسِ من إربِ
وسيدِ الخلقِ من ناءٍ ومقترِبِ
حتى كأنّي ذاك اليومَ لم أغيبِ
بها أحبّةٌ صبّ دائمٍ الوصبِ
وقل بدمعٍ على الخدّينِ منسكبِ
وأظهرَ الخلقِ في أصلٍ وفي نسبِ
كما تعلقَ في أسابِكُم سببي
لا دان لم يدنُ من أحسابِكُم حسبي
ما عشتُ والظنُّ في معروفِكُم نشبي
فإنّ قلبي عنكم غيرُ منقلبِ
وحبُّكم قد جرى في المنخِ والعصبِ
صدقي وحيّي وفي مدحي لكم طربي
وتارةً أنثرُ الأقوالَ في الخطبِ
إذ صغتُ فيكم قريضَ القولِ من ذهبِ

يا راكبَ الهوجلِ المحبوكِ تحمله^(٢)
إذا قضيتَ فروضَ الحجِّ مكتملاً
وزرتَ قبرَ رسولِ الله سيّدنا
قف موقفي ثمّ سلّم لي عليه معاً
واثنِ السلامَ إلى أهلِ البقيعِ فلي
وبثّم صبوتي طولَ الزمانِ لهم
يا قدوةَ الخلقِ في علمٍ وفي عملِ
وصلتُ حبلَ رجائي في حباتِكُم
دنوتُ في الدينِ منكم والودادِ فلو
مدحِكُم مكسبي والدينُ مكتسبي
فإن عدتني الليالي عن زيارتِكُم
قد سيط لحمي وعظمي في محبّتِكُم
هجري وبغضي لمن عاداكُم ولكم
فتارةً أنظّم الأشعارَ ممتدحاً
حتى جعلتُ مقال الضدِّ من شبهِ

٣٢/٧

(١) النبع: خروج الماء من العين. الغرب: الماء المقطر من الدلو بين الحوض والبنير. (المؤلف)

(٢) الهوجل: الناقة التي بها هوج من سرعتها. المحبوك: مشدود الوسط. (المؤلف)

أعملتُ في مدحكُم فكري فعلمني نظم المديحِ وأوصاني بذاك أبي
فهل أنالُ مفازاً في شفاعتِكُم ممّا أحتقبتُ له في سائرِ الحقِبِ
فيا مغامسِ احبسِ في مدائحِهِم تلك القوافي وأجرَ اللهِ فاحتسِبِ



مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إرسودي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الحافظ البرسي الحلّي

هو الشمس أم نور الضريح يلوح هو المسك أم طيب الوصي يفوح
وبحر ندى أم روضة حوت الهدى وآدم أم سر المهيم نوح
وداود هذا أم سليمان بعده وهارون أم موسى العصا ومسيح
وأحمد هذا المصطفى أم وصيه علي غناه هاشم وذبيح
محيط سماء المجد بدر دجنة وفلك جمال للأنام ويوح^(١)
حبيب حبيب الله بل سر سره وجثمان أمر للخلائق روح
له النص في يوم الغدير ومدحه من الله في الذكر المبين صريح
إمام إذا ما المرء جاء بحبه فميزانه يوم المعاد رجيح
له شيعة مثل النجوم زواهر لها بين كل العالمين وضوح
إذا قاوت فالحق فيما تقوله به النور باد واللسان فصيح
وإن جاولت أو جادلت عن مرامها تولى العدو الجلد وهو طريح
عليك سلام الله يا راية الهدى سلام سليم يفتدي ويروح

وتأتي له قصيدة منها قوله :

مولي له بغدير خم بيعة
خضعت لها الأعناق وهي طوائخ

(١) يوح : الشمس . (المؤلف)

الشاعر

المحافظ الشيخ رضي الدين رجب بن محمد بن رجب البرسي المحلي، من عرفاء علماء الإمامية وفقهائها المشاركين في العلوم، على فضله الواضح في فن الحديث، وتقدمه في الأدب وقرض الشعر وإجادته، وتضلعه من علم الحروف وأسرارها واستخراج / فوائدها، وبذلك كله تجددت طافحة بالتحقيق ودقة النظر، وله في العرفان والحروف مسالك خاصة، كما أن له في رلاء أئمة الدين عليهم السلام آراء ونظريات لا يرتضيها لفيف من الناس، ولذلك رموه بالغلو والارتفاع، غير أن الحق أن جميع ما يشته المترجم لهم عليهم السلام من الشؤون هي دون مرتبة الغلو وغير درجة النبوة، وقد جاء عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «إياكم والغلو فينا، قولوا: إنا عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم»^(١)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «اجعل لنا رباً نؤوب إليه وقولوا فينا ما شئتم». وقال عليه السلام: «اجعلونا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا»^(٢).

٣٤/٧

وأنتي لنا البلاغ مديّة ما منحهم المولى سبحانه من فضائل ومآثر؟ وأنتي لنا الوقوف على غاية ما شرفهم الله به من ملكات فاضلة، ونفسيات نفيسة؛ وروحيات قدسيّة، وخلائق كريمة، ومكارم ومحامد؛ فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام؟ أو يمكنه اختياره؟ هيئات هيئات ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحاتت الألباب، وخسئت العيون، وتضاغرت العظام، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت العلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألباء، وكلت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، وفضيلة من فضائله، وأقزرت بالعجز والتقصير؛ وكيف يوصف

(١) الخصال لشيخنا الصدوق [ص ٦١٤]. (المؤلف)

(٢) بصائر الدرجات للصفار [ص ٢٣٦، ٥٠٧]. (المؤلف)

بكله؟ أو ينعت بكنهه؟ أو يفهم شيء من أمره؟ أو يوجد من يقوم مقامه ويسغني غناه؟ لا، كيف؟ وأتى؟ فهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟^(١).

ولذلك تجد كثيراً من علمائنا المحققين في المعرفة بالأسرار يثبتون لأئمة الهدى صلوات الله عليهم كل هاتيك الشؤون وغيرها مما لا يتحمله غيرهم، وكان في علماء قم من يرمي بالغلو كل من روى شيئاً من تلكم الأسرار، حتى قال قائلهم: إن أول مراتب الغلو نبي السهو عن النبي ﷺ إلى أن جاء بعدهم المحققون وعرفوا الحقيقة فلم يقيموا لكثير من تلكم التضعيفات وزناً، وهذه بليّة مني بها كثيرون من أهل الحقائق / والعرفان ومنهم المترجم، ولم تزل الفتان على طرفي نقيض، وقد تقوم الحرب بينهما على أشدها، والصلح خيراً.

وفذلكة المقام أن النفوس تتفاوت حسب جبلاتها واستعداداتها في تلقي الحقائق الراهنة، فمنها ما تبهظه العضلات والأسرار، ومنها ما ينسبط لها فيسقط إليها ذراعاً ويمدّها باعاً، وبطبع الحال إن الفئة الأولى لا يسمعها الرضوخ لما يعلمون، كما أن الآخرين لا تبيح لهم المعرفة أن يذروا ما حققوه في مدحرة البطلان، فهناك تتور المنافرة، وتحتدم الضغائن، ونحن نقدر للفريقين مسعاهم لما نعلم من نواياهم الحسنة وسلوكهم جدد السبيل في طلب الحق ونقول:

على المرء أن يسعى بمقدار جهده وليس عليه أن يكون موقفاً

ألا إن الناس لمعادن كمعادن الذهب والفضة^(٢) وقد تواتر عن أئمة أهل البيت : «إن أمرنا، أو حديثنا صعب مستصعب لا يتحمّله إلا نبي مرسل أو ملك

(١) من قولنا: فن ذا الذي يبلغ. إلى هنا مأخوذ من حديث رواه شيخنا الكليني ثقة الإسلام في أصول الكافي: ص ٩٩ [٢٠١/١] عن الإمام الرضا صلوات الله عليه. (المؤلف)

(٢) حديث ثابت عند الفريقين. (المؤلف)

مقرب، أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان»^(١). إذن فلا تتحرى وقية في علماء الدين ولا نمس كرامة العارفين، ولا ننقم من أحد عدم بلوغه إلى مرتبة من هو أرقى منه، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «لو جلست أحدثكم ما سمعت من فم أبي القاسم عليه السلام لخرجتم من عندي وأنتم تقولون: إن علياً من أكذب الكاذبين»^(٢).

وقال إمامنا السيد السجاد عليه السلام: «لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينها فما ظنكم بسائر الخلق»^(٣) «وكلأ وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً»^(٤).

وإلى هذا يشير سيدنا الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام بقوله:

إني لأكتم من علمي جواهره كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتنا
وقد تقدم في هذا أبو الحسين عليه السلام إلى الحسين وأوصى قبله الحسن
فرب جواهر علم لو أبوح به لقي لني أنت بمن يعبد الوثنا
ولا استحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسناً^(٥)

٣٦/٧

ولسيدنا الأمين في أعيان الشيعة^(٦) (١٩٣/٣١ - ٢٠٥) في ترجمة الرجل كلمات لا تخرج عن حدود ما ذكرناه، ومما نقم عليه به اعتماده على علم الحروف والأعداد

(١) بصائر الدرجات للصفار: ص ٦ [ص ٢٠]، أصول الكافي: ص ٢١٦ [٤٠١/١]. (المؤلف)

(٢) منح المنة للشمراني: ص ١٤. (المؤلف)

(٣) بصائر الدرجات للصفار: ص ٧ [ص ٢٥] آخر الباب الحادي عشر من الجزء الأول. أصول

الكافي لثقة الإسلام الكليني: ص ٢١٦ [٤٠١/١]. (المؤلف)

(٤) النساء: ٩٥.

(٥) تفسير الألوسي: ١٩٠/٦. (المؤلف)

(٦) أعيان الشيعة: ٤٦٥/٦ - ٤٦٨.

الذي لا تتمّ به برهنة ولا تقوم به حجة، ونحن وإن صاqqناه على ذلك، إلا أن للمترجم له ومن هذا حذوه من العلماء كابن شهر آشوب ومن بعده عذراً في سرد هاتيك المسائل؛ فإنها أشبه شيء بالجدل تجاه من ارتكن إلى أمثالها في أبواب أخرى من علماء الحروف من العامة كقول العبيدي المالكي في عمدة التحقيق^(١) (ص ١٥٥): قال بعض علماء الحروف: يؤخذ دوام ناموس آل الصديق وقيام عزته إلى انتهاء الدنيا من سرّ قوله تعالى: في ﴿ذريتي﴾. فإن عدتها بالجمل الكبير ألف وأربعمئة وعشرة وهي مظنة تمام الدنيا كما ذكره بعضهم فلا يزالون ظاهرين بالعزة والسيادة مدة الدنيا، وقد استنبط تلك المدة عمدة أهل التحقيق مصطفى لطف الله الرزناجي بالديوان المصري من قوله تعالى: ﴿لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلاً﴾^(٢) قال ما لفظه: إذا أسقطنا مكررات الحروف كان الباقي (ل ا ي ب ث و ن خ ف ك ق) أحد عشر حرفاً عددهم بالجمل الكبير ألف وثلاثمئة وتسعة وتسعين زدنا عليه عدد الحروف وهو أحد عشر صار المجموع وهو ألف وأربعمئة وعشرة وهو مطابق لقوله تعالى: ذريتي. وسمعت ختام الأعلام شيخنا الشيخ يوسف الفيشي رحمه الله يقول: قال محمد البكري الكبير: يجلس عقبنا مع عيسى بن مريم على سجادة واحدة وهذا يقوي تصحيح ذلك الاستنباط. انتهى.

ونحن لا ندري ماذا يعني سيّدنا الأمين بقوله: وفي طبعه شذوذ وفي مؤلفاته خبط وخلط وشيء من المغالاة لا موجب له ولا داعي إليه وفيه شيء من الضرر إن أمكن أن يكون له محل صحيح. ليت السيّد يوعز إلى شيء من شذوذ طبع شاعرنا الفحل حتى لا يبقى قوله دعوى مجرّدة. وبعد اعترافه بإمكان حمل صحيح لما أتى به المترجم له فأبى داعٍ إلى حمله على الخبط والخلط، ونسيان حديث: ضع أمر أخيك

(١) عمدة التحقيق: ص ٢٦٢.

(٢) الإسراء: ٧٦.

على أحسنه؟ و / أيّ ضرر فيه على ذلك التقدير؟ على أننا سبرنا غير واحد من مؤلفات البرسي فلم نجد فيه شاهداً على ما يقول، وستوافيك نبذة ممتعة من شعره الرائق في مدائح أهل البيت عليهم السلام ومراثيهم وليس فيها إلا إشادة إلى فضائلهم المسلمة بين الفريقين أو ثناء جميل عليهم هو دون مقامهم الأسمى، فأين يقع الارتفاع الذي رماه به بعضهم؟ وأين المغالاة التي رآها السيد؟ والبرسي لا يحذو في كتبه إلا حذو شعره المقبول، فأين مقيل الخطب والضرر والغلو التي حسبها سيد الأعيان؟

وأما ما نقم به عليه من اختراع الصلوات والزيارة بقوله: واخترع صلاة عليهم وزيارة لهم لا حاجة إليه بعد ما ورد ما يغني عنه ولو سلم أنه في غاية الفصاحة كما يقول صاحب الرياض، فإنه لا مانع منه إلا ما يوهم المخترع أنها مأثورة، وأيّ وازع من إبداء كلّ أحد تحيته بما يجريه الله تعالى على لسانه وهو لا يقصد وروداً ولا يريد تشريعاً؟ وقد فعله فطاحل العلماء من الفريقين ممن هو قبل المترجم وبعده، ولا تسمع أذن الدنيا الغمز عليهم بذلك من أيّ أحد من أعلام الأمة. وأما قول سيدنا: وإنّ مؤلفاته ليس فيها كثير نفع وفي بعضها ضرر والله في خلقه شؤون سامحه الله وإيانا. فإنه من شطفة القلم صدر عن المشطف^(١)، سامحه الله وإيانا.

تأليفه القيّمة:

- ١ - مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين.
- ٢ - مشارق الأمان ولباب حقائق الإيمان ألفه سنة (٨١٣).
- ٣ - رسالة في الصلوات على النبي وآله المعصومين.
- ٤ - رسالة في زيارة أمير المؤمنين طويلة، قال شيخنا صاحب الرياض^(٢): في

(١) المشطف كمنبر: من يعرض بالكلام على غير القصد. (المؤلف)

(٢) رياض العلماء: ٣٠٥/٢.

نهاية الحسن والجزالة واللطافة والفصاحة [وهي] ^(١) معروفة .

٥ - رسالة اللمعة من أسرار الأسماء والصفات والحروف والآيات والدعوات ،
فيها فوائد ولا تخلو من غرابة كما قاله شيخنا صاحب الرياض ^(٢) .

٦ - الدرّ الثمين ، في خمسمئة آية نزلت في مولانا أمير المؤمنين باتفاق أكثر
المفسرين من أهل الدين ، ينقل عنه المولى محمد تقي الزنجاني في كتابه : طريق النجاة . ٢٨٧

٧ - أسرار النبي وفاطمة والأئمة عليهم السلام .

٨ - لوامع أنوار التمجيد وجوامع أسرار التوحيد ، في أصول العقائد .

٩ - تفسير سورة الإخلاص .

١٠ - رسالة مختصرة في التوحيد والصلوات على النبي وآله .

١١ - كتاب في مولد النبي وعلي وفاطمة وفضائلهم .

١٢ - كتاب في فضائل أمير المؤمنين غير المشارق .

١٣ - كتاب الألقين في وصف سادة الكونين .

شعره الرائق :

للحافظ البرسي شعر رائق وجله بل كله في مدائح النبي الأقدس وأهل بيته
الطاهر صلوات الله عليهم ويتخلص في شعره به : (الحافظ) . ومن شعره يمدح به النبي
الأعظم صلوات الله عليه قوله :

أضاء بك الأفق المشرق ودان لمنطقك المنطق
وكنت ولا آدم كائناً لأنك من كونه أسبق

(١) الزيادة من المصدر .

(٢) المصدر السابق .

أشار بهذا البيت إلى ما جاء عنه عليه السلام من قوله: «كنت أول الناس في الخلق وآخرهم في البعث».

أخرجه^(١) ابن سعد في الطبقات، والطبري في تفسيره (٧٩/٢١)، وأبو نعيم في الدلائل (٦/١)، وذكره ابن كثير في تاريخه (٣٠٧/٢)، والغزالي في المضمون الصغير هامش الإنسان الكامل (٩٧/٢) والسيوطي في الخصائص الكبرى (٣/١)، والزرقاني في شرح المواهب (١٦٤/٣).

وفي حديث الإسراء: إنك عبدي ورسولي وجعلتك أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً^(٢). وجاء عنه عليه السلام: «أول ما خلق الله نوري»^(٣). وتواتر عنه عليه السلام من طرق صحيحة: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين. أو: بين الروح والجسد. أو: بين خلق آدم ونفخ الروح فيه».

ولولاك لم تخلق الكائنات ولا بان غرب ولا مشرق

٣٩/٧

أشار به إلى ما أخرجه^(٤) الحاكم في المستدرک (٦١٥/٢) والبيهقي، والطبراني، والسبكي، والقسطلاني، والعزامي، والبلقيني، والزرقاني وغيرهم من طريق ابن عباس قال: أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمته أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت الجنة ولا النار.

ومن طريق عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله عليه السلام: «لما اقترف آدم

(١) الطبقات الكبرى: ١٤٩/١، جامع البيان: مج ١١/ج ١٢٥/٢١، دلائل النبوة: ٤٤/١ ح ٣، البداية والنهاية: ٣٧٦/٢، الخصائص الكبرى: ٧/١.

(٢) مجمع الزوائد: ٧١/١. (المؤلف)

(٣) السيرة الحلبية: ١٥٩/١ [١٤٧/١]. (المؤلف)

(٤) المستدرک علی الصحیحین: ٦٧١/٢ ح ٤٢٢٧ و ٤٢٢٨، شفاء السقام: ص ١٦٢، شرح المواهب للزرقاني: ٤٤/١.

الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي. فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يارب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك. فقال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ ادعني بحقه قد غفرت لك. ولولا محمد ما خلقتك» .

| | |
|-----------------------|-----------------------|
| وميمك بالمنتهى يغلق | فيمك مفتاح كل الوجود |
| بشأو من الفضل لا يلحق | تجلت يا خاتم المرسلين |
| وباطن ظاهر كالأسبق | فأنت لنا أول آخر |

في هذه الأبيات إشارة إلى أسائه الشريفة: الفاتح، الخاتم، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن. راجع شرح المواهب للزرقاني (١٦٣/٣، ١٦٤).

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| وإن أطنبوا فيك أو أغمقوا | تعاليت عن صفة المادحين |
| على غيب أسرارها تحدق | فعنك حول الوري دارة |
| تنزل بالأمر ما يُخلق | وروحك من ملكوت السماء |
| فكل على قدره يعبق | ونشرك يسري على الكائنات |
| تحمن وأعناقها تعنق | إليك قلوب جميع الأنام |
| بأنهار أسرارها يدفق | وفيض أباديك في العالمين |
| على جهات الوري تشرق | وآثار آياتك البيئات |
| يدلآن عنك إذا استنطقوا | فوسى الكليم وتورأته |
| بأنك أحمد من يُخلق | وعيسى وإنجيله بشرا |
| ومن كان لولاه لم يُخلقوا | فيا رحمة الله في العالمين |
| ووجه الجمال الذي يشرق | لأنك وجه الجلال المنير |
| وأنت ترتق ما يُفتق | وأنت الأمين وأنت الأمان |

أتى رجبُ لك في عاتقِ ثقيلِ الذنوبِ فهل تعتقُ؟

وله يمدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

| | |
|--|-------------------------------|
| والكونُ سرٌّ وأنت مبداهُ | العقلُ نورٌ وأنت معناهُ |
| الكلُّ عبدٌ وأنت مولاهُ | والخلقُ في جمعهم إذا جمعوا |
| ما لعلاها في الخلقِ أشباهُ | أنت الوليُّ الذي مناقبه |
| سرٌّ الذي لا إله إلا هو | يا آيةَ الله في العبادِ ويا |
| حاروا عن المهتدي وقد تاهوا | تناقض العالمون فيك وقد |
| وقال قومٌ بأنه الله | فقال قومٌ بأنه بشرٌ |
| مولاه حكمَ العبادِ ولأه | يا صاحبَ الحشرِ والمعادِ ومن |
| أنت ملاذُّ الراجي ومنجاهُ | يا قاسمِ النارِ والجنانِ غداً |
| وأنت عند الحسابِ غوثاهُ ^(١) | كيف يخافُ البرسيُّ حرَّ لظى |
| لا يختشي النارَ عبدٌ حيدرٌ | لا يختشي النارَ عبدٌ حيدرٌ |

وله في مدح مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه قوله :

| | |
|--------------------|-----------------------------------|
| واستمع من وصف حالي | أيها اللائمُ دعني |
| فيه قالوا لا تغالِ | كلما ازددتُ مديحاً |
| يقيناً لا أبالي | وإذا أبصرتُ في الحقِّ |
| وصفها القول حلا لي | آيسةُ الله التي في |
| ذل أكثرت جدالي | كم إلى كم أيها العا |
| خلّني عنك وحالي | يا عدولي في غرامي |
| واطرحني وضلالي | رُح إلى من هو ناجٍ ^(٢) |

(١) في أعيان الشيعة : ٤٦٧/٦ : منجاء .

(٢) في روضات الجنّات : ٣٤٠/٣ : رُح إذا ما كنت نأبي .

إِنَّ حَبِيَّ لَوْصِيَّ الـ مصطفى عَيْنُ الكَمالِ^(١)
هو زادي في معادي ومسعادي في مآلي
وبسه إكمالُ ديني وبسه ختمُ مقالي

ومن شعره يمدح أمير المؤمنين سلام الله عليه قوله :

بأسمائِك الحسنَى أروحُ خاطري إذا هبَّ من قدسِ الجلالِ نسيئُها
لئن سقمتُ نفسي فأنت طيبُها وإن شقيت يوماً فنك نعيمُها
رضيت بأن ألقى القيامةَ خائفاً دماء نفوسٍ حاربتك جسومُها
أبا حسنٍ لو كان حبُّكَ مُدخلي جحياً لكان الفوزُ عندي جحيمُها
وكيف يخافُ النارَ من كان موقناً بأنك مسولاهُ وأنت قسيمُها
فواعجباً من أمةٍ كيف تترجبي من الله غفراناً وأنت خصيمُها
وواعجباً إذ أخرتك وقديمت سواك بلا جرمٍ وأنت زعيمُها
وقال في مدح مولانا أبي السبطين سلام الله عليه :

تعالى عليُّ في الجلالِ فرائدُ يعودُ وفي كفيهِ منه فرائدُ
وواردُ فضلٍ منه يصدر عزها تضيقُ بها منه اللها والأواردُ
تبارك موصولاً وبورك واصلأ له صلةٌ في كلِّ نفسٍ وعائدُ
روى فضله الحسادُ من عظم شأنه وأعظمُ فضلٍ جاء يرويه حاسدُ
محبوه أخفوا فضله خيفةً الهدى وأخفاه بفضاً حاسدُ ومعاندُ
فشاع له ما بين زين مناقب تجلُّ بأن تُحصي إذا عدَّ قاصدُ
إمامٌ له في جبهة المجدِ أنجمُ علت فعلت إن يدنُ منهنَّ راصدُ^(٢)
لها الفرق من فرع السماء منابرُ وفي عنق الجسوزاء منها قلائدُ

(١) وفي نسخة بدل: إِنَّ حَبِيَّ لِعَلِيٍّ المَرْتَضَى عَيْنِ الكَمالِ . (المؤلف)

(٢) في أعيان الشيعة والبابليات ورد هذا الشطر هكذا: تعالت فلا يدنو إليهن راصد .

مناقب إذ جلّت جلّت كلّ كربة
 إمام يحارّ الفكر فيه فعابده
 إمام مبين كلّ أكرومه حوى
 عليه سلام الله ما ذكر اسمه
 وطابت قطابت من شذاها المشاهد
 له ومقرّ بالولاء وجاهد
 بمدحته التنزيل والذكر شاهد
 محبّ وفي البرسيّ ذلك خالد

وله في سيّد العترة أمير المؤمنين عليه وعليهم السلام:

أبديت يا رجب الغريب
 أبديت للسرّ المصوب
 وكشفت أستاراً وأسد
 حلّ الوريّ فإذا الظوا
 إلا قليلاً من رجا
 وكتبت ما بالنور منه
 فلذاك أضحى الناس قل
 رجلٌ يحبُّ ومبغض
 وطويلٌ أنفٍ إن رأ
 في أمّه شكُّ بلا
 يزورُ إن سمع الحديد
 وتراه إن كررت ذك
 فليل يا رجب المرجب
 ن المضر الخافي المغيب
 راراً عن الأشرار تحجب
 هر فضةً والبطن أسرب
 ل أصلهم زاكٍ مهذب
 على خدود الحور يكتب
 باً من قوى الجهل المركب
 قالٍ وحزب الله أغلب
 ني مُقبلاً وتي وقطب
 شكّ ولو صدقت لأنجب
 ث إلى أمير النحل يُنسب
 ر فضائل الكرار يغضب

٤٢/٧

وله رائية غراء رثانة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام خمسها ابن السبعي ^(١) نذكرها

معها:

أعيت صفاتك أهل الرأي والنظر
 وأوردتهم حياض العجز والخطر

(١) العلامة الحجّة الشيخ فخر الدين أحمد بن محمد الأحساني نزيل الهند والمتوفى بها من تلامذة ابن المتوجّج وقرناء ابن فهد الحلبي المتوفى ٨٤١. (المؤلف)

أنت الذي دقَّ معناه لمعتبرٍ يا آيةَ الله بل يا فتنةَ البشرِ

وحجةَ الله بل يا منتهى القَدْرِ

عن كشفِ معناه ذو الفكر الدقيقِ وهنَّ وفيك ربُّ العلى أهلَ العقولِ فتنَّ

أنى بحدِّكَ يا نورَ الإلهِ فطنُّ يا من إليه إشاراتِ العقولِ ومنَّ

فيه الألباءُ تحت العجزِ والخطرِ

ففي حدودك قومٌ في هواك غووا إن أبصروا منك أمراً معجزاً فغلوا

حيرتَ أذهانهم ياذا العلى فعلوا هيئتَ أفكارَ ذي الأفكارِ حينَ رأوا

آياتِ شأنِكَ في الأيامِ والعصرِ

أوضحتَ للناسِ أحكاماً محرَّفةً كما أتيتَ أحاديثاً مصحَّفةً

أنت المقدمُ أسلَفاً وسالفةً يا أولاً آخراً نوراً ومعرفةً

٤٣/٧

يا ظاهراً باطناً في العينِ والأثرِ

يا مطعمَ القرصِ للعافي الأسيرِ وما ذاقَ الطعامَ وأمسى صائماً كرماً

ومُرَجعَ القرصِ إذ بحرُ الظلامِ طما لك العبارةُ بالنطقِ البليغِ كما

لك الإشارةُ في الآياتِ والسورِ

أنوارُ فضلك لا تطفئُ هنَّ عدا ممَّا يكتمه أهلُ الضلالِ بدا

تخالفتَ فيك أفكارُ الورى أبدا كم خاض فيك أناس وانتهى فغدا

معناك محتجباً عن كلِّ مقتدرِ

لولاك ما اتسقت للطهرِ ملتهُ كلاً ولا اتضحت للناسِ شرعتهُ

ولا انتفت عن أسيرِ الشكِّ شبهتهُ أنت الدليلُ لمن حارث بصيرتهُ

في طيِّ مشتبكاتِ القولِ والعبيرِ

أدركتَ مرتبةً ما الوهمُ يدركُها وخضتَ من غمراتِ الحربِ مهلكها

مولاي يا مالكَ الدينا وتاركها أنت السفينةُ من صدقاً تمسكها

نجا ومن حادَ عنها خاض في الشرِّ

من نور فضلك ذو الأفكار مقتبس
لولا بيانك أمر الكل ملتبس
ومن معالم رب العلم مختلس
فليس قبلك للأفكار ملتبس
وليس بعدك تحقيق لمعتبر

جاءت بتأميرك الآيات والصحف
لولاك ما اتفقوا يوماً ولا اختلفوا
فالبعض في جنة والبعض في سقر

خير الخليفة قوم نهجك أتبع
وفرقة أولت جهلاً لما سمعت
وشرها من على تنقيصك اجتمعت
فالناس فيك ثلاث فرقة رفعت
وفرقة وقعت بالجهل والقدر

يا ويحها فرقة ما كان يمنعها
يا فرقة غيها بالشوم موقعتها
لو أنها أتبع ما كان ينفعها
وفرقة وقعت لا النور يرفعها
ولا بصائرهما فيها بذي غور

بعظم شأنك كل الصحف تعرف
لولاك ما اصطلحوا يوماً وما اختلفوا
ومن علومك رب العلم يقترف
تصالح الناس إلا فيك واختلفوا
إلا عليك وهذا موضع الخطر

جاءت بتعظيمك الآيات والسور
والبعض قد وقفوا جهلاً وما اختبروا
فالبعض قد آمنوا والبعض قد كفروا
وكم أشاروا وكم أبدوا وكم ستروا
والحق يظهر من بادٍ ومستتر

أقسمت بالله باري خلقنا قسماً
يا من له اسم بأعلى العرش قد رُسِمَا
لولاك ما سما سمك الله العلي سما
أسماءك الغر مثل النيرات كما
صفاتك السبع كالأفلاك ذي الأكر

أنت العليم إذا رب العلوم جهل
وأنت نجم الهدى تهدي لكل مضل
إذ كل علم فشا في الناس عنك نقل
وولدك الغر كالأبراج في فلك ال
معنى وأنت مثال الشمس والقمر

أثمة سور القرآن قد نطقت
 بطوبى لنفس بهم لا غيرهم وثقت
 بفضلهم وبهم طرق الهدى اتسقت
 قوم هم الآل آل الله من علقث
 بهم يدها نجا من زلة الخطر
 عليهم محكم القرآن قد نزلا
 مفضلاً من معاني فضلهم جملا
 هم الهداة فلا تبغي لهم بدلا
 شطر الأمانة معراج النجاة إلى
 أوج العلوم وكم في الشطر من غير
 بلطف سرّك موسى فجّر الحجرا
 وأنت صاحبه إذ صاحب الخضرا
 وفيك نوح نجا والفلك فيه جرى
 يا سرّ كل نبيّ جاء مشتهرا
 وسرّ كل نبيّ غير مشتهر
 يلومني فيك ذو جهل أخو سفيه
 ولا يضرّ محققاً قول ذي شبيه
 ومن تنزه عن ندّ وعن شبيه
 أجلّ وصفك عن قدرٍ لمشبه
 وأنت في العين مثل العين في الصور

وله قوله يمدح به أمير المؤمنين عليه السلام :

يا منبع الأسرار يا
 يا قطب دائرة الوجو
 والعسین والسرّ الذي
 ما لاح صبح في الدجى^(١)
 يابن الأطايب والطوا
 أنت الأمان من الردى
 أنت الصراط المستقي
 والنار مفرعها إلى
 سرّ المهيمن في الممالك
 دوعين منبعه كذلك
 منه تلقنت الملائك
 إلا وأسفر عن جمالك
 هر والقواطم والعواتك
 أنت النجاة من الممالك
 سم قسيم جنات الأرائك
 ك وأنت مالك أمر مالك

(١) ما لاح صبح للهدى. كذا في بعض النسخ. (المؤلف)

يا من تجلّى بالجمال فشقّ بردة كلّ حالك
 صلّى عليك الله من هادٍ إلى خير المسالك
 والحافظ البرسي لا يخشى وأنت له هنالك

وله أبيات في أهل البيت خمسها الشاعر المفلح الشيخ أحمد بن الحسن النحوي
 نذكرها مع تخميسها:

ولاني لآلِ المصطفى وبنيهم وعترتهم أزكى الورى وذويهم
 بهم سمّة من جدّهم وأبيهم هم القوم أنوار النبوة فيهم
 تلوح وأنار الإمامة تلمح

نجوم سماء المجد أقارّته معالم دين الله أطواد حلمه
 منازل ذكر الله حكاهم مهبط وحى الله خزائن علمه
 وعندهم سرّ المهيم مودع

مديحهم في محكم الذكر محكم وعندهم ما قد تلقاه آدم
 فدع حكم باقي الناس فهو تحكم إذا جلسوا للحكم فالكلّ أبكم
 وإن نطقوا فالدهر أذنّ ومسمع

بجبههم طاعاتنا تُتقبل وفي فضيلهم جاء الكتاب المنزل
 يعمّ شذاهم كلّ أرض ويشمل وإن ذكروا فالكون نذ ومنذل^(١)
 لهم أرج من طيبهم يتضوع

دعاهم موسى ففرّج كربهم وكلمه من جانب الطور ربهم
 إذا حاولوا أمراً تسهلّ صعبه وإن برزوا فالدهر يخفق قلبه
 لسطوتهم والأسد في الغاب تفرغ

فلولاهم ما سار فلک ولا جرى ولا ذرأ الله الأنعام ولا برا

(١) النذ بفتح المعجمة وكسرهما: عود يُتبخّر به. المنذل: العود الطيب الرائحة. (المؤلف)

كرامٌ متى مازرتهم عجلوا القري
 وإن ذكر المعروف والجود في الوري
 فبحرٌ نداهم زاخرٌ يتدفقُ
 أبوهم أخو المختار طه ونفسه
 وهم فرعٌ دوح في الجلالة غرسه
 وأمهم الزهراء فاطمٌ عرسه
 أبوهم سماءُ المسجدِ والأُمُّ شمسُه
 نجومٌ لها برجُ الجلالةِ مطلقُ
 لهم نسبٌ أضحى بأحمدٍ مُعرقا
 رقا منه للعلياءِ أبعدَ مرتقى
 وزادهم من رونقِ القدسِ رونقا
 فيا نسباً كالشمسِ أبيضَ مشرقا
 ويا شرفاً من هامةِ النجمِ أرفعُ
 كرامٌ غمامٌ طاهرٌ متطهرٌ
 وبثَّ بهم من أحمدِ الظهرِ عنصرُ
 وأمهم الزهراء والأبُّ حيدرُ
 فن مثلهم في الناس إن عدَّ مفخرُ
 أعد نظراً يا صاح إن كنت تسمعُ
 عليُّ أميرُ المؤمنين أميرهم
 وشبرهم أصلُ التقي وشبيرهم
 بهاليلُ صوامون فاح عبيرهم
 ميامين قوامون عزَّ نظيرهم
 هداةٌ ولاةٌ للرسالةِ منبعُ
 مناجيبُ ظلَّ الله في الأرضِ ظلهم
 وهم معدنٌ للعلمِ والفضلِ كلهم
 وفضلهم أحى البرايا وبذلهم
 فلا فضلَ إلا حين يُذكر فضلهم
 ولا علمَ إلا علمهم حين يرفعُ
 إليهم يفرُّ الخاطئون بذنبهم
 وهم شفعاءُ المذنبين لربهم
 فلا طاعةً ترضى لغيرِ محبتهم
 ولا عملٌ ينجي غداً غيرُ حبتهم
 إذا قام يومُ البعثِ للخلقِ مجمعُ
 حلفتُ بمن قد أمَّ مكةَ وافدا
 لقد خابَ من قد كان للآلِ جاحدا
 ولو أنه قد قطعَ العمرَ ساجدا
 ولو أنَّ عبداً جاءَ لله عابدا
 بغيرِ ولا أهلِ العبا ليس ينفعُ

بني أحمدٍ مالي سواكم أرى غداً إذا جئتُ في قيدِ الذنوبِ مقيداً
 أناديكم يا خيرَ من سمعَ النداء أيا عترةَ المختارِ يا رايةَ الهدى
 إليكم غداً في موقفي أتطلعُ
 فوالله لا أخشى من النارِ في غدٍ وأنتم ولاةُ الأمرِ يا آلَ أحمدِ
 وها أنا قد أدعوكم رافعاً يدي خذوا بيدي يا آلَ بيتِ محمدِ
 فمن غيرُكم يومَ القيامةِ يشفعُ

وهذه القصيدة خمسها الشيخ هادي المتوفى (١٢٣٥)، ابن الشيخ أحمد النحوي
 الخمس المذكور أول تخميسه :

بنو أحمدٍ قد فاز من يرتضيهم أئمةٌ حقٌ للنجا يرتضيهم
 وطوبى لمن في هديه يقتضيهم هم القومُ أنوارُ النبوةِ فيهم
 تلوح وأنارُ الإمامةِ تلمعُ

وله في العترة الطاهرة صلوات الله عليهم قوله :

فرضي ونفلي وحديثي أنتم وكلُّ كلي منكم وعنكم
 وأنتم عند الصلاة قبلي إذا وقفت نحوكم أيّم
 خيالكم نصبٌ لعيني أبداً وحبكم في خاطري مخيم
 يا سادتي وقادتي أعتابكم بجفن عيني لراها أئتم
 وقفاً على حديثكم ومدحكم جعلت عمري فاقبلوه وارحموا
 منوا على المحافظ من فضلكم واستنقذوه في غدٍ وأنعموا

وله في أهل البيت الطاهر سلام الله عليهم قوله :

يا آل طه أنتم أملي وعليكم في البعث متكلي
 إن ضاق بي ذنبٌ فحجكم

بولا ئكم وبطيب مدحكُم أرجو الرضا والعفو عن زلي
 رجبُ المحدثُ عبد عبدكُم والحافظ البرسي لم يسزل
 لا يخبثني في الحشرِ حرٌّ لظني إذ سيِّداه محمدٌ وعلي
 سيثقلان وزان صالحه ويبيضان صحيفة العمل
 لم ينشعب فيكون مسنطقاً من ضلّة للشعب ذي الظلل

وله مسطّطاً فيهم صلوات الله عليهم قوله :

سرُّكم لا تناله الفكرُ وأمرُّكم في الوري خطرُ
 مستصعبٌ فكُ رمزُه خطرُ ووصفُكم لا يطيقه البشرُ

ومدحكُم شرفت به السورُ

وجودُكم للوجودِ علته ونورُكم للظهورِ آيته
 وأنتمُ للوجودِ قبلته وحبُّكم للمحبِّ كعبته
 يسعى بها طائفاً ويعتمرُ

لولاكم ما استدارت الأكرُ ولا استنارت شمسٌ ولا قرُ
 ولا تدلّي غصنٌ ولا ثمرُ ولا تندى ورقٌ ولا خضرُ
 ولا سرى بارقٌ ولا مطرُ

عندكم في الإيابِ جمعنا وأنتم في الحسابِ مفرعنا
 وقولكم في الصراطِ مرجعنا وحبُّكم في النشورِ ينفعنا
 به ذنوبُ المحبِّ تُغتفرُ

يا سادةً قد زكت معارفهم وطاب أصلاً وساد عارفهم
 وخاف في بعثه مخالفهم إن يختبرُ للسوري صيارفهم
 فأصلهم بالولاءِ يُختبرُ

أنتم رجائي وحبُّكم أمني عليه يوم المعاد متكلي

فكيف يخشى حرَّ السعير ولي وشافعاه محمدٌ وعلي
 أو يعتريه من شرِّها شرُّ
 عبدكمُ الحافظُ الفقيرُ علي أعتابِ أبوابكمُ يروم فلا
 تخيِّوه يا سادتي أملا وأقسموه يوم المعاد إلى
 ظلِّ ظليلٍ نسيمةً عَطْرُ
 صلَّى عليكم ربُّ السماء كما أصفاكمُ واصطفاكمُ كرما
 وزاد عبداً والاكُمُ نعيما ما غرَّد الطير في الغصونِ وما
 ناح حمامٌ وأورق الشجرُ

٤٩/٧

وله في العترة الطاهرة وسيدهم صلوات الله عليه وعليهم قوله:

إذا رمتَ يومَ البعثِ تنجو من اللظى ويُقبلُ منك الدينُ والفرضُ والسننُ
 فوالِ علياً والأئمةَ بعده نجومُ الهدى تنجو من الضيقِ والمحنِ
 فهم عترةٌ قد فوضَ اللهُ أمره إليهم لما قد خصَّهم منه بالمننِ
 أئمةٌ حقٌّ أوجبَ اللهُ حقَّهم وطاعتهم فرضٌ بها الخلقُ تمتحنُ
 نصحتك أن ترتاب فيهم فتنتني إلى غيرهم من غيرهم في الأنامِ من
 فحبُّ عليٍّ عدَّةٌ لولِيه يلاقيه عند الموتِ والقبرِ والكفنِ
 كذلك يومَ البعثِ لم ينجُ قادمٌ من النارِ إلا من تولَّى أبا الحسنِ

وله في رثاء الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه قوله:

يمناً بنا حادي السرى إن بدت نجدُ عينا فللعاني العليل بها نجدُ
 وعج فعسى من لاعجِ الشوقِ يشتني غريمٌ غرامٍ حشو أحشائه وقد
 وسر بي لسرٍ فيه سرُّ جاذر لسربي من جهد العهاد بهم عهدُ
 ومُر بي بليلٍ في بليلِ عراضها لأروى بريةً تربةً تربها نَدُ
 وقف بي أنادي وادي الأيكِ علني هناك أرى داك المساعدَ يا سعدُ

فبالربع لي من عهد جَيرون جيرة
 همُّ الأهلِ إلا أَنهم لي أهلة
 عزيزون رُبْعُ العمرِ في ربعِ عزهم
 وربعمي مُخَضَّرٌ وعيشي مُخْضِلٌ
 وشملي مَشْمُولٌ وبُرْدُ شبيبي
 معالمُ كالأعلامِ معلمةُ الربى
 طوت حادثات الدهر منشورِ حسنِها
 وأضحت تجرُّ الحادثاتُ ذيوها
 ولا غروا إن جارت ومارت صروفها
 فقد غدرت قِدماً بآلِ محمدٍ
 وجاشت بجيشِ جاشِ طامٍ عرمرمٍ
 وعمت بأشرارٍ عن الرشيدِ قد عموا
 فيا أمةً قد أدبرت حين أقبلت
 أبت إذ أتت تنأى وتنهى عن النهى
 سرت وسرت بغياً وسرت بغياً
 عصابة عصبٍ^(٢) أوسعت إذ سعت إلى
 أثاروا وثاروا ثارَ بدرٍ وبادروا
 بغت فبغت عمداً قتالَ عميدها

يُجِرون إن جَارَ الزمانُ إذا استعدوا
 سوى أَنهم قصدي وأني لهم عبدُ
 تقضى ولا روعُ عراني ولا جهدُ
 ووجهي مُبيضٌ وفودي مُسودُ
 قشيبٌ وبردُ العيش ما سانه نكدُ
 فأنهارها تجري وأطيّارها تشدو
 كما رسمت في رسمها شمالٌ تغدو
 عليه ولا دَعْدُ هناك ولا هندُ
 وغارت وأغرّت واعتدت واعتدت تشدو
 وطاف عليهم بالطفوفِ لها جندُ
 خميسٍ لهامٍ حامٍ يحمومه أسدُ^(١)
 وهل يسمع الصمُّ الدعاءَ إذا صدوا
 فرافقها نحسٌ وفارقها سعدُ
 وولت وألوت حين مال بها الجدُّ
 بغياً دعاها إذ عداها به الرشدُ
 خطاءَ خطاها والشقاءَ بها يحدو
 لحربٍ بدورٍ من سناها لهم رشدُ
 صدورُ طغاةٍ في الصدورِ لها حقدُ

(١) طام من طمى يطمي القرس: أي أسرع. ويقال: البحر الطامي: أي الغزير. العرمرم: الجيش الكثير. الخميس: الجيش ذو الخمس فرق: المقدمة، القلب، الميمنة، الميسرة، الساقة. اللهام: الجيش العظيم. حام: أي دار به. اليحموم: اسم فرس الإمام السبط الحسين عليه السلام، وفرس هشام ابن عبد الملك، وفرس حسان الطائي، وفرس النعمان بن المنذر. (المؤلف)

(٢) العصابة: الجماعة من الرجال أو الخيل. العصب: الطي واللي، والقبض على الشيء. (المؤلف)

وساروا يستنون العناد وقد نسوا ال
 فيا قلب قلب الدين في يوم أقبلوا
 فركن الهدى هدوا وقد العلى قدوا
 كأني بـولاي الحسين ورهطه
 بكرب البلا في كربلاء وقد رُمي
 وقد حدثت عين الردى حين أهدت^(١)
 وقد أصبحوا جلاً لهم حين أصبحوا
 فنادى ونادى الموت بالخطب خاطب
 يسألهم هل تعرفوني مسائلاً
 فقالوا نعم أنت الحسين بن فاطم
 وأنت سليل المجد كهلاً ويافعاً
 فقال لهم إذ تعلمون فبا الذي
 فقالوا إذا رمت النجاة من الردى
 وإلا فهذا الموت عبّ عبابه^(٢)
 فقال ألا بُعداً بما جئتم به
 فضرب لهشم الهام تترى بنظمه
 فهل سيّد قد سيّد الفخر بيته
 وما عذر ليث يرهب الموت بأسه
 إذا سام منا الدهر يوماً مذلة
 وتأبى نفوس طاهرات وسادة

معاد فهم من قوم عادٍ إذا غدّوا
 إلى قتل مأمولٍ هو العلم الفرد
 وأزر الهوى شدوا ونهج التقى سدوا
 حيارى ولا عون هناك ولا عضد
 بعادٍ وشطت دأزهم وسطت جند
 عتاة عداة ليس يُحصى لهم عد
 حُلولاً ولا حلّ لديهم ولا عقد
 وطير الفنا يشدو وحادي الردى يحدو
 وسائل دمع العين سأل به الخد
 وجدك خير المرسلين إذا غدّوا
 إليك إذا غدّ العلى ينتهي المجد
 دعاكم إلى قتلي فما عن دمي بُد
 فلباع يزيداً إنّ ذلك هو القصد
 فحض ظامياً فيه تروح ولا تغدو
 ومن دونه بيض وخطية ملد^(٣)
 فن عقده حلّ وفي حله عقد
 حذار الردى يشقى لعبد له عبد
 يذلّ ويضحى السيد يرهبه الأسد
 فهيات يابى ربنا وله الحمد
 مواضيمهم هام الكماة لها عمد

(١) حدق: فتح عينيه وطرف بهما. أهدت: أحاطت. (المؤلف)

(٢) عبّ عبابه: كثر موجه وارتفع. (المؤلف)

(٣) الملد - بالفتح -: الناعم اللين. (المؤلف)

لها الدمُ وردٌ والنفوسُ قنائصُ لها القدمُ قدمٌ والنفوسُ لها جندٌ^(١)
 ليوثٌ وغىٌ ظلُّ الرماحِ مقلُّها مغاويرُ طعمُ الموتِ عندهمُ شهدٌ^(٢)
 حماةٌ عن الأشبالِ يومَ كريمةٍ بدورِ دجىٍ سادوا الكهولَ وهم مُردُّ
 إذا افتخروا في الناسِ عزَّ نظيرُهم ملوكٌ على أعتابِهِم يسجدُ المجدُ
 أيادي عظامهم لا تُطاوَلُ في الندى وأيدي علاهم لا يطاقُ لها ردُّ
 مطاعيمُ للعافي مطاعينُ في الوغى مطاعينُ^(٣) إن قالوا لهم حججٌ لُدُّ^(٤)
 مفاتيحُ للداعي مصاييحُ للهدى معالمُ للشاري بها يهتدي النجدُ^(٥)
 نسزِيلُهُم حرمٌ مُنازلهم لقي مَنازلُهُم جلتُ فواضلُهُم جلتُ
 مَرابِعُهُم تسقى مُرابِعُهُم تُلقي مَطالِعُهُم يُكفي مَطالِعُهُم سعدُ
 كرامٌ إذا عافٍ عفى منه معهدٌ وِصوحٌ من خضرائه السَّبَطُ والجعدُ^(٦)
 وآملُهُم راجٌ وأمُّ لهم رَجِيحاً وحيلٌ بناديهم أحلَّ له الرفدُ
 زكوا في الوريِّ أمًّا وجدًّا ووالدًا وطابوا فطاب الأمُّ والأبُ والمجدُ
 بأسمائِهِم يُستجلبُ البرُّ والرضا بذكرِهِم يُستدفعُ الضرُّ والجهدُ

(١) الورد: الماء الذي يورد. قنائص: الصيود. القدم بفتح القاف: الشرف القديم. القدم بكسر القاف: الزمان القديم. (المؤلف)

(٢) الوغى: الحرب. المقل: موضع النوم والراحة. مغاوير جمع المغوار: كثير الغارة. (المؤلف)

(٣) كذا في أعيان الشيعة أيضاً، فإن كان جمعاً سالماً لـ (مطاع) فهو منصوب بالياء، ولا أرى وجهاً لنصبه، وإن كان جمعاً لـ (مطعان) فهو مرفوع بالضمة معطوف على (مطاعين) قبله.

(٤) لُد بضم اللام جمع الألد: الخصم الشديد الخصومة. (المؤلف)

(٥) النجد: الدليل الماهر. (المؤلف)

(٦) الند - بفتح النون وكسر ها - عود يُتبخَّر به. (المؤلف)

(٧) العافي: الوارد، الضيف، كلُّ طالب فضل أو رزق. عفى: درس وبلى. صوح: جفف يبس.

السبط: ضدُّ الجعد. الجعد: القبض خلاف المسترسل. (المؤلف)

ومال إلى فتياه ورجاله
فسار لأخذِ الثارِ كلِّ شردلٍ
وكلِّ كميٍّ أريحِي غشمشمٍ^(٢)
إذا ما غدا يوم الندا أسر العدى
ليوثُ نزالٍ بل غيوثُ نوازلٍ
إذا طلبوا راموا وإن طلبوا رموا
فوارس أسد الغيل منها فرائسُ
وجوهُهُم بيضٌ وخضرٌ ربوعُهُم
إذا ما دُعوا يوماً لدفعِ مُلمةٍ
بها كلُّ ندبٍ يسبق الطرفَ طرفه
كأنهم نبتُ الربى في سروجِهِم
لباسُهُم نسجُ الحديدِ إذا بيدوا
إذا لبسوا فوقَ الدروعِ قلوبُهُم
وإذا لَبَسُوا فوقَ الدروعِ قلوبُهُم

يقول لقد طاب الممات ألا اشتدوا
إذا هاج قدحٌ للهياج له زندٌ^(١)
تجمع فيه الفضلُ وانعدم الضدُّ
ولما بدا يوم الندى أطلق الوعدُ
سراةً كأسدِ الغابِ لا بل هم الأسدُ
وإن ضربوا صدوا وإن ضربوا قدوا^(٣)
وفتيان صدقٍ شأنها الطعن والطرْدُ
وبيضُهُم^(٤) حمزٌ إذا النقعُ مُسودُّ
غدا الموتُ طوعاً والقضاءُ هو العبدُ
جوادٌ على ظهرِ الجوادِ له أفدٌ^(٥)
لشدة حزمٍ لا بحزمٍ لها شدوا^(٦)
جبالاً وأقبالاً تقلُّهُم الجردُ^(٧)
وصالوا فحرُّ الكرِّ عندهم بردُ

- (١) الشردل بالمهملة والشردل بالمعجمة: الفتى السريع من الإبل وغيره. هاج: ثار وتحرك. القدح: الفولاذة التي تقدح بها النار. الهياج: الحرب. زند النار: قدحها وأخرجها من الزند. (المؤلف)
- (٢) الكمي: الشجاع أو لابس السلاح. الغشمشم: المغشم وهو الشجاع الذي يركب رأسه فلا يشنيه شيء عما يريد. (المؤلف)
- (٣) في أعيان الشيعة: وإن ضربوا جدوا.
- (٤) البيض: السيوف.
- (٥) الندب: السريع إلى الفضائل، الظريف، النجيب. الطرف بكسر المهملة مر [الكريم الطرفين، الأب والأم]: ص ١٦. الأفد: العجلة والسرعة. (المؤلف)
- (٦) الربى جمع الربوة: ما ارتفع من الأرض. الحزم يفتح المهملة: ضبط الأمر. الحزم يضم الأول والثاني جمع الحزام بالكسر: ما يشد به وسط الدابة. (المؤلف)
- (٧) أقبال جمع القيل: الرئيس. تقلُّهم من قل الشيء، قللاً: أي حملة. وقله عن الأرض: رفعه. الجرد: جمع الأجرد: السباق من الخيل. (المؤلف)

يخوضون تيارَ الحِمامِ ظوامياً
 يرون المنايا نيلها غايةً المنى
 إذا قُللتُ أسيافهم في كريمةٍ
 فن أبيضٍ يلقى الأعادي بأبيضٍ
 يذّبون عن سبط النبيِّ محمدٍ
 يُخال بريقُ البيضِ برقاً سجّاله الـ
 إلى أن تدانى العمرُ واقترب الردى
 أعدّوا نفوساً للفناء وما اعتدوا
 أحلّوا جسوماً للمواضي وأحرموا
 أمامَ الإمامِ السبطِ جادوا بأنفسِ
 شروا عندما باعوا نفوساً نفائساً
 قضاوا إذ قضاوا حقَّ الحسينِ وفارقوا
 فلما رأى المولى الحسينُ رجّاله
 غدا طالباً للموتِ كالليتِ مغضباً
 وإن جمّعا سبعين ألفاً لقتله
 إذا كَرَّ فرّوا من جريحٍ وواقعٍ
 ينادي ألا يا عصبه عصت الهدى
 فبعداً لكم يا شيعه الغدرِ إنكم
 ولا يتنا فرضٌ على كلِّ مسلمٍ
 فهل خائفٌ يرجو النجاهَ بنصرنا
 ويرنو لنحوِ الماءِ يشتاقُ وردّه
 فيحملُ فيهم حملةً علويةً

وبجرُ المنايا بالمنايا لها مدُّ
 إذا استشهدوا مرُّ الردى عندهم شهْدُ
 غدا في رؤوسِ الدارعين لها حدُّ
 ومن أسمرٍ في كسفه أسمرٌ صلْدُ
 وقد ثارَ عالي النقعِ واصطخب الوقدُ
 دماءُ وأصواتُ الكماةِ لها رعدُ
 وشأنُ الليالي لا يدومُ لها عهدُ
 فطوبى لهم نالوا البقاءَ بما عدّوا
 فحلّوا جنانَ الخلدِ فيها لهم خلدُ
 بها دونه جادوا وفي نصره جدّوا
 ففي هجرها وصلُّ وفي وصلها نقدُ
 وما فرّقوا بل وافقوا السعدَ يا سعدُ
 وفتيانه صرعى وشادي الردى يشدو
 يُحامي عن الأشبالِ يشتدُّ إن شدّوا
 فيحملُ فيهم وهو بينهم فردُ
 ذبيحٍ ومهزومٍ به طوح الهدُّ^(١)
 وخانت فلم يُرعَ الذمامُ ولا العهدُ
 كفرتم فلا قلبٌ يلين ولا وُدُّ
 وعصياننا كفرٌ وطاعتنا رشْدُ
 ويخشى إذا اشتدّت سعيُّها وقدُ
 إذا ما مضى يبغى الورودَ له ردُّ
 بها للعوالي في أعالي العدى قصدُ

(١) طوح به: حملة على ركوب المهالك وقذفه. الهد: الكسر، الصوت الغليظ. (المؤلف)

كفعل أبيه حيدر يوم خير
 إذا ما هوى في لبة الليث عضبه
 وعاد إلى أطفاله وعياله
 يقول عليكم السلام موذعاً
 ألا فاسمعي يا أخت إن مسني الردي
 وإن برحت فيك الخطوب بمصرعي
 فأرضي بما يرضى إلهك واصبري
 وأوصيك بالسجاد خيراً فإنه
 فضج عيال المصطفى وتعلقوا
 فقال وكرب الموت يعلو كأنه
 ألا قد دنا الترحال فالله حسبكم
 وعاد إلى حرب الطغاة مجاهداً
 إلى أن غدا ملق على التراب عارياً
 وشمز شمز الذيل في حر رأسه
 فواحزن قلبي للكريم علا على
 تزلزلت السبع الطباق لفقيهه

كذلك في بدرٍ ومن بعدها أحدُ
 فمن نحره بحرٌ ومن جزره مدُّ
 وغربُ المنايا لا يُفلُّ لها حدُّ^(١)
 فها قد تناهى العمر واقترب الوعدُ
 فلا تلطمي وجهاً ولا يُخمش الخدُّ
 وجلُّ لديك الحزنُ والشكلُ والفقْدُ
 فما ضاع أجرُ الصابرين ولا الوعدُ
 إمامُ الهدى بعدي له الأمرُ والعهدُ
 به واستغاث الأهلُ بالندبِ والولدُ
 ركأمٌ ومن عظم الظما انقطع الجهدُ^(٢)
 وخيرٌ حسيبٌ للورى الصمدُ الفردُ
 وللبيضِ والخمرصانِ في قده قَدُّ
 يصافح منه إذ ثوى للثرى خدُّ
 ألا قُطعتُ منه الأناملُ والزندُ
 سنانِ سنانِ والخيولُ لها وخذُ^(٣)
 وكادت له شمُّ الشاربخِ تنهدُ^(٤)

(١) الغرب يوصف به السيف أي قاطع حديد. المنايا جمع المنية: الموت. الفل: التلعة في حد السيف.
 الحد من السيف: مقطعه. (المؤلف)

(٢) الركأم: المتراكم بعضه فوق بعض. الجهد: الطاقة. (المؤلف)

(٣) الوخذ من وخذ البعير: أي أسرع وصار يرمي بقوائمه كالنعام. وهذا البيت في نسخة:

فوالهف نفسي للمحيا علا على سنانِ سنانِ والخيولُ به تعدو

(المؤلف)

(٤) الشمراخ: رأس الجبل. تنهد: تقع وتنهدم. الأوصاب جمع الوصب: المرض والوجع الدائم ونحوه
 الجسم. (المؤلف)

وأرجف عرشُ الله من ذاك خيفةً
 وناحت عليه الطيرُ والوحشُ وحشةً
 وشمسُ الضحى أمست عليه عليلةً
 فيا لك مقتولاً بكته السها دماً
 شهيداً غريباً نازح الدارِ ظامياً
 بروحي قتيلاً غسله من دمائه
 ترضُ خيولُ الشركِ بالحقدِ صدره
 ومذراحُ لما راح للأهلِ مهره
 برزن حيارى نادباتٍ بذلةً
 فحاسرةً بالردنِ تستر وجهها
 ومن ذاهلٍ لم تدرِ أين مُعرِّها
 وزينب حسرى تندبُ الندبُ عندها
 تنادي أخي يا واحدي وذخيرتي
 ربيع اليتامى يا حسينُ وكافلُ الـ
 أخي بعد ذلك الصونِ والخدرِ والخبأ
 بناتك يابن الطهر طه حواسرُ
 لقد خابت الآمالُ وانقطع الرجأ
 وأضحت ثغورُ الكفرِ تبسمُ فرحةً
 وصوِّح نبتُ الفضلِ بعد اخضراره
 تجاذبنا أيدي العدا فضلة الرِّدا
 فأين حصوني والأسود الألى بهم

وضجت له الأملاكُ وانفجر الصلْدُ
 وللجنِّ إذ جنَّ الظلامُ به وجدُ
 علاها اصفرارٌ إذ تروحُ وإذ تغدو
 وتُل سريزُ العزِّ وانهدمَ المجدُ
 ذبيحاً ومن قاني الوريدِ له وردُ
 سلبياً ومن ساقى الرياح له بُردُ
 وترضخ منه الجسم في ركضها جردُ^(١)
 خلتاً يخذُ الأرضَ بالوجهِ إذ يعدو
 وقلبُ غدا من فارطِ الحزن ينقدُ
 ويرقعها وقد ومدمئها رقدُ
 تضيقُ عليها الأرضُ والطرُقُ تنسدُ
 من الحزنِ أوصابُ يضيق بها العدُ
 وعوني وغوثي والمؤملُ والقصدُ
 أيامي رمانا بعد بُعدكم البعدُ
 يُعالجنا علجٌ ويسلبنا وُغدُ
 ورحلكَ منهوبٌ تقاسمه الجندُ
 بموتك مات العلمُ والدينُ والزهدُ
 وعينُ العلى ينخذُ من سحَّها الخدُ^(٢)
 وأصبح بدرُ التَّمِّ قد ضمَّه اللحدُ
 كأن لم يكن خيراً الأنام لنا جدُ
 يُصالُ على ريبِ الزمان إذا يعدو

(١) الرض: الدق والجرحس. الرضخ: الكسر. الجرد: راجع: ص ٢٤. (المؤلف)

(٢) ينخذ: ينشق. السح: الصب المتتابع الغزير. (المؤلف)

فلا طلعت شمس ولا حلها سعد
 ولا ضحك النوار وانبعق الرعد^(١)
 حيارى ولم يُخش الوعيد ولا الوعد
 تجوب بعيد البید فيها لها وخذ
 ألا لعنت هند وما نجلت هند
 يُشق الحشا منه ويُلتدم الخد
 ومن نحره البيض الصقال لها ورد
 يلاحظها في سيرها الحر والعبد
 هو الخلف المأمول والعلم الفرد
 إذا سار أملاك السماء له جند
 علواً وركن الشرك والكفر ينهد
 أنيقاً وداعي الحق ليس له ضد
 إليه فتجلى عندها العين الرمذ
 وأنت ختام الأوصياء إذا غدوا
 مناقب لا تحصى وإن كثر العد
 تنوح إذا الصب الحزين بها يشدو
 إذا أنشدت حادي الدموع بها تحدو
 إذا ما أتى والحشر ضاق به الحشد
 قدار مديحي بعد أن مدح الحمد
 فقير وهذا جهد من لا له جهد
 وصبري وسلواني به أخلق الجهد

إذا غربت يابن النبي بدوركم
 ولا سحبت سحب ذبولاً على الربى
 وساروا بآل المصطفى وعياله
 وتطوي المطايا الأرض سيراً إذا سرت
 تأم يزيداً نجل هند إمامها
 فيالك من رزء عظيم مصابه
 أيقتل ظماناً حسين بكر بلا
 وتضحى كريمات الحسين حواسراً
 فليس لأخذ الثار إلا خليفة
 هو القائم المهدي والسيد الذي
 يُشيد ركن الدين عند ظهوره
 وغصن الهدى يضحى وريقاً ونبته
 لعل العيون الرمذ تحظى بنظرة
 إليك انتهى سر النبيين كلهم
 بني الوحي يا أم الكتاب ومن لهم
 إليكم عروساً زفها الحزن ثاكلاً
 لها عبرة في عشر عاشور أرسلت
 رجا (رجب) رحب المقام بها غداً
 بذلت اجتهادي في مديحك وما
 ولي فيكم نظم ونثر غناؤه
 مصابي و صوب الدمع فيكم مجد

(١) سحبت، من السحب: الجمر على وجه الأرض. النوار: الزهر أو الأبيض منه. انبعق: انبعج المطر.

تذكرني يا بن النبي غداً إذا
فأنتم نصيبُ المادحين وإنني
إذا أصبح الراجي نزيل ربوعكم
فإن مالَ عنكم يا بني الفضلِ راعبُ
فيا عدتي في شدتي يوم بعثتي
عبيدكم (البرسي) مولى فخاركم
عليكم سلامُ الله ما سكبَ الحيا
غدا كلُّ مولى يستجير به العبدُ
مدحتُ وفيكم في غدٍ يُنجزُ الوعدُ
فقد نجحتُ منه المطالبُ والقصدُ
يظلُّ ويضحى عند من لا له عندُ
بكم غلتي من علتي حرّها بردُ
كفاه فخاراً أنه لكم عبدُ
دموعاً على روضٍ وفاح لها نُدُ

وله في رثاء الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه قوله :

دمعٌ يبده مقيمٌ نازحٌ
والعين إن أمست بدمعٍ فجرتُ
أظهرت مكنونَ الشجون فكليماً
وعليّ قد جعل الأسى تجديده
وشهود ذليّ مع غريم صابتي
أوهى اصطباري مطلقٌ ومقيّدُ
فالجفنُ منسجمٌ غريقٌ سائحُ
والخندُ خدده طليقٌ فاترُ
أصبحتُ تخفضني الهمومُ بنصبها
حلّتْ له حلل النحولِ فبردهُ
وخطيبُ وجدي فوق منبرٍ وحشتي
ودمٌ يسبده مقيمٌ نازحُ
فجرت ينابيعُ هناك مواخُ
شجّ الأمون سجا المحرون الجاحُ^(١)
وفقاً يُضاف إلى الرحيبِ الفاسخُ
كتبوا غرامي والسقام الشارحُ
غربٌ وقلبٌ بالكآبة بائحُ^(٢)
والقلبُ مضطرم حريقُ قادحُ
والوجدُ جدده مجدٌ مازحُ
والجسمُ مُعتلٌّ مثالٌ لائحُ
بُرد الذبولِ تحلُّ فيه صفائحُ
لفراقهم لهو البليغُ الفاصحُ

(١) الشج من شجّ المفازة: قطعها. الأمون من الناقة: وثيقة الخلق، القويّة. سجا يسجو سجواً: مدّ حنينه. المحرون من الدابة: الذي لا ينقاد، وإذا استدبر جريه وقف. الجاح: المتغلب على راكمه والذاهب به وهو لا ينتهي. (المؤلف)

(٢) بائح من باح يباح بوحاً بسرّه: أظهره كأباحه. (المؤلف)

ومحرمٌ حزني وشوال العنا
ومديد صبري في بسيط تفكري
ساروا فعناهم ومغناهم عفا
درس الجديدُ جديدها فتشكرت
نسج البلى منه محقق حسنه
فطفقتُ أندبه رهين صبايه
وأقول والزفراتُ تذكي جذوةً
لاغروا إن غدر الزمانُ بأهليه
فلقد غوى في ظلم آل محمدٍ
وسطا على البازي غرابٌ أسحمٌ
وتناول الكلبُ العقورُ فصول الـ
وتواثبت عرجُ الضباعِ ورؤعتُ^(٥) والسيد أضحى للأسود يكافحُ
آل النبي بنو الوصي ومنبعُ الشرفِ العليُّ وللعلومِ مفتحُ
خزانُ علمِ الله مهبطُ وحيه
التائبون العابدون الحامدو
والعيد عندي لاعجٌ ونوائحُ
هزجٌ ودمعي وافرٌ ومُسارحُ^(١)
واليومَ فيه نوائحُ وصوائحُ
ورنا بها للخطبِ طرفٌ طامحُ^(٢)
ففناؤه ماحي الرسومِ الماسحُ
عدم الرفيقُ وغاب عنه الناصحُ
بين الضلوعِ لها لهيبٌ لافحُ
وجفا وحنانٌ وخانَ طرفٌ لامحُ
وعوى عليهم منه كلبٌ نابحُ
وشبا على الأشبالِ زنجٌ ضابحُ^(٣)
ليت الهصورَ وذاك أمرٌ فادحُ^(٤)
والسيد أضحى للأسود يكافحُ
الشرفِ العليُّ وللعلومِ مفتحُ
وبحارٌ علمٍ والأنامُ ضحاضحُ^(٦)
نَ الذاكرونَ وجنحُ ليلي جانحُ

(١) إشارة إلى أنواع الشعر. (المؤلف)

(٢) رنا إليه وله: أدام النظر إليه بسكون الطرف. الطامح من طبع انبصر: ارتفع ونظر شديداً. (المؤلف)

(٣) البازي من طيور الصيد وله أنواع كثيرة. الأسحم: الأسود. شبا: علا. الزنج: قوم من السودان.

الضابح: المتغير اللون كلون الضبح أي الرماد. (المؤلف)

(٤) صاوله: واثبه. الهصور من الأسد: الذي يهصر فريسته أي يكسرها كسراً. الفادح: الصعب

المثقل. (المؤلف)

(٥) تواثبت من وثب وثباً: نهض وقام. عرج جمع الأعرج: المصاب في رجله الماشي مشية غير

متساوية. الضباع: جمع الضبع. (المؤلف)

(٦) الضحاضح: الماء اليسير أو القريب القمر. (المؤلف)

الصائمون القائمون المطعمون
عند الجدى سحبٌ وفي وقت الهدى
هم قبلةٌ للساجدين وكعبةٌ
طرقُ الهدى سُفنُ النجاة محبُّهم
ما تبلغُ الشعراءُ منهم في الثنا
نسبٌ كمنبلجِ الصباحِ ومنتمى
الجدُّ خيرُ المرسلين محمدُ الـ
هو خاتمٌ بل فاتحٌ بل حاكمٌ
هو أولُ الأنوارِ بل هو صفوةُ الـ
هو سيّدُ الكونين بل
لولاك ما خلقَ الزمانُ ولا بدت
والأمُّ فساطمةُ البتولُ وبضعةُ الـ
حوريةٌ إنسيّةٌ لجلالها
والوالدُ الظهرُ الوصيُّ المرتضى
موليُّ له النباُ العظيمُ وحبُّه
موليُّ له بغديرِ خمٍّ بيعةُ
القسورُ البتاكُ والفتاكُ والسفّاكُ في يومِ العراكِ الذابحُ
أسدُ الإلهِ وسيفُهُ ووليُّه
وبعضدهِ وبعضيهِ ويعزمهِ
نَ المؤثرونَ لهم يدٌ ومَنائحُ
سمتٌ وفي يومِ النزالِ جَاحجُ^(١)
للسطائفينَ ومَشعرُ وبَطانحُ
ميرزانه يومَ القيامةِ راجحُ
واللهُ في السبعِ المثاني مادحُ
ذاكِ له يسعونَ السماكِ الراحِ^(٢)
هاديُ الأمينُ أخو الختامِ الفاتحُ
بل شاهدٌ بل شافعٌ بل صافحُ
جبارِ والنشرُ الأريجُ الفائحُ
هو أشرفُ الثقلينِ حقاً والنذيرُ الناصحُ
للعالمينِ مساجدٌ ومصباحُ
هاديُ الرسولِ لها المهيمنُ مانحُ
وجمالها الوحيُّ المنزَلُ شارحُ
عَلِمُ الهدايةِ والمنارُ الواضحُ
النهجُ القويمُ به المتاجرُ رابحُ
خضعتُ لها الأعناقُ وهي طوامحُ
وشقيقُ أحمدِ والوصيُّ الناصحُ
حقاً على الكفارِ ناعِ النَّائحُ

٥٩/٧

(١) الجدى: العطيّة. سمت: المحجة والطريق. الجحاجح جمع الجحجج: السيّد المسارع إلى المكارم، المبادر. (المؤلف)

(٢) يعنو: يذلّ ويخضع. السماك الراح: نجم معروف يسمّى بذلك لأنه يقدمه كوكب يقولون: هو ربحه. (المؤلف)

يا ناصر الإسلام يا باب الهدى
يا ليت عينك والحسين بكر بلا
والعاديات صواهل وجوائل
والبيض والسمر اللدان بوارق
يلقى الردى بحر الندى بين العدا
أفديه محزوز الوريد مرملأ
والماء طام وهو ظام بالعرا
والطاهرات حواسر وثواكل
في الطف يسحبن الذبول بذلة
يسترن بالأردان نور محاسن
لهي لزينب وهي تندب نديها
تدعو أخي يا واحدي ومؤملي
من لليتامى راحم من للأيامى
حزني لفاطم تلطم الخدين من

يا كاسر الأصنام فهي طوامح^(١)
بين الطغاة عن الحرير يكافح
بالشوس في بحر النجيع سوابح^(٢)
وطوارق ولوامع ولوائح^(٣)
حتى غدا ملقى وليس منافع
ملقى عليه الترب ساف سافح^(٤)
فرد غريب مستضام نازح
بين العدا ونوادر ونوائح
والدهر سهم الغدر رام راح^(٥)
صوناً وللأعداء طرف طامح
في نديها والدمع سار سارح^(٦)
من لي إذا ما ناب دهر كالح^(٧)
كافل من للجفاة مناصح
عظم المصاب لها جوى وتبارح^(٨)

٦٠/٧

(١) مر حديث كسره عليه السلام الأصنام في صفحة: ٩ - ١٣ من هذا الجزء. (المؤلف)

(٢) الشوس جمع الأشوس. راجع: ص ٢٤. النجيع الدم المائل إلى السواد. سوابح جمع سابع: السريع غير المضطرب في جريه. (المؤلف)

(٣) البيض جمع الأبيض: السيف. السمر: الرماح. اللدان جمع لدن بفتح اللام: اللين. (المؤلف)

(٤) ساف من سقى يسقى سقياً: التراب تدرى وتبدد. سافح: المصبوب الذي لا يجبهه شيء. (المؤلف)

(٥) يسحبن من سحب سحباً: جرّ على وجه الأرض. الراح: الطاعن بالريح. (المؤلف)

(٦) السارح: الجاري جرياً سهلاً. (المؤلف)

(٧) ناب: نزل. الكالح من كلح وجهه: عبس وتكشّر فهو كالح. (المؤلف)

(٨) الجوى: شدة الوجد من حزن أو عشق، داء في الصدر. التبارح من البرح: الأذى والتعذاب الشديد والمشقة. (المؤلف)

أجسفاؤها مقروحةً ودموعُها مسفوحةً والصبرُ منها جاحُ
 تهوى لتقبيلِ القَتيلِ تَضُمُّه بفتيلِ معجرها الدماءُ نواضحُ^(١)
 تحنو على النحر الخضيب وتلثمُ الثغر التريب لها فؤادُ قادحُ
 أسفي على حرمِ النبوةِ جئن مط سروحاً هنالك بالعتاب تطارحُ^(٢)
 يندبن بدرأ غاب في فلكِ الثرى وهزبرَ غابٍ غسيتهُ ضرائحُ
 هذي أخي تدعو وهذي يا أبي تشكو وليس لها وليُّ ناصحُ
 والظهرُ مشغولٌ بكرِبِ الموتِ من ردِّ الجوابِ وللسمنيَّةِ شايعُ^(٣)
 ولفاطمِ الصغرى نحيبُ مقرحُ يذكي الجوائحَ للجوارحِ جارحُ
 عِلجٌ يعالجُها لسلبِ حلِّيها فتظلُّ في جهدِ العفافِ تطارحُ^(٤)
 بالردنِ تسترُ وجهها وتناعِها ملعون عن نهبِ الرِّدا وتكافحُ
 تستصرخُ المولى الإمامَ وجدَّها وفؤادها بعد المسرةِ نازحُ
 يا جدُّ قد بلغَ العدى ما أمَلوا فينا وقد شمتَ العدوُّ الكاشحُ
 يا جدُّ غابَ وئسنا وحميْنَا وكفيلُنَا ونصيرُنَا والناصحُ
 ضيِّعتمونا والوصايا ضيِّعت ضيِّعتمونا والوصايا ضيِّعت
 يا فاطمَ الزهراءِ قومي وانظري وجهَ الحسينِ له الصعيْدُ مصافحُ
 أكفانه نسجُ الغبارِ وغسله بدمِ الوريدِ ولم تنخه نوائحُ
 وشبوله نهبُ السيوفِ تزورها بين الطفوفِ فراعِلُ وجوارحُ^(٥)

(١) المعجر والعجار: ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها.

(٢) تطارح: تجاوب. (المؤلف)

(٣) الشايح من شبح شبحاً الجلد: مده بين أوتاد، [شبح] الرجل: مده كالمصلوب. (المؤلف)

(٤) تطارح: تباعد. (المؤلف)

(٥) فراعل جمع الفرعل: ولد الضبع. الجوارح جمع الجارحة: ذات الصيد من السباع والطيور

والكلاب. (المؤلف)

وعلى السنانِ سنانٌ رافعُ رأسه
والوحشُ يندبُ وحشةً لفراقه
والأرضُ ترجفُ والسماءُ لأجله
والدهرُ من عظمِ الشجى شقَّ الردا
يا للرجالِ لظلمِ آلِ محمدٍ
يضحى الحسينُ بكرِلاءِ مرملاً
وعياله فيها حيارى حسراً
يُسرئُ بهم أسرى إلى شرِّ الورى
ويُقاد زين العابدين مغللاً
ما يكشف الغمَّاء إلا نفحةً
نبويَّةً علويَّةً مهديَّةً
يضحى منادياً ينادي نبياً لنا
والجنُّ والأملأك حول لوائه
و... و... في جذعها
و... و... والإثم وال
لعنوا بما اقترفوا وكلُّ جريرة

ولجسَمِهِ خيَلُ العداةِ رواح^(١)
والجنُّ إن جنَّ الظلامُ نوائحُ
تبكي معاً والطيرُ غادٍ رائحُ
أسفاً عليه وفاضَ جفنٍ دالم^(٢)
ولأجلِ ثارهمُ وأين الكادحُ^(٣)
عريانَ تكسوه الترابُ صحاصحُ^(٤)
للذُلِّ في أشخاصهنَّ ملاح^(٥)
من فوق أقتابِ الجمالِ مضايح^(٦)
بالقيدِ لم يُشفقُ عليه مسايحُ
يُحسي بها الموقى نسيمٌ نافحُ
يشقى برأيها العليلُ البارحُ
ورأتِ الحسينَ وذاك يومٌ فارحُ
والرعبُ يقدمُ والمحتوفُ تُناوح^(٧)
خفضاً ونصبِ الصلبِ رفعِ فاتحُ
عدوانِ في ذلِّ الهوانِ شوائحُ
شَبَّتْ لها منهم زنادُ قادحُ

(١) رواح من رحمة الدابة : رفته . (المؤلف)

(٢) الدالم : الكثير الماء . (المؤلف)

(٣) الكادح : الذي جهد نفسه في العمل . (المؤلف)

(٤) صحاصح جمع الصحصح : الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار . (المؤلف)

(٥) الملاح : ما بدا من محاسن الوجه ومساويه . (المؤلف)

(٦) المضايح : المثالي والمخاصم . (المؤلف)

(٧) تناوح : تقابل . (المؤلف)

يسابن النبي صباقي لا تنقضي
أبكيكم بمدمع تترى إذا
فاستجلى من مولاك عبد ولاك من
برسيّة كملت عقود نظامها
مدت إليك يداً وأنت منيلها
يرجو بها (رجب) القبول إذا أتى
أنت المعاذ لدى المعاد وأنت لي
صلّى عليك الله ما سكب الحيا

كمدأ وحزني في الجوانح جانح^(١)
بخل السحاب لها انصباب سافح
لولاك ما جادت عليه قرانح
حليّة ولها البديع وشانح^(٢)
يابن النبي وعن خطاها صافح
وهو الذي بك واثق لك مادح
إن ضاق بي رحب البلاد الفاسح
دمعاً وما هبّ النسيم الفانح

وله في رثاء الإمام السبط صلوات الله عليه قوله:

ما هاجني ذكر ذات البان والعلم
ولا صبوت لصبّ صاب مدمعه
ولا على طلل يوماً أطلت به
ولا تمسكت بالحادي وقلت له
لكن تذكرت مولاي الحسين وقد
ففاض صبري وفاض الدمع وابتعد الرقاد واقرب السهاد بالسقم
وهام إذ همت العبرات من عدم^(٥) قلبي ولم أستطع مع ذلك منع دمي

ولا السلام على سلمى بذى سلم
من الصباية صبّ الوابل الرزم^(٣)
مخاطباً لأهل الحى والخيم
إن جنت سلعاً فسل عن جيرة العلم^(٤)
أضحى بكرب البلا في كربلاء ظمي

(١) الجوانح: الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر. الجانح من جنحت السفينة: لزقت بالأرض فلم تنض. (المؤلف)

(٢) وشانح جمع وشاح: شبه قلادة يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها. (المؤلف)

(٣) صبوت من صبا يصبو: حن. الصبّ: العاشق. الصباية: الشوق ورقة الهوى. الوابل: المطر الشديد. الرزم: الذي لا ينقطع رعدده. (المؤلف)

(٤) مطلع بديعية صفي الدين الحلبي. راجع: ٤٤/٦. (المؤلف)

(٥) همت من همى يهيم هيماً: سال لا يتنيه شيء. (المؤلف)

لم أنسَهُ وجيوش الكفرِ جائشَةً
تطوفُ بالطفِّ فرسانُ الضلالِ به
وللمنايا بفرسانِ المنى عجلُ
مسائلاً ودموعُ العينِ سائلةٌ
ما إسم هذا الثرى يا قومُ فابتدروا
بكر بلا هذه تُدعى فقال أجل
حطّوا الرحالَ فحال الموتُ حلّ بنا
ياللرجالِ لخطبٍ حلّ مخترم الـ
فها هنا تصبِحُ الأكبادُ من ظمأ
وها هنا تصبِحُ الأقارُ آفلةٌ
وها هنا تملكُ الساداتِ أعبدها
وها هنا تصبِحُ الأجسادُ ثابوةٌ
وها هنا بعدُ بعدُ الدارِ مدفنتنا
وصاح بالصحبِ هذا الموتُ فابتدروا
من كل أبيضٍ وضاحِ الجبينِ فتىً
من كلٍ مستندبٍ لله محتسبٍ
وكلُّ مصطلمِ الأبطالِ مصطلمِ الـ
وراح ثمّ جوادُ السبِطِ يندبه
فذرأته النساءُ الظاهراتُ بدا
برزن نادبةً حسرىً وثاكلةً

والجيشُ في أملٍ والدينُ في ألمٍ
والحقُّ يسمعُ والأسماعُ في صممٍ
والموتُ يسعى على ساقٍ بلا قدمٍ
وهو العليمُ بعلمِ اللوحِ والقلمِ
بقولهم يوصلونَ الكلمَ بالكلمِ
آجائنا بين تلك الهضبِ والأكمِ
دون البقاءِ وغير الله لم يدمِ
آجالٍ معتدياً في الأشهرِ الحرمِ
حرى وأجسادُها تروى بفيض دمِ
والشمسُ في طفَلٍ والبدرُ في ظلمِ
ظلياً ومخدومُها في قبضةِ الخدمِ
على الثرى مَطعماً لليومِ والرخمِ^(١)
وموعِدُ الخصمِ عند الواحدِ الحكمِ
أسداً فرائسُها الآسادُ في الأجمِ
يغشي صلي الحربِ لا يخشى من الضرمِ
في الله مُنتجبٍ بالله مُعتصمِ
آجالِ مُلتمسِ الآمالِ مُستلمِ
عالي الصهيلِ خليلاً طالبِ الخيمِ
يكادمُ^(٢) الأرضَ في خدِّ له وفمِ
عبرى ومعلولةً بالمدمعِ السجمِ

(١) اليوم: طائر يسكن الخراب. الرخم: طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع.

(المؤلف)

(٢) يكادم: يعص. (المؤلف)

فجنن والسبب ملق بالنصال أبت
والشمر ينحر منه النحر من حنق
فتستر الوجه في كم عقيلته
تدعو أخاها الغريب المستضام أخي
من أتكلت عليه في النساء ومن
هذي سكينه قد عزت سكينتها
تهوي لتسقيبه والدمع منهمر
فيمنع الدم والنصل الكسير به
تضمه نحوها شوقاً وتلثمه
تقول من عظم شكواها ولوعتها
أخي لقد كنت نوراً يستضاء به
أخي لقد كنت غوثاً للأرامل يا
يا كافلي هل ترى الأيتام بعدك في
يا واحدي يا بن أمي يا حسين لقد
وبردوا غلل الأحقاد من ضغن
أين الشفيق وقد بان الشفيق وقد
مات الكفيل وغاب الليث فابتدرت
وتستغيث رسول الله صارخة

من كف مُستلمٍ أو ثغرٍ ملتئمٍ
والأرضُ ترجفُ خوفاً من فعالهم
وتنحني فوق قلبٍ واله كلم^(١)
يأليت طرف المنايا عن علاك عمي
أوصيت فينا ومن يحنو على الحرم
وهذه فاطمٌ تبكي بفيض دم
والسبب عنها بكرٍ الموت في غم^(٢)
عنها فتصل لم تبرح ولم ترم
ويخضبُ النحرُ منه صدرها بدم
وحزنها غير منقضٍ ومنفصم
فما لنور الهدى والدين في ظلم
غوث اليتامى وبجر الجود والكرم
أسر المذلة والأوصاب^(٣) والألم
نال العدى ما تمنوا من طلابهم
وأظهروا ما تخفى في صدورهم
جار الرفيق ولج الدهر في الأزم^(٤)
عزج الضباع على الأشبال في نهم
يا جدُّ أين الوصايا في ذوي الرحم

(١) الكلم، من كلمة كلفاً: جرحه. (المؤلف)

(٢) غم بضم المعجمة جمع الغمة: الحيرة واللبس. (المؤلف)

(٣) الأوصاب جمع الوصب راجع: ص ٥٥. (المؤلف)

(٤) الأزم: من أزم الدهر القوم: استأصلهم. وأزم بصاحبه: لزم. وأزم الحبل: أحكم فعله. والأزم

جمع الأزمة: الشدة. (المؤلف)

يا جدُّ لو نظرتُ عيناك من حزنٍ
 مشردين عن الأوطانٍ قد قهروا
 يُسرى بهنَّ سبايا بعد عزُّهم
 هذا بسقيَّة آل الله سيِّدُ أه
 نجل الحسينِ الفتى الباقي ووارثه
 يُساق في الأسر نحو الشام مهتضاً
 أين النبيُّ وثغرُ السبطِ يقرعه
 أينكُ الرجسُ ثغراً كان قبْلَهُ
 ويدعي بعدها الإسلامَ من سفهِ
 يا ويله حين تأتي الطهْرُ فاطمةُ
 تأتي فيطرقُ أهلُ الجمعِ أجمعهم
 وتشتكي عن يمينِ العرشِ صارخةً
 هناك يظهرُ حكمُ الله في ملا
 وفي يديها قيصُ للحسينِ غدا
 أيا بني الوحي والذكرِ الحكيمِ ومن
 حزني لكم أبداً لا ينقضي كمداً
 حتى تعود إليكم دولةٌ وُعدتُ
 فليس للدين من حامٍ ومُنصرٍ
 القائمُ الخلفُ المهديُّ سيِّدنا
 بدرُ الغياهِبِ تيارُ المواهِبِ من

للعترَةِ العرَّ بعد الصونِ والحشمِ
 تكلى أسارى حيارى ضُرَّجوا بدمِ
 فوق المطايا كَسبي الرومِ والخدمِ
 ل الأرضِ زينُ عبادِ الله كلُّهم
 والسيِّدُ العابدُ السجَّادُ في الظلمِ
 بين الأعداي فمن باكٍ ومبتسمِ
 يزيدُ بغضاً لخيرِ الخلقِ كلُّهم
 من حبه الطهرُ خيرُ العربِ والعجمِ
 وكان أكفرَ من عادٍ ومن إرمِ
 في الحشرِ صارخةً في موقفِ الأممِ
 منها حياةٌ ووجهُ الأرضِ في قتمِ^(١)
 وتستغيثُ إلى الجبارِ ذي النقمِ
 عصوا وخانوا فيا سحقاُ لفعلهم
 مضخاً بدمِ قرناً إلى قَدَمِ
 ولاهمُ أملي والبرءُ من المي
 حتى المساتِ وردُّ الروحِ في رسمِ
 مهديَّةً تملأُ الأقطارَ بالنعَمِ
 إلا الإمامُ الفتى الكشافُ للظلمِ
 الطاهرُ العلمُ ابنُ الطاهرِ العلمِ
 صورُ الكتائبِ حامي الحلِّ والحرمِ^(٢)

٦٥/٧

(١) الأقم: الذي يعلوه سواد ليس بالشديد، وقيل: هو الذي فيه حمرة وغبرة.

(٢) الغياهِب جمع الغيب: الظلمة، الشديد السواد من الليل. التيار: موج البحر الهائج. الكتائب جمع الكتيبة: القطعة من الجيش أو الجماعة من الخيل. (المؤلف)

يا بن الإمام الزكي العسكري فتى الـ
يا بن الجواد ويا نجل الرضاء ويا
خليفة الصادق المولى الذي ظهرت
خليفة الباقر المولى خليفة زيب
نجل الحسين شهيد الطف سيدنا
نجل الحسين سليل الطهر فاطمة
يا بن النبي ويا بن الطهر حيدرة
أنت الفخار ومعناه وصورته
أيامك البيض خضر فهي خاتمة الدنيا وختم سعود الدين والأمم
متى نراك فلا ظلم ولا ظلم
أقبل فسبل الهدى والدين قد طمست
يا آل طه ومن حبي لهم شرف
إليكم مدحة جاءت منظمة
بسيطة إن شئت أو أنشدت عطرث
بكرأ عروساً تكولاً زقها حزن
يرجو بها (رجب) رحب المقام غداً
يا سادة الحق ما لي غيركم أمل
ما قدر مدحي والرحمن مادحكم
حاشاكم تحرموا الراجي مكارمكم
أو يختشي الزلة (البرسي) وهو يرى
إليكم تحف التسليم واصلة
صلى الإله عليكم ما بدا نسمة^(٢)

يهادي النقي علي الطاهر الشيم
سليل كاظم غيظ منيع الكرم
علومه فأنارت غيب الظلم
من العابدين علي طيب الخيم
وحبذا مفخر يعلو على الأمم
وابن الوصي علي كاسر الصنم^(١)
يا بن البتول ويا بن الحل والحرم
ونقطة الحكم لا بل خطة الحكم
والدين في رعد والكفر في رغم
ومسها نصب والحق في عدم
أعدّه في الوري من أعظم النعم
مهمونة صفتها من جوهر الكلم
بمدحك كبساط الزهر منخرم
على المناير غير الدمع لم تسم
بعد العناء غناء غير منهدم
وحبكم عدتي والمدح معتصمي
في هل أتى قد أتى مع نون والقلم
ويرجع الجار عنكم غير محترم
ولاكم فوق ذي القربى وذي الرحم
ومنكم وبكم أنجو من النقم
وما أتت سمات الصبح في الحرم

(١) راجع من هذا الجزء: ص ٩ - ١٣. (المؤلف).

(٢) نسمة جمع النسمة: الإنسان أو كل دابة فيها روح. (المؤلف)

وله قوله :

أما والذي لِدَمِي حَلَلَا وخصَّ أهيل الولا بالبلا
لئن أسقَ فيه كؤوسَ الحمامِ لما قال قلبي لساقيه لا
فموتي حيايتي وفي حُبِّه يلدُّ افتضاحي بين الملا
فمن يسألُ عنه فإنَّ الفؤا دَ تسلَى وما قطُّ أنا سلا
مضت سنَّةُ الله في خلقه بأنَّ المحبَّ هو المبتلى

وله قوله :

لقد أظهرتَ يا حاف ظُ سرّاً كان مخفياً
وأبرزتَ من الأنوا رِ نوراً كان مطويّاً
به قد صرت عند الله به والساداتِ علويّاً
ومقبولاً ومسعوداً ومحسوداً ومرضياً
فطب نفساً وعشاً قرداً وكن طيراً سهاويّاً
غريباً يألف الخلو ة لا يقربُ إنسيّاً
غدا في الناس بالخلو ة والوحدة منسيّاً
وإن أصبحت مرفوضاً بسهمِ البغضِ مرميّاً
فلم يبغضك إلا من أبوه الزنجُ بصريّاً^(١)
عمائتاً مرادياً مجوسياً يهودياً
لهذا قد غدا يبغ ض ذاك الطينَ كوفياً
وفي المولدِ والمحت د برسياً وحليّاً

٦٧/٧

وله في الغزل قوله :

لقد شاع عني حبُّ ليلي وإني كلفتُ بها عشقاً وهمتُ بها وجدا

وأصبحت أدعى سيّداً بين قومها
ألاقي الوري في حبّها في تنكّر
وذا عابس وجهاً يطوّل أنفه
ولا ذنب لي في هجرهم لي وهجرهم
ولو عرفوا ما قد عرفت ويمّوا
وظنّوا وبعض الظنّ إثمٌ وشنعوا
فوالله ما وصفي لها جاز حدّه
وكما أنّي أصبحت فيهم لها عبدا
فذا مانح صدّاً وذا صاعرٌ خدّاً
عليّ كأنّي قد قتلت له ولدا
سوى أنّي أصبحت في حبّها فردا
حماها كما يّمته أعدروا حدّاً
بأنّ امتداحي جاوز الحدّ والعدّا
ولكنّها في الحسن قد جازت الحدّا

هذه جملة ما وقفنا عليه من شعر شيخنا الحافظ البرسي وهي (٥٤٠) بيتاً، ولا يوجد فيها كما ترى شيء مما يرمى به من الارتفاع والغلو، فالأمر كما قال هو:

وظنّوا وبعض الظنّ إثمٌ وشنعوا
فوالله ما وصفي لها جاز حدّه
بأنّ امتداحي جاوز الحدّ والعدّا
ولكنّها في الحسن قد جازت الحدّا

توجد ترجمته^(١) في أمل الآمل، ورياض العلماء، ورياض الجنّة في الروضة

الرابعة، / وروضات الجنّات، وتتميم الأمل للسيد ابن أبي شيبان، والكنى والألقاب، وأعيان الشيعة، والطلّعة، والبابليات.

ولم نقف على تاريخ ولادة شاعرنا الحافظ ووفاته، غير أنّه أرخ بعض تأليفه بقوله: إنّ بين ولادة المهدي عليه السلام وبين تأليف هذا الكتاب خمسمئة وثمانية عشر سنة. فيوافق (٧٧٣)، أخذاً برواية (٢٥٥) في ولادة الإمام المنصور صلوات الله عليه، ومرّ في تاريخ بعض كتبه أنّه أرخه بـ (٨١٣)، ولعله توفّي حدود هذا التاريخ والله العالم.

(١) أمل الآمل: ١١٧/٢ رقم ٣٢٩، رياض العلماء: ٣٠٤/٢، روضات الجنّات: ٣٣٧/٣ رقم ٣٠٢، الكنى والألقاب: ١٦٦/٢، أعيان الشيعة: ٤٦٥/٦ - ٤٦٨، البابليات: ١١٨/١ رقم ٤١.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

المغلاة في الفضائل

٦٩/٧

لما وقع غير واحد من شعراء الغدير نظراء المترجم - البرسي - في شبك النقد والاعتراض، ورُموا بالغلوّ؛ وجاء غير واحد من المؤلفين^(١) فشنّ عليهم الغارات بالقذف والسباب المقذع فيهمنا إيقاف الباحثة على هذا المهمّ حتى لا يستهويه اللغب والصخب، ولا يصيخ إلى النعرات الطائفية الممقوتة، وقول الزور، فنقول:

الغلوّ على ما صرّح به أئمة اللغة^(٢) كالجوهرى والفيومي والراغب وغيرهم هو تجاوز الحدّ، ومنه غلا الشعر يغلو غلاء، وغلا الرجل غلّواً، وغلا بالجارية لحمها وعظمها إذا أسرع الشباب فجاوزت لِداتها، قال الحارث بن خالد المخزومي:

خِصَانَةٌ قَلِقٌ مَوْشَحُهَا رَوْدُ الشَّبَابِ غَلَا بِهَا عَظْمٌ

ومنه قول رسول الله ﷺ: « لا تغالوا في النساء فإنما هنّ سقيا الله »^(٣) وقول عمر: لا تغالوا في مهور النساء^(٤)، والغلوّ مِمقوت لا محالة أينما كان وحيثما كان في أيّ

(١) كابن تيميّة، وابن كثير، والقصيمي، وموسى جار الله. ومن لفّ لفهم. (المؤلف)

(٢) صحاح اللغة: ٢٤٤٨/٦، المصباح المنير: ٤٥٢/٢، المفردات: ص ٣٦٤.

(٣) البيان والتبيين: ٢١/٢ [١٩/٢ - ٢٠]. (المؤلف)

(٤) راجع الجزء السادس من الكتاب: ص ٩٦. (المؤلف)

أمر كان، ولا سيما في الدين وعليه ينزل قوله تعالى في موضعين^(١) من الذكر الحكيم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ ويعني في ذلك كما ذكره المفسرون^(٢) غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم، وغلو النصارى فيه حتى جعلوه رباً؛ فالإفراط والتقصير كلّه سيئة. والحسنة بين السيئتين كما قاله مطرف بن عبدالله، وقال الشاعر:

وأوفٍ ولا تستوفٍ حقك كلّه وصافح فلم يستوفٍ قطّ كريمٍ
ولا تغلُ في شيءٍ من الأمرِ واقتصد كلا طرفي قصدِ الأمورِ ذميمٍ

وقال آخر:

٧٠/٧

عليك بأوساطِ الأمورِ فإنّها نجاةٌ ولا تتركبِ ذلولاٌ ولا صعبا

وقال مولانا أمير المؤمنين: «إنّ دين الله بين المقصّر والغالي فعليكم بالفرقة الوسطى فيها يلحق المقصّر، ويرجع إليها الغالي»^(٣) غير أنّ من الواجب تعيين الحدّ الذي لا يجوز في الدين أن يتجاوزه الإنسان لاستلزام الغلو والكذب تارة، والإغراء بالجهل أخرى، وبخس الحقوق الواجبة أونة، لا ما دأبت عليه أمة من الرمي بالغلو كلّ قائل ما لا يروقها، وتحذوها العصبية العمياء إلى التجهّم أمام القول بما لا يلائم ذوقها، ومن هذا الباب أكثر ما تُرمى به الشيعة الإماميّة من الغلو لاعتقادهم أو روايتهم فضائل لأئمّة أهل البيت عليهم السلام، وقد طفحت بها الصحاح والمسانيد، وتدققت بنقلها الكتب والمؤلّفات، حيث لم يُقم من نبرّههم به لأئمّة الهدى وزناً تقيمه الحقيقة ويقتضيه مقامهم الأسمى، ذلك المقام الشايع المستنبط من الكتاب والسنة والاعتبار الصحيح والقضايا الخارجية الصادقة المتسالم عليها بين الأئمّة، لولا أنّ هناك من يتعامى أو يتصامم عن رؤية هذه وسماح هاتيك، أو تقصر منته العلمية عن تحليل

(١) النساء: ١٧١ والمائدة: ٧٧.

(٢) تفسير القرطبي: ٢١/٦ [١٦/٦ و ١٦٣]. (المؤلف)

(٣) ربيع الأبرار للزمخشري [٦٣/٢]. (المؤلف)

الفلسفة الصحيحة، أو يقصر باعه عن الإحاطة بالكائنات التاريخية، من الذين استأسرهم الهوى وتدهور بهم الجهل إلى هوة التيه والضللال، فعَدّوا من الغلوّ الفاحش القول بعلم الغيب فيهم، أو إخبارهم عمّا في الضمير، أو تكلم الموتى معهم، أو علمهم بمنطق الطير والحيوانات، أو إحياء الله الموتى بدعائهم، أو استجابة دعواتهم في براء الأكمه والأبرص، وبِلّ كلّ ذي عاهة، أو القول بالرجعة لهم، أو ظهور كرامة لهم تحرق العادة، أو الشخوص إلى زيارة قبورهم والتوسّل بهم، والتبرّك بتربّتهم، والدعاء والصلاة عند مراقدهم، أو التلّيف والتأسّف على ما انتابهم من المصائب، إلى كثير من أمثال هذه من مبادئ تراها الشيعة في العترة الهادية من فضائلهم المدعومة بالبرهنة الصحيحة والحجج القويّة ممّا أنكرته أبناء حزم وجوزي وتيميّة وقيم وكثير ومن حذا حذوهم ولفّ لفّهم.

ولعلّ لهم العذر في ذلك بأنّ الذي يرتأونه في الخليفة لا يزيد على أنّه رجل يقطع / السارق ويقتصّ من القاتل، ويحفظ الثغور، ويدحر الهرج في الأوساط، ويجمع النبيء ويقسم، إلى أمثال هذه ممّا هو شأن الملوك والأمراء في الأمم والأجيال، وتُعرب عنه خطب أبي بكر وعمر لما استخلفا^(١)، واستخلاف عثمان ومعاوية وابنه الطاغى، وهلمّ جرّاً، وحديث عبدالله بن عمر وحמיד بن عبدالرحمن كما يأتي بيانه.

وهم لا يوجبون في الخليفة قوّة في النفس منبعثة عن نزاهة وقداسة وعصمة يتصرّف بها صاحبها في الكائنات كيفما اقتضته المصلحة، ويبصر المغيّب بعين بصيرته، أو بنور بصره الذي لا يقلّ عن أشعة (رنتجن) التي يبصر صاحبها الأمعاء من وراء الجلد الغليظ وتُري ما في قبضة الماسك بيده من ظهر اليد، وبلغت بها القوّة حتى أخذت بها الصورة الشمسيّة من وراء سياج الصندوق الحديدي.

والذي يخبت في القوى النفسية إلى مثل التنويم المغناطيسي الصناعي، أو

(١) راجع الجزء السادس من الكتاب: ص ١٩١ وهذا الجزء فيما يأتي. (المؤلف)

استحضار الأرواح واستخدامها لاجواب عن كل مسألة يريد بها الإنسان مما في وراء عالم الشهود بقوة نفسه، كيف يسعه إنكار ردّ الأرواح إلى الأجسام بإذن ربّها لدعاء وليّ، أو مقدرة صدّيق موهوبة له من باريّ كيانه؟ وليس على الله بعزيز ﴿هُوَ الَّذِي يُخَبِّرُ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

وكذلك من يشهد: أنّ الطائرات الجويّة تطوي مئات من الفراسخ في آونة قصيرة، وكان يستدعي ذلك إشغال أشهر من الزمن يوم كانوا يطوونها على الظهور، أنّي يُسيغ له حِجَاه أن ينكر طيّ الأرض لمن يحمل بين جنبيه قوئ مفاضة من المبدأ الحقّ سبحانه: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾^(٢).

ومثله: الذي يبصر المذياع وهو ينقل الأصوات من أبعد المسافات فيسمعها كأنه يتلو القرآن الكريم، أو يُلقِي خطابته، أو يسرد أخباره، أو يغني بأهازيجه إلى جنبه، فهو لا يسعه إنكار ما يشابه ذلك في إمام حقّ مؤيّد من عند الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾^(٣).

ونظيره: المتكلّم الذي تُثَلّ له بالقوى المثلّة صورة من يخاطبه ويتكلّم معه في الهاتف من صقع شاسع كأنه يراه وينظر إليه من كُثب ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤).

وأمثال هذه في المكتشفات الحديثة من آثار الكهرباء وغيره كثيرة ذللت فيهم المعضلات التي كانت تقصر عنها العقول السذج قبل هذا اليوم، ولعلّ في المستقبل الكشّاف يكون ما هو أعظم وأعظم من هذه كلّها، فإنّ العلم لم يقف على حدّ،

(١) غافر: ٦٨.

(٢) النمل: ٨٨.

(٣) فاطر: ٢٢.

(٤) الأنعام: ٧٥.

ولا دلت البرهنة على وصول الكشف إلى غايته المحدودة، فمن الجائز أن يتدرج إلى الأمام كما تدرج في هذه القرون الأخيرة جلّت قدرة بارئها.

أنا لا أحاول جعل تلکم المعاجز وكرامات الأولياء من قبيل ما ذكرته من مجاري الناموس الطبيعي، ولو أنها لا يعدوها الإعجاز حتى لو كانت على تلك المجاري، لأنها حدثت يوم لم تكن هذه الآثار مكتشفة، ولا عرفها أحد من الناس، حتى إنه لو فاة بها أحد لما كانوا يحفلون به إلا بالهزاء والسخرية معتقدين بأنه يلهج بالمحال، فصدورها من إنسان هذا ظرفه وتلك أحوال أمته، ولم يعهد أنه دخل كلية أو تخرج على يد أستاذ لا يعدوه أن تكون معجزة، لكننا نعتقد أن أولئك الأئمة - بها أنهم مقيضون لإصلاح الأمة ولا يكون إلا بخضوعها لهم. وأقوى الحجج لاستلانة جماعها لذلك الخضوع هو صدور المعجزات والخوارق - لهم صلة بالمبدأ الأقدس يسددهم بها من فوق عالم الطبيعة، وهو لازم اللطف الواجب على الله سبحانه من تقريب البعيد إلى ما ذكرناه من الاكتشافات الحديثة لتقريب الأذهان وشحذها، وإيقاف المنصف على الحقائق. وقد فضلنا القول في بعض الموضوع في الجزء الخامس (ص ٥٢، ٦٥).

فهلمّ معي إلى أناس يشنّعون على الشيعة بإثبات تلکم النسب، ويقذفونهم بالغلو والكفر والشرك وهم يشبثونها لغير واحد من أوليائهم، وذكروا أضعاف ما عند الشيعة من تلکم الفضائل المرمية بالغلو في تراجم العاديين من رجالهم، ونشروها في الملأ وأخذوها تاريخاً صحيحاً من دون أي غمز وإنكار في السند، ومن غير مناقشة ونظرة صحيحة في المتون، كل ذلك حباً وكرامة لأولئك الرجال، وحبّ الشيء يعمي / ويصمّ، وهذه السيرة مطردة فيهم منذ القرن الأول حتى اليوم، ولا يسع لأي باحث رمي أولئك المؤلفين الحفاظ بالضلال والشرك والغلو وخروجهم عما أجمعت عليه الأمة الإسلامية كما

هم رموا الشيعة بذلك، على أن الباحث يجد فيما لفقته يد الدعاية والنشر، ونسجته أكفُّ المخرقة والغلو في الفضائل، عجائب وغرائب أو قل: سفاسف وسفسطات، تبعد عن نطاق العقل السليم، فضلاً عن أن تكون مشروعة أو غير مشروعة. وإليك البيان:



مركز تحقيقات كميبيوتر علوم اسلامی

الغلو في أبي بكر

ليس من العسير الشديد عرفان حدود أيِّ فرد شئت من الصحابة، إذ التاريخ - مع ما فيه من الخبط والمخلط، مع ما نسجت عليه أيدي المعرّة الأثيمة، مع ما طمس صحيحه بالفتن المظلمة في أدوارها وقرونها الخالية، مع ما لعبت به الأهواء المضلّة بالتحريف والاختلاق، مع ما دسّ فيه عباقرة الإفك والافتعال، مع ما سوّدت صفحاته بآراء تافهة، ونظريات سخيفة، ومبادئ فاسدة، ونعرات طائفية، ومخاريق قومية، وجنایات شعوبية - فيه رمز من الحقيقة، لا يختلط للناقد البصير زُبده بخائره، وصحيحه بسقيمه، ويسع له أن يستخرج المحض بالمخض، يتخذ منه دروس الحقائق، ويعرف به حدود الرجال، ومقاييس السلف، ومقادير الأمم الغابرة.

ومن اللازم المحتوم علينا النظرة في تراجم الشخصيات البارزة من رجال الإسلام سلفاً وخلفاً بعين الإكبار دون عين رمصة، ولا سيما من عُرف منهم بالخلافة الراشدة بين الملأ الدينيّ ولو بالانتخاب الدستوري الذي ليس له أيّ قيمة وكرامة في سوق الاعتبار وميزان العدل: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾^(١) ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٢)

(١) القصص: ٦٨.

(٢) الأحزاب: ٣٦.

﴿ نَهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾^(١) ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٢) ﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴾^(٣) .

٧٤/٧

فصاحب النبي الأعظم في الغار، والمهاجر الوحيد معه في الرعيل الأول من المهاجرين السابقين يهتأ إكباره وإعظامه، ويُعدُّ من الجنايات الفاحشة بخس حقه، والتقصير في تحديد نفسياته، والمخروج عن قضاء العدل فيها، والنزول على حكم العاطفة.

ونحن لا نحوم حول موضوع الخلافة وأنها كيف تمت؟ كيف صارت؟ كيف قامت؟ كيف دامت؟ وأن الآراء فيها هل كانت حرّة؟ ووصايا المشرع الأعظم هل كانت متّبعة؟ أو كانت للأهواء والشهوات يوم ذاك حكومة جبّارة هي تبطش وتقبض، وهي ترفع وتخفض، وهي ترتق وتفتق، وهي تنقض وتبرم، وهي تحلّ وتعقد.

لا يهتأ البحث عن هذه كلها بعد ما سمعت أذن الدنيا حديث السقيفة مجتمع الثويلة، وقرّطت نبياً تلك الصاخة الكبرى، والتحارش العظيم بين المهاجرين والأنصار، ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِبُوقِعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴾^(٤) .

ما عساني أن أقول؟ والتاريخ بين يدي الباحث يدرسه بأن كلّ رجل من سواد الناس يوم ذاك كان يرى الفوز والسلامة لنفسه في عدم التحزّب بأحد من تلكم الأحزاب المتكثّرة، وترك الاقتحام في تلك الثورات النائرة، وكانت الخواطر تهدّده بالقتل مهما أبدى الشقاق، أو التحيز إلى فئة دون فئة، بعد ما رأت عيناه فرند الصارم

(١) الروم: ٤ .

(٢) الأنعام: ١٢٧ .

(٣) القمر: ٣ .

(٤) الواقعة: ١ - ٣ .

المسلول، وسمعت أذناه نداء محزراً^(١) يتوعد بالقتل كل قاتل بموت رسول الله، ويقول: لا أسمع رجلاً يقول: مات رسول الله إلا ضربت به بسيفي. أو يقول: من قال: إنه مات علوت رأسه بسيفي، وإنما ارتفع إلى السماء^(٢).

يصيح من قال نفس المصطفى قبضت علوت هامته بالسيف أبريها^(٣)

بعد ما تشاررت الأمة وتلاكمت وتكالمت وقام الشيخان يعرض كل منهما البيعة / لصاحبه قبل أخذ الرأي من أي أحد، كأن الأمر دبر بليل، فيقول هذا لصاحبه: ابسط يدك فلا بايعك. ويقول آخر: بل أنت. وكل منهما يريد أن يفتح يد صاحبه ويبايعه، ومعهما أبو عبيدة الجراح حفار القبور بالمدينة^(٤) يدعو الناس إليهما^(٥)، والوصي الأقدس والعترة الهادية وبنو هاشم الهاشم النبي الأعظم وهو مسجى بين يديهم وقد أغلق دونه الباب أهله^(٦)، وخلق أصحابه عليهم السلام بينه وبين أهله فولوا^(٧) إجنانه^(٨) ومكث ثلاثة أيام لا يدفن^(٩) أو من يوم الاثنين إلى يوم

مركز تحقيق وتصحيح علوم رسول

(١) المحز: الرجل الغليظ الكلام. (المؤلف)

(٢) تاريخ الطبري: ١٩٨/٣ [٢٠١/٣ حوادث سنة ١١١هـ]، شرح ابن أبي الحديد: ١٢٨/١ [٤٠/٢] خطبة ٢٦]، تاريخ ابن كثير: ٢٤٢/٥ [٢٦٣/٥ حوادث سنة ١١١هـ] تاريخ أبي الفداء: ١٥٦/١، المواهب اللدنية للقسطلاني [٥٤٤/٤ - ٥٤٦]، روض المناظر لابن شحنة [١٨٨/١] حوادث سنة ١١]، هامش الكامل: ١٦٤/٧، شرح المواهب للزرقاني: ٢٨٠/٨، السيرة النبوية لزيني دحلان، هامش الحلبيّة: ٣٧١/٣ - ٣٧٤ [٣٠٦/٢]، ذكرى حافظ للدمياطي: ص ٣٦ نقلاً عن الغزالي [في إحياء علوم الدين: ٤٣٣/٤]. (المؤلف)

(٣) من أبيات القصيدة العمرية لحافظ إبراهيم [ديوان حافظ إبراهيم: ٨١/١] شاعر النيل. (المؤلف)

(٤) راجع الجزء الخامس من هذا الكتاب: ص ٣٦٧، ٣٦٨. (المؤلف)

(٥) تاريخ الطبري: ١٩٩/٣ [٢٠٣/٣ حوادث سنة ١١١هـ]. (المؤلف)

(٦) سيرة ابن هشام: ٣٢٦/٤ [٣٠٧/٤]، الرياض النضرة: ١٦٣/١ [٢٠٣/١]. (المؤلف)

(٧) ولوا إجنانه: تولوا دفنه.

(٨) طبقات ابن سعد: ص ٨٢١، طبع ليدن ج ٢ من القسم الثاني: ص ٧٦ [٣٠١/٢]. (المؤلف)

(٩) تاريخ ابن كثير: ٢٧١/٥ [٢٩٢/٥ حوادث سنة ١١١هـ]، تاريخ أبي الفداء: ١٥٢/١. (المؤلف)

الأربعاء أو ليلته^(١) فدفنه أهله ولم يله إلا أقاربه^(٢) دفنوه في الليل أو في آخره^(٣)، ولم يعلم به القوم إلا بعد سماع صريف المساحي وهم في بيوتهم من جوف الليل^(٤) ولم يشهد الشيخان دفنه عليه السلام^(٥).

بعد ما رأى الرجل عمر بن الخطاب محتجراً يهول بين يدي أبي بكر وقد نبر حتى أزيد شداقه^(٦).

بعد ما قرعت سمعه عقيرة صحابي بدري عظيم - الحباب بن المنذر - وقد انتضى سيفه على أبي بكر ويقول: والله لا يردُّ عليَّ أحدٌ ما أقول إلا حطمت أنفه بالسيف، أنا جُذيلها المحكك^(٧) وعُذيقها المرجب، أنا أبو شبل في عرينة الأسد يُعزى إلى

٧٦/٧

(١) طبقات ابن سعد طبع ليدن: ٥٨/٢، ٧٩ [٢٧٣/٢، ٣٠٥]، سيرة ابن هشام: ٣٤٣/٤، ٣٤٤ [٣١٤/٤]، مسند أحمد: ٢٧٤/٦ [٢٧٤/٦ ح ٣٩٠/٧]، سنن ابن ماجه: ٤٩٩/١ [٥٢١/١]، سيرة ابن سيد الناس: ٣٤٠/٢ [٤٣٤/٢]، تاريخ أبي الفداء: ١٥٢/١ وقال: الأصح دفنه ليلة الأربعاء، تاريخ ابن كثير ٢٧١/٥ [٢٩١/٥ حوادث سنة ١١هـ] وقال: هو المشهور عن الجمهور. وقال: والصحيح أنه دفن ليلة الأربعاء، السيرة الحلبية: ٣٩٤/٣ [٣٦٥/٣]، شرح المواهب للزرقاني: ٢٨٤/٨، سيرة زيني دحلان هامش الحلبية: ٣٨٠/٣ [٣٠٨/٢]. (المؤلف)

(٢) طبقات ابن سعد: ص ٨٢٤ طبع، ليدن ج ٢ من القسم الثاني: ص ٧٨ [٣٠٤/٢]. (المؤلف)

(٣) سنن ابن ماجه: ٤٩٩/١ [٥٢١/١ ح ١٦٢٨]، مسند أحمد: ٢٧٤/٦ [٢٧٤/٦ ح ٣٩٠/٧]. (المؤلف)

(٤) الطبقات لابن سعد: ص ٨٢٤، طبع ليدن ج ٢ من القسم الثاني: ص ٧٨ [٣٠٤/٢]، مسند أحمد: ٢٧٤/٦ [٢٧٤/٦ ح ٣٩٠/٧]، سيرة ابن هشام: ٣٤٤/٤ [٣١٤/٤]، تاريخ ابن كثير: ٢٧٠/٥ [٢٩١/٥ حوادث سنة ١١هـ]. (المؤلف)

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة [في المصنف: ٥٦٨/١٤ ح ١٨٨٩٢] كما في كنز العمال: ١٤٠/٣ [٦٥٢/٥ ح ١٤١٣٩]. (المؤلف)

(٦) طبقات ابن سعد: ص ٧٨٧، طبع ليدن، ج ٢ من القسم الثاني: ص ٥٣ [٢٦٧/٢]، شرح ابن أبي الحديد: ١٣٣/١ [٥٦/٢ خطبة ٢٦]. (المؤلف)

(٧) الجذل بالكسر والفتح: أصل الشجرة والعود الذي ينصب للإبل الجرباء لتحتك به فتستشفى به،

الأسد، فيقال عليه: إذن يقتلك الله. فيقول: بل إياك يقتل. أو: بل أراك تقتل^(١)، فأخذ ووطين في بطنه، ودس في فيه التراب^(٢).

بعدهما شاهد ثالثاً يخالف البيعة لأبي بكر وينادي: أما والله أرميكم بكل سهم في كنانتي من نبل، وأخضب منكم ستاني ورمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم مع من معي من أهلي وعشيرتي^(٣).

بعدهما رأى رابعاً يتذمر على البيعة ويشب نار الحرب بقوله: إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم^(٤).

فالقول مثل يضرب لمن يستشق برأيه ويعتمد عليه، والتصغير للتعظيم [أنظر مجمع الأمثال: ٥٢/١ رقم ١٢٥].

وكذلك عذيقها المرجب. والعذق: النخلة يجعلها، والترجيب أن تدعم الشجرة إذا كثرت حملها

لثلاً تتكسر أغصانها. (المؤلف) مركز تحقيق كتب التراث الإسلامي

(١) صحيح البخاري: ٤٥/١٠ [٢٥٠٦/٦ ح ٦٤٤٢]، مسند أحمد: ٥٦/١ [٩٠/١ ح ٣٩٣]، البيان والتبيين: ١٨١/٣ [١٩٨/٣]، سيرة ابن هشام: ٢٣٩/٤ [٢١٠/٤]، العقد الفريد: ٢٤٨/٢ [٨٦/٤]، الإمامة والسياسة: ٩/١ [١٥/١]، تاريخ الطبري: ٢٠٩/٣، ٢١٠ [٢٢٠/٣]، ٢٢٣ حوادث سنة ١١١هـ]، تاريخ ابن الأثير: ١٣٧/٢ [١٣٧/٢ و ١٢/٢ و ١٣ حوادث سنة ١١١هـ]، الرياض النضرة: ١٦٢/١ و ١٦٤ [٢٠٤ و ٢٠٢/١]، تاريخ ابن كثير: ٢٤٦/٥ [٢٦٧/٥] حوادث سنة ١١١هـ]، ١٤٢/٧ [١٦٠/٧]، صفة الصفوة: ٩٧/١ [٢٥٦/١ رقم ٢]، تيسير الوصول: ٤٥/٢ [٥٤/٢ رقم ٤]، شرح ابن أبي الحديد: ١٢٨/١ [٣٨/٢ خطبة ٢٦]، ٤/٢ [٩/٦ خطبة ٦٦]، السيرة الحلبية: ٣٨٧/٣ [٣٥٨/٣]، أبو بكر الصديق للأستاذ محمد رضا المصري: ص ٢٥. (المؤلف)

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ١٦/٢ [٤٠/٦ خطبة ٦٦]. (المؤلف)

(٣) الإمامة والسياسة: ١١/١ [١٧/١]، تاريخ الطبري: ٢١٠/٣ [٢٢٢/٣]، حوادث سنة ١١١هـ]، تاريخ

ابن الأثير: ١٣٧/٢ [١٤/٢]، ١٣٧/٢ [١٤/٢]، شرح ابن أبي الحديد: ١٢٨/١ [٣٩/٢]، خطبة

[٢٦]، السيرة الحلبية: ٣٨٧/٣ [٣٥٩/٣]. (المؤلف)

(٤) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا صفحة: ٢٥٣. (المؤلف)

بعدهما نظر إلى مثل سعد بن عبادة أمير الخزرج وقد وقع في ورطة الهون يُنزى عليه، ويُنادى عليه بغضب: اقتلوا سعداً قتله الله إنه منافق. أو: صاحب فتنة. وقد قام الرجل على رأسه ويقول: لقد هممت أن أطاك حتى تندر^(١) عضوك. أو تندر عيونك^(٢).

بعدهما شاهد قيس بن سعد قد أخذ بلحية عمر قائلاً: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة. أو: لو خفضت منه شعرة ما رجعت وفيك جارحة^(٣).

بعدهما عاين الزبير وقد اخترط سيفه ويقول: لا أغمده حتى يبايع عليّ. فيقول عمر: عليكم بالكلب، فيؤخذ سيفه من يده ويُضرب به الحجر ويُكسر^(٤).

بعدهما بصر مقداداً ذلك الرجل العظيم وهو يدافع في صدره، أو نظر إلى الحباب ابن المنذر وهو يحطم أنفه، ويُضرب يده. أو إلى اللانذين بدار النبوة، مأمّن الأمة، وبيت شرفها، بيت فاطمة وعليّ - سلام الله عليهما - وقد لحقهم الإرهاب والترعيد^(٥)، وبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب وقال له: إن أبوا فقاتلهم. فأقبل

٧٧/٧

(١) ندر الشيء: سقط.

(٢) مسند أحمد: ٥٦/١، [٩٠/١ ح ٣٩٣]، العقد الفريد ٢٤٩/٢ [٨٦/٤]، تاريخ الطبري: ٢١٠/٣، [٢٢٢/٣ حوادث سنة ١١هـ]، سيرة ابن هشام: ٣٣٩/٤ [٣١٠/٤]، الرياض النضرة: ١٦٢/١، ١٦٤ [٢٠٢/١، ٢٠٥]، السيرة الحلبية: ٣٨٧/٣ [٣٥٩/٣]. (المؤلف)

(٣) تاريخ الطبري: ٢١٠/٣ [٢٢٢/٣ حوادث سنة ١١هـ]، السيرة الحلبية: ٣٨٧/٣ [٣٥٩/٣]. (المؤلف)
(٤) الإمامة والسياسة: ١١/١ [١٨/١]، تاريخ الطبري: ١٩٩/٣ [٢٠٣/٣] حوادث سنة ١١هـ، الرياض النضرة: ١٦٧/١ [٢٠٧/١]، شرح ابن أبي الحديد: ٥٨/١، ١٣٢ [١٧٤/١] خطبة ٣ و ٥٦/٢ [خطبة ٢٦]، ٥/٢، ١٩ [١١/٦ و ٤٧ خطبة ٦٦]. (المؤلف)

(٥) تاريخ الطبري: ٢١٠/٣ [٢٢٣/٣] حوادث سنة ١١هـ، شرح ابن أبي الحديد: ٥٨/١ [١٧٤/١] خطبة ٣. (المؤلف)

عمر بقبس من نار علي أن يضرهم عليهم الدار، فلقيته فاطمة فقالت: «يا ابن الخطاب أجنث لتحرق دارنا؟» قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمة^(١).

بعدهما رأى هجوم رجال الحزب السياسي دار أهل الوحي وكشف بيت فاطمة^(٢)، وقد علت عقيرة قائدهم بعد ما دعا بالخطب: والله لتحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة. أو لأحرقنّها علي من فيها. فيقال للرجل: إن فيها فاطمة. فيقول: وإن^(٣)!

بعد قول ابن شحنة: إن عمر جاء إلى بيت علي ليحرقه علي من فيه فلقيته فاطمة فقال: ادخلوا فيما دخلت فيه الأمة. تاريخ ابن شحنة^(٤) هامش الكامل (١٦٤/٧).

بعدهما سمع أنه وحنّة من حزينة كنيّة - بضعة المصطفى - وقد خرجت عن خدرها وهي تبكي وتنادي بأعلى صوتها: «يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة؟»^(٥).

(١) العقد الفريد: ٢٥٠/٢ [٨٧/٤]، تاريخ أبي الفداء: ١٥٦/١، أعلام النساء: ١٢٠٧/٣ [١١٤/٤].

(المؤلف)

(٢) الأموال لأبي عبيد: ص ١٣١ [ص ١٧٤ ح ٣٥٣]، الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١٨/١

[١٩/١]، تاريخ الطبري: ٥٢/٤ [٢٢٢/٣ حوادث سنة ١١هـ]، مروج الذهب: ٤١٤/١

[١٣٧/٢]، العقد الفريد: ٢٥٤/٢ [٩٣/٤]، تاريخ اليعقوبي: ١٠٥/٢ [٣١٧/٢]. (المؤلف)

(٣) تاريخ الطبري: ١٩٨/٣ [٢٠٢/٣ حوادث سنة ١١هـ]، الإمامة والسياسة: ١٣/١ [١٩/١]،

شرح ابن أبي الحديد: ١٣٤/١ و ١٩/٢ [٥٦/٢ خطبة ٢٦ و ٤٨/٦ خطبة ٦٦]، أعلام النساء:

١٢٠٥/٣ [١١٤/٤]. (المؤلف)

(٤) روض المناظر: ١٨٩/١ حوادث سنة ١١هـ.

(٥) الإمامة والسياسة: ١٣/١ [٢٠/١]، أعلام النساء: ١٢٠٦/٣ [١١٥/٤]، الإمام علي

لعبد الفتاح عبد المقصود: ٢٢٥/١ [ج ١/١ ج ١٩١/١]. (المؤلف)

بعدها رآها وهي تصرخ وتولول ومعها نسوة من الهاشميات تنادي: « يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله ، والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله ». شرح ابن أبي الحديد^(١) (١٣٤/١ ، ١٩/٢).

بعدهما شاهد هيكلكم القداسة والعظمة - أمير المؤمنين - يُقاد إلى البيعة كما يقاد الجمل المخشوش^(٢) ، ويُدفع ويُساق سوقاً عنيفاً واجتمع الناس ينظرون ، ويُقال له: بايع . فيقول: « إن أنا لم أفعل فمه ؟ » فيقال: إذن والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك فيقول: « إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله »^(٣).

بعدهما رأى صنو المصطفى علياً لاذ بقبر رسول الله ﷺ وهو يصيح ويبكي ويقول: « يا بن أمِّ إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني »^(٤).

بعد نداء أبي عبيدة الجراح لعلي عليه السلام يوم سيق إلى البيعة: يا بن عمِّ إنك حديث السنُّ وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمر، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشدَّ احتمالاً واضطلاعاً به، فسلم لأبي بكر هذا الأمر؛ فإنك إن تعش ويظل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليفٌ وبه حقيقٌ في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك^(٥).

بعد رفع الأنصار عقيرتهم في ذلك اليوم العصبب بقولهم: لا نبايع إلا علياً.

(١) شرح نهج البلاغة: ٥٧/٢ خطبة ٢٦ و ٤٩/٦ خطبة ٦٦.

(٢) العقد الفريد: ٢٨٥/٢ [١٣٧/٤]، صبح الأعشى: ٢٢٨/١ [٢٧٣/١]، شرح ابن أبي الحديد: ٤٠٧/٣ [٧٤/١٥ كتاب ٩]. (المؤلف)

(٣) الإمامة والسياسة: ١٣/١ [٢٠/١]، شرح ابن أبي الحديد: ٨/٢ و ١٩ [٤٩/٦ خطبة ٦٦]، أعلام النساء: ١٢٠٦/٣ [١١٥/٤]. (المؤلف)

(٤) الإمامة والسياسة: ١٤/١ [٢٠/١]. (المؤلف)

(٥) الإمامة والسياسة: ١٣/١ [١٨/١]، شرح ابن أبي الحديد: ٥/٢ [١٢/٦ خطبة ٦٦]. (المؤلف)

وبعد صياح بدرهم: منا أميرٌ ومنكم أميرٌ، وقول عمر له: إذا كان ذلك فمت إن استطعت^(١).

بعد قول أبي بكر للأنصار: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وهذا الأمر بيننا وبينكم نصفان كشق الأبلمة - يعني الخوصة^(٢).

٧٩/٧

مدت لها الأوس كفاً كي تناوها فددت الخزرج الأيدي تباريها
وظن كل فريق أن صاحبهم أولى بها وأتى الشحاء آتياً^(٣)

بعد قول أم مسطح بن أثانة واقفة عند قبر النبي ﷺ وهي تنادي:
يا رسول الله:

قد كان بعدك أنباء وهنبة^(٤) لو كنت شاهدتها لم تكثر الخطب

(١) صحيح البخاري في مناقب أبي بكر وفي باب رجم الحبلى: ٤٥/١٠ [١٣٤١/٣ ح ٣٤٦٧ و ٢٥٠٦/٦ ح ٦٤٤٢]، طبقات ابن سعد: ٥٥/٢ [٢٦٩/٢]، ١٢٩/٣ [١٨٢/٣]، البيان والتبيين للجاحظ: ١٨١/٣ [١٩٨/٣]، سيرة ابن هشام: ٣٣٩/٤ [٣١٠/٤]، التمهيد للباقلاني: ص ١٩٧، تاريخ الطبري: ٢٠٦/٣، ٢٠٩ [٢٠٣/٣]، ٢٠٦ حوادث سنة ١١ هـ، مستدرک الحاكم: ٦٧/٣ [٧٠/٣ ح ٤٤٢٣]، الرياض النضرة: ١٦٢/١، ١٦٣، ١٦٤ [٢٠١/٢ - ٢٠٥]، تاريخ ابن كثير: ١٤٦/٥ [٢٦٧/٥ حوادث سنة ١١ هـ]، تيسير الوصول: ٤١/٢، ٤٥ [٥٠/٢]، ٥٤ ح ٣ و ٤.

(المؤلف)

(٢) صحيح البخاري - في مناقب أبي بكر - [١٣٤١/٣ ح ٣٤٦٧]، البيان والتبيين: ١٨١/١ [١٩٩/٣]، عيون الأخبار لابن قتيبة: ٢٣٤/٢ [مج ١ ح ٢٣٣/٥ - ٢٣٤]، طبقات ابن سعد: ٥٥/٢ و ١٢٩/٣ [٢٦٩/٢ و ١٨٢/٣]، العقد الفريد: ١٥٨/٢ [٨٦/٤]، تيسير الوصول: ٤٥٢/٢ [٥٠/٢ ح ٣]، السيرة الحلبية: ٣٨٦/٣ [٣٥٧/٣]، نهاية ابن الأثير: ١٣/١ [١٧/١] وفيه: كقد الأبلمة، تاج العروس: ٢٠٥/٨. (المؤلف)

(٣) من أبيات القصيدة العمرية لحافظ إبراهيم شاعر النيل [أنظر ديوان حافظ إبراهيم: ٨١/١]. (المؤلف)

(٤) الهنبة: الأمر الشديد والاختلاط في القول. (المؤلف)

إنّا فقدناك فقد الأرضِ وابلها واختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب^(١)

هذه كلها كانت تهدد السواد، وتروّع عامة الناس وما كان لأحد في إصلاح القوم مطمع، ولا لأي من الأمة بعد ما شاهد الحال يوم ذاك حسبان حرمة ولا كرامة لنفسه يقوم بها تجاه ذلك التيار المتدفق.

وكانت هناك أمة تراها سكرى - وما هي بسكرى - من حراجة الموقف تسارها هواجسها بالتربص إلى حين، حتى تضع الغائلة أوزارها، ويتضح مآل أمر دبر بليل، ويتبين الرشد من الغي، وهواجس تجعل جماعة كالزبيعة^(٢) تجهش وتحن وتقرع سنّ الأسف، وكم حنون لا يجديه حنينه.

وما عساني أن أقول في تلك الخلافة بعدما رآها أبو بكر وعمر بن الخطاب فلتة كفلتة الجاهلية وقي الله شرّها^(٣) بعد ما حكم عمر بقتل من عاد إلى مثل تلك البيعة^(٤).

بعد قوله يوم السقيفة: من بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا / بيعة للذي بايعه تغرة أن يقتلا^(٥). ٨٠/٧

(١) طبقات ابن سعد: ص ٨٥٣ [٣٢٢/٢]، شرح ابن أبي الحديد: ١٧/٢ [٤٣/٦ خطبة ٦٦]، ١٣٢/١ [٥٠/٢ خطبة ٢٦]، وقد يعزى البيتان مع أبيات أخرى إلى الصديقة فاطمة سلام الله عليها. (المؤلف)

(٢) يقال: نزعت الناقة إلى وطنها فهي نزيعة: أي حنت واشتاقت.

(٣) التمهيد للباقلاني: ص ١٩٦، شرح ابن أبي الحديد: ١٩/٢ [٤٧/٦ خطبة ٦٦]، الغدير لنا: ٣٧٠/٥. (المؤلف)

(٤) التمهيد للباقلاني: ص ١٩٦، شرح ابن أبي الحديد: ١٢٣/١، ١٢٤ [٢٦/٢ خطبة ٢٦]، الصواعق لابن حجر: ص ٢١ [ص ٣٦]. (المؤلف)

(٥) صحيح البخاري: ٤٤/١٠ [٢٥٠٧/٦ ح ٦٤٤٢] باب رجم الجبل من الزنا، مسند أحمد: ٥٦/١

بعد قوله لابن عباس: لقد كان عليّ فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر^(١).

بعد قوله: إنا والله ما فعلناه عن عداوة ولكن استصغرناه، وحسبنا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها.

بعد قول ابن عباس له في جوابه: كان رسول الله ﷺ يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره، أفستصغره أنت وصاحبك^(٢)؟

بعد قول عمر لابن عباس: يا ابن عباس ما أظنُّ صاحبك إلا مظلوماً. وقول ابن عباس له: والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر. شرح ابن أبي الحديد^(٣) (١٨/٢).

بعد قول أبي السبطين أمير المؤمنين: «أنا عبدالله وأخو رسول الله، أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم، لا أبايكم وأنتم أولى بالبيعة لي»، فيقول عمر: لست متروكاً حتى تبايع، فيقول عليّ: «احلب يا عمر حلباً لك شطره»^(٤).

بعد قوله ﷺ: «الله الله يا معشر المهاجرين ألا تخرجوا سلطان محمد في العرب من داره، وقعر بيته إلى دوركم، وتدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين فنحن أحقُّ الناس به لأننا أهل البيت ونحن أحقُّ بهذا الأمر

٥ [٩١/١ ح ٣٩٣]، سيرة ابن هشام: ٢٢٨/٤ [٣٠٩/٤]، نهاية ابن الأثير: ١٧٥/٣ [٣٥٦/٣]، تيسير الوصول: ٤٥/٢ [٥٤/٢ ح ٤]، شرح ابن أبي الحديد: ١٢٨/١ [٤٠/٢ خطبة ٢٦]، تاريخ ابن كثير: ٢٤٦/٥ [٢٦٧/٥ حوادث سنة ١١ هـ]. (المؤلف)

(١) شرح ابن أبي الحديد: ١٣٢/١ [٥٧/٢ خطبة ٢٦]، ٢٠/٢ [٥٠/٦ خطبة ٦٦]، الغدير كتابنا هذا: ٣٨٩/١. (المؤلف)

(٢) راجع الجزء الأول من كتابنا هذا: ص ٣٨٩، كنز العمال: ٣٩١/٦ [١٠٩/١٣ ح ٣٦٣٥٧]. (المؤلف)

(٣) شرح نهج البلاغة: ٤٥/٦ خطبة ٦٦.

(٤) الإمامة والسياسة: ١٢/١ [١٨/١]، شرح ابن أبي الحديد: ٥/٢ [١١/٦ خطبة ٦٦]. (المؤلف)

منكم، ما كان فينا القارئ لكتاب الله، العالم بسنن الله، المضطلع بأمر الرعيّة، الدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسوية، والله إنّه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحقّ بعداً»^(١).

بعد قوله ﷺ: «لما مضى -المصطفى- لسبيله تنازع المسلمون الأمر بعده، فوالله ما كان يلتقي في روعي، ولا يخطر على بالي أنّ العرب تعدل هذا الأمر بعد محمد / عن أهل بيته، ولا أنّهم منحوه عني من بعده، فما راعني إلاّ انشغال الناس على أبي بكر، وإجفاهم إليه لبياعوه، فأمسكت يدي، ورأيت أنّي أحقّ بمقام محمد في الناس ممّن تولّى الأمر من بعده»^(٢).

بعدهما خرج عليّ كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله ﷺ على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنّ زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول عليّ كرم الله وجهه: «أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم»^(٣).

بعد قوله ﷺ: «أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنّه ليعلم أنّ محليّ منها محلّ القطب من الرحنى، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليّ الطير، فسدت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتقي بين أن أصول بيدٍ جدّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلتقي ربّه،

(١) الإمامة والسياسة: ١٢/٨ [١٩/١]، شرح ابن أبي الحديد: ٥/٢ [١٢/٦ خطبة ٦٦]. (المؤلف)

(٢) الإمامة والسياسة: ١٢٠/٨ [١٣٣/٨]. (المؤلف)

(٣) الإمامة والسياسة: ١٢/٨ [١٩/١]، شرح ابن أبي الحديد: ١٣١/٨، ٥/٢ [٤٧/٢] خطبة ٢٦ و

١٣/٦ [خطبة ٦٦]. (المؤلف)

فرايت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى
تراثي نهياً، حتى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده.
ثمّ تمثّل بقول الأعشى:

شَتَان ما يومي على كورها ويوم حَيان أخي جابر

فيا عجباً! [بيننا هو] ^(١) يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدّما
تشطّراً ضرعيها، فصيرها في حوزة خُشناء يغلظ كلمها، ويخشن مسّها، ويكثر
العتار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس
لها تقحّم، فثني الناس - لعمر الله - بجنب وشماس، وتلوّن واعتراض، فصبرت على
طول المدّة، وشدّة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم فيا لله
وللسورى، متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر،
لكنيّ أسففت إذا سفوا، وطرت إذا طاروا، فصفا رجلٌ منهم لضغنه، ومال الآخر
لصهره مع هنٍ وهنٍ، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً / حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام
معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكت قتله، وأجهز
عليه عمله، وكبت به بطنته». الحديث.

٨٢/٧

كلمتنا حول هذه الخطبة:

هذه الخطبة تسمّى بالشقشقيّة، وقد كثر الكلام حولها فأثبتها مهرة الفنّ من
الفريقين ورأوها من خطب مولانا أمير المؤمنين الثابتة التي لا مغمز فيها، فلا يُسمع
إذن قول الجاهل بأنّها من كلام الشريف الرضي، وقد رواها غير واحد في القرون
الأولى قبل أن تنعقد للرضي نطفته، كما جاءت بإسناد معاصريه والمتأخّرين عنه من
غير طريقه، وإليك أمّة من أولئك:

(١) الزيادة من نهج البلاغة، خطبة رقم (٣).

١ - المحافظ يحيى بن عبد الحميد الحماني: المتوفى (٢٢٨)، كما في طريق الجلودي في العلل^(١) والمعاني^(٢).

٢ - أبو جعفر دعبل الخزاعي: المتوفى (٢٤٦)، رواها بإسناده عن ابن عباس كما في أمالي شيخ الطائفة^(٣) (ص ٢٣٧)، ورواها عنه أخوه أبو الحسن عليّ.

٣ - أبو جعفر أحمد بن محمد البرقي: المتوفى (٢٧٤، ٢٨٠)، كما في علل الشرائع^(٤).

٤ - أبو علي الجبائي شيخ المعتزلة: المتوفى (٣٠٣)، كما في الفرقة الناجية للشيخ إبراهيم القطيفي، والبحار للعلامة المجلسي^(٥) (١٦١/٨).

٥ - وجدت بخطّ قديم عليه كتابة الوزير أبي الحسن عليّ بن الفرات: المتوفى (٣١٢)، كما في شرح ابن ميثم^(٦).

٦ - أبو القاسم البلخي أحد مشايخ المعتزلة: المتوفى (٣١٧)، كما في شرح ابن أبي الحديد^(٧) (٦٩/١).

٧ - أبو أحمد عبدالعزيز الجلودي البصري: المتوفى (٣٣٢)، كما في معاني الأخبار^(٨).

(١) علل الشرائع: ١٨٤/١ ح ١٣.

(٢) معاني الأخبار: ص ٣٦٠.

(٣) أمالي الطوسي: ص ٣٧٢ - ٣٧٤ ح ٨٠٣.

(٤) علل الشرائع: ١٨١/١ ح ١٢.

(٥) بحار الأنوار: ١٥٥/٨ - الطبعة الحجرية.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ٢٥٢/١ - ٢٥٣ خطبة ٣.

(٧) شرح نهج البلاغة: ٢٠٥/١ خطبة ٣.

(٨) معاني الأخبار: ص ٣٦٠.

٨ - أبو جعفر ابن قبة تلميذ أبي القاسم البلخي المذكور، رواها في كتابه الإنصاف كما في شرح ابن أبي الحديد^(١) (٦٩/١)، وشرح ابن ميثم^(٢).

٩ - المحافظ سليمان بن أحمد الطبراني: المتوفى (٣٦٠)، كما في طريق القطب الراوندي في شرح النهج^(٣).

١٠ - أبو جعفر ابن بابويه القمي: المتوفى (٣٨١)، في كتابيه: علل الشرائع^(٤) ومعاني الأخبار^(٥).

١١ - أبو أحمد الحسن بن عبدالله العسكري: المتوفى (٣٨٢)، حكى عنه شيخنا الصدوق شرح الخطبة في معاني الأخبار^(٦) والعلل^(٧).

لفت نظر:

عدّه السيد العلامة الشهرستاني في ما هو نهج البلاغة (ص ٢٢) ممن روى الشقشقية فأرخ وفاته بسنة (٣٩٥)، وذكره في (ص ٢٣) فقال: من أبناء القرن الثالث. لا يتم هذا ولا يصح ذلك، وقد خفي عليه أن الحسن بن عبدالله العسكري راوي الشقشقية هو أبو أحمد صاحب كتاب الزواجر وقد توفي سنة (٣٨٢) وواد (٢٩٣)، وحسبه أبا هلال الحسن بن عبدالله العسكري صاحب كتاب الأوائل تلميذ أبي أحمد العسكري، والتاريخ الذي ذكره تاريخ فراغه من كتابه الأوائل لا تاريخ وفاته. توجد

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٠٦/١ خطبة ٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ٢٥٢/١ خطبة ٣.

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٣٢/١.

(٤) علل الشرائع: ١٨١/١ ح ١٢.

(٥) معاني الأخبار: ص ٣٦٠.

(٦) المصدر السابق: ص ٣٦٢.

(٧) علل الشرائع: ١٨٢/١ ح ١٢.

ترجمة كلا الحسين العسكريين في معجم الأدباء (٢٣٣/٨ - ٢٦٨)، وبغية الوعاة^(١):
(ص ٢٢١).

١٢ - أبو عبدالله المفيد: المتوفى (٤١٢)، أستاذ الشريف الرضي رواها في كتابه
الإرشاد^(٢) (ص ١٣٥).

١٣ - القاضي عبد الجبار المعتزلي: المتوفى (٤١٥)، ذكر في كتابه المغني^(٣) تأويل
بعض جمل الخطبة ومنع دلالتها على الطعن في خلافة من تقدم على أمير المؤمنين من
دون أي إيعاز إلى الغمز في إسنادها.

١٤ - المحافظ أبو بكر بن مردويه: المتوفى (٤١٦)، كما في طريق الراوندي في
شرح النهج^(٤).

١٥ - الوزير أبو سعيد الآبي: المتوفى (٤٢٢)، في كتابه نثر الدرر ونزهة
الأدب^(٥).

١٦ - الشريف المرتضى أخو الشريف الرضي الأكبر: توفي سنة (٤٣٦)، ذكر
جملة منها في الشافي^(٦) (ص ٢٠٣) فقال: مشهور. وذكر صدرها في (ص ٢٠٤) فقال:
معروف.

١٧ - شيخ الطائفة الطوسي: المتوفى (٤٦٠)، رواها في أماليه^(٧) (ص ٣٢٧) عن

(١) بغية الوعاة: ٥٠٦/١ رقم ١٠٤٥، ١٠٤٦.

(٢) الإرشاد: ص ١٥٢.

(٣) المغني: ص ٢٩٥.

(٤) منهاج البراعة: ١٣٢/١.

(٥) نثر الدرر ونزهة الأدب: ص ٩٩.

(٦) الشافي في الإمامة: ٢٢٤/٣، ٢٢٨.

(٧) أمالي الطوسي: ص ٣٧٢ - ٣٧٤ ح ٨٠٣.

السيد أبي الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفّار المترجم في مستدرک العلامة النوري (٥٠٩/٣) من طريق الخزاعيين، وفي تلخيص الشافعي^(١).

١٨ - أبو الفضل الميداني: المتوفى (٥١٨)، في مجمع الأمثال^(٢) (ص ٣٨٣) قال:

٨٤/٧ و / لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام خطبة تعرف بالشقشقية، لأن ابن عباس رضي الله عنه قال له حين قطع كلامه: يا أمير المؤمنين لو أطردت مقاتلتك من حيث أفضيت. فقال: هيات يابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قررت.

١٩ - أبو محمد عبدالله بن أحمد البغدادي الشهير بابن الخشاب: المتوفى (٥٦٧)،

قرأها عليه أبو الخير مصدق الواسطي النحوي، وسيوافيك بعيد هذا كلامه فيها.

٢٠ - أبو الحسين^(٣) قطب الدين الراوندي: المتوفى (٥٧٣)، رواها في شرح

نهج البلاغة^(٤) من طريق الحافظين: ابن مردويه والطبراني وقال: أقول: وجدتها في موضعين تاريخها قبل مولد الرضي بمدة، أحدهما: أنها مضمنة كتاب الإنصاف لأبي جعفر ابن قبة تلميذ أبي القاسم البلخي أحد شيوخ المعتزلة وكانت وفاته قبل مولد الرضي. الثاني: وجدتها بنسخة عليها خط الوزير أبي الحسن عليّ بن محمد بن الفرات وكان وزير المقتدر بالله، وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة، والذي يغلب على ظني أن تلك النسخة كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدة.

٢١ - أبو منصور الطبرسي أحد مشايخ ابن شهر آشوب: المتوفى (٥٨٨) في

كتابه الاحتجاج^(٥) (ص ٩٥) فقال: روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عباس.

(١) تلخيص الشافعي: ٥٣/٣.

(٢) مجمع الأمثال: ١٧٠/٢ رقم ١٩٨٧.

(٣) في الأصل أبو الحسن، وصوّبناه من ترجمته التي عقدها له المؤلف رضي الله عنه في ٦٠٠/٥، ومما ذكره في ٢٥٧/٤، ومن غير واحد من المصادر.

(٤) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١١٨/١، ١٣٥.

(٥) الاحتجاج: ٤٥١/١ ح ١٠٥.

٢٢ - أبو الخير مصدق بن شبيب الصلحي النحوي : المتوفى (٦٠٥) ، قرأها عليّ أبي محمد ابن الخشاب وقال : لما قرأت هذه الخطبة عليّ شيخي أبي محمد ابن الخشاب ووصلت إلى قول ابن عباس : ما أسفت عليّ شيء قط كآسفي عليّ هذا الكلام . قال : لو كنت حاضراً لقلت لابن عباس : وهل ترك ابن عمك في نفسه شيئاً لم يقله في هذه الخطبة ؟ فإنه ما ترك لا الأولين ولا الآخرين . قال مصدق : وكانت فيه دعاية ، فقلت له : يا سيدي فلعلها منحولة إليه . فقال : لا والله إنني أعرف أنها من كلامه كما أعرف أنك مصدق . قال فقلت : إن الناس ينسبونها إلى الشريف الرضي . فقال : لا والله ، ومن أين للرضي هذا الكلام وهذا الأسلوب ، فقد رأينا كلامه في نظمه ونثره لا يقرب من هذا الكلام ولا ينتظم في سلكه ، ثم قال : والله لقد وقفت عليّ هذه الخطبة في كتب صنفت قبل أن يخلق الرضي بمئتي سنة ، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يُخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي . راجع / شرح ابن ميثم ^(١) . وشرح ابن أبي الحديد ^(٢) (٦٩/١) .

٨٥/٧

٢٣ - مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري المتوفى (٦٠٦) ، أوعز إليها في كلمة شقشوق في النهاية ^(٣) (٢٤٩/٢) فقال : ومنه حديث عليّ في خطبة له : تلك شقشقة هدرت ثم قرّت .

٢٤ - أبو المظفر سبط ابن الجوزي : المتوفى (٦٥٤) في تذكرته ^(٤) (ص ٧٣) من طريق شيخه أبي القاسم النفيس الأنباري بإسناده عن ابن عباس فقال : تُعرف بالشقشقية ، ذكر بعضها صاحب نهج البلاغة وأخلّ ببعض وقد أتيت بها مستوفاة . ثم ذكرها مع اختلاف ألفاظها .

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم : ٢٥٢/١ خطبة ٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ٢٠٥/١ خطبة ٣ .

(٣) النهاية في غريب الحديث : ٤٩٠/٢ .

(٤) تذكرة الخواص : ص ١٢٤ .

٢٥ - عزّ الدين ابن أبي الحديد المعتزلي: المتوفى (٦٥٥) قال في شرح النهج^(١) (٦٩/١): قلت: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة. ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر ابن قبة أحد متكلمي الإمامية وهو الكتاب المشهور بكتاب الإنصاف، وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله تعالى ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله تعالى موجوداً.

٢٦ - كمال الدين بن ميثم البحراني: المتوفى (٦٧٩)، حكاه عن نسخة قديمة عليها خط الوزير علي بن الفرات: المتوفى (٣١٢)، وعن كتاب الإنصاف لابن قبة، وذكر كلمة ابن الخشاب المذكورة وقراءة أبي الخير إياها عليه.

٢٧ - أبو الفضل جمال الدين بن منظور الإفريقي المصري: المتوفى (٧١١) قال في مادة: شقشق من كتابه لسان العرب^(٢) (٥٣/١٢): وفي حديث علي رضوان الله عليه في خطبة له: تلك شقشقة هدرت ثم قرّت.

٢٨ - مجد الدين الفيروزآبادي: المتوفى (٨١٦، ٨١٧) أوعز إليها في القاموس^(٣) (٢٥١/٣) قال: والخطبة الشقشقية العلوية لقوله لابن عباس لما قال له: لو اطردت مقالاتك من حيث أفضيت، يابن عباس هيات تلك شقشقة هدرت ثم قرّت.

ثمّ ما عساني أن أقول بعدما يعرّب شاعر النيل^(٤) اليوم، ويؤجج النيران الخامدة / ويجددّ لكم الجنايات المنسيّة - لاها الله لا تُنسى مع الأبد - ويعدّها ثناء على

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٠٥/١ - ٢٠٦ خطبة ٣.

(٢) لسان العرب: ١٦٨/٧.

(٣) القاموس المحيط: ص ١١٦٠.

(٤) محمد حافظ إبراهيم: المتوفى سنة: ١٩٣٣ م / ١٣٥١ هـ. (المؤلف)

السلف، ويرفع عقيرته بعد مضي قرون على تلکم المعرّات، ويتبّهج ويتبجّح بقوله في القصيدة العمرية تحت عنوان: عمر وعلي:

وقولةٍ لعليٍّ قالها عُمرُ أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرّقتُ دارك لا أبقى عليك بها إن لم تبايع وبنّت المصطفى فيها
ما كان غيرُ أبي حفصٍ يفوهُ بها أمامَ فارسِ عدنانٍ وحامياها

ماذا أقول بعد ما تحتفل الأمة المصرية في حفلة جامعة في أوائل سنة (١٩١٨) بإنشاد هذه القصيدة العمرية التي تتضمّن ما ذكر من الأبيات؟ وتشرها الجرائد في أرجاء العالم، ويأتي رجال مصر نظراء أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري^(١)، وعلي الجارم، وعلي أمين^(٢)، وخليل مطران^(٣)، ومصطفى الدمياطي بك^(٤) وغيرهم^(٥) ويعتنون بنشر ديوان هذا شعره، وبتقدير شاعر هذا شعوره، ويخدشون العواطف في هذه الأزمة، في هذا اليوم العصيب، ويعكّرون بهذه النعرات الطائفيّة صفو السلام والوئام في جامعة الإسلام، ويشتّون بها شمل المسلمين، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا.

وتراهم يجددون طبع ديوان الشاعر وقصيدته العمرية خاصّة مرّة بعد أخرى، ويعلق عليها شارحها الدمياطي قوله في البيت الثاني: المراد أنّ عليّاً لا يعصمه من

(١) ضبط وصحّح وشرح هؤلاء الثلاثة الديوان طبعة سنة ١٩٢٧م بدار الكتب في جزأين والأبيات المذكورة توجد فيها: ٨٢/١. (المؤلف)

(٢) هما ومعها ثالث التزموا تصحيح الديوان في طبعة أخرى. (المؤلف)

(٣) له مقدّمة لديوان حافظ في طبعة مكتبة الهلال سنة ١٩٣٥م / ١٣٥٣هـ والأبيات فيها: ص ١٨٤، غير أنّ الشطر الثاني من البيت الثاني محرف به: إن لم تبالغ وبنّت المصطفى فيها. (المؤلف)

(٤) شارح القصيدة العمرية طبع بمطبعة السعادة في مصر في ٩٠ صفحة. توجد الأبيات فيه مشروحة: ص ٢٨. (المؤلف)

(٥) في عدّة طبعات أخرى. (المؤلف)

عمر سكنى بنت المصطفى في هذه الدار .

وقال في (ص ٣٩) من الشرح: وفي رواية لابن جرير الطبري قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن زياد بن كليب قال: أتى عمر بن الخطاب منزل علي وبه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: والله لأحرقنَّ عليكم أو لتخرجنَّ إلى البيعة، فخرج عليه / الزبير مصلتاً بالسيف فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه. فإن كان زياد هذا هو الحنظلي أبو معشر الكوفي فهو موثق. والظاهر أن حافظاً رحمه الله عوّل على هذه الرواية. انتهى.

وتراهم بالغوا في الشناء على الشاعر وقصيدته هذه كأنه جاء للأمة بعلم جم، أو رأي صالح جديد، أو أتى لعمر بفضيلة زاوية تسرُّ بها الأمة ونبيها المقدس، فبشرى بل بشريان للنبي الأعظم بأن بضعته الصديقة لم تكن لها أي حرمة وكرامة عند من يلهج بهذا القول، ولم يكن سكنها في دار طهر الله أهلها يعصمهم منه ومن حرق الدار عليهم. فزه زه بانتخاب هذا شأنه، وبخ بخ بيعة تمت بذلك الإرهاب، وقضت بتلك الوصيات.

لا تهمننا هذه كلها وإنما يهمننا الساعة - بعد أن درسنا تاريخ حياة الخليفة الأول فوجدناه لذة غيره من الناس العاديين في نفسياته قبل إسلامه وبعده، وإنما سنمه عرش الخلافة الانتخاب فحسب - البحث في موضوعين، ألا وهما: فضائله الماثورة وملكاته النفسية.

- ١ -

فضائله الماثورة

هل صحَّ عن النبي الأعظم ﷺ فيه حديث فضيلة؟ وهل صحيح ما رووه فيه من الشناء الكثير الحافل؟ نحن ها هنا نقف موقف المستشفِّ للحقيقة، ولا ننسب

في القضاء بينت شفة، غير ما نقله عن أئمة فن الحديث المميزين بين صحيحه وسقيمه. ثم نردفه بالاعتبار الذي يساعده.

قال الفيروزآبادي في خاتمة كتابه سفر السعادة^(١) المطبوع: خاتمة الكتاب في الإشارة إلى أبواب روي فيها أحاديث وليس منها شيء صحيح، ولم يثبت منها عند جهازة علماء الحديث شيء. ثم عدَّ أبواباً إلى أن قال^(٢):

باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. أشهر المشهورات من الموضوعات أن الله يتجلَّى للناس عامة ولأبي بكر خاصة. وحديث: ما صبَّ الله في صدري شيئاً / إلا وصبَّه في صدر أبي بكر. وحديث: كان صلى الله عليه وسلم إذا اشتاق الجنة قبل شبيهة أبي بكر. وحديث: أنا وأبو بكر كفرسي رهان. وحديث: إن الله لما اختار الأرواح اختار روح أبي بكر. وأمثال هذا من المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل. انتهى.

٨٨/٧

وعدَّ العجلوني في كتابه كشف الحفاء (ص ٤١٩ / ٢ - ٤٢٤) مئة باب من أبواب الفقه وغيره فقال: لم يصحَّ فيه حديث. أو: ليس فيه حديث صحيح. وما يقاربهما وقال في (ص ٤١٩): باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه أشهر المشهورات من الموضوعات كحديث: إن الله يتجلَّى للناس عامة ولأبي بكر خاصة. إلى آخر عبارة الفيروزآبادي المذكورة.

وذكر السيوطي في اللآلئ المصنوعة (١ / ٢٨٦ - ٣٠٢) ثلاثين حديثاً من أشهر فضائل أبي بكر مما أتخذها المؤلفون في القرون الأخيرة من التسالم عليه، وأرسلوه إرسال المسلم بلا أيِّ سند أو أيِّ مبالاة وزيفها وحكم فيها بالوضع وذكر رأي الحفاظ فيها.

(١) سفر السعادة: ٢٠٧/٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٢١١.

كان السيوطي يهملج وراء القوم فبهظه أن لا يستصح حتى حديثاً واحداً من تلكم الثلاثين فقال في (ص ٢٩٦) فيما عزا إليه عليه السلام من قوله: عُرج بي إلى السماء فما مررت بسماء إلا وجدت فيها مكتوباً: محمد رسول الله، أبو بكر الصديق من خلفي بعدما حكم عليه بالوضع لمكان عبدالله بن إبراهيم الغفاري^(١) الوضاع. ومكان شيخه عبدالرحمن بن زيد المتفق على ضعفه بنص من عليهما بذلك ما لفظه:

قلت: الذي أستخير الله فيه الحكم على هذا الحديث بالحسن لا بالوضع ولا بالضعف لكثرة شواهد. ثم ذكر شواهد عن طرق لا يصح شيء منها، وفي كل واحد منها وضاع أو كذاب، أو من اتفق على ضعفه، أو مجهول لا يُعرف يروي عن مجهول مثله، وقد عزب عنه أن الاستخارة لا تقلب الشر خيراً، ولا يعيد السقيم صحيحاً ولا المنكر معروفاً.

وراحت إلى العطار تبغي شباهاً فهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

والله سبحانه لا يجازف في إساءة الخير، والشواهد المكذوبة لا تقوي الضعف

مع / نص الحفظ على كل واحد منها بالوضع أو الضعف، وإليك بيان طرق تلك الشواهد.

١ - طريق الخطيب البغدادي، مرّ في الجزء الخامس (ص ٢٠٣، ٢٢٥) الطبعة الثانية.

٢ - طريق البرّار في مسنده وفيه عبدالله بن إبراهيم الغفاري الوضاع، وشيخه عبدالرحمن بن زيد المتفق على ضعفه كما في تهذيب التهذيب^(٢) (٦ / ١٧٨)، واللالئ المصنوعة (١ / ٢٩٦).

(١) راجع الجزء الخامس من هذا الكتاب: ص ٣٠٣. (المؤلف)

(٢) تهذيب التهذيب: ١٦١/٦.

٣ - طريق ابن شاهين في السنّة وهو طريق الخطيب البغدادي وحديثه، وقد حكم الذهبي^(١) وابن حجر^(٢) ببطلانه كما مرّ في الجزء الخامس.

٤ - طريق الدارقطني في الأفراد، قال السيوطي في اللآلئ (٢٩٧/١) بعد ذكره: قال الدارقطني: تفرّد به محمد بن فضيل عن ابن جريج لا أعلم أحداً حدّث به غير هذين. وأورده المؤلف في الواهيات من طريق السري وقال: لا يصحّ. قال ابن حبان^(٣): لا يحلّ الاحتجاج بالسري بن عاصم.

قال الأميني: السري بن عاصم راوي الحديث أحد الكذّابين مرّت ترجمته في الجزء الخامس (ص ٢٣١)، وللدارقطني^(٤) طريق آخر وفيه عمر بن إسماعيل بن مجالد أحد الكذّابين^(٥) وبهذا الطريق ذكره السيوطي في اللآلئ (٢٠٩ /١) فقال: لا يصحّ، آفته عمر كذاب.

٥ - طريق الديلمي في مستند الفردوس، فيه بعد رجال مجاهيل عبد المنعم بن بشير أبو الخير الكذاب الوضّاع الذي له مائتا حديث كذب^(٦)، وعبدالرحمن بن زيد ابن أسلم المجمع على ضعفه كما مرّ.

٦ - طريق الختلي في ديباجه عن نصر بن حريش^(٧) عن أبي سهل مسلم الخراساني عن عبدالله بن إسماعيل عن الحسن البصري قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) ميزان الاعتدال: ٦٠٩/٣ رقم ٧٨٠٩.

(٢) تهذيب التهذيب: ١٢١/٥.

(٣) كتاب المجرّحين: ٣٥٦/١.

(٤) الضعفاء والمتروكون: ص ٢٩٣ رقم ٣٧١.

(٥) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا: ص ٢٤٦. (المؤلف)

(٦) راجع الجزء الخامس من الكتاب: ص ٢٤١. (المؤلف)

(٧) في اللآلئ [٢٩٨/١]: جريش، والصحيح ما ذكرناه. (المؤلف)

مكتوب على ساق العرش: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، محمد رسول الله،
ووزيره أبو بكر الصديق وعمر الفاروق.

٩٠/٧ قال الدارقطني كما في تاريخ بغداد (٢٨٦/١٣): هذا إسناد ضعيف لا يثبت،
أبو سهل ونصر بن حريش ضعيفان. وقال العقيلي^(١) كما في لسان الميزان^(٢) (٢٦/٣):
عبدالله بن إسماعيل منكر الحديث لا يتابع على شيء من حديثه. والحديث مع هذا
مرسل والحسن البصري لا يروي عن رسول الله ولم يدركه وللخطيب طريق بهذا
اللفظ ليست فيه كلمة: ساق، ووزيره. وفي إسناده أحمد بن رجاء بن عبدة، قال
الخطيب في تاريخه (١٥٨/٤): مجهول.

٧ - طريق ابن عساكر فيه عبدالعزیز الکتاني، لئنه الذهبي^(٣) كما في
لسان الميزان^(٤) (٣٣/٤)، وفيه الحارث بن زياد الحاربي، قال الذهبي^(٥) وغيره:
ضعيف مجهول كما في اللسان^(٦) (١٤٩/٢)، وفيه من لا يُعرف ولا توجد له ترجمة في
المعاجم.

ولا بن عساكر^(٧) طريق آخر بالإسناد عن محمد بن عبد بن عامر المعروف
بوضع الحديث^(٨) عن عصام بن يوسف ضعفه ابن سعد، وخطأه ابن حبان^(٩)، وقال

(١) الضعفاء الكبير: ٢٣٤/٢ رقم ٧٨٤.

(٢) لسان الميزان: ٣٢٥/٣ رقم ٤٤٩٣.

(٣) ميزان الاعتدال: ٦٣٠/٢ رقم ٥١١١.

(٤) لسان الميزان: ٤٠/٤ رقم ٥١٩٤. وثقه بالكتاني.

(٥) ميزان الاعتدال: ٤٣٣/١ رقم ١٦١٨.

(٦) لسان الميزان: ١٩٠/٢ رقم ٢١٨٥.

(٧) تاريخ مدينة دمشق: ٢٠٤/٣٠ رقم ٣٣٩٧.

(٨) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا: ص ٢٥٩ الطبعة الثانية. (المؤلف)

(٩) التتقات: ٥٢١/٨.

ابن عدي^(١) : روى أحاديث لا يُتابع عليها . كما في لسان الميزان^(٢) (١٦٨/٤) .

ويرشدك إلى صحة قول الفيروزآبادي والعجلوني ما أوضحناه في الجزء الخامس (ص ٢٩٧ - ٣٣٢) من تفنيد مئة منقبة مكذوبة على رسول الله ﷺ مختلفة لأبي بكر ولزبائنه بحكم الأئمة والحفاظ . وكذا ما زيفناه من خمس وأربعين رواية موضوعة في الخلافة في صفحة (٣٣٣ - ٣٥٦) كل ذلك بقضاء من رجالات الفن نظراء : ابن عدي ، الطبراني ، ابن حبان ، النسائي ، الحاكم ، الدارقطني ، العقيلي ، ابن المديني ، أبو عمر ، الجوزقاني ، المحب الطبري ، الخطيب البغدادي ، ابن الجوزي ، أبو زرعة ، ابن عساكر ، الفيروزآبادي ، إسحاق الحنظلي ، ابن كثير ، ابن القيم ، الذهبي ، ابن تيمية ، ابن أبي الحديد ، ابن حجر الهيثمي ، ابن حجر العسقلاني ، الحافظ المقدسي ، السيوطي ، الصغاني ، الملا علي القاري ، العجلوني ، ابن درويش الحوت ، وغيرهم .

ويشهد لبطان تلکم الروایات الجمّة في فضائل الخليفة الأول خلوة الصحاح الستة والسنن والمسانيد القديمة منها ، فلو كان مؤلفوها يجدون على شيء منها مسحة من الصحة بل لو كانوا واقفين عليها ولو على واحدة منها لما أجمعوا على تركها فيرويا متحرّو الزوايا ، وتباشة الدفائن ، فيبرزونها إلى الملا من تحت غبار الهجر ، أو وراء نسج عناكب النسيان ، فيرشدنا ذلك إلى أن مواليده هذه الروايات متأخر تاريخها عن عهد أرباب الصحاح وحسبها ذلك مهانة وضعة . كما أن ما في الصحاح من النزر اليسير ولائد متأخرة عن عهد النبي الأعظم ﷺ .

٩١/٧

على أن الخليفة نفسه لو كان على ثقة من صدور شيء من تلکم الأحاديث ولو يسيراً منها من قائلها ﷺ لما كان يرى مثل أبي عبيدة الجراح حفار القبور أولى

(١) الكامل في ضعفاء الرجال : ٣٧١/٥ رقم ١٥٣٤ .

(٢) لسان الميزان : ١٩٤/٤ رقم ٥٦١٩ .

منه بالخلافة، ولما قدّمه على نفسه، ولما ترك الاحتجاج بها يوم كانت حاجته إليه ميسرة، ويوم كان الحوار في أمر الخلافة قائماً على قدمٍ وساق، وطفق كلُّ ذي فضل يُدلي بحججه، وقد احتدم الجدال حتى كاد أن يكون جلاداً، واستحزَّ الحجاج حتى عاد لجأجأ، لكن الرجل لم يكن عنده حجة ولا لزبانيته إلا أنه صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار، وأنه أكبر القوم سنّاً - وكان أبوه أكبر منه لا محالة - وقد اختارته الجماعة وانعدت له البيعة بعد هوس وهياج ركوناً إلى أمثال هذه مما لا تثبت بها حجة، ولا يخضع لها ذو مسكة، ولا يصلح بها شأن الأمة، ولا يجمع بها شمل، ولا يتمُّ بها الأمر.

نعم؛ روي عن أبي بكر أنه ذكر في الحجاج له أشياء حذفها الرواة ولم يذكروا منها إلا أنه أول من أسلم. أو: أول من صلى. عن أبي سعيد الخدري قال: قال أبو بكر: أأست أحقَّ الناس بها؟ أأست أول من أسلم؟ أأست صاحب كذا؟ أأست صاحب كذا؟^(١)

وعن أبي نضرة^(٢) قال: لما أبطأ الناس عن أبي بكر قال: من أحقَّ بهذا الأمر مني؟ أأست أول من صلى؟ أأست؟ أأست؟ أأست؟ فذكر خصالاً فعلها مع النبي ﷺ^(٣).

(١) أخرجه الترمذي [في السنن : ٥٧١/٥ رقم ٣٦٦٧]، والبرزاري، وابن حبان [في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ٢٧٩/١٥ ح ٦٨٦٣]، وأبو نُعيم في المعرفة [معرفة الصحابة: ١٥٩/١]، وابن مندة في غرائب شعبة، وسعيد بن منصور، وأبو داود كذا في كنز العمال: ١٢٥/٣ [٥٨٥/٥ ح ١٤٠٤١]، وذكره ابن الأثير في أسد الغابة: ٢٠٩/٣ [٣١٤/٣ رقم ٣٠٦٤]، وابن كثير في تاريخه: ٢٧/٣ [٣٧/٣]. (المؤلف)

(٢) في كنز العمال: أبي بصرة.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى طبع ليدن: ١٢٩/٣ [١٨٢/٣]، وخيشمة الطرابلسي في فضائل الصحابة كذا في كنز العمال: ١٢٦/٣ [٥٩٠/٥ ح ١٤٠٥١]. (المؤلف)

ونحن لا نعرف شيئاً مما حذفوه من فضائله المزعومة أو اختلقوا نسبته إليه إذ من الممكن - بل المحقق - أنه لم يقل شيئاً، وإنما اصطنعوا له هذه الصورة لإيهام أنه كانت له يوم ذاك فضائل مسلمة، لكن نعطف النظرة على المذكور من تلك المناقب وهو كون الخليفة أول من أسلم. أو: أول من صلى، ولم يكن كذلك. والقول به يخالف رأي النبي الأعظم ونصوص الصحابة، وقد فصلنا القول فيه في الجزء الثالث (ص ٢١٩ - ٢٤٣) وذكرنا مئة نص عن النبي الأقدس وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما، وعن الصحابة الأولين والتابعين لهم بإحسان على أن أول من أسلم وأول من صلى من ذكر هو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام. وأوضحنا هنالك أن أبا بكر ليس أول من أسلم. أو: صلى. بل في صحيحة الطبري^(١): أنه أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً، فراجع.

ولو كانت الصحابة الأولون يعرفون شيئاً من تلك الموضوعات الجمّة لما تركوا الاحتجاج به يوم ذاك في إخضاع الناس بدلاً عن إشفاق الدعوة بالإرهاب والترعيد، ولما اقتصر عمر بن الخطاب يوم السقيفة بقوله: من له مثل هذه الثلاث: ثاني اثنين إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه لا تحزن، إن الله معنا.

وبقوله: إن أولى الناس بأمر نبي الله ثاني اثنين إذ هما في الغار، وأبو بكر السباق المسن.

وبقوله يوم بيعة العامة: إن أبا بكر صاحب رسول الله، وثاني اثنين إذ هما في الغار^(٢).

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٣١٦/٢.

(٢) سيرة ابن هشام: ٣٤٠/٤ [٣١١/٤]، الرياض النضرة: ١٦٦، ١٦٢/١ [٢٠٣/٢، ٢٠٦]، تاريخ

ابن كثير: ٢٤٨، ٢٤٧/٥ [٢٦٧/٥، ٢٦٨ حوادث سنة ١١هـ]، شرح ابن أبي الحديد: ١٦/٢

[٣٨/٦ خطبة ٦٦]، السيرة الحلبية ٣٨٨/٣ [٣٥٩/٣]. (المؤلف)

ولما قال سلمان للصحابة: أصبتم ذا السن منكم ولكنكم أخطأتم أهل بيت نبيكم^(١).

ولما اكتفى عثمان بن عفان في الدعوة إلى أبي بكر بقوله: إن أبا بكر الصديق أحق الناس بها، إنه لصديق وثاني اثنين وصاحب رسول الله ﷺ^(٢).

٩٣/٧ ولما فاه المغيرة بن شعبه بمقاله لأبي بكر وعمر: تلقوا العباس فتجعلوا له في هذا الأمر نصيباً، فيكون له ولعقبه، فتقطعوا به من ناحية عليّ ويكون لكم حجة عند الناس على عليّ إذا مال معكم العباس.

ولما دخل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة على العباس ليلاً، ولما قال أبو بكر له: لقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك إذ كنت عمّ رسول الله ﷺ^(٣).

ولما تمّ الأمر له ببيعة اثنين فحسب: عمر وأبي عبيدة. أو: ببيعة أربعة: هما مع أسيد وبشر. أو بخمسة: هم مع سالم مولى أبي حذيفة كما يأتي تفصيله^(٤).

ولما تخلف عن بيعته رؤوس المهاجرين والأنصار: عليّ وابناه السبطان، والعباس وبنوه في بني هاشم، وسعد بن عباد وولده وأسرته، والحباب بن المنذر وتابعوه، والزبير، وطلحة، وسلمان، وعمّار، وأبو ذرّ، والمقداد، وخالد بن سعيد، وسعد بن أبي وقاص، وعتبة بن أبي لهب، والبراء بن عازب، وأبيّ بن كعب،

(١) شرح ابن أبي الحديد: ١٣١/١، ١٧/٢ [٤٩/٢ خطبة ٢٦، ٤٣/٦ خطبة ٦٦]. (المؤلف)

(٢) أخرجه الأثيرالسي في فضائل الصحابة كما في كنز العمال: ١٤٠/٣ [٦٥٣/٥ رقم ١٤١٤٢].

(المؤلف)

(٣) الإمامة والسياسة: ١٥/١ [٢١/١]، تاريخ يعقوبي: ١٠٣/٢، ١٠٤ [١٢٤/٢ - ١٢٥]، شرح

ابن أبي الحديد: ١٣٢/١ [٥٢/٢ خطبة ٢٦]. (المؤلف)

(٤) أنظر: ص ١٩٣ من هذا الجزء.

وأبو سفيان بن حرب وغيرهم^(١).

ولما كان مجال لقول محمد بن إسحاق: كان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون أن علياً صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ. شرح ابن أبي الحديد^(٢) (٨/٢).

ولما قال عتبة بن أبي لهب يوم ذاك بطلاً من مدعي الفضائل:

| | |
|-----------------------------|--|
| ما كنت أحسب أن الأمر منصرف | عن هاشم ثم منها عن أبي حسن |
| عن أول الناس إيماناً وسابقة | وأعلم الناس بالقرآن والسنن |
| وآخر الناس عهداً بالنبى ومن | جبريل عون له في الغسل والكفن |
| من فيه ما فيهم لا يمترون به | وليس في القوم ما فيه من الحسن |
| ماذا الذي ردكم عنه فنعلمه | ها إن بيعتكم من أول الفتن ^(٣) |

ولما قال قصي يوم ذاك:

٩٤/٧

| | |
|-------------------------------|--|
| بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم | ولا سيما تيم بن مرة أو عدي |
| فا الأمر إلا فيكم وإليكم | وليس لها إلا أبو حسن علي |
| أبا حسن فاشدد بها كف حازم | فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي |
| وإن امرأ يرمي قصي وراءه | عزيز الحمى والناس من غالب قصي ^(٤) |

(١) تاريخ اليعقوبي: ١٠٣/٢ [١٢٤/٢]، الرياض التنصرة: ١٦٧/١ [٢٠٧/٢]، تاريخ أبي الفداء:

١٥٦/١، روض المناظر لابن شحنة [١٨٩/١ حوادث سنة ١١هـ] هامش الكامل: ١٦٤/٧،

شرح ابن أبي الحديد: ١٣٤/١ [٥٦/٢ خطبة ٢٦]. (المؤلف)

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢١/٦ خطبة ٦٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ١٠٣/٢ [١٢٤/٢]، رسائل الجاحظ: ص ٢٢، أسد الغابة: ٤-٤ [١٢٤/٤]

رقم [٣٧٨٣]، تاريخ أبي الفداء: ١٦٤/١، شرح ابن أبي الحديد: ٢٥٩/٣ [٢٣٢/١٣] خطبة

[٢٣٨]، الغدير: ٢٣٢/٣، تعزى هذه الأبيات إلى عدة شعراء، راجع المصادر المذكورة. (المؤلف)

(٤) تاريخ اليعقوبي: ١٠٥/٢ [١٢٦/٢]. (المؤلف)

- ٢ -

ملكاته ونفسيّاته

٩٥/٧ يهّمنا النظر إلى ملكات الخليفة وما انحنت عليه أضالعه من علوم أو نفسيّات حتى نعلم أنّها هل تجعل له صلة بفضيلة؟ أو تقرب مبرّاه من التأهل لهاتيك المرويّات؟ أو تعيّن له حدّاً يكون التفريط به إجحافاً به، وبخساً بحقّه، وتحطياً لمقامه؟ أو يعرف الغلوّ بالإفراط فيه؟

أمّا هو قبل الإسلام فلا نفيض عنه قولاً لأنّ الإسلام يجب ما قبله، فلا التفات إذن إلى ما جاء به عكرمة من قوله: كان أبو بكر رضي الله عنه يقامر أبي بن خلف وغيره من المشركين وذلك قبل أن يحرم القمار. ذكره الإمام الشعراني في كتابه كشف الغمّة (١٥٤/٢).

مركز تحقيقات كميّات علوم إسلاميّة

وقال الإمام أبو بكر الجصاص الرازي الحنفي المتوفى (٣٧٠) في أحكام القرآن^(١) (٣٨٨/١): لا خلاف بين أهل العلم في تحريم القمار وأنّ المخاطرة من القمار، قال ابن عباس: إنّ المخاطرة قمار، وإنّ أهل الجاهليّة كانوا يخاطرون على المال والزوجة وقد كان ذلك مباحاً إلى أن ورد تحريمه، وقد خاطر أبو بكر الصديق المشركين حين نزلت: الم غلبت الروم.

كما لا يلتفت إلى ما ذكره أبو بكر الإسكافي في الردّ على الرسالة العثمانيّة للجاحظ^(٢) من أنّ أبا بكر كان قبل إسلامه مذكوراً ورئيساً معروفاً، يجتمع إليه كثير من أهل مكة فينشدون الأشعار، ويتذاكرون الأخبار، ويشربون الخمر، وقد سمع

(١) أحكام القرآن: ٣٢٩/١.

(٢) رسائل الجاحظ: ص ٣٤ [ص ١٤٣ - الرسائل السياسيّة]، شرح ابن أبي الحديد: ٢٦٤/٣ [٢٤٩/١٣ خطبة ٢٢٨]. (المؤلف)

دلائل النبوة وحجج الرسالة ، وسافر إلى البلدان ، ووصلت إليه الأخبار .

وأخرج الفاكهي في كتاب مكة بإسناده عن أبي القموص ، قال : شرب أبو بكر الخمر في الجاهلية^(١) فأنشأ يقول :

تحَيِّي أُمَّ بَكْرٍ بِالسَّلَامِ وهل لي بعد قومك من سلامٍ

٩٦/٧

الآيات

فبلغ رسول الله ﷺ فقام يجرُّ إزاره حتى دخل ، فتلقاه عمر وكان مع أبي بكر ، فلما نظر إلى وجهه محمراً قال : نعوذ بالله من غضب رسول الله ﷺ ، والله لا يلج لنا رأساً أبداً ، فكان أول من حرّمها على نفسه .

وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول^(٢) (ص ٦٦) فقال : هو ممّا تنكره القلوب ، فكان الحكيم وجد الحديث دائراً سائراً في الألسن غير أنّه رأى القلوب تنكره .

وذكره ابن حجر في الإصابة (٢٢/٤) فقال : واعتمد نفظويه على هذه الرواية فقال : شرب أبو بكر الخمر قبل أن تُحرّم ورثي قتلى بدر من المشركين .

وحديث أبي القموص هذا أخرجه الطبري في تفسيره^(٣) (٢٠٣/٢) ، وفي طبعة (٢١١) عن ابن بشار^(٤) ، عن عبد الوهّاب^(٥) ، عن عوف^(٦) ، عن أبي القموص زيد

(١) هذه الكلمة دخيلة في الرواية ، وذيل الرواية يكذبها أيضاً ، وسنوقفك على التاريخ الصحيح .

(المؤلف)

(٢) نوادر الأصول : ١٥٧/١ الأصل ٤٤ .

(٣) جامع البيان : مج ٢/ج ٢/٣٦٢ .

(٤) الحافظ أبو بكر محمد بن بشار العبدي البصري ، من رجال الصحاح الستة . (المؤلف)

(٥) ابن عبد المجيد البصري ، من رجال الصحاح الستة . (المؤلف)

(٦) ابن أبي جميلة العبدي البصري ، من رجال الصحاح الستة . (المؤلف)

ابن علي^(١) قال: أنزل الله ﷺ في الخمر ثلاث مرّات، فأول ما أنزل قال الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾^(٢) قال: فشربها من المسلمين من شاء الله منهم على ذلك حتى شرب رجلان فدخلا في الصلاة فجعللا يهجران كلاماً لا يدري عوف ما هو، فأنزل الله ﷺ فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(٣) فشربها من شرابها منهم وجعلوا يتقونها عند الصلاة حتى شربها فيما زعم أبو القموص رجلٌ فجعل ينوح على قتلى بدر:

تحيي بالسلامة أم عمرو وهل لك بعد رهطك من سلام
ذريني أصطح بكرأ فإني رأيت الموت نقب عن هشام
وودّ بنو المغيرة لو فدوه بألفٍ من رجالٍ أو سوام
كأني بالطوي طوي بدر من الشيزي يكلل بالسنام
كأني بالطوي طوي بدر من الفتيان والحليل الكرام

٩٧/٧

قال: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاء فرعاً يجرّ رداءه من الفرع حتى انتهى إليه، فلما عاينه الرجل فرجع رسول الله ﷺ شيئاً كان بيده ليضربه قال: أعوذ بالله من غضب الله ورسوله، والله لا أطعمها أبداً فأنزل الله تحريمها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ﴾. إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^(٤). فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: انتهينا. انتهينا^(٥).

(١) ثقة كما في تهذيب التهذيب: ٤٢٠/٣ [٣٦٣/٣]. (المؤلف)

(٢) البقرة: ٢١٩.

(٣) النساء: ٤٣.

(٤) المائة: ٩٠ و ٩١.

(٥) لا يخفى على القارئ أنّ الطبري حرّف اسم أبي بكر وجعل مكانه: رجل. وحرّف كلمة: أم بكر، في الشعر وبدّلها بأم عمرو، صوناً للكرامة. (المؤلف)

وأخرج البزار عن أنس بن مالك قال: كنت ساقى القوم تيناً وزبيباً خلطناهما جميعاً، وكان في القوم رجلٌ يقال له: أبو بكر، فلما شرب قال:

أحسِّي أمُّ بكرٍ بالسلامِ وهل لك بعد قومك من سلامِ
يحدُّثنا الرسولُ بأنَّ سحتاً وكيف حياة أصلٍ أو هشامِ^(١)

فبينما نحن كذلك والقوم يشربون إذ دخل علينا رجلٌ من المسلمين فقال: ما تصنعون؟ إن الله تبارك وتعالى قد نزل تحريم الخمر. الحديث.

وقال ابن حجر في فتح الباري^(٢) (٣٠/١٠)، والعيني في عمدة القاري^(٣) (٨٤/١٠): من المستغربات ما أورده ابن مردويه في تفسيره من طريق عيسى بن طهمان^(٤) عن أنس: أن أبا بكر وعمر كانا فيهم، وهو منكر مع نظافة سنده، وما أظنه إلا غلطاً.

وقد أخرج أبو نعيم في الحلية^(٥) في ترجمة شعبة من حديث عائشة قالت: حرّم أبو بكر الخمر على نفسه فلم يشربها في جاهليّة ولا إسلام.

ويحتمل - إن كان محفوظاً - أن يكون أبو بكر وعمر زارا أبا طلحة في ذلك اليوم / ولم يشربا معهم^(٦). ثم وجدت عند البزار من وجه آخر عن أنس قال: كنت

(١) مجمع الزوائد: ٥١/٥. (المؤلف)

(٢) فتح الباري: ٣٧/١٠.

(٣) عمدة القاري: ١٦٨/٢١.

(٤) وثقه أحمد [في العلل ومعرفة الرجال: ٤٥٦/٣ رقم ٥٩٤٢]، وابن مَعِين [في التاريخ: ٣٣٣/٣

رقم ١٦٠٢]، وأبو حاتم [في الجرح والتعديل: ٢٨٠/٦ رقم ١٥٥٢]، ويعقوب بن سفيان [في

المعرفة والتاريخ: ٢٣٢/٣]، وأبو داود، والحاكم، والدارقطني، تهذيب التهذيب ٢١٦/٨

[١٩٣/٨]. (المؤلف)

(٥) حلية الأولياء: ١٦٠/٧.

(٦) هنا ينتهي كلام العيني والبقية كلمة ابن حجر فحسب. (المؤلف)

ساقى القوم وكان في القوم رجلٌ يقال له أبو بكر، فلما شرب قال:

تحيي بالسلامة أم بكر

فدخل علينا رجل من المسلمين فقال: قد نزل تحريم الخمر، الحديث، وأبو بكر هذا يقال له ابن شغوب؛ فظنَّ بعضهم أنَّه أبو بكر الصديق وليس كذلك، ولكن قرينة ذكر عمر تدلُّ على عدم الغلط في وصف الصديق فحصلنا تسمية عشرة، انتهى.

قال الأميني: ترى ابن حجر يتلعم في ذكر الحديث، فلا يدعه حبه للخليفة أن يقبله، ولا تخلية صحته أن يصفح عنه، فجاء يستغرب أولاً ثم يستنكره مع الحكم بنظافة سنده، ويظنه غلطاً تارةً ويراه محفوظاً أخرى، وبالأخير يأخذه صدق النبأ وصحته فيتخلص منه بالحكم بأن المذكور فيه هو أبو بكر الصديق بقرينة عمر، فيعدُّها من الأحد عشر الذين كانوا يشربون الخمر في دار أبي طلحة.

وابن حجر يعلم بأن ما أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة لا يقاوم هذا النبأ الثابت المروي بالطرق الصحيحة عن رجال الصحاح، ذكر أبو نعيم حديثه في الحلية (١٦٠/٧) من طريق عباد بن زياد الساجي عن ابن [أبي] عدي عن شعبة عن محمد بن عبدالرحمن أبي الرجال عن أمه عمرة عن عائشة. وقال: غريب من حديث شعبة لم نكتبه إلا من حديث عباد [عن] ابن [أبي] عدي. انتهى. وفيه:

عباد بن زياد الساجي، يتهم بالقدر. قال موسى بن هارون: تركت حديثه، وقال ابن عدي^(٣): هو من أهل الكوفة الغالين في التشيع له أحاديث مناكير في الفضائل. تهذيب التهذيب^(٤) (٢٩٤/٥).

(١) الزيادة من حلية الأولياء.

(٢) في الأصل: عباد بن أبي عدي. كذا وجدته المؤلف في الحلية، فنقله دون تصحيح.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال: ٣٤٨/٤ رقم ١١٨٢.

(٤) تهذيب التهذيب: ٨٢/٥.

وفيه: شعبة عن محمد بن عبدالرحمن أبي الرجال. قال الخطيب: هذا وهم شعبة لم يرو عن أبي الرجال شيئاً، وكذلك من قال فيه عن شعبة، عن محمد بن عبدالرحمن، عن أمه عمرة. تهذيب التهذيب^(١) (٢٩٥/٩).

وقال ابن حجر والعيبي: وقع عند عبدالرزاق عن معمر بن ثابت وقتادة وغيرهما / عن أنس: أن القوم كانوا أحد عشر رجلاً^(٢).

٩٩/٧

نادي الخمر هذا كان عام الفتح سنة ثمان من الهجرة بالمدينة المشرفة في دار أبي طلحة زيد بن سهل، وكانت السقاية لأنس كما في صحيح البخاري^(٣) كتاب التفسير في سورة المائدة في آية الخمر، وفي صحيح مسلم في كتاب الأشربة باب تحريم الخمر^(٤)، وقال السيوطي في الدر المنثور^(٥) (٣٢١/٢): أخرجه عبد بن حميد، وأبو يعلى^(٦)، وابن المنذر، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن أنس.

وأخرجه أحمد في المسند^(٧) (١٨١/٣، ٢٢٧)، والطبري في تفسيره^(٨) (٢٤/٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٨٦/٨، ٢٩٠) وابن كثير في تفسيره (٩٣/٢، ٩٤).

وكان عدّة الحضور في ذلك النادي كما مرّت عن معمر وقتادة أحد عشر رجلاً، ذكر منهم ابن حجر في فتح الباري (٣٠/١٠) عشرة أنفس، وقال كما مرّ

(١) تهذيب التهذيب: ٢٦٣/٩.

(٢) فتح الباري: ٣٠/١٠ [٣٧/١٠]، عمدة القاري: ٨٤/١٠ [١٦٨/٢١]. (المؤلف)

(٣) صحيح البخاري: ١٦٨٨/٤ ح ٤٣٤١.

(٤) صحيح مسلم: ٢٢٩/٤ - ٢٣١ ح ٣ - ٧.

(٥) الدر المنثور: ١٧٢/٣.

(٦) مسند أبي يعلى: ١٠١/٦ ح ٣٣٦٢.

(٧) مسند أحمد: ٢٥/٤ ح ١٢٤٥٨ و ١٠٢ ح ١٢٩٦٣.

(٨) جامع البيان: مج ٥/٧ ح ٣٧/٧.

(ص ٩٨): فحصلنا تسمية عشرة، وهم:

- ١ - أبو بكر بن أبي قحافة، وكان يوم ذلك ابن ثمان وخمسين سنة.
- ٢ - عمر بن الخطاب، وكان يوم ذلك ابن خمس وأربعين سنة.
- ٣ - أبو عبيدة الجراح، وكان ابن ثمان وأربعين سنة.
- ٤ - أبو طلحة زيد بن سهل صاحب النادي، وكان له أربع وأربعون سنة، قال ابن الجوزي في الصفوة^(١) (١٩١/١): توفي سنة أربع وثلاثين وهو ابن سبعين سنة.
- ٥ - سهيل بن بيضاء، توفي بعد القضية وهو كبير السن.
- ٦ - أبي بن كعب.
- ٧ - أبو دجانة سماك بن خرشة.
- ٨ - أبو أيوب الأنصاري.
- ٩ - أبو بكر بن شعوب^(٢).
- ١٠ - أنس بن مالك ساقى القوم، كان يوم ذلك ابن ثمانية عشر عاماً على الأصح، وفي صحيحة مسلم في الأشربة في باب تحريم الخمر، والبيهقي في السنن (٢٩٠/٨) عن أنس أنه قال: إنني لقاتم أسقيهم وأنا أصفرهم.



١٠٠/٧ وقد عزب عن ابن حجر حادي عشر القوم وهو: معاذ بن جبل، كما ورد في حديث قتادة عن أنس. أخرجه ابن جرير في تفسيره^(٣) (٢٤/٧)، والهيتمي في مجمع

(١) صفة الصفوة: ٤٨٠/١ رقم ٤٤.

(٢) في الإصابة: ٢٢/٤ رقم ١٤٣: أبو بكر بن شعوب اللبيثي، اسمه شداد وقيل: الأسود، وقيل: شداد بن الأسود، وأما شعوب فهي أمه. وأبوه من بني ليث بن بكر بن كنانة، أسلم ابن شعوب بعد أحد.

(٣) جامع البيان: ج ٥/ج ٢٧/٧.

الزوائد (٥٢/٥)، والعيني في عمدة القاري^(١) (٥٨٩/٨)، والسيوطي في الدرّ المنثور^(٢) (٣٢١/٢) نقلاً عن ابن جرير وأبي الشيخ وابن مردويه، والنووي في شرح مسلم^(٣) هامش إرشاد القسطلاني (٢٣٢/٨).

وكان معاذ يوم ذاك ابن ثلاث وعشرين سنة إذ توفي سنة (١٨) وله (٣٣) عاماً كما ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة^(٤).

وهؤلاء المذكورون من الذين كانوا يشربون الخمر بعد نزول الآيتين فيها بتأويل فيها كما مرّ في الجزء السادس (ص ٢٥١)، إلى أن نزل آية المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ إلى قوله تعالى ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ وكان ذلك في عام الفتح، فلما رأوا غضب رسول الله ﷺ وعلموا من الآية الثالثة التحذير والوعيد انتهوا وقال عمر: إنتهينا، إنتهينا.

قال الآلوسي في تفسيره (١١٥/٢): شربها كبار الصحابة رضي الله عنهم بعد نزولها - يعني آية الخمر في البقرة - وقالوا: **إِنَّمَا نَشْرَبُ مَا يَنْفَعُنَا وَلَمْ يَمْتَنِعُوا** حتى نزلت آية المائدة. انتهى.

وأخرج ابن أبي حاتم من حديث أنس أنه قال: كنا نشرب الخمر فأنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾^(٥) الآية. فقلنا: نشرب منها ما ينفعنا. فأنزلت في المائدة: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ﴾، الآية. فقالوا: اللّهم قد إنتهينا^(٦).

(١) عمدة القاري: ١٦٨/٢١.

(٢) الدرّ المنثور: ١٧٢/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم: ١٥٠/١٢.

(٤) صفة الصفوة: ٥٠٢/١ رقم ٥١.

(٥) البقرة: ٢١٩.

(٦) الدرّ المنثور: ٢٥٢/١ [٦٠٦/١]، تفسير الشوكاني: ١٩٧/١ [فتح القدير: ٢٢٢/١]. (المؤلف)

وأخرج عبد بن حميد عن عطاء أنه قال: أول ما نزل في تحريم الخمر ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ الآية، فقال بعض الناس: نشرها لمنافعها التي فيها. وقال آخرون: لا خير في شيء فيه إثم، ثم نزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾^(١) الآية، فقال بعض الناس: نشرها ونجس في بيوتنا. وقال آخرون: لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة مع المسلمين. فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ الآية. فانتهاوا^(٢).

١٠١/٧ ولتعدد آيات الخمر واختلاف السلف فيها وتأويل جمع منهم آيتي البقرة والنساء من تلكم الآيات وقع الخلاف في تاريخ حرمتها على أقوال:

١ - الأخذ بما أخرجه الطبراني^(٣) من طريق معاذ بن جبل؛ من أن أول ما نهى عنه النبي ﷺ حين بعث: شرب الخمر وملاحة الرجال^(٤) فتحريم الخمر كان في أوليات الهجرة إن لم تكن في أوليات البعثة، ويساعده ما صح عنه ﷺ من أن أعظم الكبائر شرب الخمر^(٥) ويبرمه النظر في آيات الخمر؛ فالآية الأولى منها من سورة البقرة، وهي أول سورة نزلت بالمدينة^(٦)، والآية الثانية في سورة النساء وقد نزلت في أوائل الهجرة^(٧).

ولعل هذا رأي كل من رأى حرمة الخمر بآية البقرة، قالت عائشة: لما نزلت

(١) النساء: ٤٣.

(٢) تفسير الألوسي: ١٧/٧. (المؤلف)

(٣) المعجم الكبير: ٨٣/٢٠ ح ١٥٧.

(٤) أوائل السيوطي: ص ٩٠. (المؤلف)

(٥) الغدير: ٢٥٧/٦. (المؤلف)

(٦) تفسير القرطبي: ١٣٢/١ [١٠٧/١]، تفسير ابن كثير: ٣٥/١، تفسير الخازن: ١٩/١.

(المؤلف)

(٧) راجع ما يأتي في الجزء الثامن صفحة: ١١ من الطبعة الأولى. (المؤلف)

سورة البقرة نزل فيها تحريم الخمر، فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك^(١١)، وقد نزلت سورة البقرة بعد زواج عائشة كما مرَّ في الجزء السادس (ص ١٩٧).

واختار الجصاص^(١٢) حرمة الخمر بأية البقرة كما أسلفنا كلامه في الجزء السادس صفحة (٢٥٤)، وقال القرطبي في تفسيره^(١٣) (٦٠/٣): قال قوم من أهل النظر: حرمت الخمر بهذه الآية يعني التي في سورة البقرة، وقال الرازي في تفسيره^(١٤) (٢٢٩/٢): إنَّ هذه الآية - يعني آية البقرة - دالة على تحريم شرب الخمر. وذكر في (ص ٢٣١) في وجه دلالتها عليه وجوهاً.

٢ - رأى البلاذري أنه كان سنة أربع من الهجرة كما في الإمتاع للمقريزي (ص ١٩٣)، وذكر ابن إسحاق: أنه كان في وقعة بني النضير سنة أربع على الراجح^(١٥)، وقال ابن هشام في سيرته^(١٦) (١٩٢/٢): نزل بيني النضير وذلك في شهر ربيع الأول - سنة أربع - فحاصرهم فيها ستَّ ليالٍ، ونزل تحريم الخمر. وذكره ابن سيّد الناس في عيون الأثر^(١٧) (٤٨/٢).

ويؤيد هذا الرأي ما أخرجه ابن مردويه عن جابر أنه قال: حرمت الخمر بعد أحد^(١٨)، وقد وقعت غزوة أحد في سنة ثلاث فبعدها تكون سنة أربع تقريباً.

٣ - جزم الدمياطي على أن تحريم الخمر كان في سنة الحديبية سنة ستَّ كما في

١٠٢/٧

(١) تاريخ الخطيب: ٣٥٨/٨، الدر المنثور: ٢٥٢/١ [٦٠٦/١]. (المؤلف)

(٢) أحكام القرآن: ٣٢٢/١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٤١/٣.

(٤) التفسير الكبير: ٤١/٦ و ٤٤.

(٥) فتح الباري: ٢٤/١٠ [٣١/١٠]، عمدة القاري: ٨٢/١٠ [١٦٦/٢١]. (المؤلف)

(٦) السيرة النبوية: ٢٠٠/٣.

(٧) عيون الأثر: ٢٤/٢.

(٨) تفسير الشوكاني: ٧١/٢ [٧٥/٢]. (المؤلف)

فتح الباري (٢٤/١٠) وعمدة القاري^(١) (٨٢/١٠).

٤ - حرمتها في سنة الفتح عام ثمانية من الهجرة يوم الندوة المذكورة المنعقدة في دار أبي طلحة بآية المائدة التي فيها الإرهاب والتحذير، وبها كفَّ عمر ومن كان معه في تلك الندوة عن الشرب وقال: إنتهينا، إنتهينا.

وهذا القول غير مدعوم بحجة، وليس إلا لتصحيح شرب أولئك الرجال من الصحابة وجعله قبل التحريم. فترى مثل ابن حجر لا يحكم به حكماً باتاً بل يستظهره من حديث أحمد^(٢)، قال في فتح الباري^(٣) (٢٧٤/٨): الذي يظهر أن تحريمها كان عام الفتح سنة ثمان لما روى أحمد من طريق عبدالرحمن بن وعلة، قال: سألت ابن عباس عن بيع الخمر فقال: كان لرسول الله ﷺ صديق من ثقيف أو من دوس فلقبه بمكة عام الفتح براوية خمر يهديها إليه، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا فلان أما علمت أن الله حرّمها؟ فأقبل الرجل على غلامه فسقال: اذهب فبيعها، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا فلان بماذا أمرته؟ قال: أمرته أن يبيعها، قال: إن الذي حرّم شربها حرّم بيعها. فأمر بها فأفرغت في البطحاء.

وقصارى ما في هذا الحديث أن تحريم الخمر بلغ الرجل في عام الفتح لا أنها حرّمت فيه، لأن الرجل كان في منتأى عن مستوى تبليغ الأحكام، مستخبطاً بين أعراب البوادي، غير عارف حتى بأصول المراودة والتحابب، ويشهد لذلك إهداؤه الخمر لرسول الله ﷺ، فإنها على فرض عدم حرمتها ليست ممّا يهدى إلى مثله ﷺ، لكن الرجل كان من دهماء الناس، وجرى على ما هو المطرد بين الرعرة والساقة.

(١) فتح الباري: ٣١/١٠، عمدة القاري: ١٦٦/٢١.

(٢) مسند أحمد: ٣٨١/١ ح ٢٠٤٢.

(٣) فتح الباري: ٢٧٩/٨.

الخلافة في الإسلام :

وأما هو - أبو بكر - في الإسلام فلم نعهد له نبوغاً في علم ، أو تقدماً في جهاد ، أو تبرزاً في الأخلاق ، أو تهالكاً في العبادة ، أو ثباتاً على مبدأ .

أما نبوغه في علم التفسير فلم يؤثر عنه في هذا العلم شيء يُحفل به ، فدونك كتب التفسير والحديث فلا تكاد تجد فيها عنه ما يُروى غلّة صادٍ ، أو يُنجم طلبه طالب .

١٠٣/٧

نعم ؛ يروى عنه أنه شارك صاحبه - عمر بن الخطاب - في عدم المعرفة لمعنى الأب^(١) الذي عرفه كلّ عربيٍّ حميمٍ حتى أعراب البادية ، وليس من البدع أن يعرفه حتى الساقه من الناس ؛ فإنه لا يعدوه أن يكون لدة بقيّة الكلمات العربيّة التي لا تزال العرب تلهج بها في كلّ حلٍّ ومرّجّلٍ ، ولا هو الدخيل^(٢) حتى يُعذر فيه الجاهل به ، ولا من شواذّ الكلم التي قلما تتعاطاه الجامعة العربيّة حتى يشدّ عرفانه عن بعضهم .

وإن تعجب فعجب اعتذار من جنح إليه^(٣) بأنه كان يلتزم الحائطة في تفسير القرآن ، ولذلك تورّع عن الإفاضة في معنى الأب ، لكن عرف من عرف أن الحائطة إنما تجب في بيان مغازي القرآن الكريم وتعيين إرادته ، وتبيين مجمله ، وتأويل

(١) في قوله تعالى في سورة عبس : ﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴾ وَعَيْنًا وَقُضْبًا ﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴾ وَحَدَائِقِ غُلْبًا ﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ . (المؤلف)

(٢) أما ما زعمه ابن حجر في فتح الباري [٢٧١/١٣] من أن الكلمة من الدخيل ولذلك لم يعرفها الخليفةان : فقد مرّ الجواب عنه في الجزء السادس : ص ١٠٠ . (المؤلف)

(٣) نظراء القرطبي [في الجامع لأحكام القرآن : ٢٧/١ و ١٤٥/١٩] ، والسيوطي [في الدرّ المنتور : ٤٢١/٨] . (المؤلف)

متشابهه، وما يجري مجرى ذلك مما يحظر في الدين التسرع إليه من دون تثبت وتوقيف، وأما معاني الناظرة العربية للعريق في لغة الضاد، فأَيَّ حائِطة تضرب على يده عن أن يفهمها وهو يعرفها بطبعه وجبلته؟

وهب أن الرجل لم يُحِطْ خُبْرًا بلغة قومه فهلاً تروى في الذكر الحكيم في ذيل الآية الكريمة من قوله سبحانه: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ بياناً للفاكهة والآب؟ ليعلم أنه سبحانه وتعالى امتنَّ على الناس بالفاكهة ليأكلوها، وبالآب لترعاه أنعامهم، فتلك فاكهة، وهذا العشب.

أخرج أبو القاسم البغوي عن ابن أبي مليكة قال: سئل أبو بكر عن آية فقال: أَيُّ أَرْضٍ تَسْعَنِي - أَوْ أَيِّ سَمَاءٍ تَظَلَّنِي - إِذَا قَلَّتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَمْ يَرِدِ اللَّهُ؟

وأخرج أبو عبيدة عن إبراهيم التيمي قال: سئل أبو بكر عن قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال: أَيُّ سَمَاءٍ تَظَلَّنِي - أَوْ أَيِّ أَرْضٍ تَقَلَّنِي - إِنْ قَلَّتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ؟

وفي لفظ القرطبي: أَيُّ سَمَاءٍ تَظَلَّنِي؟ وَأَيُّ أَرْضٍ تَقَلَّنِي؟ وَأَيْنَ أَذْهَبُ؟ وَكَيْفَ أَصْنَعُ؟ إِذَا قَلَّتْ فِي حَرْفٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ مَا أَرَادَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ذكره^(١) القرطبي في تفسيره (٢٩/١)، ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير (ص ٣٠)، الزمخشري في الكشاف (٢٥٣/٣)، ابن كثير في تفسيره (٥/١) وصححه في (ص ٦)، ابن القيم في أعلام الموقعين (ص ٢٩) وصححه، الخازن في تفسيره (٣٧٤/٤)،

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٧/١ و ١٤٥/١٩، مقدمة في أصول التفسير: ص ٤٧، الكشاف: ٧٠٤/٤، أعلام الموقعين: ٥٤/١، تفسير الخازن: ٣٥٤/٤، تفسير أبي السعود: ١١٢/٩، الدر المنثور: ٤٢١/٨، فتح الباري: ٢٧١/١٣.

أبو السعود في تفسيره هامش الرازي (ص ٣٨٩)، السيوطي في الدر المنثور (٣١٧/٦) نقلاً عن أبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد، ابن حجر في فتح الباري (٢٣٠/١٣)، وأوعز إليه ابن جزي الكلبى في تفسيره (١٨٠/٤).

الكلالة:

وتجد الخليفة على شاكلة صنوه في عدم العلم بالكلالة النازلة في آية الصيف آخر سورة النساء: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ الآية.

أخرج أئمة الحديث بإسناد صحيح رجائه ثقات عن الشعبي قال: سئل أبو بكر رضي الله عنه عن الكلالة؟ فقال: إني سأقول فيها برأبي فإن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأ فني ومن الشيطان، والله ورسوله بريهان منه، أراه ما خلا الولد والوالد، فلما استخلف عمر رضي الله عنه قال: إني لأستحي الله أن أرد شيئاً قاله أبو بكر.

أخرجه^(١) سعيد بن منصور، عبدالرزاق، ابن أبي شيبة، الدارمي في سننه (٣٦٥/٢)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٣٠/٦)، ابن المنذر، البيهقي في السنن الكبرى (٢٢٣/٦)، وحكى عنهم السيوطي في الجامع الكبير كما في ترتيبه (٢٠/٦)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٤٦٠/١)، والحازن في تفسيره (٣٦٧/١)، وابن القيم في أعلام الموقعين (ص ٢٩).

قال الأميني: هذا رأيه الثاني وكان أولاً يرى أن الكلالة من لا ولد له خاصة، وكان يشاركه في رأيه هذا عمر بن الخطاب ثم رجعا عنه إلى ما سمعت^(٢) ثم اختلفا

١٠٥/٧

(١) المصنف لعبد الرزاق: ٣٠٤/١٠ ح ١٩١٩١، المصنف لابن أبي شيبة: ٤١٥/١١ ح ١١٦٤٦، جامع البيان: مج ٣/ج ٤/٢٨٤، كنز العمال: ٧٩/١١ ح ٣٠٦٩١، تفسير الحازن: ٣٣٣/١، أعلام الموقعين: ٨٢/١.

(٢) تفسير القرطبي: ٧٧/٥ [٥١/٥]. (المؤلف)

فيها، قال ابن عباس كنت آخر الناس عهداً بعمر بن الخطاب قال: اختلفت أنا وأبو بكر في الكلالة والقول ما قلت^(١)، وفي صحيحة البيهقي والحاكم والذهبي وابن كثير^(٢) عن ابن عباس قال: كنت آخر الناس عهداً بعمر فسمعتة يقول: القول ما قلت. قلت: وما قلت؟ قال: قلت: الكلالة ما لا ولد له.

هذا القول كان من عمر لما طعن بعد قوله لما استخلف: إني لاستحيي أن أخالف فيه أبابكر كما مر. وبعد قوله: أتى عليّ زمان لا أدري ما الكلالة، وإذا الكلالة من لا أب له ولا ولد^(٣)، وبعد هذه كلها قال ما قال وهو على ما يقول بصير.

أنا لا أدري أين ولت تلك الحائطة التي التزمها الخليفة الأول في معنى الأب لتلك الحدة والشدة؟ وأي سماء أظلمت؟ وأي أرض أقلتته؟ وأين ذهب؟ وكيف صنع لما قال في دين الله برأي لا يعرف غيره من رسله، ولا يعلمه أمن الله أم منه ومن الشيطان؟ وكيف خفيت عليه آية الصيف؟ وقد رأى النبي ﷺ فيها الكفاية في عرفان الكلالة كما مر (١٢٧/٦)، وكيف عزت عنه قوله تعالى ﴿فاسألوأهل الذكربإن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤) ولم لم يسأل ولم يتعلم ولم يعبا بأهل الذكر وهو يعرفه لا محالة؟ فكان الأحكام ليست بتوقيفية، وكأنتها منوطة بالحظ والنصيب ولكل إنسان ما رأى، ولو صدقت هذه الأحلام فيسع كل أمرئ أن يفتي برأيه فيما يسأل عنه من الكتاب والسنة ويقول: إن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان.

نعم هذا الإفتاء بالرأي يفتقر إلى جرأة على الله وعلى رسوله، وتلك لا تتأتى

(١) تفسير ابن كثير: ٥٩٥/١. (المؤلف)

(٢) المستدرک للحاکم: ٣٠٤/٢ وصححه [٣٣٢/٢ ح ٣١٨٧، وكذا في تلخيصه]، تلخيص المستدرک للذهبي وأقرّ تصحيح الحاكم، السنن الكبرى للبيهقي: ٢٢٥/٦، تفسير ابن كثير: ٥٩٥/١ وذكر تصحيح الحاكم وأقرّه. (المؤلف)

(٣) السنن الكبرى: ٢٢٤/٦. (المؤلف)

(٤) النحل: ٤٣.

لأبي أحد فتخصّص لا محالة بجماعة دون أخرى، وكأنّ هذا هو معنى الاجتهاد عند القوم لا استنباط الأحكام من أدلتها التفصيليّة من الكتاب والسنة. ومن هنا يرون نظراء / عبدالرحمن بن ملجم قاتل مولانا أمير المؤمنين^(١).

١٠٦/٧

وأبي الغادية قاتل الصحابي العظيم عمّار بن ياسر سلام الله عليه^(٢).

ومعاوية بن أبي سفيان قاتل آلاف من الأبرياء والأزكياء^(٣).

وعمر بن النابغة، العاصي ابن العاصي^(٤).

وخالد بن الوليد، قاتل مالك ظلماً والزاني بامرأته^(٥).

وطلحة والزبير^(٦)، الخارجين على الإمام الحقّ الثابت إمامته بالنصّ والاختيار. ويزيد الخمرور والفجور صاحب الطامات والصحائف السوداء^(٧).

مجتهدين في دين الله متأولين في تلكم الآراء الشاذّة عن حكم الإسلام وشرعة الحقّ، مأجورين في تلك المظالم العادية. وقال ابن حجر في الإصابة (١٥١/٤): والظنّ بالصحابة في تلك الحروب أنّهم كانوا فيها متأولين وللمجتهد المخطئ أجر، وإذا ثبت هذا في حقّ آحاد الناس فتبوتهم للصحابة بالطريق الأولى. انتهى.

مرحباً مرحباً بهذا الدين، وبنح بنح ما أكثر المجتهدين من أمة محمد ﷺ حتى

(١) راجع الجزء الأول من كتابنا هذا: ص ٣٢٣. (المؤلف)

(٢) راجع الجزء الأول من الكتاب: ص ٣٢٨. (المؤلف)

(٣) الفصل لابن حزم: ٨٩/٤، تاريخ ابن كثير: ٢٧٩/٧ [٣١٠/٧ حوادث سنة ٢٧هـ]. (المؤلف)

(٤) تاريخ ابن كثير: ٢٨٣/٧ [٣١٤/٧ حوادث سنة ٢٧هـ]. (المؤلف)

(٥) تاريخ ابن كثير: ٢٢٣/٦ [٣٥٥/٦ حوادث سنة ١١هـ]، روض المناظر لابن شحنة - هامش

الكامل:- ١٦٧/٧ [١٩٠/١ - ١٩٢ حوادث سنة ١١هـ] وسيأتي تفصيله. (المؤلف)

(٦) التمهيد للباقلاني: ص ٢٣٢. (المؤلف)

(٧) تاريخ ابن كثير: ٢٢٣/٨ [٢٤٥/٨ حوادث سنة ٦٣هـ]. (المؤلف)

أصبحت غوغاء الشام، وطغام الأمة، وحثالة الأعراب، وأجلاف الأحزاب، وأبناء
الطلاق مجتهدين متأولين.

وزِهْ زِهْ بأولئك المتحلّين بأبراد الاجتهاد جراثيم الفساد، قتلة الصفة الأبرار،
الهاجمين على ناموس الإسلام، وقدس صاحب الرسالة، الخارجين عن طوع الكتاب
والسنة، الفئة الباغية الطاغية، المدريين بالشرّ والفساد وبغض العترة الطاهرة تحت
راية الطليق بن الطليق، اللعين بن اللعين بلسان النبي الأعظم^(١)، صدق رسول الله ﷺ
في قوله: «آفة الدين ثلاثة: فقيه فاجر، وإمام جائر، ومجتهد جاهل»^(٢).

وحسب الإسلام عاراً وشناراً أولئك الأعلام أصحاب هذه الآراء المضلّة
والأفلام المسمومة التي تنزّه ساحة المجرمين عن دنس الفجور والنفاق، وتجعل المحسن
والمسيء والمبطل والمحق، والطيب والخبيث، عكسي^(٣) بعير، وتضلّ الأمة عن رشدها
بأمثال هذه الكلم التافهة، والدعاوى الفارغة، والآراء الساقطة، وتصغر في عين
المجتمع الديني تلکم الجنایات العظيمة على الله وعلى رسوله وكتابه وسنته وخليفته
وعترته ومواليهم. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾^(٤). ﴿فَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٥).

وأول من فتح باب التأويل والاجتهاد، وقدس ساحة المجرمين بدينك، وحابي
رجال الجرائم والمعزات بها هو الخليفة الأول، فقد نزّه بهذا العذر المفتعل ذيل خالد
ابن الوليد عن دنس آثامه الخطيرة، ودرأ عنه الحدّ بذلك كما سنوقفك على تفصيله إن
شاء الله تعالى.

(١) راجع الجزء الثالث من الكتاب: ص ٢٥١، ٢٥٢. (المؤلف)

(٢) كنز العمال: ٢١٢/٥ [١٨٣/١٠ ح ٢٨٩٥٤]. (المؤلف)

(٣) العكمان: عدلان يشدان على جانبي الهودج بثوب.

(٤) الكهف: ٥.

(٥) الزلزلة: ٧ و ٨.

هذا النموذج من تقدّم الخليفة في علم التفسير على قلّة ما روي عنه في ذلك .
قال الحافظ جلال الدين السيوطي في الإتيان^(١) (٣٢٨/٢):

أشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبدالله بن الزبير. أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم عليّ بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزره جداً، وكان السبب في ذلك تقدّم وفاتهم، كما أنّ ذلك هو السبب في قلّة رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث، ولا أحفظ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلا آثاراً قليلة جداً لا تكاد تجاوز العشرة.

وأما عليّ فروي عنه الكثير، وقد روى معمر، عن وهب بن عبدالله. عن أبي الطفيل قال: شهدت عليّاً يخطب وهو يقول: «سلوني فوالله لا تسألون عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليلاً نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل» التمتت كقولهم روي

وأخرج أبو نعيم في الحلية^(٢) عن ابن مسعود قال: إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف / ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن.

وأخرج^(٣) أيضاً من طريق أبي بكر بن عيَّاش، عن نصير بن سليمان الأحمسي، عن أبيه، عن عليّ قال: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت، إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤالاً».

قال الأميني: ما هذا التهافت في كلام السيوطي هذا؟ ألا مسائل الرجل عن أنّ

(١) الإتيان في علوم القرآن: ٢٠٤/٤.

(٢) حلية الأولياء: ٦٥/١.

(٣) المصدر السابق: ص ٦٧ - ٦٨.

الذي لم يجد له هو نفسه وهو ذلك المتبع الضليع عشرة أحاديث في علم التفسير، كيف عدّه ممن اشتهر بالتفسير من الصحابة؟ نعم راقه ألا يفرّق بينه وبين مولانا أمير المؤمنين وقد روى فيه ما روى ذاهلاً عن قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١).

تقدّم الخليفة في السنّة:

أما تقدّمه في السنّة فكلّ ما أثبتته عنه إمام الحنابلة أحمد في المسند^(٢) (١٤-٢/١) ثمانون حديثاً، ويربو المتكرّر منها على العشرين، فلم يصف منها إلا ما يقرب السّتين حديثاً، وقد التقط ما في مسنده من أكثر من سبعمئة وخمسين ألف حديث، وكان يحفظ ألف ألف حديث^(٣).
 وجمع ابن كثير بعد جهود جبّارة أحاديثه في اثنين وسبعين حديثاً وسمّى بمجموعه: مسند الصّدّيق^(٤).

واستدرك ما جمعه ابن كثير جلال الدين السيوطي بعد تصعيد وتصويب ومع تذلّع وإحاطة بالحديث، فأنهى أحاديثه إلى مئة وأربعة، وذكرها برمتها في تاريخ الخلفاء^(٥) (ص ٥٩ - ٦٤).

وقد يروى أنّ له مئة واثنين وأربعين حديثاً اتفق الشيخان على ستّة أحاديث

(١) الزمر: ٩.

(٢) مسند أحمد: ٥/١ - ٢٥ ح ١ - ٨٢.

(٣) طبقات الحفاظ للذهبي: ١٧/٢ [٤٣١/٢ رقم ٤٣٨]، ترجمة أحمد في آخر الجزء الأول من مسنده. (المؤلف)

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ٦٢ [ص ٨٦]. (المؤلف)

(٥) المصدر السابق: ص ٨١ - ٨٨.

منها . وانفرد البخاري بأحد عشر ، ومسلم بواحد^(١) .

وفي وسع الباحث المناقشة في غير واحد من تلك الأحاديث سنداً أو متناً ، فإن
 ١٠٩/٧ من جملتها ما ليس بحديث وإنما هو قول قاله كقوله للحسن السبط سلام الله عليه :
 بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي .

وقوله : شاور رسول الله في أمر الحرب .

وقوله : إن رسول الله ﷺ أهدى جملاً لأبي جهل .

ومنها ما هو محكوم عليه بالوضع ، أو يخالف الكتاب والسنة ، ويكذبه العقل
 والمنطق والطبيعة مثل قوله :

- ١ - لو لم أبعث فيكم لبعث عمر .
- ٢ - وقوله : ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر .
- ٣ - وقوله : إن الميت يُنضح عليه الحميم ببيكاء الحي .
- ٤ - وقوله : إنما حرّ جهنم على أمتي مثل الحمام .

أما الأول فله عدّة طرق لا يصحّ شيء منها . الطريق الأول لابن عدي^(٢) وفي
 إسناده :

١ - زكريّا بن يحيى الوكّار . أحد الكذابين الكبار ، مرّت ترجمته في سلسلة
 الكذابين في الجزء الخامس (ص ٢٣٠) .

٢ - بشر بن بكر . قال الأزدي : منكر الحديث ولا يعرف . لسان الميزان^(٣) (٢٠/٢) .

(١) شرح رياض الصالحين للصدّيق : ٢٣/٢ . (المؤلف)

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال : ٢١٦/٣ رقم ٧١٣ .

(٣) لسان الميزان : ٢٦/٢ رقم ١٥٩١ .

٣ - أبو بكر بن عبدالله بن أبي مریم الغسانی. قال أحمد^(١): ضعيف، كان عيسى بن يونس لا يرضاه، وعن أبي داود عن أحمد: إنه ليس بشيء. وقال أبو حاتم^(٢): سألت ابن معين عنه فضغفه. وقال أبو زرعة: ضعيف منكر الحديث. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث طرقة لصوص فأخذوا متاعه فاختلط^(٣). وقال الجوزقاني: ليس بالقوي. وقال النسائي^(٤): ضعيف. وقال ابن سعد^(٥): كان كثير الحديث ضعيفاً. وقال الدارقطني: متروك^(٦).

الطريق الثاني لابن عدي أيضاً، وفي إسناده:

١ - مصعب بن سعيد، أبو خيشمة المصيصي. قال ابن عدي^(٧): يحدث عن

الثقات / بالمناكير ويصحف. وقال: والضعف على رواياته بين. وقال ابن حبان^(٨): كان مدلساً، وقال صالح جزرة: شيخ ضير لا يدري ما يقول. وذكر الذهبي له أحاديث فقال: ما هذه إلا مناكير وبلايا^(٩) الأئمة كغيرهم من سدي

٢ - عبدالله بن واقد. قال ابن عدي والجوزقاني والنسائي^(١٠): متروك الحديث.

(١) العلل ومعرفة الرجال: ٣٩/٢ رقم ١٤٨٤.

(٢) المجرح والتعديل: ٤٠٥/٢ رقم ١٥٩٠.

(٣) قال الأئمة: لو لم يكن لاختلاط الرجل آية غير حديثه هذا لكنى وحسبه. (المؤلف)

(٤) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ٢٦٢ رقم ٦٩٩.

(٥) الطبقات الكبرى: ٤٦٧/٧.

(٦) تهذيب التهذيب: ٢٩/١٢ [٣٣/١٢]. (المؤلف)

(٧) الكامل في ضعفاء الرجال: ٣٦٤/٦ رقم ١٨٤٦.

(٨) الثقات: ١٧٥/٩.

(٩) ميزان الاعتدال: ١٧٣/٣ [١١٩/٤ رقم ٨٥٦١]، لسان الميزان: ٤٤/٦ [٥١/٦ رقم ٨٤٠٤].

(المؤلف)

(١٠) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ١٥٠ رقم ٣٥٤.

وقال غيرهما: ليس بشيء. وقال الأزدي: عنده مناكير. وقال أحمد^(١): أظنه كان يدنس. وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث لا يحدث عنه. وقال البخاري^(٢): تركوه، منكر الحديث. وقال ابن حبان^(٣): وقع المناكير في حديثه فلا يجوز الاحتجاج بخبره. وقال صالح جزرة ضعيف مهين. وقال أبو أحمد الحاكم: حديثه ليس بالقائم^(٤).

٣ - مشرح بن عاهان^(٥). قال ابن عدي^(٦) وابن حبان^(٧): لا يحتج به. وقال غيرهما: يروي عن عقبه مناكير لا يتابع عليها. وقال آخرون: الصواب ترك ما انفرد به^(٨).

أورده بهذين الطريقتين ابن الجوزي في الموضوعات^(٩) فقال: هذان حديثان لا يصحان عن رسول الله ﷺ، أما الأول فإن زكريا بن يحيى كان من الكذابين. قال ابن عدي^(١٠): كان يضع الحديث. وأما الثاني: فقال أحمد ويحيى^(١١): عبد الله بن واقد ليس بشيء. وقال النسائي: متروك. وقال ابن حبان: انقلبت على مشرح صحائفه فبطل الاحتجاج به. انتهى^(١٢)

(١) العلل ومعرفة الرجال: ٥٥/٢ رقم ١٥٣٣.

(٢) التاريخ الكبير: ٢١٩/٥ رقم ٧١٣.

(٣) كتاب المجروحين: ٢٩/٢.

(٤) تهذيب التهذيب: ٦٦/٦ [٦٠/٦]، ميزان الاعتدال: ٨٤/٢ [٥١٧/٢ رقم ٤٦٧٢]، لسان الميزان:

٣٧٤/٣ [٤٥٨/٣ رقم ٤٨٥٧]، اللآلئ المصنوعة: ٣٠٢/١. (المؤلف)

(٥) كذا في الخلاصة: ٨٠/٣ رقم ٧٤٠٤ وفي المصادر الأخرى: هاعان.

(٦) الكامل في ضعفاء الرجال ٤٦٩/٦ رقم ١٩٥٣.

(٧) كتاب المجروحين: ٢٨/٣.

(٨) اللآلئ المصنوعة: ٣٠٢/١، ميزان الاعتدال: ١٧٢/٣ [١١٧/٤ رقم ٨٥٤٩]. (المؤلف)

(٩) الموضوعات: ٣٢٠/١.

(١٠) الكامل في ضعفاء الرجال: ٢١٥/٣ رقم ٧١٣.

(١١) التاريخ: ٣٣٦/٢ رقم ٣٣٠١.

(١٢) مررت الإشارة إليه في الجزء الخامس: ص ٥٠٠.

الطريق الثالث: لأبي العباس الزوزني في كتاب شجرة العقل بلفظ: لو لم أبعث لبعثت يا عمر، وفي إسناده:

١ - عبدالله بن واقد. وقد مرّ في الطريق الثاني.

٢ - راشد بن سعد الحمصي، ذكر الحاكم أن الدارقطني ضعفه، وكذا ضعفه ابن حزم، وذكر البخاري^(١) أنه شهد صفين مع معاوية^(٢)، فالرجل من الفئة الباغية بنصّ من النبي الأعظم، وذكره الصّغاني فقال: موضوع. كما في كشف / الخفاء (١٦٣/٢).

١١١/٧

الطريق الرابع للديلمى^(٣): عن أبي هريرة بلفظ: لو لم أبعث فيكم لبعث عمر. أيد الله عمر بملكين يوقفانه ويسدّدانه، فإذا أخطأ صرفاه حتى يكون صواباً.

في إسناده: إسحاق بن نجيح الملطي أبو صالح الأزدي. قال أحمد^(٤): من أكذب الناس. وقال ابن معين^(٥): كذاب عدوّ الله رجل سوء خبيث. كان يبغداد قوم يضعون الحديث منهم إسحاق الملطي. وقال ابن أبي مريم عنه: من المعروفين بالكذب ووضع الحديث. وقال عليّ بن المديني: ليس بشيء وضعفه، روى عجائب. وقال عمر بن علي: كذاب كان يضع الحديث. وقال الجوزقاني: غير ثقة ولا من أوعية الأمانة، وقال: كذاب وضاع لا يجوز قبول خبره ولا الاحتجاج بحديثه ويجب بيان أمره. وقال الجهضمي والبخاري^(٦): منكر الحديث. وقال النسائي^(٧): كذاب متروك الحديث.

(١) التاريخ الكبير: ٢٩٢/٣ رقم ٩٩٤.

(٢) تهذيب التهذيب: ٢٢٦/٣ [١٩٥/٣]. (المؤلف)

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب: ٣٧٢/٣ ح ٥١٢٧.

(٤) العلل ومعرفة الرجال: ٣٠/٢ رقم ١٤٥٤.

(٥) معرفة الرجال: ٥١/١ رقم ٧.

(٦) التاريخ الكبير: ٤٠٤/١ رقم ١٢٩٣.

(٧) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ٥٣ رقم ٥٠.

وقال ابن عدي^(١) : أحاديثه موضوعات وضعها هو وعامة ما أتى عن ابن جريج بكل منكر ووضعه عليه، وهو بين الأمر في الضعفاء، وهو ممن يضع الحديث. وقال ابن حبان^(٢) : دجال من الدجاجلة يضع الحديث صراحاً. وقال البرقي : نسب إلى الكذب. وقال أبو سعيد النقاش : مشهور بوضع الحديث. وقال ابن طاهر : دجال كذاب. وقال ابن الجوزي : أجمعوا على أنه كان يضع الحديث^(٣).

قال الديلمي بعد ذكر الحديث بالطريق المذكور : وتابعه راشد بن سعد عن المقدم بن معدي كرب عن أبي بكر الصديق والله أعلم.

قال الأميني : عرفت في الطريق الثالث ضعف راشد، وأن الصغاني حكم على حديثه هذا بالوضع، وأقره العجلوني وزيته في كشف الخفاء (١٥٤/٢، ١٦٣). وذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٣٠٢/١) غير أنه عدّه بهذا الطريق الوعر في تاريخ الخلفاء^(٤) من أحاديث أبي بكر، ولا تخفى عليه تراجم هؤلاء الرجال أمثال إسحاق الملطي. نعم، راقه أن يكثر عدد أحاديث الخليفة ولو بمثل هذا، وقد حذف الأسانيد منها حتى لا يقف القارئ على ما فيها من الوضع والاختلاق والله من ورائه حسيب.

أما الحديث الثاني :

فأخرجه الحاكم في المستدرک^(٥) (٩٠/٣) بإسناده عن عبدالله بن داود الواسطي الثمار عن عبدالرحمن ابن أخي محمد بن المنكدر، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله

١١٢/٧

(١) الكامل في ضعفاء الرجال : ٣٣٢/١ رقم ١٥٥.

(٢) كتاب المجروحين : ١٣٤/١.

(٣) مرّت المصادر في الجزء الخامس : ص ٢١٨. (المؤلف)

(٤) تاريخ الخلفاء : ص ٨٧.

(٥) المستدرک على الصحيحين : ٩٦/٣ ح ٤٥٠٨، وكذا في تلخيصه.

قال: قال عمر بن الخطاب ذات يوم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: يا خير الناس بعد رسول الله، فقال أبو بكر: أما إنك إن قلت ذلك سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر.

عقبه الذهبي في تلخيص المستدرک فقال: قلت: عبد الله ضعفوه، وعبدالرحمن متكلم فيه، والحديث شبه موضوع. وقال في ميزان الاعتدال^(١) (١٢٣/٢): رواه عبد الله بن داود التمار وهو هالك، عن عبدالرحمن ابن أخي محمد [بن] المنكر لا يكاد يُعرف، ولا يتابع على حديثه، وقال الترمذي^(٢): ليس إسناده بذلك.

قال الأميني: أمّا عبد الله بن داود التمار فقال البخاري^(٣): فيه نظر. وقال أبو حاتم^(٤) ليس بقوي، في حديثه مناكير، وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بالمتين عندهم، وقال النسائي^(٥): ضعيف. وقال ابن حبان^(٦): منكر الحديث جداً يروي المناكير عن المشاهير، لا يجوز الاحتجاج بروايته. وقال الدارقطني: ضعيف^(٧).

وأما عبدالرحمن فقال يحيى بن معين: ما أعرف عبدالرحمن. فقرأه إبراهيم بن الجنيد الحديث، فقال يحيى: ما أعرف عبدالرحمن، وأنكر الحديث ولم يعرفه^(٨).

جاء العلامة المحرّيفيش في القرن الثامن وأتى في كتابه الروض الفائق (ص ٣٨٨)

(١) ميزان الاعتدال: ٦٠٢/٢ رقم ٥٠٢٣.

(٢) سنن الترمذي: ٥٧٧/٥ ح ٣٦٨٤.

(٣) التاريخ الكبير: ٨٢/٣ رقم ٢٢٦.

(٤) الجرح والتعديل: ٤٨/٥ رقم ٢٢٢.

(٥) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ١٥١ رقم ٣٥٥.

(٦) كتاب المجروحين: ٣٤/٢.

(٧) تهذيب التهذيب: ٢٠٠/٥ [١٧٦/٥]. (المؤلف)

(٨) لسان الميزان: ٤٤٨/٣ [٥٤٤/٣] رقم ٥١٠٦ وفيه: قاله إبراهيم بن الجنيد بدلاً من: فقرأه إبراهيم

ابن الجنيد]. (المؤلف)

بحديث مختلف في فضيلة مولانا أمير المؤمنين وأبي بكر وجعل هذه الرواية في فضل أبي بكر عن لسان عليّ عليه السلام ، قال : روى أبوهريرة : أن أبا بكر الصديق وعليّ بن أبي طالب عليهما السلام قدما يوماً إلى حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : عليّ لأبي بكر عليه السلام : تقدّم فكن أول قارع يقرع الباب وألخ عليه ، فقال أبو بكر : تقدّم أنت يا عليّ ، فقال عليّ : ما كنت بالذي يتقدّم عليّ رجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في حقّه : ما طلعت الشمس ولا غربت من بعدي عليّ رجل أفضل من أبي بكر / الصديق . فقال أبو بكر : ما كنت بالذي يتقدّم عليّ رجل قال في حقّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أعطيت خير النساء لخير الرجال . إلى آخره . وفيه مناقب ستّ لأبي بكر ، عليّ لسان عليّ وكذلك لعليّ عليّ لسان أبي بكر لم يذكر السيوطي شيئاً منها في عدّ أحاديث أبي بكر مع اهتمامه بإكثار عددها وذلك لبداهة الكذب فيه ، ورثّة لفظه ، ووضوح الاختلاق في معانيه وألفاظه ، وظهور التهافت بين جملة كما ترى . نعم لكلّ من الوضّاعين في وضع الحديث ذوق ، ولكلّ واحد منهم طريقة وسليقة ، وليس أمرهم سلكي ^(١) .

١١٣/٧

أما الحديث الثالث :

فمن المنكر الواضح وهو لدة ما سبق عن عمر في الجزء السادس صفحة (١٦٢) من قوله : إن الميت يعذب ببكاء الحيّ . وقد أنكرته عليه عائشة ، وهو مخالف للكتاب المجيد حيث يقول : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ ^(٢) ، وأمثالها ، وقد فصلنا القول فيه تفصيلاً في الجزء السابق فراجع (ص ١٥٩ - ١٦٧) .

ومخالف للعدل ؛ فإنّ تعذيب أيّ أحد لما اجترحه غيره من سيئة - بعد تسليم كون البكاء عليه سيئة - يرفضه ناموس العدل الإلهي ، وتلفظه العقول السليمة ، ويتوجّه إلى قائله اللوم من كلّ ذي مسكة ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

(١) يقال : أمرهم سلكي أي على طريقة واحدة .

(٢) الأنعام : ١٦٤ .

أما الحديث الرابع - إنما حرّ جهنم على أمتي مثل الحمام:

فإنه أشبه شيء بمخاريق المعتوهين، أو من يريد تحطياً من عظمة أمر المولى سبحانه، أو إغراءً لبسطاء الأمة على اقتحام الجرائر، بحسبان أنّ حرّ الجحيم الشديد الذي أوقده المنتقم الجبار للعصاة عامّة لا يصيب هذه الأمة، وإنما هو للأمم السابقة ومن لم يعتنق الإسلام من الموجودين، وأنت إذا تأملت في: ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ ﴿^(١)، ﴿ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾^(٢)، ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ ﴾^(٣)، ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴾^(٤)، ﴿ وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴾^(٥)، ﴿ تَزْمِي بَشِيرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ كأنه جمالة صفر ﴿^(٦)، ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأُولَى ﴾ نَزَاعَةَ لِلشَّوَى ﴿^(٧)، ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾^(٨)، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴾ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ ﴾ لَوَاحَةً لِبَشَرٍ ﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿^(٩)، قالوا ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعَمْ أَلْمَسِكِينَ ﴾ وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿^(١٠)، ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴾ كَغْلِي الْحَمِيمِ ﴿^(١١).

١١٤/٧

(١) الهزلة: ٦، ٧.

(٢) البقرة: ٢٤.

(٣) التوبة: ٣٥.

(٤) التكوير: ١٢.

(٥) النازعات: ٣٦.

(٦) المرسلات: ٣٢ - ٣٣.

(٧) المعارج: ١٥ - ١٦.

(٨) القمر: ٤٨.

(٩) و (١٠) المدثر: ٢٧ - ٣٠ و ٤٢ - ٤٥.

(١١) الدخان: ٤٣ - ٤٦.

أو تأملت فيما هدّد به المولى سبحانه المتثاقلين عن النفر للجهاد في الحرّ بقوله : ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾^(١) ومن يأكل أموال اليتامى بقوله : ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾^(٢) إلى كثير من أمثال هذه لا ترتاب في أن الأمم كلّها بالنسبة إليها شرع سواء، بل إن توجيه تلكم الخطابات إلى الأمة المرحومة المعنّية بالتهذيب وإيقافها عن المعصية بالتهديد أولى من توجيهها إلى الأمم البائدة التي جرى عليها ما جرى من عاقبة طاعة، أو مغتبة عصيان، فذهبوا رهائن أعماهم، وبه يتمّ اللطف، وتحسن التربية، وهو الذي كان يبكي الصالح، ويفجع المتقين، ويدرّ عبرات الأولياء، ويجعل سيدهم أمير المؤمنين يتعلم في جنح الليل البهيم تلمل السليم قابضاً على لحيته، يبكي بكاء الحزين وهو يقول:

« يا ربنا! يا ربنا! - يتضرّع إليه - ثم يقول للدنيا: إليّ تغرّرت؟ إليّ تشوّقت؟ هيهات هيهات، غرّي غيري قد بتكّ ثلاثاً، فعمرِك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير، آه آه من قلّة الزاد، وبُعد السفر، ووحشة الطريق»^(٣).

ثمّ أيّ مشابهة بين ذلك اللهب المصطلم وبين الحماّم الذي لا يكون الحرّ فيه إلّا صحياً، تُزاح به الأوساخ، وتعرق به الأبدان، وترفع به الأتعاب، وترتاح به الأجسام؟ وهل يهدّد بمثله عصاة البشر الذي خلق ظلوماً جهولاً جموحاً، البشر الذي هذا عقله ورشده وحديثه؟

(١) التوبة: ٨١.

(٢) النساء: ١٠.

(٣) حلية الأولياء: ٨٥/١، الاستيعاب: ٤٦٢/٢ [القسم الثالث/ ١١٠٨ رقم ١٨٥٥]، الرياض النضرة: ٢١٢/٢ [١٦٤/٣]، زهر الآداب للقيرواني: ٣٨/١ [٧٨/١]، تذكرة السبط: ص ٢٧٠ [ص ١١٩]، مطالب السؤول: ص ٣٣، إتحاف الشبراوي: ص ٧ [ص ٢٥]. (المؤلف)

غاية جهد الباحث :

١١٥/٧ هذه غاية جهد الباحث عن علم الخليفة بالسنة وهذه سعة اطلاعه عليها، فنحن إذا قسنا مجموع ما ورد عن الخليفة من الصحيح والموضوع في التفسير والأحكام والفوائد من المئة وأربعة أحاديث أو المئة واثنين وأربعين حديثاً إلى ما جاء عن النبي الأقدس من السنة الشريفة لتجدها كقطرة من بحر لجي، لا تقام بها قائمة للإسلام، ولا تدعم بها أي دعامة للدين، ولا تُروى بها غلة صادٍ، ولا تتحل بها عقدة آية مشكلة. هذا أبو هريرة، وأنس بن مالك، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن العباس، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن مسعود، وروى يروون آلاف من السنة النبوية، فقد أخرج تقي بن مخلد في مسنده من حديث أبي هريرة فحسب خمسة آلاف وثلاثمئة حديث وكسراً^(١) وأبو هريرة لم يصحب النبي إلا ثلاث سنين.

وهذا أحمد بن الفرات كتب ألف الف وخمسمئة ألف حديث، وانتخب منها ثلاثمئة ألف في التفسير والأحكام والفوائد. خلاصة التهذيب^(٢) (ص ٩).

وهذا حرمله بن يحيى أبو حفص المصري صاحب الشافعي يروي عن طريق ابن وهب فحسب مئة ألف حديث. خلاصة التهذيب^(٣) (ص ٦٣).

وهذا أبو بكر الباغندي يجيب عن ثلاثمئة ألف مسألة في حديث رسول الله ﷺ. تاريخ بغداد (٢١٠/٣).

(١) الإصابة: ٢٠٥/٤ [رقم ١١٩٠]. (المؤلف)

(٢) خلاصة الخزرجي: ٢٧/١ رقم ١٠٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٠٣ رقم ١٢٨٤.

وهذا الحافظ روح بن عبادة القيسي له أكثر من مئة ألف حديث . ميزان الاعتدال^(١) (٣٤٢/١).

وهذا الحافظ مسلم صاحب الصحيح عنده ثلاثمئة ألف حديث مسموعة . طبقات الحفاظ^(٢) (١٥١/٢).

وهذا الحافظ أبو محمد عبدان الأهوازي يحفظ مئة ألف حديث . تاريخ ابن عساكر^(٣) (٢٨٨/٧).

وهذا الحافظ أبو بكر بن الأنباري يحفظ ثلاثمئة ألف بيت شاهد في القرآن ، وكان يحفظ مئة وعشرين تفسيراً بأسانيدھا . شذرات الذهب^(٤) (٣١٦/٢) ١١٦/٧

وهذا الحافظ أبو زُرعة حفظ مئة ألف حديث كما يحفظ الإنسان قل هو الله أحد ، ويقال : سبعمئة ألف حديث . تاريخ ابن كثير^(٥) (٣٧/١١) ، تهذيب التهذيب^(٦) (٣٣/٧).

وهذا الحافظ ابن عقدة يجيب في ثلاثمئة ألف حديث من حديث أهل البيت عليهم السلام وبني هاشم حدث بها عنه الدارقطني . تذكرة الحفاظ^(٧) (٥٦/٣).

وهذا الحافظ أبو العباس أحمد بن منصور الشيرازي كتب عن الطبراني

(١) ميزان الاعتدال : ٥٩/٢ رقم ٢٨٠٢ .

(٢) تذكرة الحفاظ : ٥٨٩/٢ رقم ٦١٣ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق : ٥٤/٢٧ رقم ٣١٦٨ ، وفي مختصر تاريخ دمشق : ٢٦/١٢ .

(٤) شذرات الذهب : ١٥٢/٤ حوادث سنة ٣٢٨هـ .

(٥) البداية والنهاية : ٤٤/١١ حوادث سنة ٢٦٤هـ .

(٦) تهذيب التهذيب : ٣٠/٧ .

(٧) تذكرة الحفاظ : ٨٤٠/٣ رقم ٨٢٠ .

ثلاثمئة ألف حديث. تذكرة الحفاظ^(١) (١٢٢/٣).

وهذا الحفاظ أبو داود السجستاني كتب عن النبي ﷺ خمسمئة ألف حديث.
تذكرة الحفاظ^(٢) (١٥٤/٢).

وهذا عبدالله ابن إمام الحنابلة أحمد سمع من أبيه مئة ألف وبضعة أحاديث.
طبقات الحفاظ^(٣) (٢١٤/٢).

وهذا ثعلب البغدادي سمع من القواريري مئة ألف حديث. طبقات الحفاظ^(٤)
(٢١٤ / ٢).

وهذا أبو داود الطيالسي يملئ من حفظه مئة ألف حديث. شذرات الذهب^(٥)
(١٢/٢).

وهذا أبو بكر الجماعي يحفظ أربعمئة ألف حديث بأسانيدھا ومتونها ويذاكر
بستمئة ألف حديث، ويحفظ من المراسيل والمقاطع والخطابات قريباً من ذلك. تاريخ
ابن كثير^(٦) (٢٦١/١١).

وهذا إمام الحنابلة أحمد عنده أكثر من سبعمئة وخمسين ألفاً. راجع آخر الجزء
الأول من مسنده^(٧).

(١) تذكرة الحفاظ: ٩١٦/٣ رقم ٨٧٥.

(٢) المصدر السابق: ٥٩٣/٢ رقم ٦١٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٦٦٥ رقم ٦٨٥، وفيه: وبضعة عشر ألفاً.

(٤) المصدر السابق: ص ٦٦٦ رقم ٦٨٦.

(٥) شذرات الذهب: ٢٥/٣ حوادث سنة ٢٠٤، وفيه: ... من حفظه ثلاثين ألف حديث.

(٦) البداية والنهاية: ٢٩٦/١١ حوادث سنة ٣٥٥هـ.

(٧) طبعة دار صادر - بيروت.

وهذا الحافظ أبو عبدالله الختلي يحدث من حفظه بخمسين ألف حديث . تاريخ ابن كثير^(١) (٢١٧/١١) .

وهذا يحيى بن يمان العجلي يحفظ عن سفيان أربعة آلاف حديث في التفسير فقط . تاريخ بغداد (١٢٢/١٤) .

وهذا الحافظ ابن أبي عاصم يملي من ظهر قلبه خمسين ألف حديث بعد ما ذهبت كتبه . تذكرة الحفاظ^(٢) (١٩٤/٢) .

١١٧/٧

وهذا الحافظ أبو قلابة عبدالملك حدث من حفظه ستين ألف حديث . طبقات الحفاظ^(٣) (١٤٣/٢) .

وهذا أبو العباس السراج كتب لمالك سبعين ألف مسألة . تاريخ بغداد (٢٥١/١) .
وهذا الحافظ ابن راهويه يملي سبعين ألف حديث من حفظه . تاريخ ابن عساكر^(٤) (٤١٣/٢) .

وهذا الحافظ إسحاق الخنظلي يحفظ سبعين ألف حديث . تاريخ الخطيب (٣٥٢/٦) .

وهذا إسحاق بن بهلول التنوخي يحدث من حفظه خمسين ألف حديث . تاريخ الخطيب (٣٦٨/٦) .

وهذا محمد بن عيسى الطباع كان يحفظ نحواً من أربعين ألف حديث . تاريخ بغداد (٣٩٦/٢) .

(١) البداية والنهاية : ٢٤٥/١١ حوادث سنة ٥٣٣٥هـ .

(٢) تذكرة الحفاظ : ٦٤١/٢ رقم ٦٦٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٥٨٠ رقم ٦٠٤ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق : ١٣٧/٨ رقم ٦١٧ ، وفي مختصر تاريخ دمشق : ٢٧٣/٤ .

وهذا المحافظ ابن شاهين يكتب من حفظه بعد ما ذهب كتبه عشرين أو ثلاثين ألف حديث. تاريخ بغداد (٢٦٨/١١).

وهذا المحافظ يزيد بن هارون يحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بأسنادها. شذرات الذهب^(١) (١٦/٢).

فهلّم معي نر أن إسلاماً هذه سعة نطاق علمه، وكثرة طقوسه وسننه، وغزارة فنونه وعلومه، ونبيّاً هذا حديثه وسنته، وهذه ودائعه المصلحة لأمته، وهذا شأن الأعلام أمناء ودائع العلم والدين، وهذه سيرة حفظة السنّة الشريفة، كيف يجب أن يتحلّى خليفة ذلك النبيّ الأقدس بأبراد علوم الكتاب والسنّة؟ وكيف يحقّ أن يكون حاملاً لأعباء علوم مستخلفه ومعالمه، وارثاً مآثره وآثاره؟ أهمل يقتصر منه على مئة وأربعة أحاديث؟ أو تقبل الأمتة المسكينّة أو تُجديها هذه الكميّة اليسيرة من ذلك الحوش الحائش؟ أو يسدّ ذلك الفراغ، ويمثّل تلك العلوم الإسلاميّة الجمّة من هذا شأنه وشعاره، وهذه سيرته وسنته، وهذا علمه وحديثه؟ أو يُتلقّى / بالقبول ١١٨.٧
عذر المدافع عن الخليفة بأنّ قلّة حديثه لقصر مدّة خلافته؟

أيّ صلة بين قصر العمر بعد النبيّ ﷺ وقلّة الرواية؟ فإنّ رواة الأحاديث على العهد النبويّ ما كان حجر عليها، ولم يكن عقال في ألسن أولئك الصحابة الأولين، ولا على الأفواه أوكية عن بثّ العلم من الكتاب والسنّة طيلة حياة النبيّ الأقدس.

ولم يكن المكثرون من الرواية قصرُوا أحاديثهم على ما بعد أيامه ﷺ، فقلّة حديث الرجل إن هي إلا لقلّة تلقّيه، وقصر حفظه، إنّما الإناء ينضح بما فيه، والأوعية إذا طفحت فاظت.

(١) شذرات الذهب: ٣/٢٣ حرّاث سنة ٢٠٦ هـ.

ثم أتى يسوع للخليفة أن تُثقله أعباء الخلافة، وتعييه معضلات المسائل ويترس بمثل قوله: أي سماء تظلني. الخ؟ أو قوله: سأقول فيها برأيي.

أو يخطب بعد أيام قلائل من خلافته وقد أخرجته المواقف، ويتطلب الفوز منها بقوله: لوددت أن هذا كفانيه غيري، ولئن أخذتوني بسنة نبيكم ﷺ لا أطيعها، إن كان لمعصوماً من الشيطان، وإن كان لينزل عليه الوحي من السماء^(١).

أو بقوله: أما والله ما أنا بخيركم، ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً، ولوددت أن فيكم من يكفيني، أفظنون أنني أعمل فيكم بسنة رسول الله ﷺ؟ إذن لا أقوم بها. إن رسول الله كان يُعصم بالوحي، وكان معه ملك، وإن لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني أن لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم، ألا فراعوني فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوموني.

وفي لفظ ابن سعد: ألا وإنما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم فراعوني، فإذا رأيتموني استقمت فاتبعوني وإن رأيتموني زغت فقوموني، واعلموا أن لي شيطاناً يعتريني، فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم^(٢).

(١) مسند أحمد: ١٤/١ [٢٤/١ ح ٨١]، الرياض النضرة: ١٧٧/١ [٢١٩/٢]، كنز العمال: ١٢٦/٣ [٥٨٨/٥ ح ١٤٠٤٦]. (المؤلف)

(٢) طبقات ابن سعد: ١٥١/٣ [٢١٢/٣]، الإمامة والسياسة: ١٦/١ [٢٢/١]، تاريخ الطبري: ٢١٠/٣ [٢٢٤/٣ حوادث سنة ١١هـ]، صفة الصفوة: ٩٩/١ [٢٦١/١ رقم ٢]، شرح نهج البلاغة: ٨/٣ و ١٦٧/٤ [٢٠/٦ خطبة ٦٦ و ١٥٦/١٧ كتاب ٦٢]، كنز العمال: ١٢٦/٣ [٥٨٩/٥ ح ١٤٠٥٠]. (المؤلف)

أو بقوله: إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على الحق فأعينوني وإن رأيتموني على الباطل فسدّدوني^(١).

١١٩/٧ وفي لفظ ابن الجوزي في صفة الصفوة^(٢) (٩٨/١): قد وليت أمركم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني.

وهل الخليفة حرّي بأن ترعاه أمته ورعيته فتعينه وتسدّده وتقومه عند الخطأ والزيغ؟ وكيف لا يؤاخذ الخليفة بالسنة وهو وارث علم النبي وحامل سنته؟ وقد أكمل الله دينه وأوحى إلى نبيه ما تحتاج إليه أمته، وبلغ ﷺ كل ما جاء حتى حق له أن ينهى عن الرأي والقياس في دين الله، أو يقول: «ما تركت شيئاً ممّا أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، ولا تركت شيئاً ممّا نهاكم عنه إلا وقد نهيتكم عنه»^(٣).

وقد فتح الخليفة لتصرفه في علوم الكتاب والسنة باب القول بالرأي بمصراعيه بعدما سدّه النبي الأعظم على أمته، ولم تكن عند الخليفة مندوحة سواه، قال ابن سعد في الطبقات^(٤)، وأبو عمر في كتاب العلم^(٥) (٥١/٢)، وابن القيم في أعلام

(١) طبقات ابن سعد: ١٣٩/٣ [١٨٣/٣]، المجتبي لابن دريد: ص ٢٧ [ص ١٥]، عيون الأخبار لابن قتيبة: ٢٣٤/٢ [مج ١/٥ ج ٢٣٤/٥]، تاريخ الطبري: ٢٠٣/٣ [٢١٠/٣ حوادث سنة ١١١هـ]، سيرة ابن هشام: ٣٤٠/٤ [٣١١/٤]، تهذيب الكامل: ٦/١، العقد الفريد: ١٥٨/٢ [٢٣٨/٣]، إعجاز القرآن: ص ١١٥ [للباقلائي: ص ٢٠٩]، الرياض النضرة: ١٦٧/١، ١٧٧ [٢٠٧/٢]، ٢١٨ - ٢١٩]، تاريخ ابن كثير: ٢٤٧/٥ [٢٦٩/٥ حوادث سنة ١١١هـ] وصححه، شرح ابن أبي الحديد: ١٣٤/١ [٥٦/٢ خطبة ٢٦]، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ٤٧، ٤٨ [ص ٦٦ و ٦٧]، السيرة الحلبية: ٣٨٨/٣ [ص ٣٥٩]. (المؤلف)

(٢) صفة الصفوة: ٢٦٠/١ رقم ٢.

(٣) كتاب العلم لأبي عمر [ص ٤٢٨ ح ٢٠٦٧]، وفي مختصره: ص ٢٢٢ [ص ٣٨٤ ح ٢٤٩]. (المؤلف)

(٤) الطبقات الكبرى: ١٧٨/٣.

(٥) جامع بيان العلم: ص ٢٧٠ ح ١٣٩٨.

الموقعين^(١) (ص ١٩): إنَّ أبا بكر نزلت به قضية فلم يجد في كتاب الله منها أصلاً، ولا في السنة أثراً، فاجتهد رأيه ثم قال: هذا رأي فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأً فمني وأستغفر الله. وذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء عن ابن سعد^(٢) (ص ٧١).

وقال ميمون بن مهران: كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم فإن وجد في الكتاب أو علم من رسول الله ما يقضي بينهم قضى به، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال: أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله قضى في ذلك بقضاء؟ فرمما اجتمع إليه نفر كلهم يذكر من رسول الله ﷺ فيه قضاءً، فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ على نبينا، فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله ﷺ جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به^(٣).

هكذا كان شأن الخليفة في القضاء، وهذا مبلغ علمه، وهذه سيرته في العمل بالرأي المجرد وقد قال عمر بن الخطاب: أصبح أهل الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يعوها، وتفلفت منهم أن يرووها، فاشتقوا الرأي، أيها الناس إنَّ الرأي إنما كان من / رسول الله مصيباً؛ لأنَّ الله كان يريه، وإنما هو منا الظن والتكلف^(٤).

ثمَّ ما المسوغ لمن سدَّ فراغ النبي وأشغل منصبه أن يسأل الناس عن السنة الشريفة، ويأخذها ممن هو خليفة عليه؟ ولماذا خالف سيرته هذه لما سُئل عن الأب

(١) أعلام الموقعين: ٥٤/١.

(٢) تاريخ الخلفاء: ص ٩٨.

(٣) سنن اندارمي: ٥٨/١، وأخرجه البغوي كما في الصواعق: ص ١٠ [ص ١٨]. (المؤلف)

(٤) كتاب العلم لأبي عمر: ١٣٤/٢ [ص ٣٥١ ح ١٧٠٠ و ٣٦٣ ح ١٧٥٩]، وفي مختصره: ص ١٨٥

[ص ٣٢١ ح ٢٣١]، أعلام الموقعين: ص ١٩ [٥٤/١]. (المؤلف)

والكلالة وترك سؤال الصحابة واستشارتهم فأفتى برأيه ما أفتى، وقال بحريته ما قال.

وفما اتفق لأبي بكر من القضايا غير ما مرّ مع قلته غنية وكفاية في عرفان مبلغ علمه، وإليك منها:

- ١ -

رأي الخليفة في الجدة

عن قبيصة بن ذؤيب قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه تسأله عن ميراثها، فقال لها أبو بكر: مالك في كتاب الله شيء، وما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فأرجعي حتى أسأل الناس. فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطها السدس. فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة. فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه. الحديث ^(١).

فانظر إلى ما عذب عنه علم الخليفة في مسألة تكثرت بها البلوى ويطرد الحكم فيها، حتى اضطرت الحاجة إلى الركون إلى رواية مثل المغيرة أزنفي ثقيف وأكذب الأمة ^(٢)، وكان من تغييره للسنة ولعبه بها أنه صلى صلاة العيد يوم عرفة مخافة أن يعزل سنة أربعين ^(٣)، وكان ينال من أمير المؤمنين رضي الله عنه كلما رقى صهوة المنبر ^(٤).

(١) موطأ مالك: ٣٣٥/١ [٥١٣/٢ ح ٤]، سنن الدارمي: ٣٥٩/٢، سنن أبي داود: ١٧/٢ [١٢١/٣ ح ٢٨٩٤]، سنن ابن ماجه: ١٦٣/٣ [٩٠٩/٢ ح ٢٧٢٤]، مسند أحمد: ٢٢٤/٤ [٢٦٥/٥ ح ١٧٥١٩]، سنن البيهقي: ٢٣٤/٦، بداية المجتهد: ٣٤٧/٢، مصابيح السنة: ٢٢/٢ [٣٩١/٢ ح ٢٢٧٣]. (المؤلف)

(٢) راجع الجزء السادس من كتابنا هذا: ص ١٤١. (المؤلف)

(٣) الأغاني: ١٤٢/١٤ [٩٦/١٦]. (المؤلف)

(٤) مرّ في الجزء السادس: ص ١٤٣، ١٤٤. (المؤلف)

- ٢ -

رأي الخليفة في الجدّتين

عن القاسم بن محمد أنه قال: أتت الجدّتان إلى أبي بكر الصديق عليه السلام / فأراد أن يجعل السدس للتي من قبل الأمّ، فقال له رجلٌ من الأنصار: أما إنك تترك التي لو ماتت وهو حيّ كان إياها يرث، فجعل أبو بكر السدس بينهما. ١٢١/٧

لفظ آخر:

إن جدّتين أتتا أبا بكر الصديق عليه السلام أمّ الأمّ وأمّ الأب، فأعطى الميراث أمّ الأمّ دون أمّ الأب، فقال له عبدالرحمن بن سهيل - سهل - أخو بني حارثة: يا خليفة رسول الله لقد أعطيت التي لو أنّها ماتت لم يرثها. فجعله أبو بكر بينهما يعني، السدس. راجع ^(١) موطأ مالك (٢٣٥/١)، سنن البيهقي (٢٣٥/٦)، بداية المجتهد (٣٤٤/٢)، الاستيعاب (٤٠٠/٢)، الإصابة (٤٠٢/٢) وقال: رجاله ثقات، كنز العمال (٦/٦) نقلاً عن مالك، وسعيد بن منصور، وعبد الرزاق، والدارقطني، والبيهقي.

قال الأميني: أولاً تعجب من جهل الرجل بحكم إرث الجدّتين، وسرعة انقلابه عمّا ارتآه أولاً بنقد رجل من الأنصار أو أخي بني حارثة؟ وكان ذلك النقد يستدعي حرمان الجدّة من قبل الأمّ لكنّه شركهما في الميراث واتّخذته الفقهاء مصدراً لحكمهم، وأصل الحكم مأخوذ من رواية المغيرة المخصوصة بالجدّة الواحدة فانظر واعتبر.

(١) موطأ مالك: ٥١٣/٢ ح ٥، بداية المجتهد: ٣٤٨/٢، الاستيعاب: ٨٣٦/٢ رقم ١٤٢٤، كنز العمال: ٢٢/١١ ح ٣٠٤٦٦، سنن سعيد بن منصور: ٥٥/١ ح ٨١، ٨٢، المصنّف لعبد الرزاق: ٢٧٥/١٠ رقم ١٩٠٨٤، سنن الدارقطني: ٩٠/٤ - ٩١ ح ٧٢ و ٧٣.

وأما رأي الرجل الأنصاري في الجدة الذي زحزح الخليفة عن حكمه فلم يكن أخذاً بالكتاب والسنة بل كان مخالفاً لها وفقاً لقول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا وبنائنا بنوهن أبناء الرجال الأبعاد

فخصّ القوم به قول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾^(١) لعقب الأبناء دون من عقبته البنات، وذهبوا إلى عدم شمول أحكام الأولاد في الفروض وغيرها على وليد بنت الرجل محتجّين بقول الشاعر.

قال ابن كثير في تفسيره (١٥٥/٢): قالوا: إذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم فإنه يختص بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه واحتجّوا بقول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا وبنائنا بنوهن أبناء الرجال الأبعاد

وقال البغدادي في خزنة الأدب^(٢) (٣٠٠/١): هذا البيت لا يُعرف قائله مع شهرته في كتب النحاة وغيرهم. قال العيني: هذا البيت استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر، والفرضيون على دخول أبناء الأبناء في الميراث، وأن الانتساب إلى الآباء، والفقهاء كذلك في الوصية، وأهل المعاني والبيان في التشبيه، ولم أر أحداً منهم عزاه إلى قائله.

وقال: رأيت في شرح الكرماني في شواهد شرح الكافية للخبيصي^(٣) أنه قال: هذا البيت قائله أبو فراس همام الفرزدق بن غالب^(٤) ثم ترجمه والله أعلم بحقيقة الحال. انتهى.

(١) النساء: ١١.

(٢) خزنة الأدب: ٤٤٥/١.

(٣) شمس الدين أبو بكر الخبيصي أسمى شرحه بالمرشح. (المؤلف)

(٤) نسبه صاحب جامع الشواهد إلى عمر في صفحة: ٩١ [٣١٧/١] فقال: هو من أبيات لعمر بن الخطاب. وهذا أقرب إلى ما يشاهد فيه من الإلمام بالسياسة. (المؤلف)

سبحانك اللهم ما أجرأهم على هذا الرأي - السياسي - في دين الله لإخراج آل الله عن بنوة رسول الله ﷺ ! ما قيمة قول الشاعر تجاه قول الله تعالى ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ﴾^(١) فهو نص صريح على أن الحسين السبطين ابني النبي الأقدس .

وقد سمى الله سبحانه أسباط نوح ذرية له ، وليست الذرية إلا ولد الرجل كما في القاموس^(٢) (٣٤/٢) فقال سبحانه : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ - إِلَى قَوْلِهِ - : وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾^(٣) فعَدَّ عيسى من ذرية نوح وهو ابن بنته مريم .

قال الرازي في تفسيره^(٤) ، (٤٨٨/٢) : هذه الآية - يعني آية قل تعالوا - دالة على أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا ابني رسول الله ﷺ ، وعد أن يدعو أبناءه ، فدعا الحسن والحسين ، فوجب أن يكونا ابنيه ، ومما يؤكد هذه قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَى ﴾ ، ومعلوم أن عيسى عليه السلام إنما انتسب إلى إبراهيم عليه السلام لا الأب ، فثبت أن ابن البنت قد يُسمى ابناً والله أعلم .

وقال القرطبي في تفسيره^(٥) (١٠٤/٤) : فيها - يعني آية تعالوا - دليل على أن أبناء البنات يسمون أبناءً . وقال^(٦) (٣١/٧) : عَدَّ عيسى من ذرية إبراهيم وإنما هو ابن البنت ، فأولاد فاطمة عليها السلام ذرية النبي ﷺ ، وبهذا تمسك من رأى أن ولد البنات يدخلون في اسم الولد . قال أبو حنيفة والشافعي : من وقف وقفاً على ولده وولد ولده

(١) آل عمران : ٦١ .

(٢) القاموس المحيط : ص ٥٠٧ .

(٣) الأنعام : ٨٤ و ٨٥ .

(٤) التفسير الكبير : ٨١/٨ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٦٧/٤ .

(٦) المصدر السابق : ٢٢/٧ - ٢٣ .

أنه يدخل فيه ولد ولده، وولد بناته ما تناسلوا. وكذلك إذا أوصى لقرابته يدخل فيه ولد البنت، والقرابة عند أبي حنيفة كل ذي رحم محرم. إلى أن قال:

وقال مالك: لا يدخل في ذلك ولد البنات، وقد تقدّم نحو هذا عن الشافعي^(١) (١٠٤/٤)، والحجة لها قوله سبحانه: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ فلم يعقل المسلمون^(٢) من ظاهر الآية إلا ولد الصلب وولد الابن خاصة. إلى أن قال: وقال ابن القصار: وحجة من أدخل البنات في الأقارب قوله ﷺ: «إن ابني هذا سيد». ولا نعلم أحداً يمتنع أن يقول في ولد البنات لأنهم ولد لأبي أمهم. والمعنى يقتضي ذلك؛ لأن الولد مشتق من التولد وهم متولدون عن أبي أمهم لا محالة، والتولد من جهة الأم كالتولد من جهة الأب، وقد دلّ القرآن على ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فجعل عيسى من ذريته وهو ابن بنته. انتهى.

وأخرج ابن أبي حاتم؛ بإسناده عن أبي حرب بن أبي الأسود قال: أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال: بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي ﷺ. تجده في كتاب الله؟ وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده. قال: أليس تقرأ سورة الأنعام: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ حتى بلغ: ﴿وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾؟ قال بلى. قال: أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب؟ قال: صدقت.

فلهذا إذا أوصى الرجل لذريته أو وقف على ذريته أو وهبهم دخل أولاد البنات فيهم. إلخ. تفسير ابن كثير (١٥٥/٢).

فبعد كون ذرية الرجل ولده على الإطلاق ودخل فيهم أولاد البنات لا ينبغي

(١) أنظر الجامع لأحكام القرآن: ٦٧/٤.

(٢) هذه فرية على المسلمين وحاشاهم أن يعقلوا من الآية خلاف ظاهرها من دون أي دليل صارف. (المؤلف)

التفكيك في الأحكام عندئذ بين الذرية والأولاد، ولا يسع لأي أحد أن يرى أبناء البنات أبناء الرجال الأبعد خارجين عن ولد الرجل على الحقيقة، ويصح له مع ذلك عدّهم من ذريته، وليست إلا ولد الرجل.

ويشهد على لغة القرآن المجيد، وأن ولد البنت ابن أبيها على الحقيقة، قول رسول الله ﷺ:

١ - «أخبرني جبريل: أن ابني هذا - يعني الحسين - يُقتل. وفي لفظ: إن أمتي ستقتل ابني هذا»^(١).

طبقات ابن سعد، مستدرک الحاكم (١٧٧/٣)، أعلام النبوة للماوردي (ص ٨٣)، ذخائر العقبى (ص ١٤٨)، الصواعق (ص ١١٥).

٢ - وقوله: «ابني هذا يُقتل بأرض من العراق».

دلائل النبوة لأبي نعيم^(٢) (٢٠٢/٣)، ذخائر العقبى (ص ١٤٦).

٣ - وقوله للحسن السبط: «ابني هذا سيد».

المستدرک (١٧٥/٣)، أعلام الماوردي^(٣) (ص ٨٣)، تفسير ابن كثير (١٥٥/٢).

٤ - وقوله لعلي: «أنت أخي وأبو ولدي».

ذخائر العقبى (ص ٦٦).

٥ - وقوله: «إن جبريل أخبرني أن الله ﷻ قتل بدم يحيى بن زكريا سبعين

ألفاً وهو قاتل بدم ولدك الحسين سبعين ألفاً».

ذخائر العقبى (ص ١٥٠).

(١) ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد غير المطبوع: ص ٤٤ ح ٢٦٨، المستدرک على

الصحيحين: ١٩٤/٣ ح ٤٨١٨، أعلام النبوة: ص ١٣٧، الصواعق المحرقة: ص ١٩٢.

(٢) دلائل النبوة: ٧١٠/٢ ح ٤٩٣.

(٣) المستدرک على الصحيحين: ١٩١/٣ ح ٤٨٠٩، أعلام النبوة ص ١٣٧.

٦ - وقوله: «المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدرّي» .

ذخائر العقبي (ص ١٢٦).

٧ - «هذان ابناي من أحبهما فقد أحببني»^(١) الحسن والحسين .

المستدرک (١٦٦/٣)، تاريخ ابن عساكر (٢٠٤/٤)، كنز العمال (٢٢١/٦).

٨ - وقوله لفاطمة الصديقة: «ادعي لي ابني» .

تاريخ ابن عساكر^(٢) (٣١٦/٤).

٩ - وقوله لأنس: «ادع لي ابني» .

تاريخ ابن كثير^(٣) (٢٠٥/٨).

١٠ - وقوله: «ادعوا ابني»، فأتى الحسن بن عليّ .

ذخائر العقبي (ص ١٢٢).

١١ - وقوله: «اللهم إن هذا ابني الحسن وأنا أحبه فأحبه وأحب من

يحبّه» .

تاريخ ابن عساكر^(٤) (٢٠٣/٤).

١٢ - وقوله لعلّي: «أي شيء سميت ابني؟ قال: ما كنت لأسبقك بذلك، فقال: ١٢٥/٧

وما أنا السابق ربّي فهبط جبريل فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك:

عليّ منك بمنزلة هارون من موسى لكن لا نبيّ بعدك، فسمّ ابنك هذا باسم ولد هارون» .

ذخائر العقبي (ص ١٢٠).

(١) المستدرک علی الصحیحین: ١٨١/٣ ح ٤٧٧٦، تاريخ مدينة دمشق: ١٩٩/١٣ رقم ١٢٨٣، وفي

مختصر تاريخ دمشق: ١٢/٧، كنز العمال: ١٢٠/١٢ ح ٣٤٢٨٦.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ١٥٣/١٤ رقم ١٥٦٦، وفي مختصر تاريخ دمشق: ١٢٠/٧.

(٣) البداية والنهاية: ٢٢٣/٨ حوادث سنة ٦١هـ.

(٤) تاريخ مدينة دمشق: ١٩٧/١٣ رقم ١٢٨٣، وفي مختصر تاريخ دمشق: ١٠/٧.

١٣ - وقوله: «أروني ابني ما سُمِّمَوه»^(١). قاله لما ولد الحسن، وفي ولادة الحسين، وكذلك في ولادة محسن بن علي.

المستدرک (٣/١٨٠)، كنز العمال (٧/١٠٧، ١٠٨) عن الدارقطني، وأحمد، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن حبان، والدولابي، والبيهقي، والحاكم والخطيب.

١٤ - وقوله: «اطلبوا ابني» لما ضلَّ الحسن والحسين.

كنز العمال^(٢) (٧/١٠٨).

١٥ - وقوله: «إنَّ ابنيَّ هذين ریحانتاي من الدنيا»^(٣)، يعني الحسنين.

الصواعق (ص ١١٤)، كنز العمال (٦/٢٢٠، ١٠٩/٧).

١٦ - وقوله: «ابني ارتحلني»^(٤) *بفتح الهمزة*

أخرجه أحمد. والبعوي. والطبراني. والحاكم. والبيهقي. وسعيد بن منصور. وابن عساكر في تاريخه (٤/٣١٧)، وابن كثير في تاريخه (٨/٣٦)، وراجع كنز العمال (٦/٢٢٢ و ١٠٩/٧).

(١) المستدرک علی الصحیحین: ٣/١٨٠ ح ٤٧٧٢، كنز العمال: ١٣/٦٦٠ و ٦٦٤ ح ٣٧٦٧٦ و ٣٧٦٩٢، مسند أحمد: ١/١٩٠ ح ٩٥٦، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ١٥/٤٠٩ ح ٦٩٥٨، الذرية الطاهرة: ص ٩٩ ح ٩١، سنن البيهقي: ٦/١٦٦.

(٢) كنز العمال: ١٣/٦٦٢ ح ٣٧٦٨٥.

(٣) الصواعق المحرقة: ص ١٩١، كنز العمال: ١٢/١١٣ ح ٣٤٢٥٢ و ١٣/٦٦٧ ح ٣٧٦٩٩.

(٤) مسند أحمد: ٧/٦٢٢ ح ٢٧١٠٠، المعجم الكبير: ٧/٢٧٠ ح ٧١٠٧، المستدرک علی الصحیحین:

٣/٧٢٦ ح ٦٦٣١، تاريخ مدينة دمشق: ١٤/١٦٠ رقم ١٥٦٦، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٧/١٥

و ١٢١، البداية والنهاية: ٨/٤٠ حوادث سنة ٤٩ هـ، كنز العمال: ١٢/١٢٤ ح ٣٤٣٠٨ و ١٣/٦٦٨

ح ٣٧٧٠٣.

١٧ - وقوله: «هاتوا ابنيّ أعوذهما بما عوذ به إبراهيم ابنيه» .

تاريخ ابن عساكر^(١) (٢٠٩/٤).

١٨ - وقوله لأنس: «ويحك يا أنس دع ابني وثمره فؤادي - يعني الحسن» .

كنز العمال^(٢) (٢٢٢/٦).

١٩ - وقوله: «ابناني هذان: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة» .

الصواعق لابن حجر^(٣) (ص ١١٤).

٢٠ - وقوله في عليّ: «هذا أخي وابن عمّي وصهري وأبو ولدي» .

كنز العمال^(٤) (١٥٤/٦).

٢١ - وقوله: «سمّيت ابنيّ هذين باسم ابني هارون شبر وشبير»^(٥) .

الصواعق (ص ١١٥)، كنز العمال (٢٢٢/٦).

٢٢ - وقوله: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى

يبعث / رجلاً من ولدي اسمه كاسمي» .

فقال سلمان: من أيّ ولدك يا رسول الله؟ قال: «من ولدي هذا، وضرب بيده

على الحسين» .

ذخائر العقبى (ص ١٣٦).

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٢٢٤/١٣ رقم ١٢٨٣، وفي مختصر تاريخ دمشق: ١٨/٧ .

(٢) كنز العمال: ١٢٥/١٢ ح ٣٤٣١٠ .

(٣) الصواعق المحرقة: ص ١٩١ .

(٤) كنز العمال: ٦٠٩/١١ ح ٣٢٩٤٧ .

(٥) الصواعق المحرقة: ص ١٩٢، كنز العمال: ١١٨/١٢ ح ٣٤٢٧٥ .

٢٣ - وقول الحسن السبط سلام الله عليه في خطبة له: «أنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير»^(١).

المستدرک (١٧٢/٣)، ذخائر العقبى (ص ١٣٨، ١٤٠)، شرح ابن أبي الحديد (١١/٤)، مجمع الزوائد (١٤٦/٩)، إتحاف الشبراوي (ص ٥).

٢٤ - وقوله لأبي بكر وهو في منبر جدّه الأقدس: «إنزل عن مجلس أبي». فقال أبو بكر: صدقت إنه مجلس أبيك. وفي لفظ: «إنزل عن منبر أبي». فقال أبو بكر: منبر أبيك لا منبر أبي^(٢).

الرياض النضرة (١٣٩/١)، شرح ابن أبي الحديد (١٧/٢)، الصواعق (ص ١٠٨)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٥٤)، كنز العمال (١٣٢/٣).

٢٥ - وقوله في وصيته: «أدقنوني عند أبي» - يعني المصطفى.

إتحاف الشبراوي^(٣) (ص ١١).

٢٦ - وقول الحسين السبط عليه السلام لعمر: «إنزل عن منبر أبي». فقال عمر: منبر أبيك لا منبر أبي، من أمرك بهذا؟

تاريخ ابن عساکر^(٤) (٣٢١/٤).

(١) المستدرک علی الصحیحین: ١٨٨/٣ - ١٨٩ ح ٤٨٠٢، شرح نهج البلاغة ٣٠/١٦ كتاب ٣١، الإتحاف بحب الأشراف: ص ١٨.

(٢) الرياض النضرة: ١٧٥/١، شرح نهج البلاغة: ٤٢/٦ خطبة ٦٦، الصواعق المحرقة: ص ١٧٧، تاريخ الخلفاء: ص ٧٥، كنز العمال: ٦١٦/٥ ح ١٤٠٨٤ و ١٤٠٨٥.

(٣) الإتحاف بحب الأشراف: ص ٢٨.

(٤) تاريخ مدينة دمشق: ١٧٥/١٤ رقم ١٥٦٦، وفي مختصر تاريخ دمشق: ١٢٧/٧.

٢٧ - وقول ابن عباس: هذان - الحسن والحسين - ابنا رسول الله ﷺ .

تاريخ ابن عساكر^(١) (٢١٢/٤، ٣٢٢).

٢٨ - وقول زهير بن القين مخاطباً الحسين ﷺ: قد سمعنا يا بن رسول الله

مقاتلك، جمهرة خطب العرب^(٢) (٤٠/٢).

٢٩ - وقول الإمام السبط الحسن الزكي كما في الإتحاف للشبراوي^(٣) (ص ٤٩):

خيرة الله من الخلق أبي بعد جدّي وأنا ابن الخيرتين
فضة قد صيغت من ذهب فأنا الفضة ابن الذهبين

٣٠ - وقوله كما في الإتحاف^(٤) (ص ٥٧):

أنا ابن الذي قد تعلمون مكانه وليس على الحق المبين طحاء
أليس رسول الله جدّي ووآلدي أنا البدر إن حلّ النجوم خفاء

٣١ - وقول الفرزدق في مدح الإمام السجاد علي بن الحسين ﷺ:

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم

٣٢ - وقول ابن بشر في زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ يمدحه:

إذا نزل ابن المصطفى بطن تلعة نفي جدبها واخضر بالنبت عودها
وزيد ربيع الناس في كل شتوة إذا أخلفت أبراقها ورعودها

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٢٣٩/١٣ رقم ١٣٨٣ و ١٧٩/١٤ رقم ١٥٦٦، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٢٢/٧ و ١٢٨.

(٢) جمهرة خطب العرب: ٤٨/٢ رقم ٣٣.

(٣) الإتحاف بحب الأشراف: ص ١٣٦.

(٤) المصدر السابق: ص ١٩٣، ١٣٩ و ١٣١ على التوالي.

٣٣ - وقول أبي عاصم بن حمزة الأسلمي يمدح الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، كما في زهر الآداب للحصري القيرواني ^(١) (٨٠/١) :

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| ستأتي مدحتي الحسن بن زيد | وتشهد لي بصفين القبور |
| قبور لم تزل مُذْ غاب عنها | أبو حسن تعاديا الدهور |
| قبور لو بأحمد أو علي | يلوذ بجيرها حمسي المجير |
| هما أبواك من وضعا فضعه | وأنت برفع من رفعا جدير |

٣٤ - وقول إبراهيم بن علي بن هرمة لما نصحه الحسن بن زيد المذكور كما في زهر الآداب ^(٢) (٨١/١) :

نهاني ابن الرسول عن المدام وأدبني بأداب الكرام

٣٥ - وقول أبي تمام الطائي ^(٣) :

| | |
|--------------------------|------------------------------|
| فعلتم بأبناء النبي ورهطه | أفاعيل أدناها الخيانة والغدر |
|--------------------------|------------------------------|

٣٦ - وقول دعبيل الخزاعي :

| | |
|--------------------------|-----------------------------|
| فكيف ومن أتى بطالب زلفه | إلى الله بعد الصوم والصلوات |
| سوى حب أبناء النبي ورهطه | وبغض بني الزرقاء والعبلات |

٣٧ - وقوله :

| | |
|-----------------------|---|
| ألم يحزنك أن بني زياد | أصابوا بالترات بني النبي ^(٤) |
|-----------------------|---|

(١) زهر الآداب : ١٢٧/١ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٢٩ .

(٣) راجع فيما يلي من الأبيات تراجم شعرائها في أجزاء كتابنا هذا . (المؤلف)

(٤) الترات : جمع ترة وهي النار .

٣٨ - وقول الحيماني :

١٢٨/٧

قومٌ لماءِ المعالي في وجوههمُ
يدعون أحمدَ إن عدَّ الفخارُ أباً
عند التكرمِ تصويبُ وتصعيدُ
والعودُ يُنسبُ في أفنائه العودُ

٣٩ - وقول التنوخي :

من ابن رسولِ اللهِ وابنِ وصيِّه
إلى مدخلٍ في عقبه الدينِ ناصبِ

٤٠ - وقول الزاهي :

بنو المصطفى تفتون بالسيفِ عنوةً
ويسلمني طيفُ الهجوعِ فأهجعُ

٤١ - وقول الناشئ :

بني أحمدٍ قلبي بكم يتقطعُ
بمثلِ مصابي فيكمُ ليس يُسمعُ

٤٢ - وقول الصاحب بن عباد :

ما لعليِّ العليِّ أشباهُ
مبناه مبني النبيِّ تعرفه
لا والذي لا إله إلا هو
وابنائه عند التفاجرِ إبنائه

٤٣ - وقوله :

أُجِزُّ رأسُ ابنِ النبيِّ وفي الوريِّ
حيُّ أمامِ ركابه لم يقتلِ

٤٤ - وقوله :

محمدٌ ووصيِّه وابنيهما
وبعابدٍ وبقارين وكاظمِ

٤٥ - وقوله :

بمحمدٍ ووصيِّه وابنيهما
الطاهرين وسيدِ العبادِ

٤٦ - وقول الصوري^(١) :

فلهذا أبناء أحمد أبنا
ء علي طرائد الآفاق

٤٧ - وقول مهيار الديلمي^(٢) :

بأي حكم بنوه يتبعونكم
وفخركم أنكم صحب له تبع

٤٨ - وقوله^(٣) :

فيوم السقيفة يابن النبي
طرَّق يومك في كربلا

٤٩ - وقول ابن جابر^(٤) :

جعلوا لأبناء الرسول علامة
إن العلامة شأن من لم يشهر

٥٠ - وقال الشبراوي^(٥) :

يابن الرسول بأمتك الزهرا البتول
وجسدك المأمول عند الناس
وغدوت في الأشراف يابن المصطفى
كالعقل أو كالروح أو كالراس

فما المبرر عندئذٍ للخليفة في صفحه عما في كتاب الله وسنة نبيه وتلقيه بالقبول
قول الأنصاري الشاذ عن الكتاب والسنة؟

وما عذر فقيه أو حافظ اتَّخذ رأي الأنصاري ديناً محتجاً بقول شاعرٍ لم يُعرف
بعد، وبين يديه القرآن والحديث والأدب؟

(١) ديوان الصوري: ٣٠٩/١.

(٢) ديوان مهيار الديلمي: ١٨٣/٢.

(٣) المصدر السابق: ٥٠/٣.

(٤) راجع الشاعر شمس الدين المالكي من شعراء القرن الثامن: ٥٠٠/٦.

(٥) الإتحاف بحب الأشراف: ص ١٠٧.

- ٣ -

رأي الخليفة في قطع السارق

عن صفية بنت أبي عبيد: أن رجلاً سرق على عهد أبي بكر رضي الله عنه مقطوعة يده ورجله فأراد أبو بكر رضي الله عنه أن يقطع رجله ويدع يده يستطيب بها ويتطهر بها، ويتنفع بها، فقال عمر: لا والذي نفسي بيده لتقطعن يده الأخرى. فأمر به أبو بكر رضي الله عنه فقطعت يده. وعن القاسم بن محمد: أن أبا بكر رضي الله عنه أراد أن يقطع رجلاً بعد اليد والرجل، فقال عمر رضي الله عنه: السنة اليد^(١).

إن من موارد الحيرة أن الخليفة لا يعلم حد السارق الذي هو من أهم ما يجب عليه معرفته لحفظ الأمن العام، وتهدئة الحالة، وقطع جرثومة الفساد، ومن المحير أيضاً تسرعه إلى الحكم قبل ما عزي إليه فيما مر (ص ١١٩) من الرجوع إلى الكتاب والسنة ثم الاستعلام من الصحابة ثم المشورة بهم رسول

ثم إن الذي سدده في هذه القضية لم نسي الحكم إبان خلافته فأراد عين ما أراده صاحبه؟ راجع الجزء السادس (ص ١٣٦).

- ٤ -

رأي الخليفة في الجذ

عن ابن عباس وعثمان وأبي سعيد وابن الزبير قالوا: إن أبا بكر جعل الجذ أبا^(٢)، يعنون أنه كان يحجب الأخوة بالجذ ولم يشرك بينهما كما أن الأب يحجب الأخوة والأخوات.

(١) سنن البيهقي: ٢٧٣/٨ - ٢٧٤. (المؤلف)

(٢) صحيح البخاري باب ميراث الجذ [٢٤٧٧/٦]، سنن الدارمي: ٣٥٢/٢، أحكام القرآن للجصاص:

٩٤/١ [٨٢/١]، سنن البيهقي: ٢٤٦/٦، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ٦٥ [ص ٩٠]. (المؤلف)

قال الأميني: لم يكن رأي الخليفة هذا متخذاً من الكتاب والسنة، ولم يكن يعمل به أحد من الصحابة طيلة حياته، وما اتفق لجد يرث في أيامه حتى يؤيد رأيه ويقال: إن أحداً من الصحابة لم يخالف أبا بكر في حياته في رأيه هذا كما قاله البخاري والقرطبي^(١). وأول جد كان في الإسلام وأراد أن يأخذ المال كله مال ابن ابنه دون أخوته هو عمر بن الخطاب، فأتاه عليّ وزيد فقالا: ليس لك ذلك إنما كنت كأحد الأخوين، وقد فصلنا القول فيه في الجزء السادس (ص ١١٥ - ١١٨). فأول رجل خالف الخليفة في الجد هو خليفته بعده، وقد اتفق عليّ وعمر وعثمان وعبدالله بن عمر وزيد بن ثابت وابن مسعود على خلاف الخليفة على توريث الأخوة مع الجد^(٢) وهو قول مالك والأوزاعي وأبي يوسف ومحمد والشافعي وابن أبي ليلى^(٣).

وافعل القوم للخليفة عذراً بأنه كان يرى الجد أباً لمكان قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٤) وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ بتقرير إطلاق الأب على الجد على الحقيقة. ولا يخفى على أي أحد أن صحة هذا الإطلاق لا توجب اتحاد الأب والجد في جميع الأحكام، ألا ترى أن صحة إطلاق الأم على الجدة على الحقيقة وقولهم في تعريف الجدة: إنها الأم العليا^(٥) لا تستدعي الاشتراك في النصيب فيرون مع هذه للجدة السدس بالاتفاق. وفريضة الأم هي الثلث بالكتاب والسنة.

على أن الصحابة الأولين لم يكن عندهم أي إيعاز إلى هذا العذر المنحوت، ولو

(١) راجع صحيح البخاري باب ميراث الجد [٢٤٧٨/٦]، وتفسير القرطبي: ٦٨/٥ [٤٦/٥].

(المؤلف)

(٢) صحيح البخاري باب ميراث الجد [٢٤٧٨/٦]، سنن الدارمي: ٣٥٤/٢، بداية المجتهد: ٣٤٠/٢ [٣٤٣/٢]. (المؤلف)

(٣) أحكام القرآن للجصاص: ٩٤/٨ [٨٢/١]، تفسير القرطبي: ٦٨/٥ [٤٦/٥]. (المؤلف)

(٤) الحج: ٧٨.

(٥) تفسير القرطبي: ٦٨/٥ [٤٦/٥]. (المؤلف)

كان لرأي الخليفة قيمة وكرامة لأباحه أحد منهم، وفاة به عندما خالف عليّ وزيد عمر بن الخطاب ونهياه عن إعمال هذا الرأي.

١٣١٧ بل فيما رواه الدارمي عن الحسن من أن الجدد قد مضت سنته، وأن أبا بكر جعل الجدد أبا، ولكن الناس تخيروا^(١). إيعاز إلى أن السنة في الجدد ماضية ثابتة وقد خالفها الخليفة، وتخير الناس فخالفوه وعملوا بالسنة الشريفة.

- ٥ -

رأي الخليفة في تولية المفضول

قال الحلبي في السيرة النبوية^(٢) (٣/٣٨٦): إن أبا بكر رضي الله عنه كان يرى جواز تولية المفضول على من هو أفضل منه، وهو الحق عند أهل السنة لأنه قد يكون أقدر من الأفضل على القيام بمصالح الدين، وأعرف بتدبير الأمر، وما فيه انتظام حال الرعية. أجاب الحلبي بهذا عن تقديم أبي بكر عمر بن الخطاب وأبا عبيدة الجراح على نفسه في الخلافة وقوله: بايعوا أيّ الرجلين إن شئتم.

وقال الباقلاني في التمهيد (ص ١٩٥) عند الجواب عن قول أبي بكر: وليتكم ولست بخيركم: يمكن أن يكون قد اعتقد أن في الأمة أفضل منه إلا أن الكلمة عليه أجمع والأمة بنظره أصلح، لكي يدهم على جواز إمامة المفضول عند عارض يمنع من نصب الفاضل، ولهذا قال للأنصار وغيرهم: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أحدهما: عمر بن الخطاب وأبا عبيدة الجراح، وهو يعلم أن أبا عبيدة دونه ودون عثمان وعليّ في الفضل، غير أنه قد رأى أن الكلمة تجتمع عليه، وتنحسم الفتنة بنظره. وهذا أيضاً ممّا لا جواب لهم عنه.

(١) سنن الدارمي: ٣٥٣/٢. (المؤلف)

(٢) السيرة الحلبيّة: ٣٥٨/٣.

قال الأميني: الذي نرتبه في الخلافة أنها إمرة إلهية كالنبوة، وإن كان الرسول حُصَّ بالتشريع والوحي الإلهي، وشأن الخليفة التبليغ والبيان، وتفصيل المحمل، وتفسير المعضل، وتطبيق الكلمات بمصاديقها، والقتال دون التأويل^(١) كما / يُقاتل النبي دون التنزيل، وإظهار ما لم يتسنَّ للنبي الإشادة به إمّا لتأخر ظرفه، أو لعدم تهيو النفوس له، أو لغير ذلك من العلل، فكلّ منها داخل في اللطف الإلهي الواجب عليه بمعنى تقريب العباد إلى الطاعة وتبعيدهم عن المعصية، ولذلك خلقهم واستعبدهم وعلمهم ما لم يعلموا، فلم يدع البشر كالبهائم ليأكلوا ويتمتعوا ويلهيهم الأمل. ولكن خلقهم ليعرفوه، وليمكنهم من الحصول على مرضاته، وسهل لهم الطريق إلى ذلك ببعث الرسل، وإنزال الكتب، وتواصل الوحي في الفينة بعد الفينة.

وبما أن أيّ نبي لم يُنطَ عمره بمنصرم الدنيا، ولا قُدِّر له البقاء مع الأبد، وللشرائع ظروف مديدة، كما أن للشريعة الحاققة أمد لا منتهى له، فإذا مات الرسول ولشريعته إحدى المدتين وفي كل منها نفوس لم تكمل بعد، وأحكام لم تُبلَّغ وإن كانت مشرعة، وأخرى لم تأت ظروفها، ومواليد قدّر تأخير تكوينها، ليس من المعقول بعد أن تترك الأمة سُدى والحالة هذه، والناس كلهم في شمول ذلك اللطف الواجب عليه سبحانه شرع سواء، فيجب عليه جلّت عظمته أن يقَيِّض لهم من يكمل الشريعة ببيانه، ويزيح شبه الملحدين ببرهانه، ويجلو ظلم الجهل بعرفانه، ويدراً عن الدين عادية أعدائه بسيفه وسنانه، ويقىم الأمت والعوج بيده ولسانه.

ومهما كان للمولى جلّت مننه عناية بعبده، وقد ألزم نفسه بإسداء البرّ إليهم،

(١) وبهذا عرّف النبي ﷺ مولانا أمير المؤمنين بقوله: «إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيهه». قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟! قال: «لا». قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟! قال «لا، ولكن خاصف النعل»، وكان أعطى علياً نعله يخصفها.

أخرجه جمع من الحقاظ وصححه الحاكم والذهبي [في المستدرک على الصحيحين: ١٣٢/٣ ح ٤٦٢١، وكذا في تلخيصه]، والهشمي [في مجمع الزوائد: ١٣٣/٩] كما يأتي تفصيله. (المؤلف)

وأن لا يوليهم إلا الخير والسعادة، فعليه أن يختار لهم من ينوء بذلك العبء الثقيل ويمثّل مخلفه الرسول في الوظائف كلّها، فينصّر عليه بلسان ذلك النبيّ المبعوث، ولا يجوز أن يخلي سربهم، ويتركهم سُدىً، ألا ترى أن عبدالله بن عمر قال لأبيه: إنّ الناس يتحدّثون أنّك غير مستخلف، ولو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثمّ جاء وترك رعيته رأيت أن قد فرّط - لرأيت أن قد ضيّع - ورعيّة الناس أشدّ من رعيّة الإبل والغنم، ماذا تقول لله ﷻ إذ لقيتّه ولم تستخلف على عباده^(١)؟

وقالت عائشة لابن عمر: يا بنيّ أبلغ عمر سلامي وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راعٍ، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً، فإنّي أخشى عليهم الفتنة^(٢)، فترك الناس مهملين فيه خشية الفتنة عليهم.

وقال عبدالله بن عمر لأبيه: لو استخلفت. قال: من؟ قال: تجتهد فإنّك لست لهم ربّ تجتهد^(٣)، رأيت لو أنّك بعثت إلى قيم أرضك ألم تكن تحبّ أن يستخلف مكانه حتى يرجع إلى الأرض؟ قال: بلى. قال: رأيت لو بعثت إلى راعي غنمك ألم تكن تحبّ أن يستخلف رجلاً حتى يرجع^(٤)؟

وهذا معاوية بن أبي سفيان يتمسّك بهذا الحكم العقليّ المسلّم في استخلاف يزيد ويقول: إنّي أرهّب أن أدع أمة محمد بعدي كالضأن لا راعي لها^(٥).

(١) سنن البيهقي: ١٤٩/٨ عن صحيح مسلم [١٠٢/٤ ح ١٢ كتاب الإمارة]، سيرة عمر لابن الجوزي: ص ١٩٠ [ص ١٩٥]، الرياض النضرة: ٧٤/٢ [٣٥٣/٢]، حلية الأولياء: ٤٤/٨، فتح الباري: ١٧٥/١٣ [٢٠٦/١٣] عن مسلم. (المؤلف)

(٢) الإمامة والسياسة: ٢٢/١ [٢٨/١]. (المؤلف)

(٣) كذا في المصدر.

(٤) طبقات ابن سعد: ٢٤٩/٣ [٣٤٣/٣]. (المؤلف)

(٥) تاريخ الطبري: ١٧٠/٦ [٣٠٤/٥ حوادث سنة ٥٦هـ]، الإمامة والسياسة: ١٥١/١ [١٥٩/١].

ليت شعري هذا الدليل العقلي المتسالم عليه لم أهملته الأمة في استخلاف النبي الأعظم وأهمته بالصفح عنه؟ أنا لا أدري.

ولا يجوز أيضاً توكيل الأمر إلى أفراد الأمة، أو إلى أهل الحل والعقد منهم لأنّ ممّا أوجبه العقل السليم أن يكون الإمام مكتنفاً بشرائط بعضها من النفسيات الخفية والملكات التي لا يعلمها إلا العالم بالسرائر^(١) كالعصمة والقداسة الروحية، والنزاهة النفسية لتبعده عن الأهواء والشهوات، والعلم الذي لا يضلّ معه في شيء من الأحكام إلى كثير من الأوصاف التي تقوم بها النفس، ولا يظهر في الخارج منها إلا جزئيات من المستصعب الحكم باستقرائها على ثبوت كليّاتها: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُغْلِبُونَ﴾^(٢) و ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٣).

فالأمة المنكفي علمها عن الغيوب لا يمكنها تشخيص من تحلّى بتلك الصفات، فالغالب على خيرتها الخطأ، فإذا كان نبي كموسى على نبينا وآله وعليه السلام تكون وليدة اختياره من الآلاف المؤلفة سبعين رجلاً، وأنهم لما بلغوا الميقات قالوا: أرنا الله جهرة فما ظنك بأفراد عاديين واختيارهم؟ وأناس ماديين وانتخابهم؟ وما عساهم أن ينتخبوا غير أمثالهم ممن هو وإياهم سواسية كأسنان المشط في الحاجة إلى المسدّد؟ / وليس من المأمون أن يقع انتخابهم على عاتق، أو يكون التياثهم^(٤) بمشاغب، أو يكون انثياهم وراء من يسرّ على الأمة حسواً في ارتغاء^(٥) أو يقع

١٣٤/٧

(١) وقد أشبعنا القول في البرهنة على لزوم هذه الملكات الفاضلة في الإمامة في غير هذا المورد.

(المؤلف)

(٢) القصص: ٦٩.

(٣) الأنعام: ١٢٤.

(٤) الالتياث: الاختلاط والالتفاف.

(٥) مثل يضرب لمن يظهر أمراً ويريد غيره. تاج العروس: ١٥٣/١٠ [ومجمع الأمثال: ٥٢٥/٣]

رقم ٤٦٨٠]. (المؤلف)

اختيارهم على جاهل يرتبك في الأحكام فيرتكب العظام، ويأتي بالجرائم، ويترف المآثم وهو لا يعلم، أو يعلم ولا يكثر لأن يقول زوراً، ويحكم غروراً، فيفسدوا من حيث أرادوا أن يصلحوا، ويقعوا في الهلكة وهم لا يشعرون، كما وقعت أمثال ذلك في البيعة لمعاوية ويزيد وخلفاء الأمويين.

فعلى البارئ الذي يكره كل ذلك في خلقه أن لا يجعل لأحد من خلقه الخيرة فيها وقد خلقه ظلوماً جهولاً^(١) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢)، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾^(٣) في الأمر ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾^(٤).

وقد أخبر به النبي الأعظم من أول يومه يوم عرض نفسه على القبائل فبلغ بني عامر بن صعصعة ودعاهم إلى الله، فقال له قائلهم: رأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «إِنَّ الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»^(٥).

أني تسوغ أن تكون للخلق خيرة في الأمر مع شيوع الغايات والأغراض والدعاوي والميول والشهوات في الناس حول الانتخاب، مع اختلاف الأنظار وتضارب الآراء والمعتقدات في تحليل نفسيات الرجال والشخصيات البارزة، مع كثرة

(١) راجع الأحزاب: ٧٢. (المؤلف)

(٢) الملك: ١٤.

(٣) القصص: ٦٨.

(٤) الأحزاب: ٣٦.

(٥) سيرة ابن هشام: ٣٢/٢ [٦٦/٢]، الروض الأنف: ٢٦٤/١ [٣٨/٤ - ٣٩]، بهجة المحافل لعماد الدين العامري: ١٣٨/١، السيرة الحلبية: ٣/٢، سيرة زيني دحلان: ٣٠٢/١ [١٤٧/١] هامش الحلبية، حياة محمد ليكل: ص ١٥٢ [ص ٢٠١ - ٢٠٢]. (المؤلف)

الأحزاب والفرق والأقوام والطوائف المتشاكسة، مع شقاق القومية والطائفية والشعوبية الذائع الشائع في المسكين ابن آدم من أول يومه .

١٣٥/٧

وقد اقترن الانتخاب من بدء بدنه بالتحارش والتلاكم والتكالم والتشازر والتصاحب والتخاصم حتى قَدَّتْ برود يمانيَّة^(١) ووقع البرح براحاً^(٢) وكم بالانتخاب هُتكت حرمان وأهينت مقدّسات، وأضيعت حقائق، ودُحِض الحق الثابت، ودُحِسر الصالح العالم، واختلّ الوثام، وأقلق السلام، وسفحت دماء زكية، وتشلّشلت أشلاء الإسلام الصحيح، فجاء يطمع في الأمر من لاخلاق له من سوقي بردي، أو مبرطش أهلاه الصفق بالأسواق، أو بزّاز يحمل بني أبيه على رقاب الناس، أو حفّار قبور لا يعرف عرضه من طوله، أو طليق غاشم، أو خمّار سكّير، أو مستهتر مشاغب، من الذين اتَّخذوا عباد الله خولاً، ومال الله نحلاً، وكتاب الله دغلاً، ودين الله حولاً .

ومقتضى هذا البيان الضافي أن يكون الخليفة أفضل الخليقة أجمع في أمته، لأنّه لو كان في وقته من يمثله في الفضيلة أو من يتيف عليه استلزم تعيينه الترجيح بلا مرجح أو التطفيف في كفة الرجحان .

على أنّ الإمام لو قصر في شيء من تلك الصفات لأمكن حصول حاجته إلى المورد الذي نبا عنه علمه، أو تضاءلت عنه بصيرته، أو ضعفت عنه منته، فعندئذٍ الطامة الكبرى من الفتيا المجردة، والرأي لا عن دليل، أو الأخذ عمّن يسدّده، وفي الأوّل العيث والفشل، وفي الثاني سقوط المكانة، وقد أخذ في الإمام مثل النبي أن يكون بحيث يُطاع ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾^(٣) وقرنت طاعة الإمام بطاعة الله ورسوله في قوله تعالى: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(٤)

(١) مثل يضرب في شدة الخصومة، أي تخاصموا حتى تشاققوا الثياب الغائبة . (المؤلف)

(٢) البرح : الشدة والأذى والشرّ، والبراح : الصراح البين . (المؤلف)

(٣) و(٤) النساء : ٦٤ و ٥٩ .

وذلك ليتمكن إقامة الحدود الإلهية، ودحض الأباطيل، وربما تسربت الشبهة عن جهله إلى نفس الدعوة وحقيقة الدين إن كان عميده الداعي إليه يقصر عن الدفاع عنه وإزاحة الشكوك المتوجهة إليه.

فكل هذا يستدعي كماله في الصفات الكمالية كلها فيفضل على الأمة جمعاء، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾^(٢) ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٣).

١٣٦/٧

الخلافة عند القوم :

نعم؛ الخلافة التي تقول بها الجماعة لا تستدعي كل ما ذكرنا، فإنهم يحسبون الخليفة أي مستحوذ على الأمة يقطع السارق، ويقتص القاتل، ويكلاً الثغور، ويحفظ الأمن العام إلى ما يشبه هذه، ولا يخلع بفسق، ولا ينتقد بفاحشة مبينة، ولا يعاب بجهل، ولا يؤاخذ بعثرة، ولا يُشترط فيه أي من الملكات الكريمة، وله العتبى في كل ذلك، وليس عليه من عتب.

كلمة الباقلاني :

قال الباقلاني في التمهيد (ص ١٨١) باب الكلام في صفة الإمام الذي يلزم العقد له: فإن قال قائل: فخبرونا ما صفة الإمام المعقود له عندكم؟ قيل لهم: يجب أن يكون على أوصاف: منها أن يكون قرشياً من الصميم، ومنها: أن يكون من العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين، ومنها: أن يكون ذا بصيرة بأمر

(١) الزمر: ٩.

(٢) الرعد: ١٦.

(٣) يونس: ٣٥.

الحرب، وتدبير الجيوش والسرايا، وسد الثغور، وحماية البيضة، وحفظ الأمة، والانتقام من ظالمها، والأخذ لمظلومها، وما يتعلّق به من مصالحها.

ومنها: أن يكون ممّن لا تلحقه رقّة ولا هوادة في إقامة الحدود ولا جزع لضرب الرقاب والأبشار.

ومنها: أن يكون من أمثلهم في العلم وسائر هذه الأبواب التي يمكن التفاضل فيها، إلّا أن يمنع عارض من إقامة الأفضل فيسوغ نصب المفضول، وليس من صفاته أن يكون معصوماً، ولا عالماً بالغيب، ولا أفرس الأمة وأشجعهم، ولا أن يكون من بني هاشم فقط دون غيرهم من قبائل قريش.

وقال في صفحة (١٨٥): فإن قالوا: فهل تحتاج الأمة إلى علم الإمام وبيان شيء / حُصّ به دونهم، وكشف ما ذهب علمه عنهم؟ قيل لهم: لا؛ لأنّه هو وهم في علم الشريعة وحكمها سيان. فإن قالوا: فلماذا يقام الإمام؟ قيل لهم: لأجل ما ذكرناه من قبل من تدبير الجيوش، وسد الثغور، وردع الظالم، والأخذ للمظلوم، وإقامة الحدود، وقسم النية بين المسلمين والدفع بهم في حجّهم وغزوهم، فهذا الذي يليه ويُقام لأجله، فإن غلط في شيء منه، أو عدل به عن موضعه كانت الأمة من ورائه لتقويمه والأخذ له بواجبه.

١٣٧/٧

وقال في (ص ١٨٦): قال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث: لا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه بغصب الأموال، وضرب الأبشار، وتناول النفوس المحرّمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويفه وترك طاعته في شيء ممّا يدعو إليه من معاصي الله، واحتجّوا في ذلك بأخبار كثيرة متظافرة عن النبي ﷺ وعن الصحابة في وجوب طاعة الأئمة وإن جاروا واستأثروا بالأموال، وأنّه قال ﷺ: اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع، ولو لعبد حبشي، وصلّوا وراء كلّ برّ وفاجر. وروي أنّه قال: أطعمهم وإن أكلوا مالك، وضربوا

ظهورك، وأطيعوهم ما أقاموا الصلاة. في أخبار كثيرة وردت في هذا الباب، وقد ذكرنا ما في هذا الباب في كتاب إكفار المتأولين، وذكرنا ما روي في معارضتها وقلنا في تأويلها بما يغني الناظر فيه إن شاء الله.

وقال في (ص ١٨٦): وليس ممّا يوجب خلع الإمام حدوث فضل في غيره ويصير به أفضل منه، وإن كان لو حصل مفضولاً عند ابتداء العقد لوجب العدول عنه إلى الفاضل، لأنّ تزايد الفضل في غيره ليس يحدث منه في الدين، ولا في نفسه يوجب خلعه، ومثل هذا ما حكيناه عن أصحابنا أنّ حدوث الفسق في الإمام بعد العقد له لا يوجب خلعه، وإن كان ما لو حدث فيه عند ابتداء العقد لبطل العقد له ووجب العدول.

قال الأميني: وممّا أوعز إليه الباقلاني من الأخبار الكثيرة الدالة على وجوب طاعة الأئمة وإن جاروا واستأثروا بالأموال، ولا ينزل الإمام بالفسق ما يلي:

١ - عن حذيفة بن اليمان قال: قلت: يا رسول الله إنا كنا بشرّاً، فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرٌّ؟ قال: نعم. قلت: وهل وراء هذا الشرّ خير؟ قال: نعم. قلت: فهل وراء ذلك الخير شرٌّ؟ قال: نعم. قلت: كيف يكون؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جحائم إنس. قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع!

صحيح مسلم^(١) (١١٩/٢)، سنن البيهقي (١٥٧/٨).

٢ - عن عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خيار أئمتكم الذين تحبّونهم ويحبّونكم، وتصلّون عليهم ويصلّون عليكم، وشرار أئمتكم

(١) صحيح مسلم: ١٢٤/٤ ح ٥٢ كتاب الإمارة.

الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم ، قال : قلنا : يا رسول الله أفلا ننايذهم عند ذلك ؟ قال : لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة ، ألا ومن ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة .

صحيح مسلم^(١) (١٢٢/٢) ، سنن البيهقي (١٥٩/٨) .

٣ - سأل سلمة بن يزيد الجعفي النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا ؟ قال : فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، ثم سأله فأعرض عنه ، ثم سأله فقال : اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم . صحيح مسلم (١١٩/٢)^(٢) ، سنن البيهقي : (١٥٨/٨) .

٤ - عن المقدم : أن رسول الله ﷺ قال : أطيعوا أمراءكم ما كان ، فإن أمروكم بما حدتكم به فإنهم يؤجرون عليه وتؤجرون بطاعتكم ، وإن أمروكم بشيء مما لم آمركم به فهو عليهم وأنتم منه برآء ، ذلك بأنكم إذا لقيتم الله قلتم : ربنا لا ظلم . فيقول : لا ظلم . فتقولون : ربنا أرسلنا إليك رسلاً فأطعناهم بإذنك . واستخلفت علينا خلفاء^(٣) فأطعناهم بإذنك . وأمرت علينا أمراء فأطعناهم . قال : فيقول : صدقتم هو عليهم وأنتم منه برآء . سنن البيهقي (١٥٩/٨) .

٥ - عن سويد بن غفلة ، قال : قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا أبا أمية لعلك أن تخلف بعدي ، فأطع الإمام وإن كان عبداً حبشياً ، إن ضربك فاصبر ، وإن / أمرك بأمر فاصبر ، وإن حرمك فاصبر ، وإن ظلمك فاصبر ، وإن أمرك بأمر ينقص دينك فقل : سمع وطاعة ، دمي دون ديني^(٤) .

١٣٩/٧

(١) صحيح مسلم : ١٢٩/٤ ح ٦٦ كتاب الإمارة .

(٢) صحيح مسلم : ١٢٢/٤ ح ٤٩ . وأنظر أيضاً أسد الغابة : ٤٩٤/٥ رقم ٥٥٥٤ .

(٣) هذا افتراء على الله ، إن الله قط لم يستخلف ولم يؤمر على الأمة أولئك الخلفاء والأمراء وإنما هم خيرة أمتهم ، والشكر والعتب عليها مها صلحوا أو جاروا . (المؤلف)

(٤) سنن البيهقي : ١٥٩/٨ . (المؤلف)

وأخذاً بهذه الأحاديث قال الجمهور بعدم عزل الإمام بالفسق، قال النووي في شرح مسلم^(١) هامش إرشاد الساري (٣٦/٨) في ذيل هذه الأحاديث المذكورة عن صحيح مسلم: ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاية الأمور في ولايتهم، ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيت ذلك فأنكروه عليهم، وقولوا بالحق حيث ما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقةً ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينزل السلطان بالفسق - إلى أن قال -: فلو طرأ على الخليفة فسق قال بعضهم: يجب خلعُه إلا أن تترتب عليه فتنة وحرب، وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع، ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخفيفه.

قال الأميني: فما عذر عائشة وطلحة والزبير ومن تبعهم من الناكثين والمارقين في الخروج على مولانا أمير المؤمنين؟ هب صلوات الله عليه آوى قتلة عثمان، وعطل الحدود معاذ الله فأين العمل بهذه الأحاديث التي أخذتها الأمة المسكينة سنة ثابتة مشروعة؟ أنا لا أدري.

كلمة التفاتازاني:

وقال التفاتازاني في شرح المقاصد^(٢) (٢٧١/٢): ولا يشترط أن يكون الإمام هاشمياً ولا معصوماً ولا أفضل من يولئ عليهم.

وقال في (ص ٢٧٢): إذا مات الإمام وتصدى للإمامة من يستجمع شرائطها من غير بيعة واستخلاف وقهر الناس بشوكته انعقدت الخلافة له، وكذا إذا كان فاسقاً أو جاهلاً على الأظهر إلا أنه يُعصى فيما فعل، ويجب طاعة الإمام ما لم يخالف حكم

(١) شرح صحيح مسلم: ٢٢٩/١٢.

(٢) شرح المقاصد: ٢٣٣/٥.

الشرع، سواء كان عادلاً أو جائراً.

كلمة القاضي الإيجي^(١) :

قال في المواقف^(٢) : الجمهور على أن أهل الإمامة مجتهد في الأصول والفروع ليقوم بأمور الدين، ذو رأي ليقوم بأمور الملك، شجاع ليقوى على الذب عن الحوزة، وقيل: لا يشترط هذه الصفات لأنها لا توجد فيكون اشتراطها عبثاً أو تكليفاً بما لا يطاق، ومستلزماً للمفاسد التي يمكن دفعها بنصب فاقدها.

١٤٠/٧

نعم؛ يجب أن يكون عدلاً لئلا يجور، عاقلاً ليصلح للتصرفات، بالغاً لقصور عقل الصبي، ذكراً إذ النساء ناقصات عقل ودين، حرّاً لئلا يشغله خدمة السيد، ولئلا يُحتقر فيعصى، فهذه الصفات مشروطة بالإجماع.

وها هنا صفات في اشتراطها خلاف:

الأولى: أن يكون قرشياً.

الثانية: أن يكون هاشمياً، شرطه الشيعة.

الثالثة: أن يكون عالماً بجميع مسائل الدين، وقد شرطه الإمامية.

الرابعة: ظهور المعجزة على يده إذ به يعلم صدقه في دعوى الإمامة، والعصمة وبه قال الغلاة. ويبطل الثلاثة أنا ندلّ على خلافة أبي بكر ولا يجب له شيء مما ذكر^(٣).

الخامسة: أن يكون معصوماً شرطها الإمامية والإسماعيلية، ويبطله أن أبا بكر لا تجب عصمته اتفاقاً^(٤).

(١) إمام الشافعية القاضي عبدالرحمن الإيجي، المتوفى ٧٥٦. (المؤلف)

(٢) المواقف: ص ٣٩٨.

(٣) دليل يضحك التكلّي؛ لأنه لا يعدوه أن يكون مصادرة بالمطلوب، وأخذ المدعى دليلاً. (المؤلف)

(٤) اقرأ واضحك أو اعطفه على ما قبله. (المؤلف)

كلمة أبي الثناء^(١) :

قال في مطالع الأنظار (ص ٤٧٠): صفات الأئمة هي تسع:

الأولى: أن يكون الإمام مجتهداً في أصول الدين وفروعه.

الثانية: أن يكون ذا رأي وتدبير، يدير الوقائع، أمر الحرب والسلام وسائر

الأمور السياسيّة.

الثالثة: أن يكون شجاعاً قويّ القلب لا يجبن عن القيام بالحرب، ولا يضعف

قلبه عن إقامة الحدّ ولا يتهور بإلقاء النفوس في التهلكة. وجمع تساهلوا في الصفات

الثلاث وقالوا: إذا لم يكن الإمام متّصفاً بالصفات الثلاث ينيب من كان موصوفاً بها.

الرابعة: أن يكون الإمام عدلاً؛ لأنّه متصرّف في رقاب الناس وأموالهم

١٤١/٧

وأبضاعهم، فلو لم يكن عدلاً لا يؤمن تعدّيه بسوى

الخامسة: العقل.

السادسة: البلوغ.

السابعة: الذكورة.

الثامنة: الحرّيّة.

التاسعة: أن يكون قرشيّاً.

ولا يشترط فيه العصمة خلافاً للإسماعيليّة والاثني عشريّة. دليلنا إمامة

أبي بكر^(٢) والأئمة اجتمعت على كونه غير واجب العصمة، لا أقول إنّه غير

معصوم!

(١) شمس الدين بن محمود الأصبهاني المتوفى ٧٤٩. (المؤلف)

(٢) ما أتقنها من برهنة ويا للعجب! (المؤلف)

ما تنعقد به الإمامة :

قال القاضي عضد الإيجي في المواقف^(١) : المقصد الثالث فيما تثبت به الإمامة :
أنها تثبت بالنص من الرسول ، ومن الإمام السابق بالإجماع ، وتثبت ببيعة أهل الحلّ
والعقد خلافاً للشيعة ؛ دليلنا ثبوت إمامة أبي بكر رضي الله عنه بالبيعة^(٢) .

وقال : إذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة ، فاعلم أن ذلك لا يفتقر إلى
الإجماع^(٣) إذ لم يقم عليه دليل من العقل أو السمع ، بل الواحد والاثنان من أهل الحلّ
والعقد كافٍ لعلنا أن الصحابة مع صلابتهم في الدين اكتفوا بذلك كعقد عمر لأبي
بكر ، وعقد عبدالرحمن بن عوف لعثمان ، ولم يشترطوا اجتماع من في المدينة فضلاً عن
إجماع الأمة . هذا ولم ينكر عليهم أحد ، وعليه انطوت الأعصار إلى وقتنا هذا .

وقال بعض الأصحاب : يجب كون ذلك بمشهد بيّنة عادلة كفاً للخصام في
ادعاء من يزعم عقد الإمامة له سرّاً قبل من عقد له جهراً ، وهذا من المسائل
الاجتهادية .

ثم إذا اتفق التعدد تفحص عن المتقدم فأمضي ، ولو أصرّ الآخر فهو من البغاة ،
ولا يجوز العقد لإمامين في صقع متضايق الأقطار ، أما في متسعها بحيث لا يسع
الواحد تدبيره فهو محل الاجتهاد . انتهى ما في المواقف . وقد أقرّه شراحه وهم : السيد
الشريف الجرجاني ، والمولى حسن جلبي ، والشيخ مسعود الشيرواني . راجع شرح
المواقف^(٤) (٣/٢٦٥ - ٢٦٧) .

(١) المواقف : ص ٣٩٩ .

(٢) أنظر إلى هذا النول الذي تشابهوا في النسخ عليه . (المؤلف)

(٣) قال السيد الشريف الجرجاني : يعني من جميع أهل الحلّ والعقد . (المؤلف)

(٤) شرح المواقف : ٣٥٢/٨ .

كلمة الماوردي:

١٤٢/٧ وقال الماوردي في الأحكام السلطانية^(١) (ص ٤): اختلفت العلماء في عدد من تتعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتى، فقالت طائفة: لا تتعقد إلا بجمهور أهل العقد والحل من كل بلد ليكون الرضاء به عاماً، والتسليم لإمامته إجماعاً، وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر عليه السلام على الخلافة باختيار من حضرها ولم ينتظر ببيعته قدوم غائب عنها.

وقالت طائفة أخرى: أقل من تتعقد به منهم الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضى الأربعة استدلالاً بأمرين:

أحدهما: أن بيعة أبي بكر عليه السلام انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثم تابعهم الناس فيها، وهم: عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وأسيد بن حضير، وبشير بن سعد، وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه.

الثاني: أن عمر رضي الله عنه جعل الشورى في ستة ليعقد لأحدهم برضى الخمسة وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة.

وقال آخرون من علماء الكوفة: تتعقد بثلاثة يتولأها أحدهم برضى الاثنين ليكونوا حاكماً وشاهدين كما يصح عقد النكاح بولي وشاهدين.

وقالت طائفة أخرى: تتعقد بواحد؛ لأن العباس قال لعلي عليه السلام: امدد يدك أبايعك فيقول الناس: عم رسول الله صلى الله عليه وآله بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان، ولأنه حُكم وحكم الواحد نافذ.

(١) الأحكام السلطانية: ٦/٢، ٧.

كلمة الجويني :

قال إمام الحرمين الجويني المتوفى (٤٧٨) في الإرشاد^(١) (ص ٤٢٤): باب في الاختيار وصفته وذكر ما تتعقد الإمامة به :

اعلموا أنه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع، بل تتعقد الإمامة وإن لم تجمع الأمة على عقدها، والدليل عليه أن الإمامة لما عقدت لأبي بكر ابتدر لإمضاء أحكام المسلمين، ولم يتأن لانتشار الأخبار إلى من نأى من الصحابة في الأقطار، ولم ينكر عليه منكر، ولم يحمله على التريث حامل، فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة، لم يثبت عدد محدود، ولا حدّ محدود، فالوجه الحكم بأن الإمامة تتعقد / بعقد واحد من أهل الحلّ والعقد. ١٤٣/٧

ثم قال بعض أصحابنا: لا بدّ من جريان العقد بمشهد من الشهود، فإنه لو لم يشترط ذلك لم نأمن أن يدعي مدّع عقداً سراً متقدماً على الحق المظهر المعلن، وليست الإمامة أحط رتبة من النكاح، وقد شرط فيه الإعلان، ولا يبلغ القطع، إذ ليس يشهد له عقل، ولا يدلّ عليه قاطع سمعي، وسبيله سبيل سائر المجتهدات. انتهى.

وقال الإمام ابن العربي المالكي في شرح صحيح الترمذي (٢٢٩/١٣): لا يلزم في عقد البيعة للإمام أن تكون من جميع الأنام، بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد على الخلاف المعلوم فيه.

كلمة القرطبي :

وقال القرطبي في تفسيره^(٢) (٢٣٠/١): فإن عقدها واحد من أهل الحلّ والعقد

(١) كتاب الإرشاد: ص ٣٥٧

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٨٦/١

فذلك ثابت ويلزم الغير فعله، خلافاً لبعض الناس حيث قال: لا تتعقد إلا بجماعة من أهل الحل والعقد، ودليلنا أن عمر رضي الله عنه عقد البيعة لأبي بكر ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك^(١)، ولأنه عقد فوجب ألا يفتقر إلى عدد يعقدونه كسائر العقود، قال الإمام أبو المعالي: من انعقدت له الإمامة بعقد واحد فقد لزمته، ولا يجوز خلعها من غير حدث وتغير أمر، قال: وهذا مجمع عليه.

قال الأميني: فما المبرر عندئذٍ لتخلف عبدالله بن عمر، وأسامة بن زيد، وسعد ابن أبي وقاص، وأبي موسى الأشعري، وأبي مسعود الأنصاري، وحسان ابن ثابت، والمغيرة بن شعبة، ومحمد بن مسلمة وبعض آخر من ولاية عثمان على الصدقات وغيرها عن بيعة مولانا أمير المؤمنين بعد إجماع الأمة عليها؟ وما عذر تأخرهم عن طاعته في حروبه، وقد عرفوا بين الصحابة وسموا المعتزلة لاعتزالهم بيعة علي^(٢)؟

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث الإسلامية

رأي الخليفة الثاني في الخلافة وأقواله فيها:

١٤٤/٧ عن عبدالرحمن بن أبزي قال: قال عمر: هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد، وفي كذا وكذا، وليس فيها لطلاق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء. طبقات ابن سعد^(٣) (٢٤٨/٣). وفي كلمة له ذكرها ابن

(١) كأن بني هاشم كلهم، والأنصار بأجمعهم إلا رجلين، والزبير وعسار وسلمان ومقداداً وأباذر وآخرين كثيرين من المهاجرين والمتخلفين عن بيعة أبي بكر المنكرين إياها كما فصل في محله لم يكونوا من الصحابة عند القرطبي، وإلا فلا يجوز للمفسر أن يكذب وهو يعلم أن التاريخ الصحيح سيكشف الستر عن دجله. (المؤلف)

(٢) المستدرک للحاكم: ١١٥/٣ [١٢٤/٣ ح ٤٥٩٦]، تاريخ الطبري: ١٥٥/٥ [٤٣١/٤] حوادث سنة ٣٥ هـ، الكامل لابن الأثير: ٨٠/٣ [٣٠٣/٢] حوادث سنة ٣٥ هـ، تاريخ أبي الفداء: ١١٥/١، ١٧١. (المؤلف)

(٣) الطبقات الكبرى: ٣٤٢/٣.

حجر في الإصابة (٣٠٥/٢): إن هذا الأمر لا يصلح للطلاق ولا لأبناء الطلقاء.

وقال: لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لو تفتت به: سالم مولى أبي حذيفة، وأبي عبيدة الجراح. ولو كان سالم حياً ما جعلتها شورى^(١).

وقال لما طعن: إن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق الأجلح المستقيم، يعني علياً. فقال له ابن عمر: ما يمنعك أن تقدم علياً؟ قال: أكره أن أحملها حياً وميتاً.
الأنساب للبلاذري (١٦/٥)، الاستيعاب لأبي عمر^(٢) (٤١٩/٢).

وقال: لو وليتها عثمان لحمل آل أبي معيط على رقاب الناس، والله لو فعلت لفعل، ولو فعل لأوشكراً أن يسيروا إليه حتى يجزوا رأسه. فقالوا: علي؟ قال: رجل قُعدد^(٣)، قالوا: طلحة؟ قال: ذاك رجل فيه بأو^(٤)، قالوا: الزبير؟ قال: ليس هناك، قالوا: سعد؟ قال: صاحب فرس وقوس، فقالوا: عبدالرحمن بن عوف؟ قال: ذاك فيه إمساك شديد، ولا يصلح لهذا الأمر إلا معط في غير سرف، وممسك في غير تقتير.

أخرجه القاضي أبو يوسف الأنصاري المتوفى (١٨٢) في كتابه الآثار^(٥) نقلاً

(١) طبقات ابن سعد: ٢٤٨/٣ [٣٤٢/٣]، التمهيد للباقلاني: ص ٢٠٤، الاستيعاب لأبي عمر: ٥٦١/٢ [القسم الثاني/٥٦٨ رقم ٨٨١]، طرح التثريب: ٤٩/١، أسد الغابة: ٢٤٦/٢ [٣٠٨/٢ رقم ١٨٩٢]. (المؤلف)

(٢) الاستيعاب: القسم الثالث/١١٥٤ رقم ١٨٧٨.

(٣) القعدد: الجبان الخامل. كأن الخليفة نسي سوابق مولانا أمير المؤمنين في المغازي والحروب وعزمه الماضي وبسالته المشهودة إلى غيرها من صفاته الكمالية، وتغافل عن أن الذي أقعده عن مناجزته بعد وفاة رسول الله ﷺ هو خوف الردة من الناس بوقوع الفتنة لا حذار بارقة عمر وراعدته وشجاعته التي هو سلام الله عليه جدّ عليهم بكمّها وكيفها، نعم؛ الجوّ الخالي يبعث الإنسان على أن يقول هكذا. (المؤلف)

(٤) البأو: الكبر والتعظيم فيه. (المؤلف)

(٥) الآثار: ص ٢١٧ ح ٩٦٠.

عن شيخه إمام الحنفية أبي حنيفة .

١٤٥/٧ هذه الكلمات وما يتلوها سلسلة بلاء تشدّ عن الحق والمنطق غير أنا نمرّ بها كراماً .

وعن ابن عباس قال: قال عمر: لا أدري ما أصنع بأمة محمد؟ وذلك قبل أن يطعن، فقلت: ولم تهتمّ وأنت تجد من تستخلفه عليهم؟ قال: أصحابكم؟ يعني علياً، قلت: نعم، هو أهل لها في قرابته برسول الله ﷺ وصهره وسابقته وبلائه. فقال عمر: إن فيه بطالة وفكاهة. قلت: فأين أنت عن طلحة؟ قال: أين الزهو والنخوة؟ قلت: عبدالرحمن بن عوف؟ قال: هو رجل صالح على ضعف. قلت: فسعد؟ قال: ذاك صاحب مقنب وقتال، لا يقوم بقرية لو حمل أمرها. قلت: فالزبير؟ قال: لقيس مؤمن الرضى كافر الغضب شحيح. إن هذا الأمر لا يصلح إلا لقوي في غير عنف، رفيق في غير ضعف، جواد في غير سرف. قلت: فأين عن عثمان؟ قال: لو وليها لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، ولو فعلها لقتلوه.

ذكره البلاذري في الأنساب (١٦/٥)، وفي لفظ آخر له (ص ١٧): قيل: طلحة؟ قال: أنفه في السماء واسته في الماء.

نظرة في الخلافة التي جاء بها القوم:

قال الأميني: هذا ما جاء به القوم من الخلافة الإسلامية والإمامة العامة، فهي عندهم ليست إلا رئاسة عامة لتدبير الجيوش، وسد الثغور، وردع الظالم، والأخذ للمظلوم، وإقامة الحدود، وقسم النية بين المسلمين، والدفع بهم في حجّهم وغزوهم، ولا يشترط فيها نبوغ في العلم زائداً على علم الرعية، بل هو والأمة في علم الشريعة سيان، ويكفي له من العلم ما يكون عند القضاة، وهؤلاء القضاة بين يديك وأنت جدّ عليم بعلمهم ويسعك إمعان النظر فيه من كذب، ولا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه

وجوره وفجوره، ويجب على الأمة طاعته على كل حال برأ كسان أو فاجراً، ولا يسوغ لأحد مخالفته ولا القيام عليه والتنازع في أمره.

فعلی هذا الأساس كان يزحزح خلفاء الانتخاب الدستوري في القضاء والإفتاء عن حكم الكتاب والسنة ولم يكن هناك أيّ وازع، ولم يكن يوجد قطّ أحد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ خوفاً مما افتعلته يد السياسة؛ وجعلت به على الأفواه / أوكية^(١). من حديث عرفة مرفوعاً: ستكون هنات وهنات؛ فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان^(٢).

ورواية عبدالله مرفوعاً: ستكون بعدي أثره وأمور تنكرونها. قالوا: يا رسول الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: تؤذون الحق الذي عليكم، وتسالون الله الذي لكم. صحيح مسلم^(٣) (١١٨/٢).

وعلى هذا الأساس تمكن معاوية بن أبي سفيان من أن يجلس بالكوفة للبيعة ويبايعه الناس على البراءة من علي بن أبي طالب. البيان والتبيين^(٤) (٨٥/٢).

وعلى هذا الأساس أقرّ عبدالله بن عمر بيعة يزيد الخمر، قال نافع: لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه ومواليه. وفي رواية سليمان: حشمه وولده وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة». زاد الزهراني: قال: وأنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله، وإني لا أعلم غدرأ أعظم من أن تباع رجلاً على بيعة الله ورسوله ثمّ تنصب له القتال، وإني لا أعلم أحداً منكم خلع ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل فيما بيني وبينه.

(١) جمع وكاء، وهو ما يشدّ به الكيس وغيره.

(٢) صحيح مسلم: ١٢١/٢ [١٢٧/٤ ح ٥٩]، سنن أبي داود: ٢٨٣/٢ [٤٢٢/٤ ح ٤٧٦٢]. (المؤلف)

(٣) صحيح مسلم: ١٢٠/٤ ح ٤٥ كتاب الإمارة.

(٤) البيان والتبيين: ٧٢/٢.

وفي لفظ: إنَّ عبد الله بن عمر جمع أهل بيته حين انتزى أهل المدينة مع عبد الله ابن الزبير رضي الله عنه، وخلعوا يزيد بن معاوية، فقال: إنا بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنَّ الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال: هذه غدرة فلان، وإنَّ من أعظم الغدر بعد الإشراف بالله أن يبايع رجل رجلاً على بيع الله ورسوله، ثمَّ ينكث بيعته، ولا يخلعن أحد منكم يزيد، ولا يشرفن أحد منكم في هذا الأمر فيكون صليماً بيني وبينه^(١).

١٤٧/٧ وعلى هذا الأساس جاء عن حميد بن عبدالرحمن أنه قال: دخلت على يسير الأنصاري الصحابي حين استخلف يزيد بن معاوية فقال: إنهم يقولون: إنَّ يزيد ليس بخير أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنا أقول ذلك، ولكن لأنَّ يجمع الله أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحب إليَّ من أن يفترق، قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يأتيك في الجماعة إلا خير^(٢).

وعلى هذا الأساس تكلمت عائشة فيما رواه الأسود بن يزيد قال: قلت لعائشة: ألا تعجبين من رجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمد في الخلافة؟ قالت: وما تعجب من ذلك؟ هو سلطان الله يؤتاه البرّ والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمئة سنة^(٣).

وعلى هذا الأساس يوجّه قول مروان بن الحكم، قال: ما كان أحد أذفع عن عثمان من عليّ، فليل له: ما لكم تسبّونه على المنابر؟ قال: إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك^(٤).

(١) صحيح البخاري: ١٦٦/١ [٢٦٠٣/٦ ح ٦٦٩٤]، سنن البيهقي: ١٥٩/٨، ١٦٠، مسند أحمد: ٩٦/٢ [٢٢٨/٢ ح ٥٦٧٦]. (المؤلف)

(٢) الاستيعاب: ٦٣٥/٢ [القسم الرابع / ١٥٨٤ رقم ٢٨١٢]، أسد الغابة: ١٢٦/٥ [٥٢٠/٥ رقم ٥٦٣٣]. (المؤلف)

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور: ١٩/٦ [٣٨٣/٧]. (المؤلف)

(٤) الصواعق المحرقة: ص ٣٣ [ص ٥٥]. (المؤلف)

وعلى هذا الأساس صحَّ قتل معاوية عبدالرحمن بن خالد لما أراد البيعة ليزيد،
أنه خطب أهل الشام وقال لهم: يا أهل الشام إنه قد كبرت سنِّي، وقرب أجلي، وقد
أردت أن أعقد لرجل يكون نظاماً لكم، إنما أنا رجل منكم فروا رأيكم؛ فأصقوا
واجتمعوا وقالوا: رضينا عبدالرحمن بن خالد^(١) فشقَّ ذلك على معاوية وأسرَّها في
نفسه، ثمَّ إنَّ عبدالرحمن مرض فأمر معاوية طبيباً عنده يهودياً وكان عنده مكيناً أن
يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها، فأتاه فسقاه فامحرق بطنه فمات، ثمَّ دخل أخوه المهاجر
ابن خالد دمشق مستخفياً هو وغلّام له فرصداً ذلك اليهودي فخرج ليلاً من عند
معاوية فهجم عليه ومعه قوم هربوا عنه، فقتله المهاجر.

ذكره أبو عمر في الاستيعاب^(٢) (٤٠٨/٢) فقال: وقصته هذه مشهورة عند أهل
السير والعلم بالآثار والأخبار اختصرناها. ذكرها عمر بن شبة في أخبار المدينة،
وذكرها غيره، وذكرها ابن الأثير في أسد الغابة^(٣) (٢٨٩/٣).

وعلى هذا الأساس يتمُّ اعتدال شمر بن ذي الجوشن قاتل الإمام السبط في ما
رواه أبو إسحاق، قال: كان شمر بن ذي الجوشن يصليّ معنا ثمَّ يقول: اللهمَّ إنك
شريف تحبُّ الشرف، وإنك تعلم أني شريف فاغفر لي. قلت: كيف يغفر الله لك وقد
أعنت عليّ قتل ابن رسول الله ﷺ؟ قال: ويحك فكيف نصنع؟ إنَّ أمراءنا هؤلاء
أمرونا بأمر فلم نخالفهم، ولو خالفناهم كنا شرّاً من هذه الحمر الشقاة^(٤).

١٤٨/٧

(١) صحابي من فرسان قريش له هدي حسن وفضل وكرم إلا أنه كان منحرفاً عن عليّ وبني هاشم.

أسد الغابة: ٢٨٩/٣ [٤٤٠/٣ رقم ٣٢٨٧]. (المؤلف)

(٢) الاستيعاب: القسم الثاني/٨٢٩ رقم ١٤٠٢.

(٣) أسد الغابة: ٤٤٠/٣ رقم ٣٢٨٧.

(٤) تاريخ ابن عساكر: ٣٣٨/٦ [١٨٩/٢٣ رقم ٢٧٦٢، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٣٢٢/١٠،

ميزان الاعتدال للذهبي: ٤٤٩/١ [٢٨٠/٢ رقم ٣٧٤٢]. (المؤلف)

(٥) في المصادر الثلاثة المتقدمة: السقاة.

وفي لفظ: اللهم اغفر لي فإنني كريم لم تلدني اللثام. فقلت له: إنك لسيئ الرأي والفكر تسارع إلى قتل ابن بنت رسول الله ﷺ وتدعو بهذا الدعاء؟ فقال: إليك عني، فلو كنا كما تقول أنت وأصحابك لكنا شراً من الحمر في الشعاب.

وعلى هذا الأساس جرى ما جرى على أبي بكر الطائي وأصحابه. قال سليمان ابن ربوة: اجتمعت أنا وعشرة من المشايخ في جامع دمشق فيهم أبو بكر بن أحمد بن سعيد الطائي فقرأنا فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، فوثب علينا قريب من مئة يضربوننا ويسحبوننا إلى الوالي، فقال لهم أبو بكر الطائي: يا سادة اسمعوا لنا إنما قرأنا اليوم فضائل علي وغداً نقرأ فضائل أمير المؤمنين معاوية عليه السلام، وقد حضرتني أبيات فإن رأيتم أن تسمعوها، فقالوا له: هات، فأنشأ بديهاً:

حبُّ عليٍّ كَلَّةٌ ضَرَبُ يَرْجَفُ مِنْ خَيْفَتِهِ الْقَلْبُ
ومذهبي حبُّ إمامِ الهدى يزيدُ والدينُ هو النَّصَبُ
من غيرِ هذا قال فهو أمرؤ ليس له عَقْلٌ ولا لبُّ
والناسُ من يغدُّ لأهوائِهِمْ يسلم وإلا فالقضا نهبُ

قال: فخلّوا عتاً. تمام المتون للصفدي^(١) (ص ١٨٨).

وعلى هذا الأساس هتكت حرّات آل الله، وأضيعت مقدّسات العترة الهادية، وسُفكت دماء الأبرياء الأركياء من شيعة أهل البيت الطاهر، وشاع وذاع لعن سيّد العترة نفس النبيّ الأقدس، والمطهّر بلسان الله على صهوات المناير، واتّخذة خلفاء بني أميّة سنّة متّبعة في أرجاء العالم الإسلامي، حتى وبّخ معاوية سعد بن أبي وقاص لسكوته عن سبّ أبي السبطين مولانا أمير المؤمنين^(٢) حتى تمكّن عبدالله بن

(١) تمام المتون: ص ٢٥١.

(٢) راجع الجزء الثالث: ص ٢٠٠. (المؤلف)

الوليد بن عثمان بن عفان من أن قام إلى هشام بن عبد الملك عشية عرفة وهو على المنبر فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لعن أبي تراب^(١).

وقال سعيد بن عبدالله لهشام بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين إن أهل بيتك في مثل هذه المواطن الصالحة لم يزالوا يلعنون أبا تراب، فالعنه أنت أيضاً^(٢).

١٤٩/٧

وعلى هذا الأساس من معنى الخلافة لا عسف ولا حزازة في رأي الخليفة الأول ومن حدا حدوه من صحة اختيار المفضل على الفاضل، وتقديم المتأخر على المتقدم بأعذار مفتعلة، وأوهام مختلفة، ومرجحات واهية، وسياسة وقتية، إذ الأمر الذي لا يشترط في صاحبه شيء من القداسة الروحية، والملكات الفاضلة، والخلائق الكريمة، والنفسيات الشريفة، ومعالم ومعارف، ومدارج ومراتب، ولا يؤاخذ هو بما فعل، ولا يخلع بتعطيل الأحكام، وترك إقامة الحدود، ولا ينايذ ما دام يقيم في أمته الصلاة، كما سمعت تفصيل ذلك كله، لا وازع عندئذ من أن يكون أمثال أبي عبيدة الجراح حقار القبور حاملاً لهذا العيب الثقيل، متحلياً بأبراد الخلافة ولا مانع من تقديم الخليفة الأول إياه أو صاحبه على نفسه في بدء الأمر، ولا حاجز من اختيار أي مستأهل لتنفيذ ما ذكر (ص ١٢٨) مما يُقام له الإمام ولو بمعونة سهارته وجلالوزته ومن يهّمه أمره، بل من له الشدة والفظاظة والعنف والتهور إلى أمثالها ربّما يكون أولى من غيره مهما اقتضته السياسة الوقتية.

واتبع الأكثرون الخليفة في تقديم المفضل على الفاضل، قال القاضي في المواقف^(٣): جوّز الأكثرون إمامة المفضل مع وجود الفاضل، إذ لعله أصلح للإمامة من الفاضل، إذ المعتبر في ولاية كلّ أمر معرفة مصالحه ومفاسده، وقوة القيام

(١) رسائل الجاحظ: ص ٩٢ [ص ٤٣٥ الرسائل السياسية]، أنساب البلاذري: ١١٦/٥. (المؤلف)

(٢) تاريخ ابن كثير: ٤٣٢/٩ [٢٦٢/٩ حوادث سنة ٦٠٦هـ]. (المؤلف)

(٣) المواقف في علم الكلام: ص ٤١٣.

بلوازمه، وربّ مفضول في علمه وعمله هو بالزعامة أعرف، وبشرائطها أقوم، وفصل قوم فقالوا: نصب الأفضل إن أثار فتنة لم يجب وإلاّ وجب. وقال الشريف الجرجاني: كما إذا فرض أنّ العسكر والرعاية لا ينقادون للفاضل بل للمفضول. شرح المواقف^(١) (٢٧٩/٣).

قال الأميني: إننا لا نريد بالأفضل إلاّ الجامع لجميع صفات الكمال التي يمكن اجتماعها في البشر لا الأفضليّة في صفة دون أخرى، فيكون حينئذٍ الأفقه مثلاً هو الأبصر بشؤون السياسة، والأعرف بمصالح الأمور ومفاسدها، والأثبت في إدارة الصالح العام، والأبسل في مواقف الحروب، والأقضى في المحاكمات، والأخشن في ذات الله، والأرأف بضعفاء / الأمة، والأسمح على مجاوبع الملأ الديني، إلى أمثالها من الشرائط والأوصاف، إذن فلا تصوير لما حسبوه من أنّ المفضول قد يكون أقدر وأعرف وأقوم.

مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامية

وعلى المولى سبحانه أن لا يخلي الوقت عن إنسان هو كما قلناه، بعد أن أثبتنا أنّ تقييظه من اللطف الواجب عليه سبحانه، وهو عدل القرآن الكريم، ولا يفترقا حتى يردا على النبيّ الحوض.

وأما من لا ينقاد له من الجيش وغيره فهو كمن لا ينقاد لصاحب الرسالة، لا يزحزح بذلك صاحب الأمر عمّا قيّضه الله له من الولاية الكبرى، بل يجب على بقية الأمة إخضاعهم كما أخضعوا أهل الردّة أو من حسبوه منهم، وأن يفوّقوا إليه سهم الجنّ كما فوّقوه إلى سعد بن عبادة أمير الخزرج.

ولم تكن للخليفة مندوحة عن رأيه في تقديم المفضول، وما كان إلاّ تصحيحاً لخلافة نفسه، ولتقدّمه على من قدّسه المولى سبحانه في كتابه العزيز، ورآه نفس النبيّ

الأقدس وقرن طاعته بطاعته، وولايته بولايته، وأكمل به الدين، وأتمّ به النعمة، وأمر نبيّه بالبلاغ وضمن له العصمة من الناس، وهتف هاتف الوحي بولايته وأولويّته بالمؤمنين من أنفسهم في محتشد رهيب بين مئة ألف أو يزيدون قائلاً: «يا أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه».

ولم تكن تخفى لأيّ أحد فضائل أبي السبطين وملكاته وروحانيّاته، وطيب عنصره، وطهارة محتده، وقداسة مولده، وعظمة شأنه، وبُعد شأوه في حزمه وعزمه وسبقه في الإسلام، وتفانيه في ذات الله، وأفضليّته في العلم والفضائل كلّها.

نعم؛ على رأي الخليفة في تقديم المفضول على الفاضل وقع الانتخاب من أوّل يومه، فبويج أبو بكر بعقد رجلين ليس إلا: عمر بن الخطّاب وأبي عبيدة الحفّار ابن الجراح، وكان الأمر أمر نهار قضى ليلاً، مدبراً بين أولئك الرجال مؤسسي الانتخاب الدستوري، وما اتبعهما يوم ذاك إلا أسيد بن حضير، وبشر بن سعد، ثمّ دَرَدَب الناس لما عضّه الثقاف^(١) واتسع الخرق على الراقع، وما أدركت القويمة حتى أكلتها الهويمة^(٢)، وأصبح المصلح الهضم يقول: دع الرجل واختياره^(٣)، وإنّ في الشرّ خياراً، ولا يجتنى من الشوك العنب.

بويج أبو بكر ودبّ قلبه^(٤)، وقسمت الوظائف الدينيّة من أوّل يومه بين ثلاث: له الإمامة، وقال عمر: وإليّ القضاء. وقال أبو عبيدة: وإليّ النية. وقال عمر: فلقد

(١) مثل يضرب لمن يمتنع مما يراد منه ثم يذلّ وينقاد [مجمع الأمثال: ٤٦٤/١ رقم ١٣٨٢]. (المؤلف)

(٢) أصل المثل: أدرك القويمة لا تأكلها الهويمة. والمراد: إدراك الرجل الجاهل حتى لا يقع في هلكة

[المستقصى في أمثال العرب: ١١٦/١ رقم ٤٥٣]. (المؤلف)

(٣) مثل يضرب لمن لا يقبل الوعظ. (المؤلف)

(٤) مثل يضرب للإنسان إذا سمع وحسن حاله [مجمع الأمثال: ٤٧٠/١ رقم ١٤٠٣]. (المؤلف)

كان يأتي عليّ الشهر ما يختصم إليّ فيه اثنان^(١)، ولم يكن هناك من يزعم أو يفوه بأفضليّة أبي بكر وعمر من مولانا أمير المؤمنين، هذا أبو بكر ينادي عليّ صهوات المنابر: ولّيت ولست بخيركم، ولي شيطان يعتريني. ويطلب من أمته العون له عليّ نفسه وإقامة أمته وعوجه^(٢).

وهذا عمر بن الخطّاب ونصوصه بين يديك. عليّ أنّ الأمر كان لعلّي غير أنّهم زحزحوه عنه لحدائثة سنّه والدماء التي عليه^(٣)، أو لما قاله لما عزم عليّ الاستخلاف: لله أبوك لولا دعاية فيك، كما في الغيث المنسجم للصفدي^(٤) (١٦٨/١)، وكان يدعو الله ربّه أن لا يبقيه لمعضلة ليس فيها أبو الحسن، ويرى أنّ عليّاً لولاه لضلّ هو^(٥)، ولولاه لهلك هو، ولولاه لافتضح هو، وعقمت النساء أن يلدن مثل عليّ. إلى كثير ممّا مرّ عنه في الجزء السادس في نوادر الأثر، ولم يكن قط يختلج في هواجس ضميره ولن يختلج - وأنّي يختلج؟ - أنّه كان يماثل مولانا عليّاً في إحدى فضائله، أو يدانيه في شيء منها، أو يبعد عنه بقليل. *مركز تحقيقات كميتر علوم رسيدي*

وبعدما عرفت معنى الخلافة عند القوم، ووقفت عليّ رأي سلفهم فيها وفي مقدّمهم الخليفة الأوّل، هلّمّ معي إلى التهافت بين تلکم الكلمات وبين مزاعم أخرى جنح إليها / لفيّف آخر: ﴿وَلَوْ كَانُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٦).

قال أحمد بن محمد الوتري البغدادي في روضة الناظرين (ص ٢): إعلم أنّ جماهير أهل السنّة والجماعة يعتقدون أنّ أفضل الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر ثمّ

(١) طبقات ابن سعد: ١٣٠/٣ [١٨٤/٣]. (المؤلف)

(٢) راجع ما مرّ في هذا الجزء: ص ١١٨. (المؤلف)

(٣) راجع ما مرّ في الجزء الأوّل: ص ٢٨٩، وفي هذا الجزء: ص ٨٠. (المؤلف)

(٤) الغيث المنسجم: ٢٧٦/١.

(٥) التمهيد للباقلاني: ص ١٩٩. (المؤلف)

(٦) النساء: ٨٢.

عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله تعالى عنهم، وأن المتقدم في الخلافة هو المقدم في الفضيلة لاستحالة تقديم المفضل على الفاضل لأنهم كانوا يراعون الأفضل فالأفضل، والدليل عليه أن أبا بكر رضي الله عنه لما نص علي رضي الله عنه قام إليه طلحة رضي الله عنه فقال له: ما تقول لربك وقد وليت علينا فظاً غليظاً؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: فركت لي عينيك، ودلكت لي عقبيك، وجنتني تكفني عن رأيي، وتصدني عن ديني أقول له إذا سألتني: خلفت عليهم خير أهلك. فدل علي أنهم كانوا يراعون الأفضل فالأفضل. انتهى.

وأنت ترى أن هذه المزعمة فيها دجل لإغراء البسطاء من الأمة المسكينة وهي تصادم رأي الجمهور ونظريات علماء الكلام منهم، وعمل الصحابة ونصوصهم، وقبل كل شيء رأي الخليفة أبي بكر، وكان ما حسبه من الاستحالة قد خفي على الخليفة وعلي من آزره علي أمره، واعتنق إمامته في القرون والأجيال من بعده.

وكانت أفضلية الرجل الفظ الغليظ كانت تخفى على الصحابة، ولم يكن يعلمها أحد فأعرب عنها أبو بكر، وكان التاريخ ونوادير الأثر لم تكن بين يدي الوتري حتى يعرف مقادير الرجال، ولا يغلو فيهم، ولا يتحكّم ولا يجازف في القول ولا يسرف في الكلام ويعلم بأن عمر لو كان خير الأمة وتلك سيرته ونوادير أثره فعلى الإسلام السلام.

نعم؛ إنما هي أهواء وشهوات أخذ كل بطرف منها، وفتاوى مجردة هملج وراءها كل حسب ميوله، ونحن نضع عقلك السليم مقياساً بين هذين الإمامين: من نصفه نحن، ومن يقول به هؤلاء. فراجعه إلى أيهما ينجح، وأياً منها يتخذ وسيلة بينه وبين ربه سبحانه، وأيها يحق له أن يستحوذ على رقاب المسلمين ونفوسهم ونواميسهم وأحكامهم في دنياهم وأخراهم؟ إن لم تكن في ميزان نصفته عين. فويل للمطققين.

- ٦ -

رأي الخليفة في القدر

أخرج اللالكائي في السنة عن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل إلى أبي بكر فقال: رأيت الزنا بقدر؟ قال: نعم. قال: فإن الله قدره عليّ ثمّ يعذبني؟ قال: نعم، يابن اللخناء، أما والله لو كان عندي إنسان أمرت أن يجأ^(١) أنفك^(٢).

قال الأميني: أترى الخليفة عرف معنى القدر الصحيح؟ بمعنى ثبوت الأمر الجاري في العلم الأزلي الالهي، مع إعطاء القدرة على الفعل والترك، مع تعريف الخير والشرّ وتبيان عاقبة الأول ومغبة الأخير.

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾^(٣) ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾^(٤) ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾^(٥) ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾^(٦).

كلّ ذلك مع تكافؤ العقل والشهوة في الإنسان، مع خلق عوامل النجاح تجاه النفس الأمارة بالسوء، فمن عامل بالطاعة بحسن اختياره، ومن مقترف للمعصية بسوء الخيرة.

﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾^(٧) ﴿ مَنْ أَهْتَدَى

(١) وجأ عنقه: ضربه، ووجأه: رضه ودقّه. (المؤلف)

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ٦٥ [ص ٨٩]. (المؤلف)

(٣) الإنسان: ٣.

(٤) البلد: ١٠.

(٥) النمل: ٤٠.

(٦) لقمان: ١٢.

(٧) فاطر: ٣٢.

فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴿^(١)﴾ ﴿ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴿^(٢)﴾ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
تُرْجَعُونَ ﴿^(٣)﴾ ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴿^(٤)﴾ ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ
عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ / فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ﴿^(٥)﴾ ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ
أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴿^(٦)﴾ ﴿ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ ﴿^(٧)﴾ ﴿ رَبِّي
أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿^(٨)﴾ .

فالقدر لا يستلزم جبراً وعلم المولى سبحانه بمقادير ما يختاره العباد من
النجدين ويأتون به من العمل من خير أو شر لا ينافي التكليف. كما لا أثر له في
اختيار المكلفين، ولا يقبح معه العقاب على المعصية، ولا يسقط معه الثواب على
الطاعة.

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿^(٩)﴾ ﴿ وَنَضَعُ
الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا
وَكفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿^(١٠)﴾ ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظَلْمَ الْيَوْمَ ﴿^(١١)﴾ ﴿ فَكَيْفَ

(١) الإسراء: ١٥ .

(٢) الزمر: ٤١ .

(٣) الجاثية: ١٥ .

(٤) الأنعام: ١٠٤ .

(٥) سبأ: ٥٠ .

(٦) الإسراء: ٧ .

(٧) النجم: ٣٠ .

(٨) القصص: ٨٥ .

(٩) الزلزلة: ٧ و ٨ .

(١٠) الأنبياء: ٤٧ .

(١١) غافر: ١٧ .

إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١﴾ .

فهل الخليفة عرف هذا المعنى من القدر، فأجاب بما أجاب؟ لكن السائل لم يفهم ما أراده فانتقده بما انتقد؟ غير أنه لو كان يريد ذلك لما جابه المنتقد بالسباب المقذع والتمني بأن يكون عنده من يجأ أنفه قبل بيان المراد فينيء الرجل إلى الحق.

أو أن الخليفة لم يكن يعرف من القدر إلا ما ارتفعت به عقيرة جماهير من أشياعه من القول بخلق الأعمال؟ فيتجه إذن ما قاله المنتقد سبه الخليفة أو لم يسه.

والذي يؤثر عن ابنته عائشة هو الجحوح إلى المعنى الثاني يوم اعتذرت عن نهضتها على مولانا أمير المؤمنين، وتبرجها عن خدرها المضروب لها تبرج الجاهلية الأولى بعد أن ليمت على ذلك، بأنها كانت قدراً مقدوراً وللقدر أسباب. أخرجه الخطيب البغدادي بإسناده في تاريخه (١٦٠/١).

وإن كان يوقفنا موقف السادر ما يؤثر عنها فيما أخرجه الخطيب أيضاً في تاريخه (١٨٥/٩) عن عروة قال: ما ذكرت عائشة مسيرها في وقعة الجمل قط إلا بكنت حتى / تبلى خمارها وتقول: ياليتني كنت نسياً منسياً^(٢). قال سفيان الثوري: ١٥٥/٧ النسي المنسي الحبيضة الملقاة.

كأنها كانت ترى مسيرها حوباً كبيراً جديراً أن تبكي عليه مدى الدهر، وتبلى بدمعها خمارها، وتتمنى ما تمتت، وهذا ينافي ذلك الاعتذار البارد المأخوذ أصله عن

(١) آل عمران: ٢٥.

(٢) وذكره ابن الأثير في النهاية: ١٥١/٤ [٥١/٥]، وابن منظور في لسان العرب: ١٩٦/٢٠

[١٣٣/١٤]، والزيدي في تاج العروس: ٣٦٧/١٠. (المؤلف)

رأى أبها الخليفة الذي لم يجد مساعاً في دفع ما يتجه عليه إلا السباب .

- ٧ -

ترك الخليفة الضحية مخافة أن تُستن

قد مرّ في الجزء السادس (ص ١٦٧) من الصحيح الوارد في أنّ أبا بكر وعمر كانا لا يضحيان كراهة أن يقتدى بهما، فيظنّ فيها الوجوب. وقد استوفينا حقّ القول هناك فراجع .

- ٨ -

ردّة بني سليم

عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: كان في بني سليم ردّة، فبعث إليهم أبو بكر خالد بن الوليد، فجمع رجالاً منهم في الحظائر ثمّ أحرقها عليهم بالنار، فبلغ ذلك عمر فأتى أبا بكر فقال: تدع رجلاً يعذب بعداب الله عزّ وجلّ. فقال أبو بكر: والله لا أشيم سيفاً سلّه الله على عدوّه حتى يكون هو الذي يشيمه، ثمّ أمره فمضى من وجهه ذلك إلى مسيلمة. الرياض النضرة^(١) (١٠٠/١)

ليس في هذا الجواب مخرج عن اعتراض عمر فقد جاء في الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(٢).

وصحّ عنه ﷺ النهي عن الإحراق وقوله: « لا يُعذب بالنار إلا ربّ النار ».

(١) الرياض النضرة: ١٢٩/١.

(٢) المائدة: ٣٣.

١٥٦/٧ و / قوله: «إنَّ النار لا يعذب بها إلاَّ الله»، وقوله: «لا يعذب بالنار إلاَّ ربَّها»^(١)، وقوله: «من بدَّل دينه فاقتلوه»^(٢)، وقوله: «لا يحلُّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله إلاَّ بإحدى ثلاث: زنى بعد إحصان فإنه يرجم، ورجل يخرج محارباً لله ورسوله فإنه يُقتل أو يُصلب أو يُنقى من الأرض، أو يقتل نفساً فيقتل بها». سنن أبي داود (٢١٩/٢)، مصابيح السنَّة (٥٩/٢)، مشكاة المصابيح (ص ٣٠٠)^(٣).

وأما فعل أمير المؤمنين عليه السلام بعد الله بن سبأ وأصحابه فلم يكن إحراقاً ولكن حفر لهم حفائر، وخرق بعضها إلى بعض، ثم دخن عليهم حتى ماتوا كما قال عمَّار الدهني، فقال عمرو بن دينار: قال الشاعر:

لترم بي المنايا حيث شاءت إذالم ترم بي في الحفرتين
إذا ما أجبوا خطباً وبارأهناك الموت تقدأ غير دين^(٤)

وأما قول أبي بكر: لا أشيم سيفاً. الخ. فهو تحكّم تجاه النصّ النبويّ، وما كان السيف أنطق من القول، ومتى شهر الله سبحانه هذا السيف صاحب الدواهي الكبرى

(١) صحيح البخاري: ٢٢٥/٤ [١٠٩٨/٣ ح ٢٨٥٣] كتاب الجهاد باب: لا يعذب بعذاب الله، مسند أحمد: ٤٩٤/٣ [٥٥٠/٤ ح ١٥٦٠٤]، [٣٠٧/٢ ح ٥٩٢/٢]، سنن أبي داود: ٢١٩/٢ [٥٤/٣ - ٥٥ ح ٢٦٧٣، ٢٦٧٥]، صحيح الترمذي [١١٧/٤ ح ١٥٧١]، سنن البيهقي: ٧١/٩، ٧٢، مصابيح السنَّة: ٥٧/٢، ٥٨ [٥٢٨/٢ ح ٢٦٥٨ و ٥٣٠ ح ٢٦٦٧]، تيسير الوصول: ٢٣٦/١ [٢٧٩/١ ح ١٦]. (المؤلف)

(٢) صحيح البخاري: ٨٣/١٠ [٢٥٣٧/٦ ح ٦٥٢٤] كتاب استنابة المرتدين، سنن أبي داود: ٢١٩/٢ [١٢٦/٤ ح ٤٣٥١]، مصابيح السنَّة: ٥٧/٢ [٥٢٨/٢ ح ٢٦٥٨]. (المؤلف)

(٣) سنن أبي داود: ١٢٦/٤ ح ٤٣٥٣، مصابيح السنَّة: ٥٣١/٢ ح ٢٦٦٩، مشكاة المصابيح: ٣٠٤/٢ ح ٣٥٤٤.

(٤) سنن البيهقي: ٧١/٩. (المؤلف)

والظلمات في يومه هذا؟ ويومه الآخر المخزي في بني حنيفة ومع مالك بن نويرة وأهله؟ ويومه قبلهما مع بني جذيمة الذي تبرأ فيه رسول الله ﷺ من عمله؟ إلى غيرها من المخاريق والمخازي التي تغمد بها هذا السيف.

- ٩ -

حرق الخليفة الفجاءة

قدم على أبي بكر رجل من بني سليم يقال له الفجاءة، وهو إياس بن عبد الله ابن عبد ياليل بن عميرة بن خفاف فقال لأبي بكر: إني مسلم وقد أردت جهاد من ارتد من الكفار فاحملي وأعني، فحمله أبو بكر على ظهره وأعطاه سلاحاً، فخرج يستعرض الناس / المسلم والمرتد يأخذ أموالهم ويصيب من امتنع منهم ومعه رجل من بني الشريد يقال له نجبة بن أبي الميثاء، فلما بلغ أبا بكر خبره كتب إلى طريفة بن حاجز: إن عدو الله الفجاءة أتاني يزعم أنه مسلم ويسألني أن أقويه على من ارتد عن الإسلام فحملته وسلحته ثم انتهى إلي من يقين الخبر أن عدو الله قد استعرض الناس المسلم والمرتد يأخذ أموالهم ويقتل من خالفه منهم، فسر إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتله أو تأخذه فتأتيني به فسار إليه طريفة، فلما التقى الناس كانت بينهم الرمي بالنبل فقتل نجبة بن أبي الميثاء بسهم رُمي به، فلما رأى الفجاءة من المسلمين الجد قال لطريفة: والله ما أنت بأولى بالأمر مني أنت أمير لأبي بكر وأنا أميره، فقال له طريفة: إن كنت صادقاً فضع السلاح وانطلق إلى أبي بكر فخرج معه، فلما قدما عليه أمر أبو بكر طريفة بن حاجز فقال: اخرج به إلى هذا البقيع فحرقه فيه بالنار. فخرج به طريفة إلى المصلى فأوقد له ناراً فحرقه فيها.

وفي لفظ الطبري: فأوقد له ناراً في مصلى المدينة على حطب كثير ثم رمي فيها

مقموطاً.

وفي لفظ ابن كثير: فجمعت يدها إلى قفاه وألقي في النار فحرّقه وهو مقموط^(١).

قال الأميني: القول في هذا كالذي سبقه من عدم جواز الإحراق بالنار والتعذيب بها، على أن الفجاءة كان متظاهراً بالإسلام وتلقاه الخليفة بالقبول يوم أعطاه ظهراً وسلّحه، وإن كان فاسقاً بالجوارح على ما انتهى إلى الخليفة من يقين الخبر، ولم يكن سيف الله مشهوراً هاهنا حتى يتورّع عن إغصاده، ولا يدعى مثله لطريقة حتى يكون معذراً في مخالفة النصّ الشريف، ولعلّ لذلك كلّ ندم أبو بكر نفسه يوم مات عن فعله ذلك كما في الصحيح الآتي إن شاء الله تعالى. فإلى المنتقى.

والعجب كلّ العجب من دفاع القاضي عضد [الدين] الإيجي عن الخليفة بقوله في المواقف^(٢): إنّ أبا بكر مجتهد، إذ ما من مسألة في الغالب إلّا وله فيها قول مشهور عند أهل العلم، وإحراق الفجاءة لاجتهاده وعدم قبول توبته؛ لأنّه زنديق، ولا تقبل توبة الزنديق في الأصحّ.

وجاء بعده القوشجي مدافعاً عن الخليفة بقوله في شرح التجريد (ص ٤٨٢):
إحراقه فجاءة بالنار من غلطة في اجتهاده، فكم مثله للمجتهدين!

١٥٨/٧ إقرأ واضحك أو ابك، زهّ زهّ بالاجتهاد تجاه نصّ الكتاب والسنة، ومرحباً
بمجتهد يخالف دين الله.

(١) تاريخ الطبري: ٢٣٤/٣ [٢٦٤/٣ حوادث سنة ١١هـ]، تاريخ ابن كثير: ٣١٩/٦ [٣٥١/٦

حوادث سنة ١١هـ]، الكامل لابن الأثير: ١٤٦/٢ [٢٧/٢ حوادث سنة ١١هـ]، الإصابة:

٢٢٣/٢ [رقم ٤٢٤٤]. (المؤلف)

(٢) المواقف: ص ٤٠٣.

- ١٠ -

رأي الخليفة في قصة مالك

سار خالد بن الوليد يريد البطاح حتى قدمها فلم يجد بها أحداً، وكان مالك بن نويرة قد فرّقهم ونهاهم عن الاجتماع وقال: يا بني يربوع إنا دُعينا إلى هذا الأمر فأبطأنا عنه فلم نفلح، وقد نظرت فيه فرأيت الأمر يتأتى لهم بغير سياسة، وإذا الأمر لا يسوسه الناس، فإياكم ومناوأة قوم صنع لهم، ففترقوا وادخلوا في هذا الأمر، ففترقوا على ذلك، ولما قدم خالد البطاح بثّ السرايا وأمرهم بداعية الإسلام وأن يأتوه بكلّ من لم يُجب، وإن امتنع أن يقتلوه، وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤذّنوا ويقيموا إذا نزلوا منزلاً فإن أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم، وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة ثمّ تقتلوا كلّ قتلة، المحرق فما سواه، وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم فإن أقرّوا بالزكاة فاقبلوا منهم وإن أبوها فلا شيء إلا الغارة، ولا كلمة، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع ومن عاصم وعبيد وعمرين وجعفر فاختلف السرية فيهم، وكان فيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد أنهم قد أذّنوا وأقاموا وصلّوا، فلما اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء وجعلت تزداد برداً، فأمر خالد منادياً فنادى: ادفنوا أسراكم. وكانت في لغة كنانة القتل، فظنّ القوم أنه أراد القتل ولم يرد إلا الدفء فقتلوهم، فقتل ضرار بن الأزور مالكاُ وسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه. وتزوج خالد أمّ تميم امرأة مالك، فقال أبو قتادة: هذا عملك، فزبره خالد فغضب ومضى.

وفي تاريخ أبي الفداء: كان عبدالله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري حاضرين، فكلمها خالداً في أمره، فكره كلامها. فقال مالك: يا خالد ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا. فقال خالد: لا أقالني الله إن أقلتك وتقدّم إلى ضرار بن الأزور بضرب عنقه.

فقال عمر لأبي بكر: إن سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه في ذلك، فقال: يا عمر تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فإنني لا أشيم سيفاً^(١) سلّه الله على الكافرين.

١٥٩/٧ وفي لفظ الطبري^(٢) وغيره: أن أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه أن إذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتم فيها أذاناً للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ما الذي نعموا، وإن لم تسمعوا أذاناً فشنّوا الغارة فاقتلوا وحرّقوا. وكان ممن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الحارث بن ربيعي، وقد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها، وكان يحدث أنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح، قال: فقلنا: إنا المسلمون. فقالوا: ونحن المسلمون، قلنا: فما بال السلاح معكم؟ قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟ قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح. قال: فوضعوها ثم صلّينا وصلّوا، وكان خالد يعتذر في قتله أنه قال وهو يراجع: ما إخال صاحبكم إلا وقد كان يقول كذا وكذا. قال: أو ما تعدّه لك صاحباً. ثم قدّمه فضرب عنقه وعنق أصحابه.

فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر وقال: عدوّ الله عدا على امرئ مسلم فقتله ثم نزا على امرأته، وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صداً الحديد، معتجراً بعمامة له قد غرز في عمامته أسهماً، فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطّها ثم قال: أرئاء؟ قتلت امرأ مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بأحجارك. ولا يكلمه خالد ابن الوليد ولا يظنّ إلا أن رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه حتى دخل على أبي بكر، فلما أن دخل عليه أخبره الخبر واعتذر إليه فعذره أبو بكر وتجاوز عنه ما كان

(١) شام السيف يشيمه إذا أغمده.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٢٧٩/٣ حوادث سنة ١١ هـ.

في حربه تلك. قال: فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر، وعمر جالس في المسجد فقال خالد: هلم إليّ يا بن أمّ شملة. قال فعرف عمر أنّ أبا بكر قد رضي عنه، فلم يكلمه ودخل بيته.

وقال سويد: كان مالك بن نويرة من أكثر الناس شعراً، وإنّ أهل العسكر أثقوا برؤوسهم القدور، فما منهم رأس إلا وصلت النار إلى بشرته ما خلا مالكا فإنّ القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة شعره، وقي الشعر البشر حرّها أن يبلغ منه ذلك.

وقال ابن شهاب: إنّ مالك بن نويرة كان كثير شعر الرأس، فلما قتل أمر خالد برأسه فنصب إنثية^(١) لقدّر فنضج ما فيها قبل أن يخلص النار إلى شؤون رأسه.

وقال عروة: قدم أخو مالك متمّم بن نويرة ينشد أبا بكر دمه ويطلب إليه في سببهم فكتب له برد السبي، وألح عليه عمر في خالد أن يعزله، وقال: إنّ في سيفه رهقا. فقال: لا يا عمر لم أكن لأشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين.

وروى ثابت في الدلائل: إنّ خالدأ رأى امرأة مالك وكانت فائقة في الجمال، فقال مالك بعد ذلك لامرأته: قتلتي. يعني: سأقتل من أجلك^(٢).

وقال الزمخشري وابن الأثير وأبو الفداء والزيدي: إنّ مالك بن نويرة رضي الله عنه قال لامرأته يوم قتله خالد بن الوليد: أقتلتي، أي عرّضتني بحسن وجهك للقتل لوجوب الدفع عنك، والمحاماة عليك، وكانت جميلة حسناء تزوّجها خالد بعد قتله، فأنكر

(١) الإنثية: حجارة توضع عليها القدور أثناء الطبخ.

(٢) تاريخ الطبري: ٢٤١/٣ [٢٧٧/٣ حوادث سنة ١١هـ]، تاريخ ابن الأثير: ١٤٩/٣ [٣٢/٢ حوادث سنة ١١هـ]، أسد الغابة: ٢٩٥/٤ [٥٣/٥ رقم ٤٦٤٨]، تاريخ ابن عساكر: ١٠٥/٥، ١١٢ [٢٧٤، ٢٥٦/١٦] رقم ١٩٢٢، وفي مختصر تاريخ دمشق: ١٧/٨ - ١٨، خزائن الأدب: ٢٣٧/١ [٢٦/٢]، تاريخ ابن كثير: ٢٢١/٦ [٣٥٤/٦] حوادث سنة ١١هـ]، تاريخ الخميس: ٢٣٣/٢ [٢٠٩/٢]، الإصابة: ٤١٤/١ [رقم ٢٢٠١] و [رقم ٣٥٧/٣] [رقم ٧٦٩٦]. (المؤلف)

ذلك عبدالله بن عمر. وقيل فيه :

أفي الحق أنا لم تجفّ دماؤنا وهذا عروساً باليامة خالد^(١)

وفي تاريخ ابن شحنة هامش الكامل^(٢) (١٦٥/٧): أمر خالد ضراراً بضرب عنق مالك، فالتفت مالك إلى زوجته وقال لخالد: هذه التي قتلتني. وكانت في غاية الجمال، فقال خالد: بل قتلك رجوعك عن الإسلام. فقال مالك: أنا مسلم. فقال خالد: يا ضرار اضرب عنقه فضرِبَ عنقه، وفي ذلك يقول أبو نعيم السعدي:

ألا قل لحبي أوطئوا بالسنايك تطاولَ هذا الليلُ من بعد مالكِ
قضى خالدٌ بغياً عليه بعريه وكان له فيها هوىً قبل ذلكِ
فأمضى هواه خالدٌ غيرَ عاطفٍ عنانَ الهوى عنها ولا ممالكِ
وأصبح ذا أهلٍ وأصبح مالكٌ إلى غيرِ أهلٍ هالكاً في الهواكِ

فلما بلغ ذلك أبا بكر وعمر قال عمر لأبي بكر: إن خالداً قد زنى فاجلده. قال أبو بكر: لا، لأنه تأوّل فأخطأ، قال: فإنه قتل مسلماً فاقتله. قال: لا، إنه تأوّل فأخطأ. ثم قال: يا عمر ما كنت لأغمد سيفاً سلّه الله عليهم، ورثي مالكا أخوه متمم بقصائد عديدة. وهذا التفصيل ذكره أبو الفداء أيضاً في تاريخه (١٥٨/١).

وفي تاريخ الخميس^(٣) (٢٣٣/٢): اشتدّ في ذلك عمر وقال لأبي بكر: ارجم خالداً فإنه قد استحلّ ذلك. فقال أبو بكر: والله لا أفعل، إن كان خالد تأوّل أمراً فأخطأ، وفي شرح المواقف^(٤): فأشار عمر على أبي بكر بقتل خالد قصاصاً، فقال

(١) الفائق: ١٥٤/٢ [١٥٧/٣]، النهاية: ٢٥٧/٣ [١٥/٤]، تاريخ أبي الفداء: ١٥٨/١، تاج العروس: ٧٥/٨. (المؤلف)

(٢) روض المناظر: ١٩١/١ - ١٩٢ حوادث سنة ١١هـ.

(٣) تاريخ الخميس: ٢٠٩/٢.

(٤) شرح المواقف: ٣٥٨/٨.

أبو بكر: لا أغمد سيفاً شهره الله على الكفار. وقال عمر لخالد: لئن وليت الأمر لأقيدتك به.

وفي تاريخ ابن عساکر (١١٢/٥): قال عمر: إني ما عتبت على خالد إلا في تقدمه وما كان يصنع في المال. وكان خالد إذا صار إليه شيء قسمه في أهل الغنى ولم يرفع إلى أبي بكر حسابه، وكان فيه تقدم على أبي بكر يفعل الأشياء التي لا يراها أبو بكر، وأقدم على قتل مالك بن نويرة ونكح امرأته، وصالح أهل اليمامة ونكح ابنة مجاعة بن مرارة، فكره ذلك أبو بكر، وعرض الدية على متمم بن نويرة وأمر خالداً بطلاق امرأة مالك ولم ير أن يعزله، وكان عمر ينكر هذا وشبهه على خالد.

نظرة في القضية :

قال الأميني: يحق على الباحث أن يعين النظرة في القضية من ناحيتين:

الأولى:

ما ارتكبه خالد بن الوليد من الطامات والجرائم الكبيرة التي تُنزّه عنها ساحة كل معتنق للإسلام، وتضاد نداء القرآن الكريم والسنة الشريفة، ويتبرأ منها ومن اقترفها من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر ﴿ أَيُحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾^(١) ﴿ أَيُحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾^(٢) ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾^(٣).

بأي كتاب أم بآية سة ساغ للرجل سفك تلکم الدماء الزکیة من الذین آمنوا بالله ورسوله واتبعوا سبیل الحق وصدقوا بالحسنى، وأذنوا وأقاموا وصلّوا وقد علت عقيرتهم بأننا مسلمون، فما بال السلاح معكم؟ ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا

(١) القيامة: ٣٦.

(٢) البلد: ٥.

(٣) العنكبوت: ٤.

وَيُجِبُونَ أَنْ يُخْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَقَارَةِ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ .

ما عذر الرجل في قتل مثل مالك الذي عاش النبي الأعظم، وأحسن صحبته، واستعمله ﷺ على صدقات قومه، وقد عُدَّ من أشرف الجاهليَّة والإسلام، ومن أرداف الملوك ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾^(٢)، ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾^(٣) .

وماذا أحلَّ للرجل شنَّ الغارة على أهل أولئك المقتولين وذويهم الأبرياء وإيذائهم وسببهم بغير ما اكتسبوا إثمًا، أو اقترفوا سيئة، أو ظهر منهم فساد في المأدب الديني؟ ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ اَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾^(٤) .

ما هذه القسوة والعنف والفظاظة والتزحرج عن طقوس الإسلام، وتعذيب رؤوس أمة مسلمة، وجعلها إثنيةً للقدر وإحراقها بالنار؟ ﴿ قَوْلِيلٌ لِقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ ﴾^(٥) ﴿ قَوْلِيلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴾^(٦) .

ما خالد وما خطره بعد ما اتَّخَذَ إلهه هواه، وسوّلته له نفسه، وأضلته شهوته، وأسكره شبقه؟ فهتك حرّمات الله، وشوّه سمعة الإسلام المقدّس، ونزا على زوجة مالك قتيل غيّه في ليلته^(٧) ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾^(٨)، ولم يكن قتل

(١) آل عمران: ١٨٨ .

(٢) المائدة: ٣٢ .

(٣) النساء: ٩٣ .

(٤) الأحزاب: ٥٨ .

(٥) الزمر: ٢١ .

(٦) الزخرف: ٦٥ .

(٧) الصواعق: ص ٢١ [ص ٣٦]، تاريخ الخميس: ٣٣٣/٢ [٢٠٩/٢] . (المؤلف)

(٨) النساء: ٢٢ .

الرجل إلا لذلك السفاح، وكان أمراً مشهوداً وسراً غير مستسراً، وكان يعلمه نفس مالك ويخبر زوجته بذلك قبل وقوع الواقعة بقوله إيساها: أَقْتَلْتَنِي. فقتل الرجل مظلوماً غيرَةً ومحاماةً على ناموسه. وفي المتواتر: «من قتل دون أهله فهو شهيد»^(١). وفي الصحيحة: «من قتل دون مظلومه فهو شهيد»^(٢).

والعذر المفتعل من منع مالك الزكاة لا يُبرئ خالداً من تلکم الجنایات، أیصدق جحد الرجل فرض الزكاة ومكابرتة عليها وهو مؤمن بالله وكتابه ورسوله ومصداق بما جاء به نبيه الأقدس، يقيم الصلاة ويأتي بالفرائض بأذنها وإقامتها، وينادي بأعلى صوته: نحن المسلمون، وقد استعمله النبي الأعظم على الصدقات ردحاً من الزمن؟ لاها الله.

أیوجب الردة مجرد امتناع الرجل المسلم الموحد المؤمن بالله وكتابه عن أداء الزكاة لهذا الإنسان بخصوصه وهو غير منكر أصل الفريضة؟ أو يُحكم عليه بالقتل عندئذ؟ وقد صح عن المشرع الأعظم قوله: «لا يحل دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاثة: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة»^(٣).

١٦٣/٧

(١) مسند أحمد: ١٩١/١ [٣١١/١ ح ١٦٥٥]، نص على تواتره المناوي في الفيض القدير: ١٩٥/٦ [ح ٨٩١٧]. (المؤلف)

(٢) أخرجه النسائي [في السنن الكبرى: ٣١١/٢ ح ٣٥٥٩]، والضياء المقدسي كما في الجامع الصغير [٦٣١/٢ ح ٨٩١٨] وصححه السيوطي، راجع الفيض القدير: ١٩٥/٦ [ح ٨٩١٨]. (المؤلف)

(٣) صحيح البخاري: ٦٣/١٠ [٢٥٢١/٦] كتاب الديات، باب: قول الله تعالى ﴿إِنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾، صحيح مسلم: ٣٧/٢ [٥٠٦/٣ ح ٢٥] كتاب القسامة والمحارِبين، الديات لابن أبي

عاصم الضحاك: ص ١٠، سنن أبي داود: ٢١٩/٢ [١٢٦/٤ ح ٤٣٥٢]، سنن ابن ماجه: ١١٠/٢ [٨٤٧/٢ ح ٢٥٣٤]، مصابيح السنة: ٥٠/٢ [٥٠٢/٢ ح ٢٥٨٤]، مشكاة المصابيح: ص ٢٩١

[٢٨٥/٢ ح ٣٤٤٦]. (المؤلف)

وقوله ﷺ: « لا يحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس »^(١).

وقوله ﷺ: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها منعوا مني دماءهم وأموالهم، وحسابهم على الله »^(٢).

وعهد أبو بكر نفسه لسلمان بقوله: من صلى الصلوات الخمس فإنه يصبح في ذمة الله ويمسي في ذمة الله تعالى، فلا تقتلن أحداً من أهل ذمة الله فتخفر الله في ذمته فيكذبك الله في النار على وجهك^(٣).

أيسلب امتناع الرجل المسلم عن أداء الزكاة حرمة الإسلام عن أهله وماله وذويه ويجعلهم أعدال أولئك الكفرة الفجرة الذين حق على النبي الطاهر شن الغارة عليهم؟ ويحكم عليهم بالسبي والقتل الذريع وغارة ما يملكون، والنزوع على تلکم الحرائر المأسورات؟

وأما ما مر من الاعتذار بأن خالداً قال: ادفنوا أسراكم وأراد الدفء وكانت في لغة كنانة: القتل. فقتلوهم فخرج خالد وقد فرغوا منهم. فلا يفوه به إلا معتوه استأسر هواه عقله، وسفه في مقاله، لماذا قتل ضرار مالكاً بتلك الكلمة وهو لم يكن من كنانة ولا من أهل لغتها؟ بل هو أسدي من بني ثعلبة، ولم يكن أميره يتكلم قبل ذلك اليوم بلغة كنانة.

(١) الديات لابن أبي عاصم الضحاك: ص ٩، سنن ابن ماجه: ١١٠/٢ [٨٤٧/٢ ح ٢٥٢٣]، سنن البيهقي: ١٩/٨. (المؤلف)

(٢) صحيح مسلم: ٣٠/١ [٨١/١ ح ٣٥ كتاب الإيمان]، الديات لابن أبي عاصم الضحاك: ص ١٧، سنن ابن ماجه: ٤٥٧/٢ [١٢٩٥/٢ ح ٣٩٢٧، ٣٩٢٨]، خصائص النسائي: ص ٧ [ص ٤٣ ح ١٩]، سنن البيهقي: ١٩/٨، ١٩٦. (المؤلف)

(٣) أخرجه أحمد في الزهد [ص ١٦٥ ح ٥٧٠ وفيه: من صلى صلاة الصبح...]، كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ٧٠ [٩٥ - ٩٦]. (المؤلف)

وإن صحّت المزعمة فلماذا غضب أبو قتادة الأنصاري على خالد وخالفه وتركه يوم ذاك وهو ينظر إليه من كشب، والحاضر يرى ما لا يراه الغائب؟

ولماذا اعتذر خالد بأن مالكا قال: ما إخال صاحبكم إلا قال كذا وكذا؟ وهذا اعتراف منه بأنه قتله غير أنه نحت على الرجل مقالاً، وهو من التعريض الذي لا يجوز القتل - بعد تسليم صدوره منه - عند الأمة الإسلامية جمعاء، والحدود تُدْرَأُ بالشبهات.

ولماذا رآه عمر عدواً لله، وقذفه بالقتل والزنا؟ وإن لم يفتل ذلك ذؤابة^(١) أبي بكر.

ولماذا هتكه عمر في ملأ من الصحابة بقوله إياه: قتلت امرأ مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمك بأحجارك؟
ولماذا رأى عمر رَهَقاً في سيف خالد وهو لم يقتل مالكا وصحبه وإنما قتلهم لغة كنانة؟

ولماذا سكت خالد عن جوابه؟ وما أخرسه إلا عمله، ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾^(٢).

ولماذا صدق أبو بكر عمر بن الخطاب في مقاله ووقيعته على خالد وما أنكر عليه غير أنه رآه متأولاً تارةً، ونَحَّتْ له فضيلةً أخرى؟

ولماذا أمر خالد بالرؤوس فنصبت إثنيةً للقدور، وزاد وصمة على لغة كنانة؟

(١) مثل يضرب يقال: قتل ذؤابة فلان. أي أزاله عن رأيه [في مجمع الأمثال: ٤٣٦/٢ رقم ٢٧٣٠ والمستقصى في أمثال العرب: ١٧٩/٢ رقم ٦٠٧: قتل في ذروته. أي خادعه حتى أزاله عن رأيه. يضرب في الخداع والمهاكرة]. (المؤلف)

(٢) القيامة: ١٤ و ١٥.

ولماذا نزا على امرأة مالك، وسبى أهله، وفرّق جمعه، وشئت شمله، وأباد قومه، ونهب ماله؟ أكل هذه معرة لغة كنانة؟

ولماذا ذكر المؤرخون أنّ مالكاً قُتل دون أهله محاماةً عليها؟

ولماذا أثبت المترجمون ذلك القتل الذريع على خالد دون لغة كنانة، وقالوا في

ترجمة ضرار وعبد^(١) بن الأزور: إنه هو الذي أمره خالد بقتل مالك بن نويرة^(٢). وقالوا في ترجمة مالك: إنه قتله خالد. أو: قتله ضرار صبراً بأمر خالد^(٣). هذه أسئلة توقف المعتذر موقف السدير^(٤)، ولم يحرج جواباً.

ما شأن أبناء السلف وقد غرّرت بهم سكرة الشبق، وغالتهم داعية الهوى، وجاؤوا لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمّة وأولئك هم المعتدون؟ فترى هذا يقتل مثل مالك ويأتي بالطامات رغبةً في نكاح أمّ تميم. وهذا يقتل سيّد العترة أمير المؤمنين شهوةً في زواج قطام.

وآخر^(٥) شنّ الغارة على حيّ من بني أسد، فأخذ امرأة جميلة فوطأها بهبة من أصحابه، ثمّ ذكر ذلك لخالد فقال: قد طيّبتها لك - كأنّ تلکم الجنود كانت مجنّدة لوطء النساء وفضّ ناموس الحرائر - فكتب إلى عمر، فأجاب برضخه بالحجارة^(٦).

(١) الإصابة: ٤٣٢/٢ رقم ٥٢٧٠.

(٢) الاستيعاب: ٢٢٨/١ [القسم الثاني ٧٤٧/ رقم ١٢٥٤]، أسد الغابة: ٣٩/٣ [٥٢/٣ رقم ٢٥٦٠]،

خزانة الأدب للبغدادي: ٩/٢ [٣٢٦/٣]، الإصابة: ٢٠٩/٢ [رقم ٤١٧٢]. (المؤلف)

(٣) الإصابة: ٣٥٧/٣ [رقم ٧٦٩٦]، مرآة الجنان: ٦٢/١ [سنة ١١١هـ]. (المؤلف)

(٤) السدير: المتحير.

(٥) هو ضرار بن الأزور زميل خالد بن الوليد وشاكلته في النزو على الحرائر. (المؤلف)

(٦) تاريخ ابن عساكر: ٣١/٧ [٢٨٨/٢٤ - ٢٨٩ رقم ٢٩٣١. وفي مختصر تاريخ دمشق:

[١٥٤/١١]، خزانة الأدب: ٨/٢ [٣٢٦/٣]، الإصابة: ٢٠٩/٢ [رقم ٤١٧٢]. (المؤلف)

وهذا يزيد بن معاوية يدس إلى زوجة ریحانة رسول الله الحسن السبط الزكيّ السمّ النقيع لتقتله ويتزوجها^(١)، أو فعله معاوية لغاية له كما يأتي.

ووراء هؤلاء المعتدين قوم ينزهون ساحتهم بأعذار مفتعلة كالتأويل والاجتهاد - وليتها لم يكونا - وتخطئة لغة كنانة، والله يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون، ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢).

الناحية الثانية :

الثانية من الناحيتين التي يهمن أن نولي شطرها وجه البحث ؛ تسليط الخليفة أولاً أمثال خالد وضرار بن الأزور شارب الخمر وصاحب الفجور^(٣) على الأنفس والدماء، على الأعراض ونواميس الإسلام، وعهده إلى جيوشه في حرق أهل الردة وقد عرفت النهي عنه في السنة الشريفة (ص ١٥٥). وصفحه ثانياً عن تلکم الطامات والجنايات الفاحشة كأن لم تكن شيئاً مذكوراً، فما سمعت أذن الدنيا منه حولها ركزاً، وما حُكيت عنه في الإنكار عليها ذامة، وما رأى أحد منه حولاً.

١٦٦/٧

لم لم يؤاخذ الخليفة خالدًا بقتل مالك وصحبه المسلمين الأبرياء، وقد ثبت عنده كما يلوح ذلك عن دفاعه عنه ومحاماته عليه ؟

لم لم يقتص منه قصاص القاتل ؟ ولم يُقم عليه جلدة الزاني ؟ ولم يضربه حدّ المفترى ؟ ولم يعزّره تعزير المعتدي على ما ملكته أيدي أولئك المسلمين ؟

لم لم يرَ عزل خالد وقد كره ما فعله، وعرض الدية على متمم بن نويرة أخي

(١) تاريخ ابن عساكر: ٢٢٦/٤ [٢٨٤/١٣] رقم ١٣٨٣، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٣٩/٧. (المؤلف)

(٢) المائة: ٤٢.

(٣) تاريخ ابن عساكر: ٣٠/٧ [٣٨٩/٢٤ - ٣٩٠] رقم ٢٩٣١، وفي مختصر تاريخ دمشق: ١٥٤/١١، خزنة الأدب: ٨/٢ [٣٢٦/٣]، الإصابة: ٢٠٩/٢ [رقم ٤١٧٢]. (المؤلف)

مالك؟ وأمر خالداً بطلاق امرأة مالك كما في الإصابة (٤١٥/١).

دع هذه كلها ولا أقل من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوبيخ الرجل وعتابه على تلکم الجرائم، وأقل الإنكار كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أن تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرّة».

ما للخليفة يتلعم ويتلعم في الدفاع عن خالد وجنایاته؟ فيرى تارة أنه تأول وأخطأ، ويعتذر أخرى بأنه سيف من سيوف الله، وينهى عمر بن الخطاب عن الوقعة فيه، ويأمره بالكف عنه وصرف اللسان عن مغايظته، ويغضب على أبي قتادة لإنكاره على خالد كما في شرح ابن أبي الحديد^(١) (١٨٧/٤).

ونحن نقتصر في البحث عن هذا الجانب على توجيه القارئ إليه، ولم نذهب به قصاه، ولم نبتغ فيه مداه، إذ لم نر جداً تخفى عليه حزازة أي من العذرين، هلاً يعلم متشرع في الإسلام أن تلکم الطامات والجرائم الخطيرة لا يتطرق إليها التأول والاجتهاد؟ ولا يسوغ لكل فاعل تارك أن يتترس بأمثالها في معرّاته، ويتدرّع بها في أحناته، ولا تُدرأ بها الحدود، ولا تطلّ بها الدماء، ولا تحلّ بها حرّات الحرائر؛ ولا يرفض بها حكم الله في الأنفس والأعراض والأموال، ولم يُصخّ الحاكم لمذعبيها كما ادعى قدامة بن مظعون في شربه الخمر بأنه تأول واجتهد فأقام عمر عليه الحدّ وجلده ولم يقبل منه العذر. كما في سنن البيهقي (٣١٦/٨) وغيره.

وأخرج ابن أبي شيبة^(٢) وابن المنذر عن محارب بن دثار: أن ناساً من

أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم شربوا الخمر بالشام وقالوا: شربنا لقول الله ﴿نيس على الذين﴾

(١) شرح نهج البلاغة: ٢١٣/١٧ كتاب ٦٢.

(٢) المصنف في الأحاديث والآثار: ٥٤٦/٩ ح ٨٤٥٨.

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴿^(١) الآية . فأقام عمر عليهم الحدَّ ^(٢) .

وجلد أبو عبيدة أبا جندل العاصي بن سهيل وقد شرب الخمر متأولاً لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ الآية . كما في الروض الأنف للسهيلى ^(٣) (٢/٢٣١) .

وهل يرتاب أحد في أن سيفاً سلّه المولى سبحانه لا يكون فيه قطّ رهق ولا شغب، ولا تسفك به دماء محرّمة، ولا تُهتك به حرّمات الله، ولا يُرهف لنيل الشهوات، ولا يُنضى للشبق، ولا يُفتك به ناموس الإسلام، ولا يحمله إلا يد أناس طيّبين، ورجال نزيهين عن الخنابة ^(٤) والعيث والفساد؟

فما خالد وما خطره حتى يهبه الخليفة تلك الفضيلة الراقية ويراه سيفاً سلّه الله على أعدائه، وهو عدوّ الله بنصّ من الخليفة الثاني كما مرّ (ص ١٥٩) . أليست هذه كلّها تحكماً وسرفاً في الكلام، وزوراً في القول، وأثخاذا الفضائل في دين الله مهزأةً ومجهلة؟ كيف يسعنا أن نعدّ خالداً سيفاً من سيوف الله سلّه على أعدائه؟ وقد ورد في ترجمته وهي بين أيدينا: أنه كان جبّاراً فاتكاً، لا يراقب الدين فيما يحمله عليه الغضب وهوى نفسه، ولقد وقع منه في حياة رسول الله ﷺ مع بني جذيمة بالغميصاء ^(٥) أعظم ممّا وقع منه في حق مالك بن نويرة، وعفا عنه رسول الله ﷺ بعد أن غضب عليه مدّة وأعرض عنه، وذلك العفو هو الذي أطمعه حتى فعل بني يربوع ما فعل بالبطاح ^(٦) .

(١) المائة: ٩٣ .

(٢) الدرّ المنتور: ٣٢١/٢ [١٧٤/٣] . (المؤلف)

(٣) الروض الأنف: ٤٨٩/٦ .

(٤) الخنابة: الأثر القبيح .

(٥) الغميصاء: موضع في بادية العرب قرب مكة كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر .

(٦) شرح ابن أبي الحديد: ١٨٧/٤ [٢١٤/١٧] كتاب ٣٢ . (المؤلف)

إن كان عفو النبي الأعظم عن الرجل بعد ما غضب عليه وأخذه بذنبه، وأعرض عنه ردحاً من الزمن أطمعه حتى فعل ما فعل، فانظر ماذا يصنع صفح الخليفة عنه من دون أي غضب عليه وإعراض عنه، وما الذي يؤثر دفاعه عنه من الجرأة والجسارة، في نفس الرجل ونفوس مشاكليه من أناس العيث والفساد، وشعب الشغب والفتن؟

أني لنا أن نرى خالداً سيفاً سلّه الله على أعدائه وفي صفحة التاريخ كتاب أبي بكر / إليه وفيه قوله: لعمرى يا بن أم خالد إنك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومئتي رجل من المسلمين لم يجفف بعد^(١)؟ كتبه إليه لما قال خالد لمجاعة: زوّجني ابنتك فقال له مجاعة: مهلاً إنك قاطع ظهري وظهرك معي عند صاحبك. قال: أيها الرجل زوّجني. فزوّجه، فبلغ ذلك أبا بكر. فكتب إليه الكتاب، فلما نظر خالد في الكتاب جعل يقول: هذا عمل الأعيسة - يعني عمر بن الخطاب.

وليست هذه بأول قارورة كسرت في الإسلام بيد خالد، وقد صدرت منه لذة هذه الفحشاء المنكرة على عهد رسول الله ﷺ وتبرأ ﷺ من صنيعه.

قال ابن إسحاق: بعث رسول الله ﷺ فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله ﷻ، ولم يأمرهم بقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائل من العرب فوطأوا بني جذيمة بن عامر، فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح فإنّ الناس قد أسلموا.

قال: حدّثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال: لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم^(٢): ويلكم يا بني جذيمة إنّه خالد، والله

(١) تاريخ الطبري: ٢٥٤/٣ [٣٠٠/٣ حوادث سنة ١١هـ]، تاريخ الخميس: ٣٤٢/٣ [٢١٨/٢].

(المؤلف)

(٢) في الإصابة: جحدم في: ٢٢٧/١ [رقم ١١٠٤]، وجذيم بن الحارث في: ٣١٨/١ [رقم ١٦٥٠].

والصحيح هو الأول. (المؤلف)

ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار، وما بعد الإِسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً، قال: فأخذه رجال من قومه فقالوا: يا جحدم أتريد أن تسفك دماءنا إن الناس قد أسلموا، ووضعوا السلاح، ووضع الحرب، وأمن الناس، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم السلاح لقول خالد، فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا، ثم عرضهم على السيف، فقتل من قتل منهم، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء ثم قال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ابن الوليد». قال أبو عمر في الاستيعاب^(١) (١٥٣/١): هذا من صحيح الأثر.

قال ابن هشام^(٢): حدث بعض أهل العلم عن إبراهيم بن جعفر المحمودي قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت كأنني لقمْتُ لُقمة من خَيْش^(٣) فالتذذت طعمها، فاعترض / في حلقي منها شيء حين ابتلعته، فأدخل عليّ يده فنزعه» فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله، هذه سرية من سراياك تبعثها فيأتيك منها بعض ما تحب، ويكون في بعضها اعتراض، فتبعيت علياً فيسبّه.

١٦٩/٧

قال ابن إسحاق: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال: «يا عليّ اخرج إلى هؤلاء القوم، فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك». فخرج عليّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى إنه ليدي لهم ميلغة^(٤) الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه، بقيت معه بقية من المال. فقال لهم عليّ رضوان الله عليه حين فرغ منهم: هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يود لكم؟ قالوا: لا. قال:

(١) الاستيعاب: القسم الثاني/٤٢٨ رقم ٦٠٣.

(٢) السيرة النبوية: ٧٢/٤.

(٣) الحيس: بفتح فسكون أن يخلط السمن والتمر والأقط فيؤكل. والأقط: ما يعقد من اللبن ويجفف.

(المؤلف)

(٤) الميلغة: خشبة تحفر ليلغ فيها الكلب. (المؤلف)

فإني أعطيتكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون، ففعل، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فقال: «أصبت وأحسن» قال: ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه يقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» ثلاث مرّات.

وقد كان بين خالد وبين عبدالرحمن بن عوف كلام في ذلك، فقال له عبدالرحمن بن عوف: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام^(١). وفي الإصابة: أنكر عليه عبدالله بن عمر وسالم مولى أبي حذيفة. وقد تُعدّ هذه الفضيحة أيضاً من جنایات لغة كنانة كما في الإصابة (٨١/٢).

فهذا الرهق والسرف في سيف خالد على عهد أبي بكر من بقايا تلك النزعات الجاهلية، وهذه سيرته من أول يومه، فإني لنا أن نعدّه سيفاً من سيوف الله وقد تبرأ منه نبي الإسلام الأعظم غير مرّة، مستقبل القبلة شاهراً يديه وأبو بكر ينظر إليه من كسب؟

ثلاثة وثلاثة وثلاثة

عن عبدالرحمن بن عوف قال: إنه دخل على أبي بكر الصديق ﷺ في مرضه الذي توفي فيه فأصابه مهتماً، فقال له عبدالرحمن: أصبحت والحمد لله بارئاً، فقال أبو بكر ﷺ: أترأه؟ قال: نعم. قال: إني وليت أمركم خيركم في نفسي، فكلكم ورم أنفه من ذلك، يريد أن يكون الأمر له دونه، ورأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل، وهي مقبلة

(١) سيرة ابن هشام: ٥٣/٤ - ٥٧ [٧٣ - ٧٠/٤]، طبقات ابن سعد طبع مصر رقم التسلسل: ص ٦٥٩ [١٤٧/٢ - ١٤٨]، صحيح البخاري شطراً منه في كتاب المغازي باب بعث خالد إلى بني جذيمة [١٥٧٧/٤ ح ٤٠٨٤]، تاريخ أبي الفداء: ١٤٥/١ أسد الغابة: ١٠٢/٣ [١١٠/٢] رقم ١٣٩٩، الإصابة: ٣١٨/١ [رقم ١٦٥٠] و ٨١/٢ [رقم ٣٤٨٨]. (المؤلف)

حتى تتخذوا ستور الحرير، ونضائد الديباج، وتألموا الاضطجاع على الصوف الأذري كما يألم أحدكم أن ينام على حسك، والله لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من أن يخوض في غمرة الدنيا، وأنتم أول ضالّ بالناس غداً فتصدّونهم عن الطريق يميناً وشمالاً، يا هادي الطريق إنما هو الفجر أو البجر. فقلت له: خفّض عليك رحمك الله، فإنّ هذا يهيك في أمرك، إنّما الناس في أمرك بين رجلين: إمّا رجل رأى ما رأيت فهو معك. وإمّا رجل خالفك فهو مشير عليك وصاحبك كما تحبّ، ولا نعلمك أردت إلاّ خيراً، ولم تزل صالحاً مصلحاً، وإنك لا تأسى على شيء من الدنيا.

قال أبو بكر رضي الله عنه: أجل إنّي لا آسى على شيء من الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي تركتهنّ. وثلاث تركتهنّ وددت أنّي فعلتهنّ. وثلاث وددت أنّي سألت عنهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأمّا الثلاث اللاتي وددت أنّي تركتهنّ: فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب. ووددت أنّي لم أكن حرقت الفجاءة السلمي وأنّي كنت قتلته سريحاً، أو خليته نجيحاً. ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين - يريد عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً.

وأما اللاتي تركتهنّ فوددت أنّي يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه، فإنّه تخيل إليّ أنّه لا يرى شراً إلاّ أعان عليه. ووددت أنّي حين سیرت خالد بن الوليد إلى أهل الردة كنت أقمت بذي القصة فإن ظفر المسلمون ظفروا، وإن / هزموا كنت بصدد لقاء أو مدد. ووددت أنّي إذ وجّهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجّهت عمر بن الخطاب إلى العراق، فكنت قد بسطت يدي كليهما في سبيل الله. ومدّ يديه.

ووددت أنّي كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وآله لمن هذا الأمر؟ فلا ينازعه أحد،

ووددت أني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب؟ ووددت أني كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمّة فإنّ في نفسي منها شيئاً.

أخرجه^(١) أبو عبيد في الأموال (ص ١٣١)، والطبري في تاريخه (٥٢/٤)، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة (١٨/١)، والمسعودي في مروج الذهب (٤١٤/١) وابن عبد ربّه في العقد الفريد (٢٥٤/٢).

والإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات أربعة منهم من رجال الصحاح الستّة.

قال الأميني: إنّ في هذا الحديث أموراً تسعة، ثلاثة منها فات الخليفة فقهها يوم عمل بها، وقد بسطنا القول في إحراق الفجاءة منها. وأمّا تمّني قذف الأمر في عنق أحد الرجلين فإنّه ينمّ عن أنّ الخليفة انكشف له في أخريات أيامه أنّ ما ناء به من الأمر لم يكن على القانون الشرعيّ في الخلافة والوصيّة؛ لأنّ الخلف والموصي يجب أن يكون هو المعين لمن ينهض بأمره من بعده، وهو الذي تنبّه له الخليفة الثاني بعد ربح من الزمن فقال: كانت بيعة أبي بكر فلتة كفلتة الجاهليّة وقى الله شرّها فن عاد إلى مثلها فاقتلوه^(٢).

ولا أدري أنّ ما تنبّها له هل هو قصور في المختار - بالفتح - أو فيه - بالكسر - أو فيها معاً؟ أو في كون الاختيار موجبا لتعيين الخليفة؟ وأياً ما أراد فلنا فيه المخرج. وهؤلاء زمر الأنبياء والرسل لم يعدّهم التنصيب بالخليفة من بعدهم ولم تنتخب أممهم خلفاء لهم.

وهل هنالك ذو حجى يزعم أنّ وصاية الفقيد المبيحة للتصرّف فيما تركه من

(١) الأموال: ص ١٧٤ ح ٣٥٣، تاريخ الطبري: ٤٢٩/٣ حوادث سنة ١٣هـ، الإمامة والسياسة:

٢٤/١، مروج الذهب: ٣١٧/٢، العقد الفريد: ٩٣/٤.

(٢) راجع الجزء الخامس: ص ٣٧٠، وهذا الجزء: ص ٧٩. (المؤلف)

بعده موكولة إلى أناس أجنب لا يعرفون ما يرثيه في شؤونه ، بعداء عن مغازيه وما يروقه في ماله وأهله ، والفقيد عاقل رشيد يعرف الصالح من غيره ، ويعلم بنوايا من يلتاث^(١) به ، ومن يحدوه الجشع ، وترقل^(٢) به النهمة ، ويستفزه الطمع ، أفتراه والحالة هذه يترك الوصية فيدع ما تركه أكلة للأكل ومطعماً للناهب ؟ لا .

لا يفعل ذلك وهو يريد خيراً بآله وصلاًحاً في ماله ، وعلى ذلك جرت سنة المسلمين منذ عهد الصحابة إلى يومنا الحاضر ، وأقرته الشريعة الإسلامية ، وشرعت للوصايا أحكاماً ، وجاء في الصحيحين^(٣) عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده » . كذا في لفظ البخاري ، وفي لفظ مسلم^(٤) : « يبيت ثلاث ليال » ، قال ابن عمر : ما مرّت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي . قال النووي في رياض الصالحين^(٥) (١٥٦) : متفق عليه .

وَصَى الْإِلَهُ وَأَوْصَتْ رَسَلُهُ فَلذَا
لَوْلَا الْوَصِيَّةُ كَانَ الْخَلْقُ فِي عَمَةٍ
فَاعْمَلْ عَلَيْهَا وَلَا تَهْمَلْ طَرِيقَتَهَا
ذَكَرَتْ قَوْمًا بِمَا أَوْصَى الْإِلَهُ بِهِ
كَانَ النَّاسِي بِهِمْ مِنْ أَفْضَلِ الْعَمَلِ
وَبِالْوَصِيَّةِ دَامَ الْمَلِكُ فِي الدَّوَلِ
إِنَّ الْوَصِيَّةَ حَكَمُ اللَّهِ فِي الْأَزَلِ
وَلَيْسَ إِحْدَاثُ أَمْرٍ فِي الْوَصِيَّةِ لِي^(٦)

(١) يلتاث : يحوط .

(٢) الترقل : الإسراع .

(٣) صحيح البخاري : ٢/٤ [١٠٠٥/٣ ح ٢٥٨٧] كتاب الوصية ، وصحيح مسلم : ١٠/٢ [٤٤٦/٣ ح ٤ كتاب الوصية] . (المؤلف)

(٤) صحيح مسلم : ٤٤٦/٣ ح ٤ كتاب الوصية .

(٥) رياض الصالحين : ص ٢٤٣ ح ٥٧٥ .

(٦) الجزء الأخير من الفتوحات المكيّة لابن عربي : ص ٥٧٥ [٤٤٤/٤] . (المؤلف)

فإذا كانت الوصية ثابتة في حطام زائل، فما بالها تنفي في خلافة راشدة، وشريعة خالدة، متكفلة بصلاح النفوس والنواميس والأموال والأحكام والأخلاق والصالح العام والسلام والوثام؟ ومن المسلم قصور الفهم البشري العادي عن غايات تلكم الشؤون فلا منتدح والحالة هذه عن أن يعين الرسول الأمين عن ربه خليفته من بعده ليقص أثره في أمته.

وقد مرّ في صفحة (١٣٢) رأي عائشة وعبدالله بن عمر ومعاوية وحديث الناس بأن راعي إبل أو غنم أو قيم أرض لأي أحد لا يسعهم ترك رعيتهم هملاً، ورعية الناس أشد من رعية الإبل والغنم فالأمة لماذا صفحت يوم السقيفة عن هذا الحكم المتسلم عليه بينها؟ ولماذا نبأت عنه الأسع، وخرست الألسن؟ وذهلت الأحلام عنه يوم ذاك، ثم حدثت به الناس ونبأتهم الأمة؟ ولماذا ترك النبي ﷺ أمته سدى هملاً، وفتح بذلك أبواب الفتن المضلة المدهمة، واستحقر أمته ورأى / رعيته أهون من رعية الإبل والغنم؟ حاشا النبي الأعظم عن هذه الأوهام، فإنه ﷺ وصى واستخلف ونص على خليفته وبلغ أمته غير أنه عهد إلى وصيه من بعده: إن الأمة ستقدر به بعده كما ورد في الصحيح^(١). وقال له أيضاً: «أما إنك ستلقى بعدي جهداً»، قال علي: «في سلامة من ديني»، قال: «في سلامة من دينك»^(٢). وقال لعلي: «ضغائن في صدور أقوام لا يبذونها إلا من بعدي»^(٣). وقال له: «يا علي إنك ستبتلى

(١) مستدرک الحاکم: ١٤٠/٣، ١٤٢، [١٥٠/٣ ح ٤٦٧٦، و ١٥٣ ح ٤٦٨٦]، وصححه هو والذهبي في تلخيصه، تاريخ الخطيب: ٢١٦/١١ [رقم ٥٩٢٨]، تاريخ ابن كثير: ٢١٩/٦ [٢٤٤/٦]، كنز العمال: ١٥٧/٦ [٦١٧/١١ ح ٣٢٩٩٧]. (المؤلف)

(٢) مستدرک الحاکم: ١٤٠/٣، [١٥١/٣ ح ٤٦٧٧] وصححه هو وأقره الذهبي. (المؤلف)

(٣) أخرجه ابن عساكر [في ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام - الطبعة المحققة: رقم ٨٣٤ - ٨٣٧]، والمحبت الطبري في الرياض: ٢١٠/٢ [١٦٢/٣] نقلاً عن أحمد في المساقب، والمحافظ الكنعي في الكفاية: ص ١٤٢ [ص ٢٧٣ باب ٦٦]، والخوارزمي في المقتل: ٣٦/١. (المؤلف)

بعدي فلا تقاتلن» . كنوز الحقائق للمناوي (ص ١٨٨).

ثم إن الخليفة النادم لماذا تمنى التسلل عن الأمر يوم السقيفة؟ وقذفه في عنق أحد الرجلين: أبي عبيدة أو عمر؟ أكان ندمه عن حق وقع؟ فالحق لا ندم فيه. وإن كان عن باطل سبق؟ فهو يهدم أساس الخلافة الراشدة.

ثم الذي ودّه من قذفه إلى عنق أحد الرجلين فإننا لا نعرف وجهاً لتخصيصها بالقذف وفي الصحابة أعظم وذوو فضائل لا يبلغ الرجلان شأواً أيّ منهم، وهذان - بالنظر إلى ما عرفناه من أحوال الصحابة - إن لم نقل إنّهما من ساقتهما، فإننا نقول بكلّ صراحة إنّهما لم يكونا من الأعالى منهم وفيهم من فيهم، وقيل جميعهم سيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام صاحب السوابق والمناقب والصهر والقراية والغناء والعناء، وصاحب يوم الغدير، والأيام المشهودة، والمواقف المشهورة، نفس النبي الأعظم بنص من الكتاب العزيز^(١) المطهر من كلّ رجس بأية التطهير^(٢).

فهلّا ودّ أن يقذفه إليه؟ فيسير بالأمة سيراً سجعاً، ويحملهم على المحجة البيضاء، ويأخذ بهم الطريق المستقيم، ويجدونه هادياً مهدياً، يدخلهم الجنة. كما أخبر بهذه كلّها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وقد مرّ شرط منها في الجزء الأول صفحة (١٢، ١٣).

وأما كشف بيت فاطمة سلام الله عليها فإنه لا يروقنا ها هنا خدش العواطف بتلكم النوايب، غير أنه سبق منا بعض القول في الجزء الثالث (ص ١٠٢ - ١٠٤) وفي هذا الجزء (ص ٧٧، ٨٦).

وفذلكة ذلك النبي العظيم أنّ الصديقة سلام الله عليها قضت وهي واجدة على

(١) بأية المباهلة في سورة آل عمران: ٦١. (المؤلف)

(٢) في سورة الأحزاب: ٣٣.

من ارتكبه، وكانت صلوات الله عليها تدعو عليه بعد كل صلاة صلّتها^(١).

وإن تعجب فعجب أن القوم ارتكب ما ارتكب من تلکم الفظائح وارتبك فيها وملء الأسماع هتاف النبي ﷺ بقوله: «من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي بضعة مني، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني».

وبقوله: «فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها».

وبقوله: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني».

وبقوله: «فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها»^(٢).

وبقوله: «فاطمة بضعة مني يسرني ما سرها»^(٣).

وبقوله: «يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك»^(٤).

وبهذا الهتاف تعلم أن ندم الخليفة كان في محله، غير أنه ندم ولات حين مندم، ندم وقد قضى الأمر ووقع ما وقع، ندم والصديقة الطاهرة مقبورة وملء إهابها موجدة.

الثلاثة الوسطى:

وأما الثلاثة من هاتيك الأمور التسعة التي ندم عليها الخليفة على تركها فإنها تعرب عن أنه ارتكب ما ارتكب فيها لا عن ترو أو بصيرة في الأمر، أو استناد إلى

(١) الإمامة والسياسة: ١٤/١ [٢٠/١]، رسائل الجاحظ: ص ٣٠١ [ص ٤٦٧ - الرسائل السياسية]،
أعلام النساء ١٢١٥/٣ [١٢٤/٤]. (المؤلف)

(٢) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا: ص ٢١، وسنوقفك على تفصيلها في هذا الجزء إن شاء الله.
(المؤلف)

(٣) الأغاني: ١٥٦/٨ [٣٠١/٩]. (المؤلف)

(٤) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا: ص ١٨٠، وسنفضل فيه القول إن شاء الله. (المؤلف)

حكم شرعي، حتى كشف له الخطأ فيها جمعا، وقد وقعت فيها عظام، وأعقبها طامات، وخليفة المسلمين يجب أن لا يرتكب ما يستتبعها، ولا يفعل ما يوجب الندم في مغبته، وقصة الأشعث بن قيس تعرب عن أن ندم الخليفة كان في محله، فإن الرجل بعد ما ارتد / وأتى بمعرات وقاتل المسلمين وأخذ وأتى به أسيراً إلى الخليفة فقال: ماذا تراني أصنع بك؟ فإنك قد فعلت ما علمت. قال: تمنّ عليّ فتفكّني من الحديد، وتزوّجني أختك، فإني قد راجعت وأسلمت. فقال أبو بكر: قد فعلت فزوجه أم فروة ابنة أبي قحافة، فاخترط سيفه ودخل سوق الإبل فجعل لا يرى جملاً ولا ناقة إلا عرقبه، فصاح الناس: كفر الأشعث. فلما فرغ طرح سيفه وقال: إني والله ما كفرت ولكن زوّجني هذا الرجل أخته ولو كنا في بلادنا كانت وليمة غير هذه، يا أهل المدينة كلوا، ويا أصحاب الإبل تعالوا خذوا شرواها، فكان ذلك اليوم قد شبه بيوم الأضحى، وفي ذلك يقول وبرقة بن قيس الخزرجي:

١٧٥/٧

لقد أولم الكندي يوم مَلَكَه وليمة حمّالٍ لثقل الجرائمِ
لقد سلّ سيفاً كان مُدّ كان مغمداً لدى الحرب منها في الطلا والجهاجمِ
فأغمده في كلّ بكرٍ وسابحٍ وعيرٍ وبغلٍ في الحشا والقوائمِ
فقل للفتى الكندي يوم لقائه ذهب بآسنى مجد أولاد آدمِ

وقال الأصعب بن حرملة الليثي متسخطاً لهذه المصاهرة:

أتيت بكندي قد ارتدّ وانتهى إلى غاية من نكت ميثاقه كفرا
فكان ثوابُ النكتِ إحياءِ نفسه وكان ثوابُ الكفر تزويجه البكرا
ولو أنّه يابى عليك نكاحها وتزويجها منه لأمهرته مهرا
ولو أنّه رام الزيادة مثلها لأنكحته عشراً وأتبعته عشرا
فقل لأبي بكر لقد شنتَ بعدها قریشاً وأخملتَ النباهة والذكرا
أما كان في تيم بن مرّة واحد تُزوجه لولا أردت به الفخرا

ولو كنت لما أن أتاك قتلته
فأضحى يرى ما قد فعلت فريضةً
لأحرزتها ذكراً وقدمتها ذخراً
عليك فلا حمداً حويت ولا أجراً^(١)

الثلاثة الأخر:

أما الثلاثة الأخر التي تمنى الخليفة أن يكون استعملها من رسول الله ﷺ فإنها تنبئنا بقصوره في علم الدين، وأنه كان نائياً في فقهه، لا يعرف أحكام المواريث التي يكثر ابتلاء خليفة المسلمين بها طبعاً، وأنه كان شاكاً في أصل الخلافة هل هي بالنص أو الاختيار؟ وعلى الثاني هل تخص المهاجرين فحسب؟ أو أنه يشاركهم فيها الأنصار؟ وعلى أي فهو في تسنمه عرش الخلافة غير متيقن بالرشد من أمره، ولا تحكّم هاهنا غير ضميرك الحرّ، وليس في الحق مغضبة.

ثم إنّي لا أعرف لهذا التمني محضاً، لأنه لو كان سألّه ﷺ عن ذلك لما كان يجيبه إلا بمثل قوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه». راجع الغدير الجزء الأول.

وقوله: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»^(٢).

وقوله: «إنّي تارك فيكم خليفتي كتاب الله وأهل بيتي»^(٣).

وقوله: «عليّ منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي». الغدير

(١٩٩/٣).

وقوله لعليّ: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست

(١) تاريخ الطبري: ٢٧٦/٣ [٣٣٩/٣ حوادث سنة ١١هـ]، ثمار القلوب للشعالبي: ص ٦٩ [ص ٨٨

رقم ١٢٩]، الاستيعاب: ٥١/٨ [القسم الأول/١٣٣ - ١٣٤ رقم ١٣٥]، الكامل لابن الأثير:

١٦٠/٢ [٤٩/٢ حوادث سنة ١١هـ]، مجمع الأمثال للميداني: ٣٤١/٢ [٤٥٤/٣ رقم ٤٤٤٢]،

الإصابة: ٥١/٨ [رقم ٢٠٥] و ٦٣٠/٣ [رقم ٩١٠٦]. (المؤلف)

(٢) و (٣) مرّ الإيعاز إلى حديث الثقلين غير مرّة، وسنفضّل القول فيه إن شاء الله. (المؤلف)

بنبي، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي». الغدير (١٩٦/٣).

وقوله: «أوحى إليّ في عليّ ثلاث: أنه سيّد المسلمين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجلّين». مستدرک الحاکم^(١) (١٣٨/٣).

وقوله: «إنّ الله أطلع عليّ أهل الأرض فاختار منهم أباك فبعثه نبياً، ثمّ أطلع الثانية فاختار بعلك فأوحى إليّ فأنكحته واتّخذته وصياً». الغدير (٣١٨/٢) و (٢٣/٣).

وقوله: «عليّ الصّدق الأكبر وفاروق هذه الأمّة، يفرق بين الحقّ والباطل، ويعسوب المؤمنین، وهو بابي الذي أوتى منه، وهو خليفتي من بعدي». الغدير (٣١٣/٢).

وقوله: «عليّ راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، والكلمة التي ألزمتها المتّقين، من أحبّه أحبّني ومن أبغضه أبغضني». الغدير (١١٨/٣).

وقوله: «عليّ أخي ووصيّي ووارثي وخليفتي من بعدي». الغدير (٢٧٩/٢) - (٢٨١).

وقوله: «عليّ سيّد مبجلّ، مؤمل المسلمين، وأمير المؤمنین، وموضع سرّي وعلمي، وبابي الذي يؤوى إليه وهو الوصيّ عليّ أهل بيتي، وعلى الأخيار من أمّتي، وهو أخي في الدنيا والآخرة». الغدير (١١٦/٣).

وقوله: «عليّ أخي ووزيری وخير من أترك بعدي». الغدير (٣١٣/٢)

وقوله: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». الغدير (١٧٧/٣).

١٧٧/٧

(١) المستدرک علی الصحیحین: ١٤٨/٣ ح ٤٦٦٨. (المؤلف)

وقوله: «عليّ مع الحقّ والحقّ معه وعلىّ لسانه، والحقّ يدور حيثما دار عليّ». الغدير (١٧٨/٣).

وقوله: «عليّ مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض». الغدير (١٨٠/٣).

وقوله: «عليّ منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي». الغدير (٢٢٢/٣، ٢١٥).

وقوله: «عليّ مولى كلّ مؤمن بعدي ومؤمنة». الغدير (١٥/١، ٥١).

وقوله: «عليّ أنزله الله منّي بمنزلة منّي». الغدير (٢٢/١).

وقوله: «عليّ وليّ في كلّ مؤمن بعدي». مسند أحمد^(١) (٢٣١/١).

وقوله: «عليّ منّي بمنزلة منّي من ربي». السيرة الحلبية^(٢) (٣٩١/٣).

وقوله: «عليّ وليّ المؤمنين من بعدي». تاريخ الخطيب (٣٢٩/٤).

وقوله: «من كان الله ورسوله وليّه فعليّ وليّه». الغدير (٣٨/١).

وقوله: «لا يُبلغ عنيّ إلا أنا أو رجل منّي». الغدير (٢٣٨/٦ - ٣٥٠).

وقوله: «ما من نبيّ إلا وله نظير في أمته وعليّ نظيري». الغدير (٢٣/٣).

وقوله: «أنا وعليّ حجة علىّ أمتي يوم القيامة». تاريخ الخطيب (٨٨/٢).

وقوله: «من أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومن عصى عليّاً فقد عصاني».

مستدرك الحاكم^(٣) (١٢١/٣، ١٢٨).

كيف تمّني الخليفة ما تمّني مع هذه النصوص؟ أو كان في الآذان وقر يوم

(١) مسند أحمد: ٥٤٥/١ ح ٣٠٥٢.

(٢) السيرة الحلبية: ٣/٣٦٢.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ٣/١٣١ ح ٤٦١٧ و ١٣٩ ح ٤٦٤١.

هتف عليه السلام بهاتيك الكلم الجامعة العربية عن الخلافة بكل ما يمكن من التعبير؟ أم أن في القوم من تصامم عنها لأمر دبر بليل؟

أولم يكف الخليفة أنه عليه السلام لما عرض نفسه على القبائل وكان معه علي أمير المؤمنين ومعها أبو بكر وبلغ بني عامر بن صعصعة ودعاهم إلى الله فقال له قائلهم: رأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «إن الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء»^(١)؟

أفكان يزعم الخليفة أن النبي عليه السلام الذي أناط الأمر بعده إلى المولى سبحانه ومشيته كان لو سأله عن ذلك أجابه بالترديد بين اختيار الأمة ولو لم تكتمل فيه شرائط الإجماع والانتخاب الصحيح كما في البيعة الأولى، وبين وصية الخليفة واستخلافه كما وقع في أمر الثاني، وبين الشورى مع إرهاب المخالف بالقتل كما كان في منتهى الثلاثة؟

لكنه لو كان يحسب ذلك لما وّد أن لو كان سألته عليه السلام وكان يعلم أيضاً أن التردد في الجواب على فرضه إغراء للأمة بالفوضى، وفي ذلك مسرح لكل مدع محق أو مبطل، ولاحتجّ به كل ناعب وناعق حتى تنتهي النوبة إلى الطلقاء وأبناء الطلقاء أمثال معاوية ويزيد وهلمّ جرّاً.

تحفظ علي كرامة :

حذف أبو عبيد من الحديث ذكر الأمر الأول من الثلاثة الأول وهو: كشف بيت فاطمة، وجعل مكانه قوله: فوددت أني لم أكن فعلت كذا وكذا - لخلّة ذكرها - فقال: لا أريد أذكرها. وما حرّف ما حرّف إلا تحفظاً على كرامة الخليفة، والأسف على أن غيره ما شاركه فيما فعل، فظهرت خيانتة على ودائع التاريخ.

(١) مرّت مصادره في هذا الجزء: ص ١٣٤. (المؤلف)

- ١٢ -

سؤال يهودي أبي بكر

عن أنس بن مالك قال: أقبل يهودي بعد وفاة رسول الله ﷺ فأشار القوم إلى أبي بكر فوقف عليه فقال: أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي، قال أبو بكر: سل عما بدا لك.

قال اليهودي: أخبرني عما ليس لله، وعما ليس عند الله، وعما لا يعلمه الله. فقال أبو بكر: هذه مسائل الزنادقة يا يهودي، وهم أبو بكر والمسلمون ﷺ باليهودي، فقال ابن عباس رضي الله عنه: ما أنصفت الرجل. فقال أبو بكر: أما سمعت ما تكلم به؟ فقال ابن عباس: إن كان عندكم جوابه وإلا فاذهبوا به إلى علي رضي الله عنه يجيبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: «اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه».

قال: فقام أبو بكر ومن حضره حتى أتوا علي بن أبي طالب / فاستأذنوا عليه ١٧٩/٧
فقال أبو بكر: يا أبا الحسن إن هذا اليهودي سألني مسائل الزنادقة. فقال علي: ما تقول يا يهودي؟ قال: أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي. فقال له: قل، فردد اليهودي المسائل. فقال علي رضي الله عنه: أمّا ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود: إن العزير ابن الله، والله لا يعلم أن له ولداً. وأمّا قولك: أخبرني بما ليس عند الله. فليس عنده ظلم للعباد، وأمّا قولك: أخبرني بما ليس لله فليس له شريك. فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنك وصي رسول الله ﷺ. فقال أبو بكر والمسلمون لعلي رضي الله عنه: يا مفرج الكرب. المجتني لابن دريد^(١) (ص ٣٥).

قال الأمين: اقرأ واحكم.

- ١٣ -

وقد النصراني وأسألتهم

أخرج المحافظ العاصمي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، قال : لما قبض النبي صلى الله عليه وآله اجتمعت النصراني إلى قيصر ملك الروم فقالوا له : أيها الملك إنا وجدنا في الإنجيل رسولاً يخرج من بعد عيسى اسمه أحمد وقد رمقنا خروجه وجاءنا نعته فأشر علينا فإننا قد رضيناك لديننا ودينانا .

قال : فجمع قيصر من نصراني بلاده مئة رجل وأخذ عليهم المواثيق أن لا يغدروا ولا يخفوا عليه من أمورهم شيئاً وقال : انطلقوا إلى هذا الوصي الذي من بعد نبيهم فسألوه عما سئل عنه الأنبياء عليهم السلام ، وعما أتاهم به من قبل ، والدلائل التي عرفت بها الأنبياء . فإن أخبركم فأمنوا به وبوصيته واكتبوا بذلك إلي ، وإن لم يخبركم فاعلموا أنه رجل مطاع في قومه ، يأخذ الكلام بمعانيه ، ويرده على مواليه ، وتعرفوا خروج هذا النبي .

قال : فسار القوم حتى دخلوا بيت المقدس ، واجتمعت اليهود إلى رأس جالوت ، فقالوا له مثل مقالة النصراني لقيصر ، فجمع رأس جالوت من اليهود مئة رجل .

قال سلمان : فاغتنمت صحبة القوم فسرنا حتى دخلنا المدينة وذلك يوم عروبة^(١) وأبو بكر رضي الله عنه قاعد في المسجد يفتي الناس ، فدخلت عليه فأخبرته بالذي قدم له النصراني واليهود فأذن لهم بالدخول عليه ، فدخل عليه رأس جالوت / فقال : ١٨٠/٧

(١) يعني يوم الجمعة : وكان يسمى قديماً بيوم عروبة ، ويوم العروبة . والأفصح ترك الألف واللام .
(المؤلف)

يا أبا بكر إنا قوم من النصارى واليهود جئناكم لسألكم عن فضل دينكم، فإن كان دينكم أفضل من ديننا قبلناه، وإلا فديننا أفضل الأديان.

قال أبو بكر: سل عما تشاء أجبك إن شاء الله.

قال: ما أنا وأنت عند الله؟ قال أبو بكر: أما أنا فقد كنت عند الله مؤمناً وكذلك عند نفسي إلى الساعة ولا أدري ما يكون من بعد. فقال اليهودي: فصف لي صفة مكانك في الجنة، وصفة مكاني في النار، لأرغب في مكانك وأزهد عن مكاني.

فقال: فأقبل أبو بكر ينظر إلى معاذ مرة وإلى ابن مسعود مرة، وأقبل رأس جالوت يقول لأصحابه بلغة أمته: ما كان هذا نبياً.

قال سلمان: فنظر إلى القوم، قلت لهم: أيها القوم ابعثوا إلى رجل لو نسيتم [له] الوسادة لقضى لأهل التوراة بتوراتهم، ولأهل الإنجيل بإنجيلهم، ولأهل الزبور بزبورهم، ولأهل القرآن بقرآنتهم، ويعرف ظاهر الآية من باطنها، وباطنها من ظاهرها.

قال معاذ: فقمتم فدعوت علي بن أبي طالب وأخبرته بالذي قدمت له اليهود والنصارى، فأقبل حتى جلس في مسجد رسول الله ﷺ، قال ابن مسعود: وكان علينا ثوب ذل، فلما جاء علي بن أبي طالب كشفه الله عنا. قال علي: «سليني عما تشاء أخبرك إن شاء الله». قال اليهودي: ما أنا وأنت عند الله؟

قال: «أما أنا فقد كنت عند الله وعند نفسي مؤمناً إلى الساعة فلا أدري ما يكون بعد. وأما أنت فقد كنت عند الله وعند نفسي إلى الساعة كافراً ولا أدري ما يكون بعد».

قال رأس جالوت: فصف لي صفة مكانك في الجنة وصفة مكاني في النار

فأرغب في مكانك وأزهد عن مكاني .

قال عليّ: « يا يهودي لم أر ثواب الجنة ولا عذاب النار فأعرف ذلك، ولكن كذلك أعدّ الله للمؤمنين الجنة وللكافرين النار، فإن شككت في شيء من ذلك فقد خالفت النبي ﷺ ولست في شيء من الإسلام .

قال: صدقت رحمك الله؛ فإن الأنبياء يوقنون على ما جاؤوا به فإن صدقوا آمنوا، وإن خولفوا كفروا. قال: فأخبرني؛ أعرفت الله بمحمد أم محمداً بالله؟

فقال عليّ: « يا يهودي ما عرفت الله بمحمد ولكن عرفت محمداً بالله؛ لأن محمداً محدود مخلوق وعبد من عباد الله اصطفاه الله واختاره لخلقه وأهم الله نبيه كما أهم الملائكة الطاعة، وعرفهم نفسه بلا كيف ولا شبهة .

قال: صدقت. قال: فأخبرني: الرب في الدنيا أم في الآخرة؟

فقال عليّ: «إنّ (في) وعاء، فتى ما كان بني كان محدوداً، ولكنه يعلم ما في الدنيا والآخرة، وعرشه في هواء الآخرة وهو محيط بالدنيا، والآخرة بمنزلة القنديل في وسطه إن خليت يكسر، وإن أخرجته لم يستقم، / مكانه هناك، فكذلك الدنيا وسط الآخرة .» ١٨١/٧

قال: صدقت. قال: فأخبرني: الرب يحمل أو يحمل؟

قال عليّ بن أبي طالب: «يحمل» .

قال رأس جانوت: فكيف وإنا نجد في التوراة مكتوباً ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية؟

قال عليّ: « يا يهودي: إن الملائكة تحمل العرش، والثرى يحمل الهواء،

والثرى موضوع على القدرة وذلك قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾^(١).

قال اليهودي: صدقت رحمك الله^(٢). زين الفتى في شرح سورة هل أتى للحافظ العاصمي.

هَلَمْ مَعِيَ إِلَى الْغُلُوِّ :

هذه جملة مما وقفنا عليه من فتاوى أبي بكر وآرائه وهي على قلتها تدلّ على مكانته من علم الكتاب، وعرقان السنّة، وفقه الشريعة، وأحكام الدين، وأوليس من المغالاة إذن أن يقال: عَلِمَ كُلَّ ذِي حِظٍّ مِنَ الْعِلْمِ أَنَّ الَّذِي كَانَ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الْعِلْمِ أَضْعَافٌ مَا كَانَ عِنْدَ عَلِيٍّ مِنْهُ^(٣)؟

أليس من المغالاة أن يقال: إنَّ المعروف أنَّ الناس قد جمعوا الأقضية والفتاوى المنقولة عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ فوجدوا أصوبها وأدّها على علم صاحبها أمور أبي بكر ثمَّ عمر، ولهذا كان ما يوجد من الأمور التي وجد نصٌّ يخالفها عن عمر أقلَّ مما وجد عن عليٍّ، وأمّا أبو بكر فلا يكاد يوجد نصٌّ يخالفه؟

أليس من المغالاة أن يقال: لم يكن أبو بكر وعمر ولا غيرهما من أكابر الصحابة يخصّان عليّاً بسؤال، والمعروف: أنَّ عليّاً أخذ العلم عن أبي بكر^(٤)؟
أليس من المغالاة أن يقال: إنَّ أبا بكر من أكابر المجتهدين بل هو أعلم الصحابة على الإطلاق، قاله ابن حجر في الصواعق^(٥) (ص ١٩).

(١) طه: ٦.

(٢) زين الفتى في شرح سورة هل أتى: ٣٠٦/١ ح ٢١٩.

(٣) قاله ابن حزم في الفصل: ١٣٦/٤. راجع ما مرّ في الجزء الثالث: ص ٩٥. (المؤلف)

(٤) منهاج السنّة لابن تيمية: ١٢٨/٢. راجع ما أسلفناه في: ٣٢٩/٦. (المؤلف)

(٥) الصواعق المحرقة: ص ٣٣.

أليس من المغالاة أن يقال: إن أبا بكر أعلم الصحابة وأذكاهم، وكان مع ذلك أعلمهم بالسنة كما رجع إليه الصحابة في غير موضع، يبرز عليهم بنقل سنن عن النبي ﷺ يحفظها هو ويستحضرها عند الحاجة إليها ليست عندهم؟ وكيف لا يكون كذلك وقد واطب على صحبة الرسول ﷺ من أول البعثة إلى الوفاة^(١)؟

أليس من المغالاة ما عزوه إلى النبي الأقدس من قبله ﷺ: ما صبَّ الله في صدري شيئاً إلا صبَّته في صدر أبي بكر^(٢)؟

أليس من المغالاة ما رووه عنه ﷺ أنه قال: رأيت كأنني أعطيت عتاً مملوئاً لبناً. فشربت منه حتى امتلأت، فرأيتها تجري في عروقي بين الجلد واللحم، ففضلت منها فضلة فأعطيها أبا بكر، قالوا: يا رسول الله هذا علم أعطاكه الله، حتى إذا امتلأت فضلت فضلة فأعطيها أبا بكر، قال ﷺ: قد أصبتم؟ الرياض النضرة^(٣) (١٠١/١).

أليس من المغالاة ما جاء به ابن سعد^(٤) عن ابن عمر من أنه سُئل عنَّ كان يفتي في زمن رسول الله ﷺ فقال: أبو بكر وعمر ولا أعلم غيرهما؟

راجع^(٥): أسد الغابة (٢١٦/٣)، الصواعق (ص ١٠، ٢٠)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٣٥).

قال الأميني: ليتني أدري وقومي ما بال القوم في نحت هذه الدعاوي الفارغة، واختلاق هذه الأكاذيب المكردسة، وزعق^(٦) بسطاء الأمة إلى المزلق والطامات، وردعهم عن مهيع الحق، وجدد الصدق في عرفان الرجال، ومقادير السلف؟

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ٢٩ [ص ٣٩]. (المؤلف)

(٢) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا: ص ٣١٦، وهذا الجزء: ص ٨٧. (المؤلف)

(٣) الرياض النضرة: ١٣٠/١.

(٤) الطبقات الكبرى: ٢/٣٢٤ - ٣٣٥.

(٥) أسد الغابة: ٣/٣٢٤ رقم ٣٠٦٤، الصواعق المحرقة: ص ١٨ - ٣٤، تاريخ الخلفاء: ص ٤٨.

(٦) الزعق: السؤق: زعق بإبله؛ أي: طردها مسرعاً وصاح في آثارها.

- أليست هذه الآراء تضاداً نداء المشرع الأقدس وقوله لفاطمة: «أما ترضين أني زوجتك أول المسلمين إسلاماً وأعلمهم علماً»؟
- وقوله لها: «زوجتك خير أمتي أعلمهم علماً»؟
- وقوله: «إن علياً لأول أصحابي إسلاماً وأكثرهم علماً»؟
- وقوله: «أعلم أمتي من بعدي علي»؟
- وقوله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»؟
- وقوله: «علي وعاء علمي»؟
- وقوله: «علي باب علمي»؟
- وقوله: «علي خازن علمي»؟
- وقوله: «علي عيبة علمي»؟
- وقوله: «أنا دار الحكمة وعلي بابها»؟
- وقوله: «أنا دار العلم وعلي بابها»؟
- وقوله: «أنا ميزان العلم وعلي كفتاه»؟
- وقوله: «أنا ميزان الحكمة وعلي لسانه»؟
- وقوله: «أقضى أمتي علي»؟
- وقوله: «أقضاكم علي»^(١)؟ إلى أمثال هذه من الكثير الطيب.

أليست تلكم الآراء المجردة تخالف ما أسفلناه في الجزء الثالث (ص ٩٥ - ١٠١) وفي نواذر الأثر في الجزء السادس من أقوال الصحابة الأولين والتابعين بإحسان في علم علي نظراء عائشة، وعمر، ومعاوية، وابن عباس، وابن مسعود، وعدي بن حاتم، وسعيد بن المسيب، وهاشم بن عتبة^(٢)، وعطاء، وعبدالله بن حجل؟

(١) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا: ص ٩٥، والجزء السادس: ص ٦١ - ٨١. (المؤلف)

(٢) في الأصل: هشام، ومررت الإشارة إلى تصريحه في: ١٤٥/٣ أنه هاشم بن عتبة المرقال الشهيد يوم صفين.

أنى يسوغ القول بأعلمية أي أحد من الأمة غير علي أمير المؤمنين بعد ما مرّ في الجزء الثالث (ص ١٠٠) من إجماع أهل العلم على أن علياً عليه السلام هو وارث علم النبي صلى الله عليه وآله دونهم. وما أسلفناه هناك من الصحيح الوارد عن مولانا أمير المؤمنين من قوله: «والله إنني لأخوه ووليه وابن عمه ووارث علمه، فمن أحقّ به مني؟».

ثم أيُّ نُجفةٍ من العلم كانت آيةً فضلةٍ عسّ شربها الخليفة من يد النبي الأعظم إن صحت الأحلام؟ أقوله في الأب؟ أم رأيه في الكلاله والجدة والجذتين والخلافة وغيرها؟ أمثل هذه كان هو وصاحبه يفتيان في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

وأي صدرٍ هذا لم يك ينضح بشيء من العلم -والإناء ينضح بما فيه- بعد ما صبّ فيه رسول الله كل ما صبّ الله في صدره صلى الله عليه وآله؟

وأنت جدّ علمي بأن الأخذ بمجامع تلکم الصحاح المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأقوال الصحابة والتابعين في علم أمير المؤمنين عليه السلام والجمع بينها وبين تلکم الآراء في علم أبي بكر يستلزم القول بأعلميته من رسول الله أيضاً بعد كونه وعليّ صلى الله عليها وآلهما صنوين في الفضائل، بعد كون عليّ رديف أخيه الأقدس ونفسه في مآثره، بعد كونه وارث علمه وبابه وعييته ووعاءه وخازنه، ولا أحسب كلّ القوم ولا جلّهم يقول بذلك.

نعم! من لم يتحاش عن الغلوّ في أبي حنيفة والقول بأعلميته من رسول الله صلى الله عليه وآله / عليه السلام في القضاء كما مرّ في الجزء الخامس (ص ٢٧٩) لا يكثرث للقول بذلك في أبي بكر الأفضل من أبي حنيفة.

هذا هو الغلوّ المقوت الذي تصكّ به المسامع لا ما تقول به الشيعة يا أتباع أبناء حزم وتيمية وكثير وجوزية!

مظاهر علم الخليفة :

وأول مظهر من مظاهر علم الخليفة عند الباقلاني من المتقدمين كما في تمهيده (ص ١٩١)، وعند السيد أحمد زيني دحلان من المتأخرين كما في سيرته هامش الحليّة^(١) (٣/٣٧٦) هو إعلامه الناس بموت رسول الله ﷺ وحجاجة عمر بن الخطاب بقول العزيز الحكيم ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾^(٢).

ما أذهل الرجلين عن أن الأمر لم يعضل على أي امرئ من الصحابة، وحاشاهم عن أن يكون هذا مبلغ علمهم، وقد كان حملة القرآن الكريم بأسرهم على علم من موته ﷺ أخذاً بما أجرى الله بين البشر من الطبيعة المطردة و﴿ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾^(٣) ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ﴾^(٤)، ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾^(٥)، وتمسكاً بالقرآن العظيم، ونصوصه ﷺ الكثيرة عليه في مواقف لا تحصى، أحفلها حجة الوداع ومن هنا سميت تلك الحجة بحجة الوداع.

ولم يكن إنكار عمر موته ﷺ لجهله بذلك، وقد قرأ عمرو بن زائدة عليه وعلى الصحابة في مسجد رسول الله ﷺ الآية المذكورة قبل تلاوة أبي بكر إياها وأشفعها بقوله تعالى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾^(٦) فضرب الرجل عنها وعن قارئها صفحاً، وعمرو بن زائدة صحابي عظيم استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة ثلاث

(١) السيرة النبوية: ٢/٣٠٦.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

(٣) و(٤) و(٥) الأنعام: ٢، آل عمران: ١٤٥، يونس: ٤٩.

(٦) راجع تاريخ ابن كثير: ٢٤٣/٥ [٢٦٢/٥ - ٢٦٣ حوادث سنة ٨١١هـ]، شرح المواهب للزرقاني:

٢٨١/٨ والآية: ٣٠ من سورة الزمر. (المؤلف)

عشرة مرّة في غزواته كما في الإصابة (٥٢٣/٢).

وإنما كان إنكاره ذلك وإرهابه الناس لسياسة مدبّرة، وذلك صرف فكرة الشعب / عن الفحص عن الخليفة إلى أن يحضر أبو بكر وكان غائباً بالسُّنْح^(١) خارج المدينة^(٢)، وكان الأمر دُبّر بليل.

ألا ترى أنّ غير واحد من أعلام القوم قد اعتذروا، عن إنكار عمر موته عليه السلام بغير الجهل، فمنهم من قال: إنّ ذلك كان لتشوّش البال، واضطراب الحال، والذهول عن جليّات الأحوال^(٣) ومنهم من اعتذر بقوله: خبل عمر في وفاة النبي عليه السلام فجعل يقول: إنّ الله ما مات ولكنّه ذهب إلى ربّه^(٤).

المظهر الثاني: وجاء ابن حجر^(٥) من علم الخليفة بمظاهر أخرى واحتجّ بها على كونه أعلم الصحابة على الإطلاق. منها: ما أخرجه البخاري في صحيحه^(٦) في صلح الحديبية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فأتيت نبيّ الله عليه السلام. فقلت: يا نبيّ الله ألسنت نبيّ الله حقاً؟ قال: «بلى». قلت: ألسنا على الحقّ وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى». قلت: فلم نعطي الدتية في ديننا إذا؟ قال: «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري». قلت: أوليس كنت تحدّثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: «بلى»، فأخبرت أنّك تأتيه العام؟ قال: قلت: لا. قال: «فإنك آتية ومطوّف به». قال:

(١) السُّنْح: إحدى محالّ المدينة كان بها منزل أبي بكر. معجم البلدان: ٢٥٦/٣.

(٢) تاريخ الطبري: ١٩٧/٣ [٢٠٠/٣] حوادث سنة ١١هـ، طبقات ابن سعد رقم التسلسل طبع

مصر: ٧٨٦ [٢٦٥/٢]، تفسير القرطبي: ٢٢٣/٤ [١٤٣/٤]، عيون الأثر: ٣٣٩/٢ [٤٣٣/٢].

(المؤلف)

(٣) شرح المقاصد للفتازاني: ٢٩٤/٢ [٢٨٢/٥]. (المؤلف)

(٤) عيون الأثر لابن سيّد الناس: ٣٣٩/٢ [٤٣٣/٢]. (المؤلف)

(٥) الصواعق المحرقة: ص ٣٣.

(٦) صحيح البخاري: ٩٧٨/٣ ح ٢٥٨١.

فأتيت أبا بكر رضي الله عنه فقلت: يا أبا بكر: أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدين في ديننا إذا؟ فقال: أيها الرجل إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولن يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق. فقلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتية ومطوف به.

قال الأميني: هل في هذه الرواية غير أن أبا بكر كان مؤمناً بنبوّة رسول الله، وبطبع الحال أن كل من اعتنق هذا المبدأ يرى أنه صلى الله عليه وسلم لا يعصي ربه وهو ناصره، وأن كل ميعاد جاء به لا بد وأن يقع في الأجل المضروب له إن كان موقتاً وإلا فهو يقع لا محالة في ظرفه الخاص به، فلا يخالجه شك إذا لم يعجل.

١٨٦/٧

هذه غاية ما يوصف به أبو بكر بهذا الحديث، وهو معنى يشترك فيه جميع المسلمين، وليس من خاصته، فأى دلالة فيه على كون أبي بكر أعلم الصحابة على الإطلاق؟ ولو كان عمر يسأل أي صحابي بسؤاله هذا لما سمع إلا لدة ما أجاب به أبو بكر ومثل ما أجاب به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك المسلمون كلهم إلى منصرم الدنيا، فإنك لا تجد عند أحدهم ضميراً غير هذا، وإذا فاتحته بالكلام عن مثله فلا تسمع جواباً غيره، فهل فاتح عمر به غير أبي بكر أحداً من الصحابة وسمع جواباً غير ما أجاب به حتى يُستدل به على أعلميته على الإطلاق أو على التقييد؟

وهل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدد بيان غامض من علومه لما أجاب عمر، حتى يكون إذا وافقه أبو بكر في الجواب يصبح به أعلم الصحابة على الإطلاق؟

وابن حجر يعلم ذلك كله، ولذلك تعتمد إسقاط لفظ الرواية، وقال في الصواعق^(١) (ص ١٩): هو - أبو بكر - من أكابر المجتهدين بل هو أعلم الصحابة على

(١) الصواعق المحرقة: ص ٣٣.

الإطلاق للأدلة الواضحة على ذلك، منها: ما أخرجه البخاري وغيره أن عمر في صلح الحديبية سأل رسول الله ﷺ عن ذلك الصلح وقال: علام نعطي الدنيا في ديننا. فأجابه النبي ﷺ، ثم ذهب إلى أبي بكر فسأله عما سأل عنه رسول الله ﷺ من غير أن يعلم بجواب النبي ﷺ فأجابه بمثل ذلك الجواب سواء بسواء.

يوهم ابن حجر أن هناك معضلة كشفها أبو بكر، أو عويصة من العلوم حلها مما يُعدّ الخوض فيه من الأدلة الواضحة على أعلمية صاحبه من الصحابة على الإطلاق، ليفعل ابن حجر ما شاء، فإن نظارة التنقيب رقيقة عليه، والله من ورائه حبيب.

المظهر الثالث: ومن الأدلة الواضحة عند ابن حجر على أن الخليفة أعلم الصحابة على الإطلاق ما روى في الصواعق (ص ١٩) عن عائشة مرسلًا أنها قالت: لما توفي رسول الله ﷺ؛ اشربأب النفاق - أي رفع رأسه - وارتدت العرب، وانحازت الأنصار، فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاظها - أي فتتها - فما اختلفوا في لفظة إلا طار أبي بعبئها وفصلها، قالوا: أين ندفن رسول الله ﷺ؟ فما وجدنا عند أحد في ذلك علمًا، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من نبي يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذي مات فيه. / واختلفوا في ميراثه، فما وجدنا عند أحد في ذلك علمًا، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة.

١٨٧/٧

ثم قال^(١): قال بعضهم: وهذا أول اختلاف وقع بين الصحابة فقال بعضهم: ندفنه بمكة مولده ومنشئه، وبعضهم بمسجده، وبعضهم بالبقيع، وبعضهم ببیت المقدس مدفن الأنبياء، حتى أخبرهم أبو بكر بما عنده من العلم، قال ابن زنجويه: وهذه سنة تفرّد بها الصديق من بين المهاجرين والأنصار ورجعوا إليه فيها.

(١) الصواعق المحرقة: ص ٢٤.

قال الأميني: غاية ما في هذه المرسلّة عن عائشة أنّ أبا بكر روى حديثين عن رسول الله ﷺ شدّت روايتهما عن الحضور في ذينك الموقفين، فإن يكن بهما أبو بكر أعلم الصحابة على الإطلاق حتى من لم يحضرهما ولو بنحو من التهجّم والرجم بالغيب، فكيف بمن روى آلاف مؤلّفة من الأحاديث شدّت عن أبي بكر روايتها جمعاء أو رواية أكثرها؟ ومع ذلك لا يُعدّ أحد منهم أعلم الصحابة أو أعلم من أبي بكر على الأقلّ. أليس هو صاحب نادرة الأبّ والكلالة والجّد والجذّتين إلى نوادر أخرى؟ أليس هو الآخذ بالسنة الشريفة من نظراء المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة وعبدالرحمن بن سهيل إلى أناس آخرين عاديين؟

كان ابن حجر يقيس الناس إلى نفسه ويحسبهم ولائذ حَجَرَ لا يعقلون شيئاً وهم يسمعون، ألا يقول الرجل ما الذي فهمه الصحابة من هتاف رسول الله ﷺ يوم هتف بقوله:

- ١ - « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ».
- ٢ - وقوله ﷺ: « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ».
- ٣ - وقوله ﷺ: « ما بين حجرتي إلى منبري روضة من رياض الجنة ».
- ٤ - وقوله ﷺ: « ما بين المنبر وبيت عائشة روضة من رياض الجنة ».
- ٥ - وقوله ﷺ: « من سرّه أن يصلي في روضة من رياض الجنة فليصل بين قبري ومنبري ».

وهذه الأحاديث أخرجها باللفظ الأول^(١): البخاري^(٢)، وأحمد، وعبدالرزاق،

(١) مسند أحمد: ٤٧٢/٣ ح ١١٢١٦، شعب الإيمان: ٤٩١/٣ ح ٤١٦٣، مسند البزار: ٤٤/٤ ح ١٢٠٦، المعجم الكبير: ٢٢٧/١٢ ح ١٣١٥٦ والمعجم الأوسط: ٣٦٠/١ ح ٦١٤ و ٦١٢ ح ٧٣٧، حلية الأولياء: ٣٢٤/٩ رقم ٤٦١.

(٢) حكاة الأنصاري عن نسخة من صحيحه في تحفة الباري المطبوع في ذيل إرشاد الساري: ٤١٢/٤. (المؤلف)

وسعيد بن منصور، والبيهقي في شعب الإيمان، والخطيب، والبزار، والطبراني،
والدارقطني، وأبو نعيم، وسمويه، وابن عساكر من طريق جابر، وسعد بن أبي
وقاص، وعبدالله بن عمر، وأبو سعيد الخدري.

راجع^(١) تاريخ الخطيب (٢٢٨/١١، ٢٩٠)، إرشاد الساري للقسطلاني (٤١٣/٤)
وصحح إسناده البزار وقال: عند البزار بسند رجاله ثقات، كنز العمال (٢٥٤/٦)،
شرح النووي لمسلم هاشم الإرشاد (١٠٣/٦)، تحفة الباري في ذيل الإرشاد
(٤١٢/٤)، وحكاه السهودي في وفاء الوفا (٣٠٣/١) عن الصحيحين، وصححه من
طريق البزار.

وأخرجها^(٢) باللفظ الثاني: البخاري، ومسلم، والترمذي، وأحمد،
والدارقطني، وأبو يعلى، والبزار، والنسائي، وعبدالرزاق، والطبراني، وابن النجار،
من طريق جابر وعبدالله بن عمر، وعبدالله المازني، وأبي بكر.

راجع^(٣): صحيح البخاري كتاب الصلاة: باب فضل ما بين القبر والمنبر،
وكتاب الحج، وصحيح مسلم كتاب الحج، باب: فضل ما بين قبره ﷺ ومنبره،
تيسير الوصول (٣٢٣/٣)، تمييز الطيب (ص ١٣٩)، فقال: متفق عليه، كنوز الحقائق

(١) إرشاد الساري: ٤٩١/٤ - ٤٩٢ ح ١٨٨٨، كنز العمال: ٢٦٠/١٢ ح ٢٤٩٤٧ و ٢٦١ ح ٣٤٩٥٦،
شرح صحيح مسلم: ١٦١/٩، وفاء الوفا: ٤٢٧/٢ - ٤٢٨.

(٢) سنن الترمذي: ٦٧٥/٥ ح ٣٩١٥، ٣٩١٦، مسند أحمد: ٤٦٩/٢ - ٤٧٠ ح ٧١٨٢ و ٧١/٣
ح ٨٦٦٨، مسند أبي يعلى: ١٠٩/١ ح ١١٨، مسند البزار: ٤٤/٤ ح ١٢٠٦، السنن الكبرى
للنسائي: ٢٥٧/١ ح ٧٧٤، المصنف لعبد الرزاق: ١٨٢/٣ ح ٥٢٤٣، المعجم الكبير: ٢٥٥/٢٣
ح ٥٢٦، المعجم الأوسط: ١٠١/١ ح ٩٨، المعجم الصغير: ١٢٢/٢.

(٣) صحيح البخاري: ٣٩٩/١ ح ١١٣٧ و ١١٣٨ و ٦٦٧/٢ ح ١٧٨٩، صحيح مسلم: ١٧٩/٣
ح ٥٠٠ - ٥٠٢ كتاب الحج، تيسير الوصول: ٣٧٥/٣ ح ١٣، تمييز الطيب من الخبيث: ص ١٦١
ح ١١٨٨، كنوز الحقائق: ٨٢/٢ ح ٨٢، كنز العمال: ٢٥٩/١٢ ح ٣٤٩٤٤ و ٢٦٠ ح ٣٤٩٤٥ و ٢٦١
ح ٣٤٩٥٥، الجامع الصغير: ٤٨٩/٢ ح ٧٨٦٠، وفاء الوفا: ٤٢٨، ٤٢٦/٢.

(ص ١٢٩)، كنز العمال (٢٥٤/٦)، الجامع الصغير وصححه وقال: حديث متواتر كما في الفيض القدير (٤٣٣/٥)، تحفة الباري في ذيل الإرشاد (٤١٢/٤)، وفاء الوفا (٣٠٢/١)، ٣٠٢ وصححه بإسناد أحمد والبرزاز.

وأخرجه^(١) باللفظ الثالث: أحمد، والشاشي، وسعيد بن منصور، والخطيب من طريق جابر وعبدالله المازني كما في تاريخ الخطيب (٣٦٠/٣)، وكنز العمال (٢٥٤/٦)، وشرح النووي لمسلم هامش الإرشاد (١٠٣/٦).

واللفظ الرابع^(٢): تجده في الأوسط للطبراني من طريق أبي سعيد الخدري كما في إرشاد الساري (٤١٣/٤)، ووفاء الوفا (٣٠٢/١).

والخامس منها أخرجه^(٣): الديلمي من طريق عبيد الله بن لييد كما في كنز العمال (٢٥٤/٦).

وقال ابن أبي الحديد في شرحه^(٤) (١٩٣/٣): قلت: كيف اختلفوا في موضع دفنه وقد قال لهم: «فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري»؟ وهذا تصريح بأنه / دفن في البيت الذي جمعهم فيه وهو بيت عائشة.

وهذا الحديث أخرجه^(٥): ابن سعد، وابن منيع، والحاكم، والبيهقي، والطبراني في الأوسط من طريق ابن مسعود كما في الخصائص الكبرى للحافظ السيوطي (٢٧٦/٢).

(١) مستد أحمد: ٣٥٢/٣ ح ١٠٥٢٥، كنز العمال: ٢٦٠/١٢ ح ٣٤٩٤٨، شرح صحيح مسلم: ١٦٦/٩.

(٢) إرشاد الساري: ٤٩٢/٤ ح ١٨٨٨، وفاء الوفا: ٤٢٧/٢.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب: ٥٣٨/٣ ح ٥٦٧٦، كنز العمال: ٢٦٠/١٢ ح ٣٤٩٥٠.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٣٩/١٣ خطبة ٢٣٠.

(٥) الطبقات الكبرى: ٢٥٧/٢، المستدرک علی الصحیحین: ٦٢/٣ ح ٣٤٩٩٩، دلائل النبوة:

٢٣٢/٧، الخصائص الكبرى: ٤٨٤/٢.

أرى ابن حجر أن الصحابة بعد تلکم الأحاديث كانوا غير عارفين تلك الروضة المقدسة التي أنبأهم بها نبيهم الأقدس، وأمرهم بالصلاة عليها؟ أو يراهم أنهم عرفوا القبر والمنبر وما بينهما من الروضة، ووقفوا على حدودها من كتب أخذاً منه ﷺ ثم اختلفوا في المدفن الشريف، فباح به أبو بكر فأصبح بذلك أعلمهم على الإطلاق؟

على أنه لو صحّت رواية المدفن لوجب أن يبوح بها رسول الله ﷺ لمن أوصاه بغسله ودفنه^(١)، لمن ولي غسله وكفنه وإجناته^(٢)، لمن يعلم أنه يباشر دفنه ويولي إجناته^(٣) في منتصف الليل من دون حضور غير أهله كما مرّ في (ص ٧٥)، لا الذي يغيب عن ذلك المشهد، وغلبت على أجفانه عند ذاك سنة الكرى، وتعيين المدفن من أهم ما يوصى به عند كل أحد فضلاً عن سيّد البشر، وهذا الاعتبار يعارض ما أخرجه أبو يعلى^(٤) من حديث عائشة أيضاً، وإن يعارض حديثها عن أبيها. قالت: اختلفوا في دفنه ﷺ. فقال علي: «إن أحب البقاع إلى الله مكان قبض فيه نبيّه». الخصائص الكبرى^(٥) (ص ٢٧٨/٢).

ولعلّ تجاه هذا الحديث اختلفت رواية المدفن.

ولو كان عند دفن جثمان القداسته حوار كما يصفه ابن حجر لتناقلته الألسن وتداولته السير والمدونات نقلاً عن الصحابة الحضور يوم ذاك الواقفين على الجلبة، والمستمعين للفظ، ولما اختصّت بوصفه صفحات الصواعق أو ما يشاكله من كتب المتأخرين، ولا تفرّدت برواية شيء منها عائشة، وكيف تفرّدت بها! وهي التي

(١) طبقات ابن سعد رقم التسلسل: ٧٩٨، ٨٠٦ [٢٧٨/٢ و ٢٨٠ - ٢٨١]، الخصائص الكبرى:

٢٧٦/٢، ٢٧٧ [٢/٤٨٢، ٤٨٣]. (المؤلف)

(٢) طبقات ابن سعد: ص ٧٩٨ [٢/٢٧٨]. (المؤلف)

(٣) يقال: أجنّه أي ستره والمراد دفنه ﷺ.

(٤) مسند أبي يعلى: ٢٧٩/٨ ح ٤٨٦٥.

(٥) الخصائص الكبرى: ٤٨٦/٢.

تقول: ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل^(١).

ثم إن أول مقنّد لهذه السنّة المزعوم إطرادها هو مدفن أول الأنبياء آدم ﷺ، فإنه توفي بمكة ودفن عند الجبل الذي أهبط منه في الهند، وقيل بجبل / أبي قبيس بمكة^(٢).

وقد اشترى إبراهيم الخليل عليّ نبينا وآله وعليه السلام مغارة في حبرون^(٣) من عفرون بن صخر، فدفن فيها سارة ثم دُفن فيها هو وابنه إسحاق.

وتوفي يعقوب ﷺ في مصر، واستأذن يوسف سلام الله عليه ملك مصر في الخروج مع أبيه ليدفنه عند أهله، فأذن له، وخرج معه أكابر مصر، فدفنه في المغارة بحبرون^(٤).

المظهر الرابع: أمّا رواية الأبرت: فيسرعان ما تناقض ابن حجر^(٥) فيها نفسه؛ فتراه يحسب ها هنا في (ص ١٩): أنها مختصة بأبي بكر، وهي من الأدلة الواضحة على أعلميته، وهو يعتقد في صفحة (٢١): أنه رواها عليّ والعبّاس وعثمان وعبدالرحمن بن عوف والزبير وسعد وأمّهات المؤمنين وقال: كلّهم كانوا يعلمون أنّ النبي ﷺ قال ذلك، وأنّ أبا بكر إنّما انفرد باستحضاره أولاً ثم استحضره الباقون.

(١) راجع ما مرّ في: ص ٧٥. (المؤلف)

(٢) تاريخ الطبري: ٨٠/١، ٨١ [١٦١/١ و ١٦٢]، العرائس للشعبي: ص ٢٩ [ص ٤٨]، الكامل لابن الأثير: ٢٢/١ [٦١/١]، تاريخ ابن كثير: ٩٨/١ [١١٠/١]. (المؤلف)

(٣) في تاريخ الطبري: جيرون، والصحيح: حبرون [وفي الطبعة التي في أيدينا ٣١٢/١: حبرون]. (المؤلف)

(٤) تاريخ الطبري: ١٦١/١، ١٦٩ [٣١٢/١ و ٣٣٠]، معجم البلدان: ٢٠٨/٣ [٢١٢/٢]، تاريخ ابن كثير: ١٧٤/١، ١٩٧، ٢٢٠ [٢٠٢/١ و ٢٢٦ و ٢٥٣]. (المؤلف)

(٥) الصواعق: ص ٣٤ و ٣٩.

ما هذا التهافت بين كلامي الرجل؟ وما أذهله أخيراً عما جاء به أولاً؟ وهل الأعلمية مترشحة من محض الاستحضار أولاً؟ أو السبق إلى الهتاف به؟ وكلّ منها كما ترى لا يفيد مزية إلا في الحفظ دون العلم.

ثم لو كان رسول الله ﷺ قال ذلك لوجب أن يفشيه إلى آله وذويه الذين يدعون الوراثة منه ليقطع معاذيرهم في ذلك بالتمسك بعمومات الإرث من آي القرآن الكريم والسنة الشريفة، فلا يكون هناك صخب وحوار تتعقبها محن وإحس، ولا تموت بضعته الطاهرة وهي واجدة على أصحاب أبيها^(١)، ويكون ذلك كله ماثراً للبغضاء والعداء في الأجيال المتعاقبة بين أشياع كلّ من الفريقين، وقد بُعث هو ﷺ لكسح تلك المعزات وعقد الإخاء بين الأمم والأفراد.

ألم يكن ﷺ على بصيرة مما يحدث بعده من الفتن الناشئة من عدم إيقاف أهله وذويه على هذا الحكم المخصّص به ﷺ المخصّص لشرعة الإرث؟ حاشاه. وعنده علم المنايا والبلايا والقضايا والفتن والملاحم.

١٩١/٧

وهل ترى أنّ دعوى الصديق الأكبر أمير المؤمنين وحليلته الصديقة الكبرى صلوات الله عليهما وآلهما على أبي بكر ما استولت عليه يده مما تركه النبي ﷺ من ماله كانت بعد علم وتصديق منها بتلك السنة المزعومة صفحاً منها عنها لاقتناء حطام الدنيا؟ أو كانت عن جهل منها بما جاء به أبو بكر؟ نحن نقدّس ساحتهما -أخذاً بالكتاب والسنة- عن علم بسنة ثابتة والصفح عنها، وعن جهل يربكهما في الميزان.

ولماذا يصدّق أبو بكر في دعواه الشاذة عن الكتاب والسنة، فيما لا يعلم إلا من قبل ورثته ﷺ ووصيه الذي هتف به وبوصايته من بدء دعوته في الأندية

(١) سيوافيك في هذا الجزء تفصيل ذلك. (المؤلف)

والمجتمعات^(١)، ولم تكن أذن واعية لدعوى الصديقة وزوجها الطاهر بكون فدك نحلة لها من رسول الله ﷺ وهي لا تعلم إلا من قبلها؟

قال مالك بن جعونة عن أبيه أنه قال: قالت فاطمة لأبي بكر: «إن رسول الله ﷺ جعل لي فدك فأعطني إياها»، وشهد لها علي بن أبي طالب، فسألها شاهداً آخر فشهدت لها أمّ أمّين: فقال: قد علمت يا بنت رسول الله أنه لا تجوز إلا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين، فانصرفت.

وفي رواية خالد بن طهمان: أن فاطمة رضي الله عنها قالت لأبي بكر رضي الله عنه: «أعطني فدك فقد جعلها رسول الله ﷺ لي»، فسألها البيهقي، فجاءت بأمّ أمّين ورباح مولى النبي ﷺ فشهدا لها بذلك، فقال: إن هذا الأمر لا تجوز فيه إلا شهادة رجل وامرأتين^(٢).

ثمّ ممّ كان غضب الصديقة الطاهرة سلام الله عليها؟ وهي التي جاء فيها عن أبيها الأقدس: «إن الله يرضى لرؤسها ويفضب لغضبها»^(٣) أمن حكم صدع به والدها؟ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٤) وحاشاها. أم لأن ذلك الحكم البات رواه عنه صديق أمين يريد بثّ حكم الشريعة وتنفيذه وهي غير مصدقة له؟ نحاشي ساحة البضعة / الطاهرة بنصّ آية التطهير عن هذه الخزية، فلم يبق إلا شقّ ثالث وهو أنّها كانت تتهم الراوي، أو تعتقد خللاً في الرواية، وتراه حكماً خلاف الكتاب والسنة، وهذا الذي دعاها إلى أن لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها^(٥) ونساء قومها تطأ ذيوها، ما تخرم

(١) راجع الجزء الثاني: ص ٢٧٨. (المؤلف)

(٢) فتوح البلدان للبلاذري: ص ٣٨ [ص ٤٤]. (المؤلف)

(٣) راجع: ٢٠/٣ وسيأتيك في هذا الجزء. (المؤلف)

(٤) النجم: ٣ و ٤.

(٥) الحفدة: الأعوان والخدم.

مشيتها مشية رسول الله، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، ثم أنت أنة أجهش لها القوم بالبكاء، وارتج المجلس، ثم أمهلت هنيهة حتى إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم، إفتتحت كلامها بالحمد لله عز وجل والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ. ثم قالت ما قالت وفيما قالت: «أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(١)؟ يابن أبي قحافة أترت أباك ولا أرت أبي؟ لقد جنت شيئاً فرياً، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والوعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون». ثم انكفأت إلى قبر أبيها ﷺ فقالت:

قد كان بعدك أنباءٌ وهنبتُ لو كنت شاهداً لم تكثُر الخطبُ
إنّا فقدناك فقد الأرضِ وإبلها واختلَ قومك فاشهدهم ولا تغب
فليت بعدك كان الموتُ صادفتنا لما قضيت وحالت دونك الكئيبُ^(٢)

وهذا الذي تركها غضبي على من خالفها وتدعو عليه بعد كل صلاة حتى لفظت نفسها الأخير صلى الله عليها كما سيوافيك تفصيله.

وهل هذا الحكم مطرد بين الأنبياء جميعاً؟ أو أنه من خاصة نبيتنا ﷺ؟ والأول ينقضه الكتاب العزيز بقوله تعالى ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾^(٣).

وقوله سبحانه عن زكريا: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ يرثني ويرث من آل يعقوب^(٤).

(١) المائدة: ٥٠.

(٢) بلاغات النساء لابن طيفور: ص ١٢ [ص ٢٣]، شرح ابن أبي الحديد: ٩٣/٤ [٢٥١/١٦] خطبة ٤٥، أعلام النساء: ١٢٠/٨ [١٢٢/٤]. (المؤلف)

(٣) النمل: ١٦.

(٤) مريم: ٥ و٦.

ومن المعلوم أنّ حقيقة الميراث انتقال ملك الموروث إلى ورثته بعد موته بحكم المولى سبحانه، فحمل الآية الكريمة على العلم والنبوة كما فعله القوم خلاف الظاهر لأنّ النبوة والعلم لا يورثان، والنبوة تابعة للمصلحة العامة، مقدرة لأهلها من أول يومها عند بارئها، والله أعلم حيث يجعل رسالته، ولا مدخل للنسب فيها كما لا أثر للدعاء والمسألة في اختيار الله تعالى أحداً من عباده نبياً، والعلم موقوف على من يتعرّض له ويتعلّمه.

على أنّ زكريّا - سلام الله عليه - إنما سأل ولياً من ولده يحجب مواليه - كما هو صريح الآية - من بني عمه وعصبته من الميراث، وذلك لا يليق إلا بالمال، ولا معنى لحجب الموالي عن النبوة والعلم.

ثم إن اشتراطه ﷺ في وليه الوارث كونه رضيعاً بقوله: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ لا يليق بالنبوة، إذ العصمة والقداسة في النفسيات والملكات لا تفارق الأنبياء، فلا محصل عندئذ لمسألته ذلك. نعم، يتم هذا في المال ومن يرثه فإنّ وارثه قد يكون رضيعاً وقد لا يكون.

وأما كون الحكم من خاصّة رسول الله ﷺ فالقول به يستلزم تخصيص عموم آي الإرث مثل قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ﴾^(١).

وقوله سبحانه: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^(٢).

وقوله العزيز: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٣).

(١) النساء: ١١.

(٢) الأنفال: ٧٥.

(٣) البقرة: ١٨٠.

ولا يسوغ تخصيص الكتاب إلا بدليل ثابت مقطوع عليه، لا بالخبر الواحد الذي لم يصح الأخذ بعموم ظاهره لمخالفته ما ثبت من سيرة الأنبياء الماضين صلوات الله على نبينا وآله وعليهم.

لا بالخبر الواحد الذي لم يخبت إليه صديقة الأمة وصديقها الذي ورث علم نبيها الأقدس، وعدّه المولى سبحانه في الكتاب نفساً لنبيه صلى الله عليها وأهلها.

لا بالخبر الواحد الذي لم يُنبأ عنه قطّ خير من الأمة وفي مقدمها العترة الطاهرة وقد اختصّ المحكم بهم وهم الذين رُحزحوا به عن حكم الكتاب والسنة الشريفة، وحرّموا من وراثه أبيهم الطاهر، وكان حقاً عليه عليه السلام أن يخبرهم بذلك، ولا يؤخر بيانه عن وقت حاجتهم، ولا يكتفه في نفسه عن كلّ أهله وذويه وصاحبه وأُمَّته إلى آخر نفس لفظه.

لا بالخبر الواحد الذي جرّ على الأمة كلّ هذه المحن والإحن، وفتح عليها / باب العداة المحتدم بمصراعيه، وأجج فيها نيران البغضاء والشحناء في قرونها الخالية، وشقّ عصا المسلمين من أوّل يومهم، وأقلق من بينهم السلام والوئام وتوحيد الكلمة. جرى الله محدّثه عن الأمة خيراً.

ثمّ إن كان أبو بكر على ثقة من حديثه فلم ناقضه بكتاب كتبه لفاطمة الصديقة سلام الله عليها، بفدك؟ غير أنّ عمر بن الخطّاب دخل عليه فقال: ما هذا؟ فقال: كتاب كتبه لفاطمة بمرائها من أبيها. فقال: ممّاذا تنفق على المسلمين، وقد حاربتك العرب كما ترى؟ ثمّ أخذ عمر الكتاب فشقه. ذكره سبط ابن الجوزي كما في السيرة الحلبية^(١) (٣/٣٩١).

(١) السيرة الحلبية: ٣/٣٦٢.

وإن كان صحّ الخبر وكان الخليفة مصدّقاً فيما جاء به فما تترك الآراء المتضاربة بعد الخليفة؟ وإليك شطراً منها:

١ - لما ولي عمر بن الخطاب الخلافة ردّ فدكاً إلى ورثة رسول الله ﷺ فكان عليّ بن أبي طالب والعباس بن عبدالمطلب يتنازعان فيها. فكان عليّ يقول: «إن رسول الله ﷺ جعلها في حياته لفاطمة». وكان العباس يأبى ذلك ويقول: هي ملك رسول الله وأنا وارثه. فكانا يتخاصمان إلى عمر، فيأبى أن يحكم بينهما ويقول: أنتما أعرف بشأنكما أمّا أنا فقد سلّمتهما إليكما.

راجع^(١) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب فرض الخمس (١٠-٣/٥)، صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب حكم النفي، الأموال لأبي عبيد (ص ١١) ذكر حديث البخاري وبتره، سنن البيهقي (٢٩٩/٦)، معجم البلدان (٣٤٣/٦)، تفسير ابن كثير (٢٣٥/٤)، تاريخ ابن كثير (٢٨٨/٥)، تاج العروس (١٦٦/٧).

لفت نظر:

نحن لانتاقش فيما نجده من المخازي في أحاديث الباب كأصل التنازع المزعوم بين عليّ والعباس، وما جاء في لفظ مسلم في صحيحه من قول العباس لعمر: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن.

أهكذا كان العباس يقذف سيّد العترة الطاهر المطهر بهذا السباب المقذع وبين يديه آية التطهير وغيرها ممّا نزل في عليّ أمير المؤمنين في آي الكتاب العزيز؟ فما

(١) صحيح البخاري: ١١٢٨/٣ ح ٢٩٢٧، صحيح مسلم: ٢٧/٤ - ٢٩ ح ٤٩ و ٥٠ كتاب الجهاد والسير، الأموال: ص ١٨ ح ٢٦، معجم البلدان: ٢٣٨/٤، البداية والنهاية: ٣٠٨/٥ حوادث سنة

العباس وما خطره عندئذ؟ وبماذا يُحكم عليه أخذاً بقول النبي الطاهر: «من سبّ علياً فقد سبّني، و / من سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله كبّه الله على منخريه في النار»^(١)؟

١٩٥/٧

لاها الله؛ نحن نحاشي العباس عن هذه النسب المخزية، ونرى القوم راقهم سبّ مولانا أمير المؤمنين فنحتوا هذه الأحاديث وجعلوها للنيل منه قنطرة ومعدرة والله يعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون. وإلى الله المشتكى.

٢ - أقطع مروان بن الحكم فداً في أيام عثمان بن عفان كما في سنن البيهقي (٣٠١/٦) وما كان إلّا بأمر من الخليفة.

٣ - لما ولي معاوية بن أبي سفيان الأمر أقطع مروان بن الحكم ثلث فدك، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها، وذلك بعد موت الحسن بن علي، فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت لمروان بن الحكم أيام خلافته فوهبها لعبد العزيز ابنه فوهبها عبد العزيز لابنه عمر بن عبدالعزيز.

٤ - ولما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة خطب فقال: إنّ فدك كانت ممّا أفاء الله على رسوله ولم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فسألته إياها فاطمة فقال: ما كان لك أن تسألني وما كان لي أن أعطيك فكان يضع ما يأتيه منها في أبناء السبيل، ثمّ ولي أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول الله ﷺ ثمّ ولي معاوية فأقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان لأبي ولعبد الملك فصارت لي وللوليد وسليمان، فلما ولي الوليد سأله حصّته منها فوهبها لي، وسألته سليمان حصّته منها فوهبها لي فاستجمعتها، وما كان لي من مال أحبّ إليّ منها، فاشهدوا أنّي قد رددتها إلى ما كانت عليه.

٥ - فكانت فدك بيد أولاد فاطمة مدّة ولاية عمر بن عبدالعزيز، فلما ولي

(١) مرّ الإيعاز إليه في الجزء الثاني: ص ٢٩٩، وسيوافيك تفصيل مصادره إن شاء الله. (المؤلف)

يزيد بن عبد الملك قبضها منهم فصارت في أيدي بني مروان كما كانت يتداولونها حتى انتقلت الخلافة عنهم.

٦ - ولما ولي أبو العباس السفاح ردها على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي أمير المؤمنين.

٧ - ثم لما ولي أبو جعفر المنصور قبضها من بني حسن.

١٩٦/٧ ٨ - ثم ردها المهدي بن المنصور على ولد فاطمة سلام الله عليها.

٩ - ثم قبضها موسى بن المهدي وأخوه من أيدي بني فاطمة فلم تنزل في أيديهم حتى ولي المأمون.

١٠ - ردها المأمون على الفاطميين سنة (٢١٠) وكتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة:

مركز تحقيقات كميتر علوم رسولي

أما بعد: فإن أمير المؤمنين بمكانه من دين الله وخلافة رسوله ﷺ والقرباء به، أولى من استن بسنته، ونفذ أمره، وسلم لمن منحه منحة، وتصدق عليه بصدقة منحته وصدقته وبالله توفيق أمير المؤمنين وعصمته، وإليه - في العمل بما يقربه إليه - رغبته، وقد كان رسول الله ﷺ أعطى فاطمة بنت رسول الله ﷺ فداك، وتصدق بها عليها، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل رسول الله ﷺ، ولم تنزل تدعي منه ما هو أولى به من صدق عليه، فرأى أمير المؤمنين أن يردها إلى ورثتها، ويسلمها إليهم تقرباً إلى الله تعالى بإقامة حقه وعدله، وإلى رسول الله ﷺ بتنفيذ أمره وصدقته، فأمر بإثبات ذلك في دواوينه، والكتاب إلى عماله، فلئن كان ينادى في كل موسم بعد أن قبض الله نبيه ﷺ أن يذكر كل من كانت له صدقة أو هبة أو عدة ذلك، فيقبل قوله، وتنفذ عدته، إن فاطمة ﷺ لأولى بأن يصدق قولها فيما جعل رسول الله ﷺ لها.

وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبري مولى أمير المؤمنين يأمره برّد فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله ﷺ بحدودها وجميع حقوقها المنسوبة إليها، وما فيها من الرقيق والغلات وغير ذلك، وتسليمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومحمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لتولية أمير المؤمنين إياها القيام بها لأهلها.

فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين، وما أُلهمه الله من طاعته، ووفقه له من التقرب إليه وإلى رسول الله ﷺ، وأعلمه من قبلك، وعامل محمد بن يحيى ومحمد ابن عبدالله بما كنت تعامل به المبارك الطبري، وأعنها على ما فيه عمارتها ومصالحتها ووفور غلاتها إن شاء الله، والسلام.

وكتب يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة (٢١٠هـ).

١٩٧/٧

١١ - ولما استخلف المتوكل على الله أمر برّدها إلى ما كانت عليه قبل المأمون .
راجع^(١) : فتوح البلدان للبلاذري (ص ٣٩ - ٤١)، تاريخ اليعقوبي (٤٨/٣)، العقد الفريد (٣٢٣/٢)، معجم البلدان (٣٤٤/٦)، تاريخ ابن كثير (٢٠٠/٩) وله هناك تحريف دعتة إليه شنشنة أعرفها من أخزم، شرح ابن أبي الحديد (١٠٣/٤)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ١٥٤)، جبهة رسائل العرب (٥١٠/٣)، أعلام النساء (١٢١١/٣).

كلّ هذه تضادّ ما جاء به الخليفة من خبره الشاذّ عن الكتاب والسنة، فأنتى لابن حجر ومن لفّ لفّه أن يعدّه من الأدلّة الواضحة على علمه وهذا شأنه ﴿فَمَا لَهُؤَلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾^(٢).

(١) فتوح البلدان: ص ٤٦ - ٤٧، تاريخ اليعقوبي: ٣٠٥/٢، العقد الفريد: ٥١/٤، معجم البلدان:

٢٤٠/٤، البداية والنهاية: ٢٢٤/٩ - ٢٢٥ حوادث سنة ١٠١هـ، شرح نهج البلاغة: ٢٧٨/١٦

كتاب ٤٥، تاريخ الخلفاء: ص ٢١٥، أعلام النساء: ١٢٠ /٤ - ١٢٢.

(٢) النساء: ٧٨.

التمسك بالأفانك :

والعجب العجاب قول ابن حجر في الصواعق^(١) (ص ٢٠): لا يقال بل عليّ أعلم من أبي بكر للخبر الآتي في فضائله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها». لأننا نقول: سيأتي أن ذلك الحديث مطعون فيه، وعليّ تسليم صحته أو حسنه فأبو بكر محرابها. ورواية فمن أراد العلم فليأت الباب لا تقتضي الأعلمية، فقد يكون غير الأعلم يقصد لما عنده من زيادة الإيضاح والبيان والتفرغ للناس بخلاف الأعلم. عليّ أن تلك الرواية معارضة بخبر الفردوس: أنا مدينة العلم، وأبو بكر أساسها، وعمر حيطانها، وعثمان سقفها، وعليّ بابها. فهذه صريحة في أن أبا بكر أعلمهم، وحينئذ فالأمر يقصد الباب إنما هو لنحو ما قلناه لا لزيادة شرفه عليّ ما قبله لما هو معلوم ضرورة أن كلاً من الأساس والحيطان والسقف أعليّ من الباب. انتهى.

قال الأميني: إن الطعن في حديث «أنا مدينة العلم» لم يصدر إلا من ابن الجوزي ومن يشاكله من رماة القول على عواهنه، وقد عرفت في الجزء السادس (ص ٦١ - ٨١) نصوص العلماء على صحة الحديث، واعتبار قوم حسنه، وتقرير آخرين ما صدر ممن تقدّمهم إلى ذينك الوجهين وتزييف ما ارتأه ابن الجوزي.

وأما ما ذكره من رواية الفردوس فلا يختلف اثنان في ضعفها وضعف ما يقارنها في اللفظ مما تدرج تحته في الأزمنة المتأخرة تجاه ما يشبهه هتاف النبي الأعظم من / فضيلة العلم الراية لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وابن حجر نفسه من أولئك الذين زيّفوه وحكموا عليه بالضعف كما في كتابه الفتاوى الحديثية^(٢) (ص ١٩٧) فقال: حديث ضعيف، ومعاوية حلقتها فهو ضعيف أيضاً. فأذهله لجواجه في حجاجه عن

(١) الصواعق المحرقة: ص ٣٤.

(٢) الفتاوى الحديثية: ص ٢٦٩.

حكّمه ذلك، ورأى ما حكم عليه بالضعف نصّاً في أعلميّة أبي بكر.

وقال العجلوني في كشف الخفاء (٢٠٤/١): روى الديلمي في الفردوس^(١) بلا إسناد عن ابن مسعود رفعه: أنا مدينة العلم، وأبو بكر أساسها، وعمر حيطانها، وعثمان سقفها، وعليّ بابها. وروى أيضاً عن أنس مرفوعاً: أنا مدينة العلم، وعليّ بابها، ومعاوية حلقتها. قال في المقاصد^(٢): وبالجملة فكّلها ضعيفة وألفاظ أكثرها ركيكة.

وقال السيّد محمد درويش الحوت في أسنى المطالب^(٣) (ص ٧٣): أنا مدينة العلم، وأبو بكر أساسها، وعمر حيطانها. وذلك لا ينبغي ذكره في كتب العلم لا سيما مثل ابن حجر الهيثمي ذكر ذلك في الصواعق^(٤) والزواجر وهو غير جيّد من مثله. انتهى.



فلم يبق إذن مجال للمناقشة بالتعبير بالباب لمولانا صلوات الله عليه وبالأساس والحيطان والسقف والحلقة لغيره، حسب المسكين ناحيتُ هذه المهزأة مدينة خارجيّة يرمق إليها، ويتجوّل بين جدرانها، ويتقيّاً تحت سقفها، ويدقّ بابها بالحلقة، وقد عزب عنه أنه ﷺ يريد أن السبب الوحيد للاستفادة من علوم النبوة هو خليفته مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، كما أنّ المدخل الوحيد للمدينة بابها، فهو معنى كنائي جيء به لإفادة ما ذكرناه، والأساس لا فضيلة له غير أنّه يقوم عليه سياج المدينة المشاد للوقاية عن الغارات والسرقات، وأمّا معنويّات المدينة فلا صلة لها بشيء من ذلك، والاستفادة بالسقف على فرض تصويره في المدن ليس إلا الاستظلال

(١) الفردوس بمأثور الخطاب: ٤٣/١ ح ١٠٥ و ٤٤ ح ١٠٨.

(٢) المقاصد الحسنة: ص ١٢٤ ح ١٨٩.

(٣) أسنى المطالب: ص ١٣٧ ح ٣٩١.

(٤) الصواعق المحرقة: ص ٣٤.

ودفع عائدة الحرّ والقرّ ولذلك لا يسقف إلا المحالّ التي يتصوّر فيها ذلك كالبيوت والحمامات والحوانيت والربط وأمثالها. فقاصد المدينة للاستفادة ممّا فيها من علم أو ثروة أو أيّ من أقسام النفع معنويّة وماديّة لا يتوصّل بها إلا بالدخول من الباب، فهو أهمّ ممّا جاء به ابن حجر من الأساس والجدار والسقف. وأمّا الحلقة فيحتاج إليه لفتح الباب وسدّه والدقّ إذا كان مرتجأ غير أنّ باب علم النبوة غير موصود، ولا يزال مفتوحاً على البشر بمصراعيه أبد الدهر.

١٩٩/٧ ثمّ إنّ من الواضح أنّ المراد من التعبير بالباب ليس الولوج والخروج فحسب وإنما هو الاستفادة والأخذ، ولا يتمّ هذا إلا أن يكون عنده كلّ علم النبوة الذي أراد ﷺ سوق الأمة إليه، وحصر الطريق إلى ذلك بمن عبّر عنه بالباب تأكيداً للحصر ثمّ زاد في التأكيد بقوله: فمن أراد المدينة فليأت الباب.

فعليّ أمير المؤمنين هو الباب المبتلى به الناس، ومن عنده كلّ علم النبوة وكلّ ما يحتاج إليه البشر من فقه أو عظة أو خلق أو حكم أو حكم أو سياسة أو حزم أو عزم، فهو أعلم الناس لا محالة، وأمّا زيادة الإيضاح والبيان والتفرّع للناس، فلا يجوز أن تنفك عمّن سيق إليه البشر لغاية التفهّم، وإزاحة الجهل، لا لمحض البيان وجودة السرد، لأنّ وضوح البيان بمجردّه غير واف بالعرض، لارتباك صاحبه عند الجهل بما يقدّم إليه من العضلات، كارتباك الأعمى عند التفهيم إذا أعوزه البيان عن الإفهام، فمن الواجب أن يجتمعا في إنسان واحد هو مرجع الأمة جمعاء، وهو قضيّة اللطف الواجب عليه سبحانه، فذلك الإنسان هو عدل الكتاب العزيز وهما الثقلان خليفنا النبيّ الأقدس لا يتفرقان حتى يردا عليه الحوض، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(١).

- ٣ -

شجاعة الخليفة

لم يؤثر عن الخليفة قبل الإسلام مشهد يدل على فروسيته، كما أنه لم نجد له في مغازي النبي ﷺ مع كثرتها وشهوده فيها موقفاً يشهد له بالبسالة، أو وقفة تخلد له الذكر في التاريخ، أو خطوة قصيرة في ميادين تلك الحروب الدامية تُعرب عن شيء من هذا الجانب الهام غير ما كان في واقعة خيبر من فراره عن مناظلة مرحب اليهودي كصاحبه عمر بن الخطاب.

٢٠٠/٧

قال عليّ وابن عباس: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى خيبر فرجع منهزماً ومن معه، فلما كان من الغد بعث عمر فرجع منهزماً يُجِبُّ أصحابه ويُجِبُّ أصحابه.

أخرجه الطبراني والبرزاري كما في مجمع الزوائد (١٢٤/٩) ورجال إسناد البرزاري رجال الصحيح غير محمد بن عبدالرحمن ومحمّد الصدق^(١)، وذكر انهزام الرجلين يوم خيبر القاضي عضد [الدين] الإيجي في المواقف^(٢) وأقرّه شراحه كما في شرحه^(٣) (٢٧٦/٣)، وذكره القاضي البيضاوي في طوابع الأنوار كما في المطالع (ص ٤٨).

ويُعرب عن فرارهما يوم ذاك قول رسول الله ﷺ بعد ما فرّأ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّ الله ورسوله، يفتح الله على يديه ليس بفرّار». وفي لفظ: «كرّار غير فرّار». وفي لفظ: «والذي كرّم وجه محمد لأعطينها رجلاً لا يفرّ»، وفي لفظ: «لأدفعنّ إلى رجل لن يرجع حتى يفتح الله له». وفي لفظ:

(١) الجرح والتعديل: ٣٢٣/٧ رقم ١٧٣٩.

(٢) المواقف: ص ٤١٠.

(٣) شرح المواقف للبرجاني: ٢٦٩/٨.

« لا يولي الدبر »^(١).

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي فيما يعزى إليه من القصيدة العلوية :

وما أنس لا أنس اللذين تقدما وفسرهما والفرُّ قد علما حوب^(٢)
وللراية العظمى وقد ذهبها ملبس ذلُّ فوقها وجلابيبُ
يشلُّهما من آل موسى شردلُ طويلُ نجادِ السيفِ أجيدُ يعبوب^(٣)
يمجُّ منونا سيفه وسنانه ويلهبُ ناراً غمده والأنابيبُ
أحضرهما أم حضرُ أخرج خاضبِ وذانِ هما أم ناعمُ الخدِّ مخضوب^(٤)
عذرتكما إن الحمام لمبفضُّ وإن بقاء النفس للنفس محبوبُ
ليكره طعم الموت والموت طالبُ فكيف يلذُّ الموت والموت مطلوبُ

(١) صحيح البخاري: ١٩١/٦ [١٣٥٧/٣ ح ٢٤٩٨ و ٢٤٩٩]، صحيح مسلم: ٢٢٤/٢ [٨٧/٤ ح ١٣٢ كتاب الجهاد والسير]، طبقات ابن سعد: ص ٦١٨، ٦٣٠ رقم التلسل طبع مصر [١١٠/٢ - ١١١]، مستند أحمد: ١٨٤/١، ١٨٥، ٣٥٣، ٣٥٨ [٣٠٢/١ ح ١٦١١ و ٣٩١/٣ ح ١٠٧٣٨ و ٤٥٥/٦ ح ٢٢٣١٤، و ٤٩٢ ح ٢٢٥٢٢]، خصائص النسائي: ص ٤ - ٨ [ص ٤٢ ح ١٧]، سيرة ابن هشام: ٢٨٦/٣ [٢٤٩/٣]، مستدرك الحاكم: ١٠٩/٣ [١١٧/٣ ح ٤٥٧٥]، حلية الأولياء: ٦٢/١، أسد الغابة: ٢١/٤ [٩٨/٤ رقم ٣٧٨٣]، الإمتاع للمقريزي: ص ٣١٤، تاريخ ابن كثير: ١٨٥/٤ - ١٨٧ [٢١١/٤ - ٢١٤ حوادث سنة ٥٧هـ]، تيسير الوصول: ٢٢٧/٣ [٣١٥/٣ ح ٥]، الرياض النضرة: ١٨٤/٢ - ١٨٨ [١٣٠/٣ - ١٣٤]. وهناك مصادر كثيرة تأتي في محلها إن شاء الله تعالى. (المؤلف)

(٢) الحوب: الإجم. (المؤلف)

(٣) شردل: مرّ في: ص ٥٢، يريد من طول النجاد طول القامة. الأجد: الطويل الجيد، هو العنق.

اليعبوب: الفرس الكثير الجري. أطلق على مرحب هذه اللفظة لشدة وسرعة حركته. (المؤلف)

(٤) الحضر: العذو. الأخرج: ذكر النعام الذي فيه بياض وسواد. الخاضب: الذي أكل الربيع فأحمر

طنبواه أو اصفر. ناعم الخد مخضوب: كناية عن المرأة. يعني: هما رجلان أم امرأتان في ضعفها

ورقة قلوبها؟ (المؤلف)

ومما يبيننا عن هذا الجانب حديث كع الخليفة عن ذي الشدية لما أمره رسول الله ﷺ بقتله وهو في صلاته غير شك السلاح، فرأى مخالفة الأمر النبويّ أهون من قتل الرجل، فأب إليه ﷺ معتذراً بما سيوافيك تفصيله إن شاء الله .

نعم؛ يراه ابن حزم في كتاب المفاضلة بين الصحابة^(١) ومن لفّ لقه أشجع الصحابة على الإطلاق ونحتوا له حديثاً على أمير المؤمنين أنه قال: أخبروني من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت، قال: أما إني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: لا نعلم، فن؟ قال: أبو بكر، إنه لما كان يوم بدر فجعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لثلاً يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبا بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله لا يهوي إليه أحد إلا هوى إليه، فهو أشجع الناس. الحديث^(٢).

ليت القوم لم يحدفوا سند هذه الأثارة المفتعلة وكانوا يروونها بالإسناد حتى نعرف الملاء العلمي بالذي اختلقها، وحسبنا أن المحافظ الهيثمي ذكرها بلا إسناد في مجمع الزوائد (٤٦/٩) وضعفه وقال: فيه من لم أعرفه. ٢٠٢/٧

وتكذّبها صحيحة ابن إسحاق قال: كان رسول الله ﷺ يوم بدر في العريش وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ متوشح السيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ يخافون عليه كرهة العدو^(٣).

ثم إن حراسة النبي ﷺ لم تكن تنحصر بيوم بدر ولا بأبي بكر بل في كل موقف من مواقفه ﷺ كان يتعهد أحد من الصحابة بحراسته، فكانت الحراسة لسعد

(١) الفصل: ١٤٣/٤.

(٢) الرياض النضرة: ٩٢/١ [١٢٠/١]، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ٢٥ [ص ٣٤]. (المؤلف)

(٣) عيون الأثر لابن سيد الناس: ٢٥٨/١ [٣٢٦/١]. (المؤلف)

ابن معاذ ليلة بدر وفي يومه لأبي بكر على ما ذكره الحلبي في السيرة^(١) (٣/٣٥٣)،
ولمحمد بن مسلمة يوم أحد، وللزبير بن العوام يوم الخندق، وللمغيرة بن شعبة يوم
الحديبية، ولأبي أيوب الأنصاري ليلة بني بصفية ببعض طرق خيبر، ولبلال وسعد
ابن أبي وقاص وذكوان بن عبد قيس بوادي القرى، ولابن أبي مرثد الغنوي ليلة
وقعة حنين^(٢).

وكانت هذه السيرة في الحراسة مستمرة إلى أن نزل قوله تعالى في حجة الوداع
﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣) فترك الحرس^(٤) فأبو بكر رديف أولئك الحرس بعد
تسليم ما جاء في حراسته.

ولو صدق النبأ وكانت يوم بدر لأبي بكر تلك الأهمية الكبرى لكان هو أولى
وأحقّ بنزول القرآن فيه يوم ذاك دون علي وحزمة وعبيدة لما نزل فيهم ذلك اليوم:
﴿هُذَانِ خُضَمَانٍ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾^(٥)

مركز تحقيقات مركز الدراسات والبحوث الإسلامية

(١) السيرة الحلبية: ٣/٣٢٧.

(٢) عيون الأثر: ٣١٦/٢ [٤٠٢/٢]، المواهب اللدنية: ٢٨٣/١ [١٢٢/٢]، السيرة الحلبية: ٣/٣٥٤

[٣٢٧/٣]، شرح المواهب للزرقاني: ٣/٣٠٤. (المؤلف)

(٣) المائة: ٦٧.

(٤) مستدرک الحاكم: ٣١٣/٢ [٣٤٢/٢ ح ٣٢٢١]، تفسير القرطبي: ٢٤٤/٦ [١٥٨/٦]، تفسير ابن

جزري الكلبي: ١٨٣/١، تفسير ابن كثير: ٧٨/٢، الخصائص الكبرى: ١٢٦/١ [٢١٠/١] عن

الترمذي [في سننه: ٢٣٤/٥ ح ٣٠٤٦] والحاكم [في المستدرک: ٣٤٢/٢] والبيهقي [في دلائل

النبوة: ١٨٤/٢] وأبي نعيم. (المؤلف)

(٥) الحج: ١٩.

(٦) صحيح البخاري: ٩٨/٦ كتاب التفسير [١٧٦٩/٤ ح ٤٤٦٧]، صحيح مسلم: ٥٥٠/٢ [٥٢٨/٥]

ح ٣٤ كتاب التفسير]، طبقات ابن سعد: ص ٥١٨ [١٧/٢]، مستدرک الحاكم: ٢٨٦/٢ [٤١٨/٢]

ح ٣٤٥٤، وكذا في تلخيصه [وصححه هو والذهبي، تفسير القرطبي: ٢٥/١٢، ٢٦ [١٨/١٢]

و ١٩]، تفسير ابن كثير: ٢١٢/٣، تفسير ابن جزري: ٢٨/٣، تفسير الخازن: ٢٩٨/٣ [٢٨٤/٣].

(المؤلف)

ولو صحّت المزعمة لما خصّ عليّ وحزبه وعبدة بقوله تعالى ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ / صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾^(٢٠٣).

ولما نزل في عليّ أمير المؤمنين قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي آتَيْكَ بِنَضْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣)، ولما ورد فيها ما ورد عن النبي الأعظم مما أسلفناه في الجزء الثاني (ص ٤٦ - ٥١).

ولما خصّ بمولانا عليّ قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾^(٤)، كما ذكره القرطبي في تفسيره^(٥) (٢١/٣) وفصلنا القول فيه في الجزء الثاني (ص ٤٧ - ٤٩).

وكان حقاً عليّ رضوان منادي الله يوم بدر بقوله:

لا سيف إلا ذو الفقار
ولا فتى إلا علي^(٦)

أن ينوّه باسم أبي بكر وبسيفه المشهور على رأس رسول الله ﷺ ثم هل تنحصر مغازي النبي الأعظم وحروبه الدامية ببدر؟ وهل العريش كان في بدر فحسب دون سائر الغزوات؟ وهل سيّد العريش النبي الأعظم كان يلازم عريشه ولم يحضر قطّ في ميادين القتال؟ أو كان ينزل بالمعارك ويستخلف صاحبه على العريش؟

ما أعوز النبي الأعظم يوم خيبر مجاهداً كزاراً غير فرّار لا يوليّ الدبر، وكان

(١) الأحزاب: ٢٣.

(٢) راجع ما مرّ في الجزء الثاني: ص ٥١. (المؤلف)

(٣) الأنفال: ٦٢.

(٤) البقرة: ٢٠٧.

(٥) الجامع لاحكام القرآن: ١٦/٣.

(٦) راجع ما أسلفناه في الجزء الثاني صفحة: ٥٩ - ٦١. (المؤلف)

معه الخليفة الأشجع؟ أكان فرّاراً غير كزّار؟ ومن المعنيّ في قول المؤرّخين من أنّ النبي ﷺ دفع لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً، فدفعه إلى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً؟ أهذا الرجل وصاحبه نكرتان لا يُعرفان؟ لاها الله.

وأين كان الأشجع يوم خرجت كتائب اليهود يقدمهم ياسر، فكشف الأنصار حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ في موقفه، فاشتدّ ذلك على رسول الله ﷺ وأمسى مهموماً^(١)؟

ولماذا بعث ﷺ يوم ذاك - وكان الأشجع معه - سلمة بن الأكوع إلى عليّ وكان قد تخلف بالمدينة لرمد عينيه، وكان لا يبصر موضع قدمه، فذهب إليه سلمة وأخذ بيده يقوده^(٢)؟ وملء المسامع قوله ﷺ: «لأعطين الراية إلى رجل كزّار غير فرّار».

مراجعة تكميلية من المؤلف

أكان الأشجع في العريش يوم خيبر لما قاتل المصطفى بنفسه يومه ذلك أشدّ القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر، وهو على فرس يقال له: الظرب^(٣) وفي يده قنّاة وترس؟ كما في السيرة الحلبيّة^(٤) (٣٩/٣).

أكان الأشجع في العريش يوم أحد يوم بلاء وتمحيص؟ حتى خلص العدو إلى

(١) الإمتاع للمقرئزي: ص ٣٦٤، السيرة الحلبيّة: ٣٩/٣ [٣٤/٣]. (المؤلف)

(٢) صحيح مسلم: ١٠٢/٢ [٨٧/٤ ح ١٣٢ كتاب الجهاد والسير]، سنن البيهقي: ١٣١/٩، الرياض النضرة: ١٨٦/٢ [١٣٢/٣]، السيرة الحلبيّة: ٤١/٣ [٣٥/٣]، شرح المواهب للزرقاني: ٢٢٣/٢. (المؤلف)

(٣) من أشهر خيله ﷺ وأعرفها، سمي بذلك لكبره أو لسمنه أو لقوّته وصلابته تشبيهاً له بالجبل. قالوا: أهدها له ﷺ فروة بن عمرو الجذامي. أو: ربيعة بن أبي البراء. أو: جنادة بن المعلّى. (المؤلف)

(٤) السيرة الحلبيّة: ٣٤/٣.

رسول الله فدَّت^(١) بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته، وشجَّ في وجهه، وكلمت شفته، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم ويقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم»^(٢).

أكان الأشجع في العريش يوم قال فيه علي: «لما تخلى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد نظرت في القتلى فلم أر رسول الله ﷺ فقلت: والله ما كان ليفر وما أراه في القتلى، ولكن الله غضب علينا بما صنعنا، فرفع نبيه، فما في خير من أن أقاتل حتى أقتل، فكسرت جفن سيني ثم حملت على القوم فأفرجوا لي فإذا برسول الله بينهم». وقد أصابت علياً يوم ذلك ست عشرة ضربة، كل ضربة تلزمه الأرض فما كان يرفعه إلا جبريل؟ أسد الغابة^(٣) (٢٠/٤).

أكان الأشجع في العريش يوم وقع رسول الله في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون، فأخذ علي بن أبي طالب بيده ﷺ واحتضنه ورفع طلحة حتى استوى قائماً^(٤).

أكان الأشجع في العريش يوم رأى رسول الله في ميدان النزال وهو لابس درعين: درعه ذات الفضول ودرعه فضة، أو يوم حنين وله درعان: درعه ذات الفضول والسعدية؟ شرح المواهب للزرقاني (٢٤/٢).

أكان الأشجع في العريش يوم ضرب وجه النبي بالسيف سبعين ضربة وقاه الله

(١) الدت: الرمي.

(٢) سيرة ابن هشام: ٢٧/٣ [٨٤/٣]، طبقات ابن سعد رقم التسلسل: ٥٤٩ [٤٤/٢ - ٤٥]، تاريخ

ابن كثير: ٢٣/٤، ٢٩ [٢٦/٤]، ٣٣ حوادث سنة ٥٣، إمتاع المقرئ: ص ١٣٥، شرح المواهب

للزرقاني: ٢٧/٢. (المؤلف)

(٣) أسد الغابة: ٩٨/٤ رقم ٣٧٨٣.

(٤) سيرة ابن هشام: ٢٧/٣ [٨٥/٣]، الإمتاع للمقرئ: ص ١٣٥، تاريخ ابن كثير: ٢٤/٤ [٢٧/٤]

حوادث سنة ٥٣، عيون الأثر: ١٢/٢ [٤١٨/١]. (المؤلف)

شرّها كلها؟ المواهب اللدنية^(١) (١٢٤/١)

أكان الأشجع في العريش يوم بايع رسول الله على الموت ثمانية، هم: عليّ، والزبير، وطلحة، وأبو دجانة، والحارث بن الصمة، وحباب بن المنذر، وعاصم بن ثابت، وسهل بن حنيف، ورسول الله يدعوهم في أخراهم؟ الإمتاع للمقرئزي (ص ١٣٢).
أكان الأشجع في العريش يوم كان عليّ يذبّ عن رسول الله من ناحية، وأبو دجانة يَمَّاك^(٢) بن خَرَشَة من ناحية، وسعد بن أبي وقاص يذبّ طائفة، والحباب بن المنذر يحوش المشركين كما تُحاش الغنم؟ الإمتاع للمقرئزي (ص ١٤٣)

أكان الأشجع في العريش يوم حمي الوطيس، وجلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار، وأرسل إلى عليّ أن قدّم [الراية] فقدّم عليّ وهو يقول: أنا أبو القصم^(٣)؟

أكان الأشجع في العريش يوم انتهى رسول الله إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال: «اغسلي عن هذا دمه يا بنية فوالله صدقني اليوم»؟ يوم ملأ عليّ درقته ماء من المهراس فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه، وغسل عن وجهه الدم وصبّ على رأسه، وأخذت فاطمة -سلام الله عليها- قطعة حصير فأحرقته فألصقته عليه فاستمسك الدم^(٤)؟

أكان الأشجع في العريش لما ملأ الفضاء نداء جبرئيل:
لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

(١) المواهب اللدنية: ٤٠٢/١.

(٢) في الأصل: مالك، وهو تصحيف والصواب ما أثبتناه.

(٣) سيرة ابن هشام: ١٩/٣ [٧٧/٣ - ٧٨ وما بين المعقوفين منه]، شرح المواهب للزرقاني: ٣١/٢.

(المؤلف)

(٤) طبقات ابن سعد: ٩٠/٣ رقم التسلسل: ٢٥٢ [٤٨/٢]، سيرة ابن هشام: ٣٤/٣، ٥١ [٩٠/٣] و

١٠٦، الإمتاع: ص ١٣٨، تاريخ ابن كثير: ٢٥/٤ [٢٣/٤ حوادث سنة ٤٢هـ]، عيون الأثر:

١٥/٢ [٤٣١/١]، المواهب اللدنية: ١٢٥/١ [٤٠٥/١]، شرح الزرقاني: ٥٦/٢. (المؤلف)

أكان الأشجع في العريش يوم نظم حسان بن ثابت :

جبريل نادى معلناً والنقع ليس بمسنجلي
والمسلمون أحدقوا حول النبي المرسل
لا سيف إلا ذو الفقار رولا فتى إلا علي^(١)

٢٠٦/٧

أكان الأشجع في العريش يوم حمراء الأسد، وقد خرج ﷺ وهو مجروح في وجهه، مشجوج في جبهته، ورباعيته قد شظيت، وشفته السفلى قد كلمت في باطنها، وهو متوهن منكبه الأيمن من ضربة ابن قيئة، وركبته مجحوشتان؟

طبقات ابن سعد، رقم التسلسل^(٢) (٥٥٣).

أكان الأشجع في العريش يوم حنين؟ لما حمى الوطيس وفسر الناس عن النبي ﷺ ولم يبق معه إلا أربعة - ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم: علي بن أبي طالب والعبّاس وهما بين يديه، وأبو سفيان بن الحارث أخذ بالعنان، وابن مسعود من جانبه الأيسر، ولا يقبل أحد من المشركين جهته ﷺ إلا قتل؟ السيرة الحلبية^(٣) (١٢٣/٣).

أكان الأشجع في العريش يوم الأحزاب؟ وكان رسول الله ﷺ ينقل مع صحبه من تراب الخندق وقد وارى التراب بياض بطنه ويقول:

لاهمّ لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلّينا
فأنزلن سكينته علينا وثبتت الأقدام إن لاقينا
إن الألى لقد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

(١) راجع ما مرّ في الجزء الثاني: ص ٥٩ - ٦١. (المؤلف)

(٢) الطبقات الكبرى: ٤٩/٢.

(٣) السيرة الحلبية: ١٠٩/٣.

طبقات ابن سعد رقم التسلسل^(١) (٥٧٥)، تاريخ ابن كثير^(٢) (٩٦/٤).

أكان الأشجع في العريش يوم قال ﷺ: «لضربة علي خير من عبادة الثقلين»، وفي لفظ: «قتل علي لعمر و أفضل من عبادة الثقلين» وفي لفظ: «لمبارزة علي لعمر و بن و د أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة»^(٣)؟

نعم؛ للرجل موقف يوم أحد لما طلع يومئذ عبد الرحمن بن أبي بكر - وكان من المشركين - فقال: من يبارز وارتجز يقول:

لم يسبق إلا شكة ويعبوب وصارم يقتل ضلال الشيب

فنهض إليه أبو بكر ﷺ وهو يقول: أنا ذلك الأشيب ثم ارتجز فقال:

لم يسبق إلا حسبي وديني وصارم تقضي به يميني

فقال له عبد الرحمن: لولا أنك أبي لم أنصرف. الإمتاع (ص ١٤٤).

حجاج بالعريش:

قال المحاملي: كنت عند أبي الحسن بن عبدون وهو يكتب لبدر، وعنده جمع فيهم أبو بكر الداوودي وأحمد بن خالد المدرائي، فذكر قصة مناظرته مع الداوودي في التفضيل. إلى أن قال: فقال الداوودي: والله ما نقدر نذكر مقامات علي مع هذه العامة. قلت: أنا والله أعرفها: مقامه ببدر، وأحد، والخندق، ويوم حنين، ويوم خيبر. قال:

(١) الطبقات الكبرى: ٧١/٢.

(٢) البداية والنهاية: ١١٠/٤ حوادث سنة ٥٥هـ.

(٣) مستدرک الحاکم: ٣٢/٣ [٣٤/٣ ح ٤٣٢٧]، المواقف للقاضي الإيجي: ٢٧٦/٣ [ص ٤١٢]، كنز

العالم: ١٥٨/٦ [٦٢٣/١١ ح ٣٣٠٣٥]، السيرة الحلبية: ٣٤٩/٢ [٣٢٠/٢] وهناك كلمة رد علي

ابن تيمية في رده على هذا الحديث، هداية المرتاب في فضائل الأصحاب: ص ١٤٨. (المؤلف)

فإن عرفتها ينبغي أن تقدّمه على أبي بكر وعمر؟ قلت: قد عرفتها ومنه قدّمت أبا بكر وعمر عليه. قال: من أين؟ قلت: أبو بكر كان مع النبي ﷺ على العريش يوم بدر مقامه مقام الرئيس والرئيس ينهزم به الجيش، وعليّ مقامه مقام مبارز، والمبارز لا ينهزم به الجيش.

ذكره الخطيب في تاريخه (٢١/٨)، وابن الجوزي في المنتظم^(١) (٣٢٧/٦)، وأحسب أن مبتدع هذه الباكورة، ومؤسس فكرة العريش والاستدلال بها في التفضيل هو الجاحظ، قال في خلاصة كتاب العثمانية (ص ١٠): والحجة العظمى للقائلين بتفضيل عليّ عليه السلام قتله الأقران، وخوضه الحروب، وليس له في ذلك كبير فضيلة؛ لأن كثرة القتل والمشى بالسيف إلى الأقران لو كان من أشد المحن وأعظم الفضائل وكان دليلاً على الرئاسة والتقدم، لوجب أن يكون للزبير وأبي دجانة ومحمد ابن مسلمة وابن عفراء والبراء بن مالك من الفضل ما ليس لرسول الله ﷺ! لأنه لم يقتل إلا رجلاً واحداً ولم يحضر الحرب يوم بدر ولا خالط الصفوف، وإنما كان معتزلاً عنهم في العريش ومعه أبو بكر.

وأنت ترى الرجل الشجاع قد يقتل الأقران، ويجندل الأبطال، وفوقه من العسكر من لا يقتل ولا يبارز وهو الرئيس، أو ذو الرأي والمستشار في الحرب؛ لأنّ للرؤساء من الاكترات والاهتمام وشغل البال والعناية والتفقد ما ليس لغيرهم، ولأنّ الرئيس هو المخصوص بالمطالبة وعليه مدار الأمور، وبه يستبصر المقاتل ويستنصر، وباسمه ينهزم العدو، ولو لم يكن له إلا أن الجيش لو ثبت وفرّ هو لم يغن ثبوت الجيش كلّهُ، وكانت الدبرة / عليه، ولو ضيّع القوم جميعاً وحُفظ هو لانتصر وكانت الدولة له، ولهذا لا يضاف النصر والهزيمة إلا إليه. ففضل أبي بكر بمقامه في العريش مع رسول الله يوم بدر أعظم من جهاد عليّ ذلك اليوم وقتله أبطال قريش. انتهى.

قال الأميني: نحن لا ننس في الجواب عن هذه الأساطير المشرجة^(١) ببنت شفة، وإنما نقتصر فيه بما أجاب به عنها أبو جعفر الإسكافي المعتزلي البغدادي المتوفى (٢٤٠)، قال في الردّ عليها^(٢):

لقد أُعطي أبو عثمان مقولاً وحرماً معقولاً، إن كان يقول هذا على اعتقاد وجدّ، ولم يذهب به مذهب اللعب واللهو، أو على طريق التفاسح والتشادق وإظهار القوّة والسلطة وذلاقة اللسان وحدة الخاطر والقوّة على جدال الخصوم.

ألم يعلم أبو عثمان أنّ رسول الله ﷺ كان أشجع البشر وأنه خاض الحروب وثبت في المواقف التي طاشت فيها الألباب، وبلغت القلوب الحناجر؟

فمنها يوم أحد ووقوفه بعد أن فرّ المسلمون بأجمعهم ولم يبق معه إلا أربعة: عليّ، والزبير، وطلحة، وأبو دجانة، فقاتل ورمى بالنبل حتى فنيت نبله وانكسرت سيّة^(٣) قوسه، وانقطع وتره، فأمر عكاشة بن محصن أن يوترها، فقال: يا رسول الله لا يبلغ الوتر، فقال: أوتر ما بلغ. قال عكاشة: فوالذي بعثه بالحقّ لقد أوترت حتى بلغ وطويت منه شبراً على سيّة القوس، ثم أخذها فما زال يرميهم حتى نظرت إلى قوسه قد تحطّمت، وبارز أبي بن خلف، فقال له أصحابه: إن شئت عطف عليه بعضنا فأبى، وتناول الحربة من الحارث بن الصّمّة ثم انتفض بأصحابه كما ينتفض البعير، قالوا: فتطيرنا عنه تطاير الشعارير^(٤) فطعنه بالحربة فجعل يخور كما يخور الثور، ولو لم يدلّ على ثباته حين انهزم أصحابه وتركوه إلا قوله تعالى: ﴿إِن تَضِعِدُونَ وَلَا تَلُؤُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَائِكُمْ﴾^(٥) فكونه ﷺ في أخراهم وهم يصعدون ولا يلؤون هاربين؛ دليل على أنه ثبت ولم يفّر.

(١) المشرجة: المنسوجة.

(٢) رسائل الجاحظ: ص ٥٤ [ص ١٥٥ - ١٥٦ الرسائل السياسية]، شرح ابن أبي الحديد: ٢٧٥/٣ [٢٧٧/١٣ - ٢٧٨ خطبة ٢٣٨]. (المؤلف)

(٣) سيّة القوس: ما اعوجّ من طرفيها.

(٤) الشعارير: ما يجتمع على دبيرة البعير من الذبان، فإذا هيجت تطايرت عنها. النهاية ٤٨٠/٣.

(٥) آل عمران: ١٥٣.

وثبت يوم حنين في تسعة من أهله ورهطه الأذنين، وقد فرّ المسلمون كلهم والنفر التسعة محدقون به، العباس أخذ بحكمة^(١) بغلته، وعليّ بين يديه مصلت سيفه، والباقون حول بغلته يئنّون ويسرّون، وقد انهزم المهاجرون والأنصار، وكلّموا فرّوا أقدم هو ﷺ وصمّ مستقماً يلقي السيوف والنبال بنحره وصدّره، ثم أخذ كفاً من البطحاء وحصب المشركين وقال: «شاهت الوجوه»، والخبر المشهور عن عليّ وهو أشجع البشر: «كنّا إذا اشتدّ البأس وحمي الوطيس اتقينا برسول الله ﷺ ولذنا به».

٢٠٩/٧

فكيف يقول الجاحظ: إنه ما خاض الحروب ولا خالط الصفوف؟ وأيّ فرية أعظم من فرية من نسب رسول الله ﷺ إلى الإحجام واعتزال الحرب؟ ثم أيّ مناسبة بين أبي بكر ورسول الله في هذا المعنى ليقبسه وينسبه إلى رسول الله ﷺ صاحب الجيش والدعوة ورئيس الإسلام والملة، والملاحظ بين أصحابه وأعدائه بالسيادة، وإليه الإيماء والإشارة، وهو الذي أحنق قريشاً والعرب، وورى أكبادهم بالبراءة من آلهتهم، وعيب دينهم وتضليل أسلافهم، ثم وترهم فيما بعد بقتل رؤسائهم وأكابرهم، وحقّ لمثله إذا تنحى عن الحرب واعتزلها أن يتنحى ويعتزل؛ لأنّ ذلك شأن الملوك والرؤساء إذ كان الجيش منوطاً بهم وبيقاتهم، فمتى هلك الملك هلك الجيش، ومتى سلم الملك أمكن أن يبقى عليه ملكه، وإن عطب جيشه فإنه يستجدّ جيشاً آخر، ولذلك نهى الحكماء أن يباشر الملك الحرب بنفسه، وخطأوا الإسكندر لما بارز فوسر ملك الهند ونسبوه إلى مجانبة الحكمة ومفارقة الصواب والحزم.

فليقل لنا الجاحظ: أيّ مدخل لأبي بكر في هذا المعنى؟ ومن الذي كان يعرفه من أعداء الإسلام ليقصده بالقتل؟ وهل هو إلا واحد من عرض المهاجرين حكمه حكم عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرهما؟ بل كان عثمان أكثر منه صيتاً، وأشرف منه مركباً، والعيون إليه أطمع، والعدوّ عليه أحنق وأكلب. ولو قُتل أبو بكر في بعض تلك المعارك هل كان يؤثّر قتله في الإسلام ضعفاً؟ أو يحدث فيه وهناً؟ أو يخاف على الملة لو قُتل أبو بكر في بعض تلك الحروب أن تتدرس وتُعنق آثارها

(١) الحكمة: حديدة في اللجام تكون على أنف الدابة وحنكها تمنعها من مخالفة راجعها.

وتنطمس منارها؟ ليقول الجاحظ: إنَّ أبابكر كان حكمه حكم رسول الله ﷺ في مجانبة الحروب واعتزالها. نعوذ بالله من الخذلان.

وقد علم العقلاء كلهم بمن له بالسير معرفة وبالأثار والأخبار ممارسة حال حروب رسول الله ﷺ كيف كانت، وحاله عليه الصلاة والسلام فيها كيف كان، ووقوفه حيث وقف وحربه حيث حارب، وجلوسه في العريش يوم جلس، وأنَّ وقوفه ﷺ وقوف رئاسةٍ وتدبير، ووقوف ظهر وسند، يتعرّف أمور أصحابه ويحرس صغيرهم وكبيرهم بوقوفه من ورائهم وتخلّفه عن التقدّم في أوائلهم؛ لأنّهم متى علموا أنّه في أخراهم اطمأنت قلوبهم ولم تتعلّق / بأمره نفوسهم، فيشتغلوا بالاهتمام به عن عدوّهم، ولا يكون لهم فئة يلجأون إليها وظهر يرجعون إليه، ويعلمون أنّه متى كان خلفهم تفقد أمورهم وعلم مواقفهم وأوى كلّ إنسان مكانه في الحماية والنكاية وعند المنازلة في الكرّ والحملة، فكان وقوفه حيث وقف أصلح لأمرهم، وأحمى وأحرس لبيضتهم، ولأنّه المطلوب من بينهم، إذ هو مدبّر أمورهم ووالي جماعتهم، ألا ترون أنّ موقف صاحب اللواء موقف شريف؟ وأنّ صلاح الحرب في وقوفه، وأنّ فضيلته في ترك التقدّم في أكثر حالاته، فللرئيس حالات:

الأولى: حالة يتخلّف ويقف آخراً ليكون سداً وقوّة ورداً وعُدّة، وليستولى تدبير الحرب ويعرف مواضع الخلل.

والحالة الثانية: يتقدّم فيها في وسط الصفّ ليقوى الضعيف ويُسجّع الناكس. وحالة ثالثة: وهي إذا اصطدم الفيلقان، وتكافح السيفان، اعتمد ما يقتضيه الحال من الوقوف حيث يستصلح، أو من مباشرة الحرب بنفسه فإنّها آخر المنازل، وفيها تظهر شجاعة الشجاع النجد وفسالة^(١) الجبان المموّه.

فأين مقام الرئاسة العظمى لرسول الله ﷺ؟ وأين منزلة أبي بكر ليسوي بين المنزلتين، ويناسب بين الحالتين؟

(١) الفسل: الذي لا مروءة ولا جلد له.

ولو كان أبو بكر شريكاً لرسول الله في الرسالة وممنوحاً من الله بفضيلة النبوة، وكانت قريش والعرب تطلبه كما تطلب محمداً ﷺ لكان للجاحظ أن يقول ذلك، فأما وحاله حاله، وهو أضعف المسلمين جناناً، وأقلهم عند العرب ترة^(١)، لم يرم قط بسهم، ولا سل سيفاً، ولا أراق دمأ، وهو أحد الأتباع، غير مشهور ولا معروف، ولا طالب ولا مطلوب، فكيف يجوز أن يجعل مقامه ومنزله مقام رسول الله ﷺ ومنزله؟ ولقد خرج ابنه عبدالرحمن مع المشركين يوم أحد فرآه أبو بكر، فقام مغيظاً عليه، فسل من السيف مقدار إصبع يروم البروز إليه فقال له رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر شيم سيفك وأمتعنا بنفسك». ولم يقل له: «وامتعنا بنفسك»، إلا لعلمه بأنه ليس أهلاً للحرب وملاقة الرجال وأنه لو بارز لقتل.

وكيف يقول الجاحظ: لا فضيلة لمباشرة الحروب ولقاء الأقران وقتل أبطال الشرك؟ وهل قامت عمدة الإسلام إلا على ذلك؟ وهل ثبت الدين واستقر إلا بذلك؟ أترأه لم يسمع قول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾^(٢)؟ والمحبة من الله تعالى هي إرادة الثواب، فكل من كان أشد ثبوتاً في هذا الصف وأعظم / قتالاً، كان أحب إلى الله، ومعنى الأفضل هو الأكثر ثواباً، فعلي ﷺ إذ هو أحب المسلمين إلى الله؛ لأنه أثبتهم قدماً في الصف المرصوص، لم يفر قط بإجماع الأمة، ولا بارزه قرن إلا قتله، أوترأه لم يسمع قول الله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣)؟ وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾^(٤)؟

٢١١/٧

(١) الترة: النار.

(٢) الصف: ٤.

(٣) النساء: ٩٥.

(٤) التوبة: ١١١.

ثم قال سبحانه مؤكداً لهذا البيع والشراء: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١)، وقال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾^(٢)، فواقف الناس في الجهاد على أحوال، وبعضهم في ذلك أفضل من بعض، فمن دلف إلى الأقران واستقبل السيوف والأسنة، كان أثقل على أكتاف الأعداء لشدة نكايته فيهم، ممن وقف في المعركة وأعان ولم يقدم، وكذلك من وقف في المعركة، وأعان ولم يقدم؛ إلا أنه بحيث تناله سهام والنبل أعظم غناءً، وأفضل ممن وقف حيث لا يناله ذلك. ولو كان الضعيف والجبان يستحقان الرئاسة بقلّة بسط الكف وترك الحرب، وأن ذلك يشاكل فعل النبي ﷺ، لكان أوفر الناس حظاً في الرئاسة وأشدّهم لها استحقاقاً حسان بن ثابت. وإن بطل فضل عليّ في الجهاد؛ لأن النبي ﷺ كان أقلهم قتالاً - كما زعم الجاحظ - ليبطلنّ عليّ هذا القياس فضل أبي بكر في الإنفاق؛ لأن رسول الله ﷺ كان أقلهم مالاً، وأنت إذا تأملت أمر العرب وقريش، ونظرت السير، وقرأت الأخبار، عرفت أنها تطلب محمداً ﷺ وتقصد قصده، وتروم قتله، فإن أعجزها وفاتها طلبت عليّاً وأرادت قتله؛ لأنه كان أشبههم بالرسول حالاً، وأقربهم منه قرباً، وأشدّهم عنه دفعا، وأنهم متى قصدوا عليّاً فقتلوه أضعفوا أمر محمد ﷺ وكسروا شوكته، إذ كان أعلى من ينصره في البأس والقوّة والشجاعة والنجدة والإقدام واليسالة.

ألا ترى إلى قول عتبة بن ربيعة يوم بدر وقد خرج هو وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة فأخرج إليهم الرسول نفراً من الأنصار، فاستنسبوهم فانتسبوا لهم، فقالوا: ارجعوا إلى قومكم، ثم نادوا: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال النبي ﷺ لأهله الأذنين: «قوموا يا بني هاشم فانصروا حقكم الذي آتاكم الله على

(١) التوبة: ١١١.

(٥) التوبة: ١٢٠.

باطل / هؤلاء، قم يا علي قم يا حمزة قم يا عبيدة».

ألا ترى ما جعلت هند بنت عتبة لمن قتله يوم أحد لأنه اشترك هو وحمزة في قتل أبيها يوم بدر؟

ألم تسمع قول هند ترثي أهلها:

ما كان لي عن عتبة من صبر
أخي الذي كان كضوء البدر
أبي وعمي وشقيق صدري^(١)
بهم كسرت يا علي ظهري

وذلك لأنه قتل أخاها الوليد بن عتبة، وشرك في قتل أبيها عتبة، وأما عمها شيبه فإن حمزة تفرّد بقتله.

وقال جبير بن مطعم لوحشي مولاة يوم أحد: إن قتلت محمداً فأنت حرّ، وإن قتلت علياً فأنت حرّ، وإن قتلت حمزة فأنت حرّ. فقال: أمّا محمد فسيمنعه أصحابه، وأمّا علي فرجل حذر كثير الالتفات في الحرب، ولكنني سأقتل حمزة. ففعد له وزرقه بالحرية فقتله.

ولما قلنا من مقاربة حال علي في هذا الباب لحال رسول الله ﷺ ومناسبتها إياه ما وجدناه في السير والأخبار، من إشفاق رسول الله ﷺ وحذره عليه، ودعائه له بالحفظ والسلامة، قال رسول الله ﷺ يوم الخندق، وقد برز علي إلى عمرو، ورفع يديه إلى السماء بمحضر من أصحابه: «اللهم إني أخذت مني حمزة يوم أحد، وعبيدة يوم بدر، فاحفظ اليوم علياً، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين». ولذلك ضنّ به عن مبارزة عمرو حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مراراً، في كلّها يُحجمون ويقدم علياً، فيسأل الإذن له في البراز حتى قال له رسول الله ﷺ: «إنه عمرو!» فقال: «وأنا علي». فأدناه وقبله وعممه بعمامته وخرج معه خطوات كالمودع له، القلق لحاله، المنتظر لما يكون منه. ثم لم يزل ﷺ رافعاً يديه إلى السماء

(١) في شرح النهج: ٢٨٣/١٣ ورد الشطر الأول هكذا: ما كان لي عن عتبة من صبر.

مستقبلاً لها بوجهه والمسلمون صموت حوله كأنما على رؤوسهم الطير، حتى ثارت الغبرة، وسمعوا التكبير من تحتها فعلموا أنّ علياً قتل عمراً. فكبر رسول الله ﷺ وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين. ولذلك قال حذيفة بن اليمان: لو قُسمت فضيلة عليّ بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم. وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾^(١)؛ قال: بعليّ بن أبي طالب. انتهى.

الغريق يتشبّث بكلّ حشيش:

أعيت القوم شجاعة الخليفة، وأضلتهم عن المذاهب، وجعلتهم في الرّونة^(٢)، وأركبتهم على الزحلوقة تسفّ بهم تارةً وتعلّتهم أخرى، فلم يجدوا مهياً يوصلهم إلى ما يرومون من إثباتها له مهما وجدوا غضون التاريخ خاليةً عن كلّ عين وأثر يسعهم الركون إليه في الحجاج لها، فتشبّثوا بالتفلسف فيها، فهذا يبني فلسفة العريش، والآخر ينسج نسج العناكيب ويعدّ ثباته في موت رسول الله ﷺ وعدم تضععه في تلك الهائلة دليلاً على كمال شجاعته. قال القرطبي في تفسيره^(٣) (٢٢٢/٤) في سورة آل عمران: ١٤٤ عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً ﴾: هذه الآية أدلّ دليل على شجاعة الصديق وجرأته، فإنّ الشجاعة والجرأة حدّهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي ﷺ فظهرت عنده شجاعته وعلمه. وقال الناس: لم يميت رسول الله ﷺ، منهم عمر، وخرس عثمان، واستخفى عليّ، واضطرب الأمر فكشفه الصديق بهذه الآية حين

(١) الأحزاب: ٢٥.

(٢) الرّونة: الشدة.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٤٣/٤.

قدومه من مسكنه بالشُّنح^(١).

وهذا الاستدلال أقرّه الحلبي في سيرته^(٢) (٣٥/٣) وقال: لما توفي رسول الله ﷺ طاشت العقول؛ فمنهم من خُبل، ومنهم من أُقعد ولم يطق القيام، ومنهم من أُخرس فلم يطق الكلام، ومنهم من أُضني، وكان عمر ﷺ ممن خُبل، وكان عثمان ﷺ ممن أُخرس، فكان لا يستطيع أن يتكلم، وكان عليّ ﷺ ممن أُقعد فلم يستطع أن يتحرك، وأضني عبدالله بن أنيس فمات كمدأ، وكان أثبتهم أبو بكر الصديق ﷺ. إلى أن قال: قال القرطبي: وهذا أدل دليل على كمال شجاعة الصديق. إلى آخره.

قال الأميني: يوهم القرطبي أن في كتاب الله العزيز ما يدل على شجاعة الخليفة وعلمه، وليس فيما جاء به أكثر من أنه استدل بالآية الشريفة يوم ذاك على موت رسول الله ﷺ فأبى صلة لها بشجاعة الرجل؟! وأي قسم فيها من أنحاء الدلالة الثلاثة فضلاً عن أن تكون أدل دليل؟ فإن يكن هناك شيء من الدلالة - وأين وأبى - فهو في ثبات جأشه وتمسكه بالآية الكريمة لا في الآية نفسها. ٢١٤/٧

ثم كيف خفي على الرجل وعلى من تبعه الفرق بين ملكتي الشجاعة والقسوة؟ وأن هذا النسج الذي أوهن من بيت العنكبوت إنما نسجته يد السياسة لدفع مشكلات هناك، فخبّلوا عمر بن الخطاب - وحاشاه الخبل - تصحيحاً لإنكاره موت رسول الله ﷺ وأنه كان من ذلك لقلق كما مر في (ص ١٨٤)، وأقعدوا علياً لإيهام العذر في تخلفه عن البيعة، وأخرسوا عثمان لأنه لم ينسب في ذلك الموقف بينت شفة.

على أن ما جاء به القرطبي من ميزان الشجاعة يستلزم كون الخليفة أشجع من

(١) بضم أوله وسكون النون وقد تضم: موضع خارج المدينة بينها وبين منزل النبي ميل [في معجم البلدان: ٢٦٥/٣ أنها إحدى محال المدينة]. (المؤلف)

(٢) السيرة الحلبية: ٣٥٤/٣.

رسول الله ﷺ أيضاً، إذ لم يُرو عن أبي بكر في رزية النبي الأعظم أكثر من أنه كشف عن وجه النبي وقبله وهو يبكي وقال: طبت حياً وميتاً^(١) وقد فعل ﷺ أكثر وأكثر من هذا في موت عثمان بن مظعون؛ فإنه ﷺ انكب عليه ثلاث مرّات مرّة بعد أخرى وقبله باكياً عليه وعيناه تذرّقان والدموع تسيل على وجنتيه وله شهيق^(٢)، وشتان بين عثمان بن مظعون وبين سيّد البشر روح الخليقة وعلّة العوالم كلّها، وشتان بين المصيّبتين.

كما يستدعي مقياس الرجل كون عمر بن الخطّاب أشجع من النبي الأقدس لحزنه العظيم في موت زينب وبكائه عليها، وعمر كان يوم ذاك يضرب النسوة الباكيات عليها بالسوط، كما مرّ في الجزء السادس (ص ١٥٩)، فضلاً عن عدم تأثره بتلك الرزية.

وعلى هذا الميزان يغدو عثمان بن عفّان أشجع من رسول الله ﷺ لوجده^(٣) لموت إحدى بنتيه: رقية أو أم كلثوم زوجة عثمان، وبكائه عليها، وعثمان غير متأثر به ولا بانقطاع صهره من رسول الله ﷺ، غير مشغول بذلك عن مقارفة بعض نساته في ليلة وفاتها كما في صحيحة أنس^(٤).

(١) صحيح البخاري: ٢٨١/٦ [١٦١٨/٤ ح ٤١٨٧] كتاب المغازي، سيرة ابن هشام: ٣٣٤/٤ [٣٠٦/٤]، طبقات ابن سعد، طبع مصر، رقم التسلسل: ٧٨٥ [٢٦٨/٢]، تاريخ الطبري: ١٩٨/٣ [٢٠١/٣ حوادث سنة ١١هـ]. (المؤلف)

(٢) سنن البيهقي: ٤٠٧/٣، حلية الأولياء: ١٠٥/١، الاستيعاب: ٤٩٥/٢ [القسم الثالث/ ١٠٥٥ رقم ١٧٧٩]، أسد الغابة ٣٨٧/٣ [٦٠٠/٣ رقم ٢٥٨٨]، الإصابة: ٤٦٤/٢ [رقم ٥٤٥٣]. (المؤلف)

(٣) أي: لحزنه.

(٤) مستدرک الحاكم: ٤٧/٤ [٥١/٤ ح ٦٨٥٢]، الاستيعاب: ٧٤٨/٢ [القسم الرابع/ ١٨٤١ رقم ٣٣٤٣] وصححه، الإصابة: ٣٠٤/٤ [رقم ٤٣٠] و ٤٨٩ [رقم ١٤٧٠]، الغدير: ٢٤/٣. (المؤلف)

وقبل هذه كلها ما ذكره أعلام القوم في موت أبي بكر من طريق ابن عمر من قوله: كان سبب موت أبي بكر موت رسول الله ﷺ؛ ما زال جسمه يجري حتى مات. وقوله: / كان سبب موته كمد لحقه على رسول الله ﷺ ما زال يذيه حتى مات. وفي لفظ القرماني: ما زال جسمه ينقص حتى مات.

٢١٥/٧

راجع^(١) مستدرك الحاكم (٦٣/٣)، أسد الغابة (٢٢٤/٣)، صفة الصفوة (١٠٠/١)، الرياض النضرة (١٨٠/١)، تاريخ الخميس (٢٦٣/٢)، حياة الحيوان للدميري (٤٩/١)، الصواعق (ص ٥٣)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٥٥)، أخبار الدول للقرماني هامش الكامل (١٩٨/١)، نزهة المجالس للصفوري (١٩٧/٢)، مصباح الظلام للجرداني (٢٥/٢).

كأن هذا الحديث عزب عن القرطبي والحلي، فأخذاً بهذا مشفوعاً بكلامها المذكور في شجاعة أبي بكر يكون هو شاكلة عبدالله بن أنيس في موته كمداً على رسول الله ﷺ، ولم ينبت قط خبير بموت أحد من الصحابة غيرهما بموته ﷺ، وهذا دليل على ضعف قلبها عند حلول المصائب، فهما أجن الصحابة على الإطلاق إذا وزنا بميزان القرطبي وفيه عين.

وراء هذه المغالاة في شجاعة الخليفة وعدّه أشجع الصحابة ما عزاه القوم إلى ابن مسعود من أنه قال: أول من أظهر الإسلام بسيفه محمد ﷺ وأبو بكر والزبير ابن العوام^(٢). وما يُعزى إلى رسول الله ﷺ من أنه قال: لولا أبو بكر الصديق لذهب الإسلام^(٣).

(١) المستدرك على الصحيحين: ٦٦/٣ ح ٤٤١٠، أسد الغابة: ٣٣٥/٣ رقم ٣٠٦٤، صفة الصفوة: ٢٦٣/١ رقم ٢، الرياض النضرة: ٢٢٢/١، حياة الحيوان: ٧١/١، الصواعق المحرقة: ص ٨٨، تاريخ الخلفاء: ص ٧٦، أخبار الدول: ٢٨١/١، مصباح الظلام: ٦٢/٢ ح ٣٦٢.

(٢) نزهة المجالس للصفوري: ١٨٢/٢. (المؤلف)

(٣) نور الأبصار للشبلنجي: ص ٥٤ [ص ١١٣]. (المؤلف)

قال الأميني: لقد كانت على الأبصار غشاوة عن رؤية هذا السيف الذي كان بيد الخليفة، فلم يُؤثر أنه تقلده يوماً، أو سلّه في كريمة، أو هابه إنسان في معمة، حتى يقرن برسول الله ﷺ الذي كان منذ بعث سيفاً لله تعالى مجرداً.

إن الرسول لنورٌ يُستضاء به مُهنّدٌ من سيوفِ الله مسلولٌ^(١)

أو يقرن بمثل الزبير الذي عرفته وسيفه الحرب الزبون فشكرته، وقد سجّل التاريخ مواقفه المشهودة، وسجّل للخليفة يوم خيبر وأمثاله.

وأنا لا أدري بأيّ خصلة في الخليفة نيط بقاء الإسلام، أبشجاعته هذه؟ أم بعلمه الذي عرفت كميتته؟ أم بماذا؟ فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر.



ثبات الخليفة على المبدأ

٢١٦/٧ عن أبي سعيد الخدري: أن أبا بكر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنني مررت بوادي كذا وكذا، فإذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلي، فقال له رسول الله ﷺ: «إذهب إليه فاقتله»، قال: فذهب إليه أبو بكر، فلما رآه عليّ تلك الحالة كره أن يقتله فجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ لعمر: «إذهب إليه فاقتله»: قال فذهب عمر فرآه عليّ تلك الحال التي رآه أبو بكر فكره أن يقتله فرجع، فقال: يا رسول الله إنني رأيته متخشعاً فكرهت أن أقتله، قال: «يا عليّ اذهب فاقتله». فذهب علي فلم يره فرجع، فقال: «يا رسول الله إنني لم أره». فقال النبي ﷺ: إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه فاقتلوهم هم شرّ البرية»^(٢).

(١) البيت من قصيدة لكعب بن زهير المشهورة ب: بانت سعاد. (المؤلف)

(٢) مسند أحمد: ١٥/٣ [٣٩٠/٣ ح ١٠٧٣٤]، تاريخ ابن كثير: ٢٩٨/٧ [٢٣٠/٧ ح ٢٣٠] حوادث سنة

وعن أنس بن مالك قال: كان في عهد رسول الله ﷺ رجل يعجبنا تعبده واجتهاده، وقد ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ باسمه فلم يعرفه، فوصفناه بصفته فلم يعرفه، فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل قلنا: هو هذا. قال: «إنكم لتخبروني عن رجل إن في وجهه لسفعة من الشيطان» فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم. فقال له رسول الله ﷺ «أنشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس: ما في القوم أحد أفضل مني أو خير مني؟» قال: اللهم نعم. ثم دخل يصلي فقال رسول الله ﷺ: «من يقتل الرجل؟» فقال أبو بكر: أنا، فدخل عليه فوجده قائماً يصلي، فقال: سبحان الله أقتل رجلاً يصلي؟ وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل المصلين، فخرج. فقال رسول الله ﷺ: «ما فعلت؟» قال: كرهت أن أقتله وهو يصلي وأنت قد نهيت عن قتل المصلين. قال: «من يقتل الرجل؟» قال عمر: أنا. فدخل فوجده واضعاً جبهته. فقال عمر: أبو بكر أفضل مني، فخرج فقال له النبي ﷺ «مه؟» قال: وجدته واضعاً وجهه لله فكرهت أن أقتله. فقال: «من يقتل الرجل؟» فقال علي: أنا. فقال: «أنت / إن أدركته». فدخل عليه فوجده قد خرج. فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال له: «مه؟» قال: وجدته قد خرج. قال: «لو قتل ما اختلف من أمتي رجلان كان أولهم وآخرهم»^(١).

٢١٧/٧

صاحب القصة هو ذو الثدية رأس الفتنة يوم النهروان قتله أمير المؤمنين الإمام علي يوم ذاك كما في صحيح مسلم^(٢) وسنن أبي داود^(٣)، قال الثعالبي في ثمار القلوب^(٤)

(١) حلية الأولياء: ٣١٧، ٢٢٧/٣ [رقم ٢٤٥]، مسند البرزاز من طريق الأعمش، وأبو يعلى في مسنده [٩٠/١ ح ٩٠] كما في تاريخ ابن كثير: ٢٩٨/٧ [٢٣٠/٧ حوادث سنة ٢٧هـ]، الإصابة: ٤٨٤/١ [رقم ٢٤٤٦]. (المؤلف)

(٢) صحيح مسلم: ٤٤٣/٢ ح ١٥٦ كتاب الزكاة.

(٣) سنن أبي داود: ٢٤٤/٤ - ٢٤٥ ح ٤٧٦٨ - ٤٧٦٩.

(٤) ثمار القلوب: ص ٢٩٠ رقم ٤٣٧.

(ص ٢٣٢): ذو الثدية شيخ الخوارج وكبيرهم الذي علمهم الضلال، وكان النبي ﷺ أمر بقتله وهو في الصلاة، فكع عنه أبو بكر وعمر ، فلما قصده عليّ لم يره، فقال له النبي ﷺ: «أما إنك لو قتلته لكان أول فتنة وآخرها»، ولما كان يوم النهروان وجد بين القتلى، فقال عليّ : اثوني بيده المخدجة، فأتي بها فأمر بنصبها.

قال الأميني: هلمّ معي نسائل الرجلين ممن أخذوا أن الصلاة تحقن دم صاحبها؟ هل أخذها عن شريعة غاب الصادع بها، فارتبكا بين قوليه؟ أليست هي الشريعة المحمدية وصاحبها هو الذي أمر بقتل الرجل؟ وهو ينظر إليه من كئيب، ويعلم أنه يصلي، وقد أخبرته الصحابة وفيهم الرجلان بخضوعه وخشوعه في صلاته، وإعجابهم بتعبده واجتهاده، وفي الخبرين أبو بكر نفسه، غير أن رسول الله ﷺ عرف بوسع علمه النبوي أن كل ذلك عن دهاء وتصنع يريد به إغراء الدهماء للحصول على أمنيته الفاسدة التي لم يتمكن منها إلا على عهد الخوارج فأراد ﷺ قمع تلك الجرثومة الخبيثة بقتله، ولقد أراد ﷺ تعريف الناس بالرجل وإيقافهم على ما انطوت عليه أضالعه فاستحفاه عما دار في خَلده حين وقف على القوم وفيهم النبي ﷺ وأراد أن يعلموا أنه يجد نفسه خيراً أو أفضل منهم ومنه ﷺ .

أي كافر هذا يجب قتله لا سيما بعد قوله ﷺ: «إن في وجهه لسفعة من الشيطان»؟ وأي شقي هذا يقف على المنتدى وقد ضم صدره نبي العظمة ولم يسلم؟ وأي صفيق يُعرب عن سوء ما هجس في ضميره بكل صراحة، غير محتشم عن موقفه، ولا مكترث لمقاله؟

نعم؛ لذلك كله أمر ﷺ بقتله وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، لكن الشيخين رأفاً به حين وجداه يصلي تنبأ على المبدأ، وتحفظاً على كرامة الصلاة ومن أتى بها، وزاد عمر: إن أبا بكر خير مني ولم يقتله. أو لم يكن النبي الأمر بقتله خيراً منها؟ أو لم يكن هو مشرع الصلاة والآتي بجرمتها؟ أو لم يكن مصدقاً

لدى الصديق وصاحبه في قوله حول الرجل وإعراجه عن نواياه؟

كان خيراً للشيخين أن يتركا هذا التعلل الواضح فساده ويتعللاً بما في لفظ أبي نُعَيْم في الحلية من أنها هابا أن يقتلاه، وبما أسلفناه عن ثمار القلوب للشعالي من أنها كفا عن الرجل. أي جبناً وضعفاً وتهيباً الرجل، وإن كان مصلياً غير شاك السلاح، فلعله يكون معذراً لهما عن ترك الامتثال، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، لكنهما يوم عرفا نفسيهما كذلك والإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره لماذا أقدما على قتل الرجل، فقوتاً على النبي ﷺ طلبته وعلى الأمة السلام والأمن ولو بعد لأي من عمر الدهر عند ثورات الخوارج؟ وأبو بكر هذا هو الذي يحسبه ابن حزم والمحِبُّ الطبري والقرطبي والسيوطي أشجع الناس كما مرَّ (ص ٢٠١) وقد يهابه ظلُّ الرجال في مصلاهم!

وللرجل - ذي الثدية - سابقة سوء عند الشيخين من يوم قسم رسول الله ﷺ غنيمه هوازن، قال ذو الثدية للنبي ﷺ: لم أرك عدلت! أو: لم تعدل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله! فغضب رسول الله ﷺ وقال: «ويحك إذا لم يكن العدل عندي، فعند من يكون؟» فقال عمر: يا رسول الله ألا أقتله؟ قال: «لا، سيخرج من ضنئي هذا الرجل قوم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرميّة لا يجاوز إيمانهم تراقيهم». تاريخ أبي الفداء (١٤٨/١)، الإمتاع للمقرئزي (ص ٤٢٥).

- ٥ -

تهالك الخليفة في العبادة

لم يؤثر عن الخليفة دأب على العبادة على العهد النبويّ أو بعده غير أشياء لا تُنجم من أثبتها له إلا بعد تمحل متناول، أو تفلسف في القول لو أجدت الفلسفة على لا شيء.

روى المحب الطبري في الرياض النضرة^(١) (١٣٣/١): أن عمر بن الخطاب أتى إلى زوجة أبي بكر بعد موته، فسألها عن أعمال أبي بكر في بيته ما كانت، فأخبرته بقيامه في الليل وأعمال كان يعملها، ثم قالت: إلا إنه كان في كل ليلة جمعة يتوضأ ويصلي [العشاء]^(٢) ثم يجلس مستقبل القبلة رأسه على ركبتيه، فإذا كان وقت السحر رفع رأسه وتنفس الصعداء، فيشم في البيت روائح كبدي مشوي، فبكى عمر وقال: أتى لابن الخطاب بكبدي مشوي.

وفي مرآة الجنان (٦٨/١): جاء أن أبا بكر كان إذا تنفس يشم منه رائحة الكبد المشوية.

وفي عمدة التحقيق للعبدي المالكي^(٣) (ص ١٣٥): لما مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه واستخلف عمر رضي الله عنه كان يتبع آثار الصديق رضي الله عنه، ويتشبهه بفعله، فكان يتردد كل قليل إلى عائشة وأسماء رضي الله تعالى عنها ويقول لهما: ما كان يفعل الصديق إذا خلا بيته ليلاً؟ فيقال له: ما رأينا له كثير صلاة بالليل ولا قيام، إنما كان إذا جنه الليل يقوم عند السحر ويقعد القرفصاء، ويضع رأسه على ركبتيه ثم يرفعها إلى السماء ويتنفس الصعداء ويقول: أخ، فيطلع الدخان من فيه، فيبكي عمر ويقول: كل شيء يقدر عليه عمر إلا الدخان. فقال:

وأصل ذلك أن شدة خوفه من الله تعالى أوجبت احتراق قلبه، فكان جليسه يشم منه رائحة الكبد المشوي، وسببه أن الصديق لم يتحمل أسرار النبوة الملقاة إليه، وفي الحديث: «أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه»، فالمعرفة التامة تكشف عن جلال المعروف وجماله، وكلاهما أمر عظيم جداً، تتقطع دونه الغايات، ولولا أن الله تعالى

(١) الرياض النضرة: ١٦٨/١.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من المصدر.

(٣) عمدة التحقيق: ص ٢٣٠.

تَبَّتْ من أَرَادَ ثباته وقوّاه على ذلك، ما استطاع أحد الوقوف ذرّة على كليهما جلالاً وجمالاً، والغاية في الطرفين قد نالها الصديق عليه السلام، فقد ورد: ما صُبَّ في صدري شيء إلا صببته في صدر أبي بكر. ولو صبّه جبريل عليه السلام في صدر أبي بكر ما أطاقه، لعدم مجراه من المائل، لكن لما صبَّ في صدر النبي صلى الله عليه وآله وهو من جنس البشرية، فجرى في قناة مماثلة للصديق، فبواسطتها أطاق حمله، ومع ذلك احترق قلبه.

وروى الترمذي الحكيم في نوادر الأصول^(١) (ص ٣١ و ٢٦١)، عن بكر بن عبدالله المزني قال: لم يفضل أبو بكر عليه السلام الناس بكثرة صوم ولا صلاة، إنما فضلهم بشيء كان في قلبه. وذكر أبو محمد الأزدي في شرح مختصر صحيح البخاري (٤١/٢، ١٠٥ و ٩٨/٣ و ٦٣/٤)، والشعراني في اليواقيت والجواهر^(٢) (٢٢١/٢)، والياضي في مرآة الجنان (٦٨/١)، والصفوري في نزهة المجالس (١٨٣/٢): أن في الحديث: ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره.

قال الأميني: لو صحَّ حديث الكبد المشوي لوجب أطراده في الأنبياء والرسل ويقدمهم سيّد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله لأنهم أخوف من الله من أبي بكر وخاتم النبيين أخوفهم، ولوجب أن تكون الرائحة فيهم أشدَّ وأنشر، فإنَّ الخوف فرع الهيبة المسببة عن إحاطة العلم بما هناك من عظمة وقهر وجبروت ومنعة، وينبثنا عن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٣) قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزّتي وسلطاني. وقيل: عظّموه وقَدَّرُوا قدره، واخشوه حقَّ خشيته، ومن ازداد به علماً ازداد به خشية. تفسير الخازن^(٤) (٥٢٥/٣).

(١) نوادر الأصول: ٨٨/١ الأصل: ٢١ و ٩٨/٣ الأصل: ٢٢٠.

(٢) اليواقيت والجواهر: ٧٣/٢.

(٣) فاطر: ٢٨.

(٤) تفسير الخازن: ٤٩٩/٣.

وفي الحديث: «أعلمكم بالله أشدكم له خشية». تفسير ابن جرير (١٥٨/٣).

وفي خطبة له عليه السلام: «فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»^(١).

وفي خطبة أخرى له عليه السلام: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»^(٢).

وقال مولانا أمير المؤمنين: «أعلمكم أخوفكم». غرر الحكم للآمدي^(٣) (ص ٦٢). ٢٢١/٧

وقال مقاتل: أشد الناس خشية لله أعلمهم به. تفسير الخازن (٥٢٥/٣).

وقال الشعبي ومجاهد: إنما العالم من خشي الله^(٤).

وقال الربيع بن أنس: من لم يخش الله تعالى فليس بعالم^(٥).

ومن هنا قوله عليه السلام: «إني أعلمكم بالله وأخشاكم لله»^(٦) ولذلك تجد أن أزلف الناس إلى السلطان يتهيبه أكثر ممن دونه في الزلفة. فترى الوزير يكبره ويخافه أبلغ ممن هو أدنى منه، والأمر على هذه النسبة في رجال الوظائف، حتى تنتهي إلى أبسطها كالشرطي مثلاً، ثم إلى سائر أفراد الرعية.

وهلّم معي إلى الأولياء والمقربين والمتهاكين في الخشية من الله والمستفانين في

(١) صحيح مسلم [٥٠٨/٤ ح ١٢٧] كتاب المناقب - باب علمه بالله وشدة خشيته، تفسير الخازن: ٥٢٥/٣ [٤٩٩/٣]. (المؤلف)

(٢) صحيح البخاري [٢٣٧٩/٥ ح ٦١٢٠، ٦١٢١] كتاب الرقاق. باب لو تعلمون ما أعلم، مسند أحمد: ١٦٤/٦ [٢٣٦/٧ ح ٢٤٧٨٤]، تيسير الوصول: ٢٦/٢ [٣٣/٢]، تفسير الخازن: ٥٢٥/٣ [٤٩٩/٣]. (المؤلف)

(٣) غرر الحكم ودرر الكلمه: ص ٦٣ ح ٧٨٥.

(٤) و (٥) تفسير القرطبي: ٣٤٣/١٤ [٢١٩/١٤]، تفسير الخازن: ٥٢٥/٣ [٤٩٩/٣]. (المؤلف)

(٦) تفسير البيضاوي: ٣٠٢/٢ [٢٧٢/٢]، اللمع لأبي نصر: ص ٩٦ [ص ١٣٤]. (المؤلف)

العبادة وفي مقدمتهم سيدهم مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام الذي كان في حلك الظلام يتململ تلملم السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويتأوه ويتفوه بما ينم عن غاية الخوف والخشية، وهو قسيم الجنة والنار بنص من الرسول الأمين كما مرّ في الجزء الثالث (ص ٢٩٩)، وكان يُغشى عليه عدّة غشوات في كل ليلة، ولم يشم أحد منه ولا منهم رائحة الكبد المشوي.

ولو اطّرد ما يزعمونه لوجب تكيف الفضاء من لدن آدم إلى عهد الخليفة بتلك الرائحة المنتشرة من تلكم الأكباد المشوية، ولاسودّ وجه الدنيا بذلك الدخان المتصاعد من الأكباد المحترقة.

أيحسب راوي هذه المهزأة أنّ عليّ كبد المحتشي ناراً موقدة يعلوها ضرم، ويتولد منها دخان؟ فلمّ لم تُحرق ما في الحشا كلّه ويكون إنضاجها مقصوراً على الكبد فحسب؟ وهل للكبد حال المعذبين الذي كلّها نضجت جلودهم بدّلوا جلوداً أخرى؟ وإلا فالعادة قاضية بفناء الكبد بذلك الحريق المتواصل.

وإن تعجب فعجب بقاء الإنسان بعد فناء كبده، ولعلّك إذا أحفيت الراوي السؤال / عن هذه لأجابك بأنّها كلّها معاجز تخصّ بالخليفة.

٢٢٢/٧

وأحسب أنّ صاحب المزاعم من المتطفلين على موائد العربيّة؛ فإنّ العربيّ الصميم جدّ عليم بكثير الكناية والاستعارة في لغة الضاد، فإذا قالوا: إنّ نار الخوف أحرقت فلاناً لا يريدون لهياً متقدماً يصعد منه الدخان أو تشمّ منه رائحة شيء الأكباد، وإنما يعنون لهفةً شديدة، وحرقةً معنويّة تشبّه بالنيران.

وأما ما سرده العبيدي من فلسفة ذلك الحريق في كبد الخليفة فإنّها من الدعاوي الفارغة وفيها الغلوّ الفاحش، وإن شئت قلت: إنّها هي أوهام لم تقم لها حجة، وليس من السهل أن يدعمها برهنة يسكها عن الترحيح، فهي كالريشة في

مهبّ الريح تجاه حجاج المجادل، ووجه سيرة الخليفة نفسه، وما عزاه إلى الرواية من حديث خرافة: ما صبّ الله في صدري شيئاً إلا وصبته في صدر أبي بكر. فهو على تنصيب العلماء على وضعها كما مرّ في (٣١٦/٥) لا يلزم به الخصم، ولا يثبت به المدعى، وفيه من سرف القول ما لا يخفى على العارف بالرجال وتاريخهم.

- ٦ -

تبرز الخليفة في الأخلاق

لم نقف من أخلاقيات الخليفة على شيء يرفع الإنسان من هذه الناحية عدا ما ٢٢٣/٧ في صحيح البخاري في كتاب التفسير من طريق ابن أبي مليكة عن عبدالله بن الزبير قال: قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ قال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: أمر الأقرع بن حابس^(١). فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافاً، فتأرياً حتى ارتفعت أصواتها، فنزل في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

وأخرج البخاري من طريق ابن أبي مليكة أيضاً، قال: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتها عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر. قال نافع: لا أحفظ اسمه. فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافاً، فارتفعت أصواتها في ذلك، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ

(١) الأقرع بن حابس هو ذلك الأعرابي الذي رآه النبي ﷺ وهو يبول في المسجد، وقد أخرج حديثه البخاري في صحيحه [١٨٣٤/٤ ح ٤٥٦٦]، راجع إرشاد الساري: ٢٨٤/١ [٥٢٠/١].

(المؤلف)

أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴿ (٢٠١) .

قال الأميني: ألا تعجب من الرجلين أنهما طيلة مصاحبتهما هذا النبي العظيم ﷺ لم يحدهما التأثير بأخلاقه الكريمة إلى الحصول على أدب محاضرة العظماء والمثول بين أيديهم لا سيما هذا العظيم، العظيم خلقه بنصّ الذكر الحكيم، وما عرفا أن الكلام بين يديه لا بد أن يكون تخافتاً وهمساً إكباراً لمقامه وإعظاماً لمرتبته. وأن لا يتقدّم / أحد إليه بالكلام إلا أن يكون جواباً عن سؤال، أو ما ينم عن امتثال أمر، أو إخباراً عن مهمّة، أو سؤالاً عن حكم لكنها تقدّما بالكلام الخارج عن ذلك كله، وتمازياً واحتدم الحوار بينهما، وارتفعت أصواتهما في ذلك، وكاد الخيران أن يهلكا حتى جعلتا أعماهما في مظنة الإحباط، فنزلت الآية الكريمة .

وما أخرجه ابن عساكر^(٣) عن المقدم أنه قال: استتب عقيل بن أبي طالب وأبو بكر وكان أبو بكر سبّاباً. وكان ابن حجر استشعر من هذه الكلمة ما لا يروقه فقال: سبّاباً أو نساباً، لكن الرجل أنصف في التردد وقد جاء بعده السيوطي فحذف كلمة: سبّاباً وجعلها نساباً بلا تردد^(٤)، والمنقب يعلم أن لفظة (نساباً) لا صلة لها بقوله استتب بل المناسب كونه سبّاباً، وكان الراوي يريد بذلك أنه فاق عقيلاً بالسبّ لأنه كان ملكة له، وإن كان يسع المحور أن يقول بإرادة كونه نساباً أنه كان عارفاً بحلقات الأنساب ومواقع الغمز فيها، فكان إذا استتب يطعن مستابته في عرضه ونسبه، لكنّه لا يجدي المتمحل نفعاً فإنه من أشنع مصاديق السبّ، وفيه القذف وإشاعة الفحشاء.

(١) الحجرات: ٢.

(٢) صحيح البخاري: ٢٢٥/٧ [١٨٣٣/٤ ح ٤٥٦٤]، الاستيعاب في ترجمة التعقاع: ٥٣٥/٢ [القسم

الثالث/١٢٨٤ رقم ٢١٢٢]، تفسير القرطبي: ٣٠٠/١٦ [١٩٨/١٦]، ابن كثير: ٢٠٦/٤، تفسير

المازني: ١٧٢/٤ [١٦٤/٤]، الاصابة: ٥٨/١ [رقم ٢٣١]، ٢٤٠/٣ [رقم ٧١٢٨]. (المؤلف)

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ١١٠/٣٠ رقم ٣٣٩٨.

(٤) الصواعق: ص ٤٣ [ص ٧٢]، تاريخ الخلفاء: ص ٣٧ [ص ٥٠]. (المؤلف)

ويظهر من لفظ الحديث كما في الخصائص الكبرى^(١) (٨٦/٢)؛ أن السبب بين أبي بكر وعقيل كان بمحضر من رسول الله ﷺ، وكان ذلك في أخريات أيامه ﷺ .
ومن شواهد كونه سبباً - وسبب المسلم فسوق^(٢) - ما مرّ في صفحة (١٥٣) من قوله للسائل عن القدر: يابن اللخناء . وقوله لعمر: ثكلتك أمك وعدمتك يابن الخطاب، لما بلغه طلب الأنصار أن يولي عليهم رجلاً أقدم سنّاً من أسامة، فأخذ بلحيته فقال: استعمله رسول الله ﷺ وتأمري أن أنزعه^(٣) .

على أنه وهم في قوله هذا من ناحيتين:

إحدهما: أن الذي يجب أن لا يعزل من منصوبي رسول الله ﷺ هو الخليفة فحسب لا يتسرّب إليه الرأي والمقاييس، كما لا يتطرّقان إلى الأحكام والسنن المشرّعة؛ لأنه ﷺ نصبه يوم نصب بأمر من المولى / سبحانه رئيساً عالمياً مدى أمد حياته، كما أنه شرّعها أحكاماً عالمية مدى أمد الدهر، بخلاف أمراء الجنود والولاية والعمال فإنه ﷺ كان يوليهم الأمر لمصالح وقتية بعد الفراغ من تأهلهم للإمارة والولاية والعمل، وإذا انقضى ظرف المصلحة أو تبدلت بأخرى أو سلب التأهل من أحدهم كان يزحزحه من عمل إلى عمل، أو يسقطه عن الوظيفة نهائياً، أو إلى أمد تعود بعده إليه جدارته، وكذلك شأن الخليفة من بعده فإنه قائم مقامه ﷺ وله

(١) الخصائص الكبرى: ١٤٥/٢ .

(٢) مسند أحمد: ٤١١/١ [٦٧٩/١ ح ٣٨٩٣]، سنن ابن ماجه: ٤٦١/٢ [١٢٩٩/٢ - ١٣٠٠ ح ٣٩٣٩ - ٣٩٤١]، تاريخ الخطيب: ١٤٤/٥ [رقم ٢٥٧٧]، وصححه السيوطي في الجامع الصغير [٤٠/٢ - ٤١ ح ٤٦٣٣، ٤٦٣٤]، وقال النووي في رياض الصالحين: ص ٣٢٣ [ص ٥١٨ ح ١٥٦٢] متفق عليه. (المؤلف)

(٣) التمهيد للباقلاني: ص ١٩٣، تاريخ الطبري: ٢١٢/٣ [٢٢٦/٣ حوادث سنة ١١هـ]، تاريخ ابن عساکر: ١١٧/١ [٥٠/٢]، وفي مختصر تاريخ دمشق [١٧١/١]، الكامل لابن الاثير: ١٣٩/٢ [١٧/٢] حوادث سنة ١١هـ]، تاريخ ابي الفداء: ١٥٦/١، الروض الأنف: ٣٧٥/٢ [٥٨٣/٧]. (المؤلف)

النصب والنزع، والخفض والرفع، ولذلك أمر أبو بكر نفسه خالد بن سعيد عليّ مشارق الشام في الردّة، وكان قد استعمله النبي ﷺ عليّ ما بين زمع وزبيد إلى حدّ نجران أو عليّ صدقات مذحج ومات ﷺ وهو عليّ عمله.

واستعمل أبو بكر نفسه أيضاً يعلى بن أميّة عليّ حلوان، ثمّ عمل لعمر عليّ بعض اليمن، ثمّ استعمله عثمان عليّ صنعاء، وكان رسول الله ﷺ قد استعمله عليّ الجند وتوفيّ وهو عليّ عمله.

واستعمل أبو بكر عكرمة عليّ عمان ثمّ عزله واستعمل عليها حذيفة بن محصن وكان قد استعمل رسول الله ﷺ عمرو بن العاص عليّ عمان فمات رسول الله ﷺ وهو أميرها، واستعمل عكرمة عليّ صدقات هوازن عام وفاته.

واستعمل عمر عثمان بن أبي العاص عليّ عمان والبحرين سنة (١٥)، وكان قد استعمله النبي ﷺ عليّ الطائف وأقرّه أبو بكر بعد وفاته ﷺ.

واستعمل عمر عبدالله بن قيس أبا موسى الأشعري عليّ البصرة، ثمّ عزله عثمان وأقرّه عليّ الكوفة، ثمّ عزله عليّ عنها، وكان رسول الله ﷺ ولّاه مخاليف اليمن. وقال أبو الفداء في تاريخه (١٦٦/١): أقرّ عثمان ولاية عمر سنة؛ لأنّه كان أوصى بذلك ثمّ عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة، وولّاه سعد بن أبي وقاص ثمّ عزله، وولّى الكوفة الوليد بن عقبة وكان أخا عثمان من أمّه.

راجع^(١): تاريخ الطبري، والكامل لابن الأثير، والاستيعاب، وأسد الغابة، وتاريخ أبي الفداء، وتاريخ ابن كثير، والإصابة، وغيرها من كتب التاريخ ومعاجم التراجم.

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٢٤٤/٤ حوادث سنة ٢٤هـ، الكامل في التاريخ: ٢٢٩/٢ حوادث سنة ٢٤هـ، الاستيعاب: القسم الثاني/٦٤٠ رقم ٩٦٣، أسد الغابة: ٤٥٢/٥ رقم ٥٤٦٨، البداية والنهاية: ١٦٨/٧ حوادث سنة ٢٤هـ، الإصابة: ٣٤/٢ رقم ٣١٩٤.

وكم وكم هؤلاء الولاة المذكورين من نظير، فليس أسامة بيدع من هؤلاء، وإنما هو كأحدهم، له ما لهم وعليه ما عليهم.

٢٢٦/٧ فاقْتَصَارُ الْخَلِيفَةِ فِي الْحِجَاجِ بِنَصْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُسَامَةَ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ، إِلَّا أَنْ يَقْتَدَهُ بِأَنْ مَا ارْتَأَاهُ ﷺ مِنَ الْمَصْلُحَةِ يَوْمَ ذَلِكَ بَاقِيَةٌ بَعْدَ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى أَيٍّْ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ الَّذِينَ ارْتَكَبَهَا.

الناحية الثانية: أن طلبه الأنصار هذه متخذه عن عمل الخليفة نفسه وصاحبيه، حيث قدماه يوم السقيفة بكر سنه وشيبتة كما مر في صفحة (٩١، ٩٢) فلا غضاضة على الأنصار إذن أن يتحرروا للإمارة عليهم من هو أقدم سنأ من أسامة تأسيساً بالخلافة.

وإذا كان تولية الرسول ﷺ أسامة للقيادة مانعة عن نزعه فما بال منصوبه ﷺ للخلافة يوم غدیر خم بمشهد من مئة ألف أو يزيدون، وفي مواقف أخرى متكررة يعزل عن الأمر؟ ولا منكر يصاح إليه، ولا وازع يسمع منه، هب أن قيساً أخذ بلحية عمر يوم ذاك كما أخذ بها أبو بكر يوم أسامة، واحتج آخرون لأمير المؤمنين ﷺ واحتدم الحوار، لكن: لا رأي لمن لا يطاع.

نعم، أخرج ابن حبان^(١) في خلق الخليفة من طريق إسماعيل بن محمد الكذاب الوضاع مرفوعاً عن جبرئيل أنه قال: أبو بكر لقي السماء أشهر منه في الأرض، فإن الملائكة لتسميه حلیم قريش. انتهى. وقد أسلفناه في الجزء الخامس (ص ٣٤٤) وبيننا هناك بأنه كذب موضوع.

ولو كان الخليفة حلیم قريش أو كان يرث النبي الأعظم شيئاً في خلقه العظيم؛ لما توقيت بضعته الطاهرة سلام الله عليها وهي واجدة عليه من جرأ ما تلقت منه من

(١) كتاب المجرحين: ١٣١/١.

غلظة وعنف في كشف بيتها الذي تمنى تركه عند وفاته ولم يكن يأمر بقتال من فيه^(١)، إلى هتات وهنات.

أخرج البخاري في باب فرض الخمس^(٢) (٥/٥)، عن عائشة: أن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها، ما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: لا تُورث، ما تركنا صدقة. فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت.

وأخرج في الغزوات باب غزوة خيبر^(٣) (١٩٦/٦)، عن عائشة قالت: إن فاطمة ... إلى أن قالت: فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها عليّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها.

ويوجد الحديث^(٤) في صحيح مسلم (٧٢/٢)، مسند أحمد (٦/١، ٩)، تاريخ الطبري (٢٠٢/٣)، مشكل الآثار للطحاوي (٤٨/١)، سنن البيهقي (٣٠٠/٦، ٣٠١)، كفاية الطالب (ص ٢٢٦)، تاريخ ابن كثير (٢٨٥/٥). وقال في (٣٢٣/٦): لم تزل فاطمة تبغضه مدة حياتها، وذكره بلفظ الصحيحين الديار بكرى في تاريخ الخميس (١٩٣/٢).

ولأيّ الأمور تُدفن ليلاً بضعة المصطفى ويُعفى ثراها

(١) راجع صفحة: ٧٧ و ١٧٤. (المؤلف)

(٢) صحيح البخاري: ١١٢٦/٣ ح ٢٩٢٦.

(٣) صحيح البخاري: ١٥٤٩/٤ ح ٣٩٩٨.

(٤) صحيح مسلم: ٢٩/٤ ح ٥٢، مسند أحمد: ١٣/١ ح ٢٦، و ص ١٨ ح ٥٦، تاريخ الأمم والملوك:

٢٠٨/٣ حوادث سنة ١١ هـ، كفاية الطالب: ص ٣٧٠، البداية والنهاية: ٢٠٦/٥ حوادث سنة ١١ هـ

و ٣٦٦/٦ حوادث سنة ١١ هـ.

بلغت من موجدتها أنها أوصت بأن تُدفن ليلاً، وأن لا يدخل عليها أحد، ولا يصلي عليها أبو بكر، فدفنت ليلاً ولم يشعر بها أبو بكر، وصلى عليها عليّ وهو الذي غسلها مع أسماء بنت عميس^(١).

وقال الواقدي كما في السيرة الحلبية^(٢) (٣/٣٩٠): ثبت عندنا أن علياً - كرم الله وجهه - دفنها ﷺ ليلاً، وصلى عليها ومعها العباس والفضل، ولم يعلموا بها أحداً.

وقال ابن حجر في الإصابة (٤/٣٧٩)، والزرقاني في شرح المواهب (٣/٢٠٧): روى الواقدي من طريق الشعبي قال: صلى أبو بكر على فاطمة. وهذا فيه ضعف وانقطاع، وقد روى بعض المتروكين عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه نحوه ووهاه الدارقطني وابن عدي^(٣)، وقد روى البخاري عن عائشة: أنها لما توفيت دفنها زوجها عليّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبابكر، وصلى عليها.

قال الأميني: حديث مالك عن جعفر بن محمد أسلفناه في الجزء الخامس صحيفة (٣٥٠) ولفظه: توفيت فاطمة ليلاً، فجاء أبو بكر وعمر وجماعة كثيرة، فقال أبو بكر لعليّ: / تقدّم فصل. قال: لا والله لا تقدّمت وأنت خليفة رسول الله ﷺ، فتقدّم أبو بكر فصلّي أربعاً. وقد بينا هنالك أنه من موضوعات عبد الله بن محمد القدامي المصيصي كما عدّه الذهبي في الميزان^(٤) (٧/٢) من مصائبه.

(١) طبقات ابن سعد: ٢٩/٨ - ٣٠، رسائل الجاحظ: ص ٣٠٠ [ص ٤٦٧ الرسائل السياسية]، حلية الأولياء: ٤٣/٢، مستدرک الحاكم: ١٦٣/٣ [١٧٨/٣ - ١٧٩ ح ٤٧٦٤ و ٤٧٦٩]، طرح التثريب: ١٥٠/٨، أسد الغابة: ٢٥٤/٥ [٢٢٦/٧ رقم ٧١٧٥]، الاستيعاب: ٧٥١/٢ [القسم الرابع/ ١٨٩٧ - ١٨٩٨ رقم ٤٠٥٧]، مقتل الخوارزمي: ٨٣/١، إرشاد الساري للقسطلاني: ٣٦٢/٦ [٢٧٩/٨]، الإصابة: ٣٧٨/٤، ٣٨٠ [رقم ٨٣٠]، تاريخ الخميس: ٣١٣/١ [٢٧٧/١ - ٢٧٨]. (المؤلف)

(٢) السيرة الحلبية: ٣/٣٦١ و ٣٦٢.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال: ٢٥٨/٤ رقم ١٠٩٢.

(٤) ميزان الاعتدال: ٤٨٨/٢ رقم ٤٥٤٤.

ومن جرّاء تلك الموجدة منعت عن أن تدخلها يوم ذاك عائشة كريمة أبي بكر فضلاً عن أبيها، فجاءت تدخل فمنعتها أسماء فقالت: لا تدخلني. فشكت إلى أبي بكر وقالت: هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله ﷺ، فوقف أبو بكر على الباب وقال: يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبي ﷺ أن يدخلن عليّ بنت رسول الله ﷺ، وقد صنعت لها هودج العروس؟ قالت: هي أمرتني أن لا أدخل عليها أحد، وأمرتني أن أصنع لها ذلك.

راجع^(١): الاستيعاب (٧٧٢/٢)، ذخائر العقبى (ص ٥٣)، أسد الغابة (٥٢٤/٥)، تاريخ الخميس (٣١٣/١)، كنز العمال (١١٤/٧)، شرح صحيح مسلم للسبكي (٢٨١/٦)، شرح الأبي لمسلم (٢٨٢/٦)، أعلام النساء (١٢٢١/٣).



إعتذار الخليفة إلى الصديقة:

هذه المذكورات كلّها وبعض سواها تكذب ما اختلقته رماة القول على عواهنه من رواية الشعبي أنّه قال: جاء أبو بكر إلى فاطمة وقد أشتدّ مرضها فاستأذن عليها فقال لها عليّ: هذا أبو بكر على الباب يستأذن فإن شئت أن تأذني له؟ قالت: أوذاك أحبّ إليك؟ قال: نعم. فدخل فاعتذر إليها وكلمها فرضيت عنه.

وعن الأوزاعي قال: بلغني أنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ غضبت على أبي بكر فخرج أبو بكر حتى قال عليّ بابها في يوم حارّ، ثمّ قال: لا أبرح مكاني حتى ترضى عني بنت رسول الله ﷺ فدخل عليها عليّ فأقسم عليها لترضى، فرضيت^(٢).

(١) الاستيعاب: القسم الرابع/ ١٨٩٧ - ١٨٩٨ رقم ٤٠٥٧، أسد الغابة: ٢٢٦/٧ رقم ٧١٧٥، تاريخ الخميس: ٢٧٧/١، كنز العمال: ٦٨٦/١٣ ح ٣٧٧٥٦، أعلام النساء: ١٣١/٤.

(٢) الرياض النضرة: ١٢٠/٢ [١٥٢/١]، تاريخ ابن كثير: ٢٨٩/٥ [٣١٠/٥] حوادث سنة ٨١١هـ.

ما قيمة هذه الرواية تجاه تلكم الصحاح؟ ولا يوجد لها أثر في أي أصل من أصول الحديث ومسانيد الحفاظ، وقد بلغت إلى الأوزاعي المتوفى (١٥٧) وأرسل بها الشعبي المتوفى (١٠٤، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠) ولا يعرف من بلغها، ومن أتى بها، ومن أوحاها إلى الرجلين.

نعم؛ تساعد نصوص الصحاح ما أتى به ابن قتيبة والجاحظ؛ قال الأول: إن عمر قال لأبي بكر رضي الله عنه: انطلق بنا إلى فاطمة، فإننا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا علياً فكلما، فأدخلها عليها، فلما قعدا عندهما حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلمها عليها، فلم تردّ عليها السلام، فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله والله إن قرابة رسول الله أحب إليّ من قرابتي، وإنك لأحب إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني متّ ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وامنعك حقك وميراثك من رسول الله؟ إلا أني سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول: لا نورث، ما تركنا فهو صدقة. فقالت: «أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟» فقالا: نعم: فقالت: «نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول: رضا فاطمة من رضي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟» قالا: نعم سمعناه من رسول الله ﷺ. قالت: «فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتاني وما أرضيتاني، ولئن لقيت النبي لأشكوّنكما إليه». فقال أبو بكر: أنا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة. ثمّ انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: «والله لأدعونّ عليك في كلّ صلاة أصليها»، ثمّ خرج باكياً فاجتمع الناس إليه، فقال لهم: يبيت كلّ رجل [منكم]^(١) معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا

(١) ما بين المعرفين أثبتاه من المصدر.

فيه ، لا حاجة لي في بيعتكم ، أقيلوني بيعتي ^(١) .

وقال الجاحظ في رسائله ^(٢) (ص ٣٠٠) : وقد زعم أناس أن الدليل على صدق خبرهما - يعني أبابكر وعمر - في منع الميراث وبراءة ساحتها ترك أصحاب رسول الله ﷺ النكير عليهما .. قد يقال لهم : لئن كان ترك النكير دليلاً على صدقها ، إن ترك النكير على المتظلمين والمحتجين عليها والمطالبين لها دليل على صدق دعواهم ، أو استحسان مقالتهم ، ولا سيما وقد طالت المناجاة وكثرت المراجعة والملاحاة ، وظهرت الشكوى ، واشتدت الموجدة ، وقد بلغ ذلك من فاطمة أنها أوصت أن لا يصلي عليها أبو بكر . ولقد كانت قالت له حين آتته مطالبة بحقها ومحتجة لرهطها : « من يرثك يا أبابكر إذا مت ؟ » قال : / أهلي وولدي . قالت : « فما بالناس لا يرث النبي ﷺ ؟ » ^(٣) فلما منعها ميراثها ، وبخسها حقها واعتل عليها ، وجلح أمرها ، وعابنت التهضم ، وأيست في التورع ، ووجدت نشوة الضعف وقلة الناصر ، قالت : « والله لأدعون الله عليك » . قال : « والله لأدعون الله لك » . قالت : « والله لا كلمتك أبداً » قال : « والله لا أهجرك أبداً . فإن يكن ترك النكير على أبي بكر دليلاً على صواب منعها ، فإن في ترك النكير على فاطمة دليلاً على صواب طلبها ؟ وأدنى ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها ما جهلت ، وتذكيرها ما نسيت ، وصرافها عن الخطأ ، ورفع قدرها عن البذاء ، وأن تقول هجراً ، وتجوّر عادلاً ، أو تقطع واصلاً ، فإذا لم تجدهم أنكروا على الخصمين جميعاً فقد تكافأت الأمور واستوت الأسباب ، والرجوع إلى أصل حكم الله في المواريث أولى بنا وبكم ، وأوجب علينا وعليكم .

فإن قالوا : كيف تظنّ به ظلمها والتعدي عليها ، وكلّما ازدادت عليه غلظة ازداد

(١) الإمامة والسياسة : ١٤/١ [٢٠/١] ، أعلام النساء : ٢١٤/٣ [١٢٣/٤ - ١٢٤] . (المؤلف)

(٢) رسائل الجاحظ [ص ٤٦٧/الرسائل السياسية] .

(٣) هذا الحديث أخرجه أحمد في المسند : ١٠/١ [١٩/١ ح ٦١] ، والبلاذري في فتوح البلدان : ص ٣٨

[ص ٤٤] ، وابن كثير في تاريخه : ٢٨٩/٥ [٣٠٩/٥ حوادث سنة ١١هـ] . (المؤلف)

ها ليناً ورقّة؟ حيث تقول له: « والله لا أكلمك أبداً » فيقول: والله لا أهجرِك أبداً. ثمّ تقول: « والله لأدعون الله عليك ». فيقول: والله لأدعون الله لك. ثمّ يتحمّل منها هذا الكلام الغليظ والقول الشديد في دار الخلافة وبحضرة قريش والصحابة مع حاجة الخلافة إلى البهاء والتنزيه وما يجب لها من الرفعة والهيبة، ثمّ لم ينعه ذلك عن أن قال معتذراً متقرباً كلام المعظم لحقّها، المكبر لمقامها، الصائن لوجهها، المتحنّن عليها: ما أحد أعزّ عليّ منك فقراً، ولا أحبّ إليّ منك غنى، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نُورث ما تركناه فهو صدقة.

قيل لهم: ليس ذلك بدليل على البراءة من الظلم والسلامة من الجور، وقد يبلغ من مكر الظالم ودهاء الماكر إذا كان أريباً وللخصومة معتاداً أن يظهر كلام المظلوم، وذلة المنتصف، وحذب الوامق، ومقت المحق. وكيف جعلتم ترك النكير حجة قاطعة ودلالة واضحة؟ وقد زعمتم أن عمر قال على منبره: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ: متعة النساء ومتعة الحج، أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما^(١)، فما وجدتم / أحداً أنكر قوله، ولا استشنع مخرج نبيه، ولا خطأه في معناه، ولا تعجّب منه ولا استفهمه.

وكيف تقضون بترك النكير؟ وقد شهد عمر يوم السقيفة وبعد ذلك أن النبي ﷺ قال: « الأئمة من قريش »^(٢) ثمّ قال في شكايته: لو كان سالم حياً ما تخالجتني فيه الشك^(٣)، حين أظهر الشك في استحقاق كلّ واحد من الستة الذين

(١) راجع الجزء السادس من كتابنا هذا: ص ٢١١. (المؤلف)

(٢) أخرجه غير واحد من الحفاظ وصحّحه ابن حزم في الفصل: ٨٩/٤ فقال: هذه رواية جاءت مجيء التواتر، ورواها أنس بن مالك وعبدالله بن عمر ومعاوية، وروى جابر بن عبدالله وجابر بن سمرة وعبادة بن الصامت معناها، وبما يدلّ على صحة ذلك إذعان الأنصار له يوم السقيفة. (المؤلف)

(٣) أخرجه ابن سعد [في الطبقات الكبرى: ٣/٣٤٣]، والباقلاني [في التمهيد: ص ٢٠٤]، وأبو عمر [في الاستيعاب: القسم الثاني/٥٦٨ رقم ٨٨١]، والحافظ العراقي [في طرح التثريب: ٤٩/١] كما مرّ: ص ١٤٤. (المؤلف)

جعلهم شورى وسالم عبد لامرأة من الأنصار وهي أعتقته وحازت ميراثه، ثم لم ينكر ذلك من قوله منكر، ولا قابل إنسان بين قوله ولا تعجب منه، وإنما يكون ترك النكير على من لا رغبة ولا رهبة عنده دليلاً على صدق قوله وصواب عمله، فأما ترك النكير على من يملك الضعة والرفعة والأمر والنهي والقتل والاستحياء والحبس والإطلاق فليس بحجة تشفي ولا دلالة تضيء. انتهت كلمة الجاحظ.

نظرة في كلمة قارصة :

لا يسعنا أن نفوه في الدفاع عن الخليفة بما قال ابن كثير في تاريخه^(١) (٢٤٩/٥) من أن فاطمة حصل لها - وهي امرأة من البشر ليست بواجبة العصمة - عتب وتفضب، ولم تكلم الصديق حتى مات. وقال في (ص ٢٨٩): وهي امرأة من بنات آدم تأسف كما يأسفون، وليست بواجبة العصمة، مع وجود نص رسول الله ﷺ ومخالفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. مركز تحقيق كتب ميراث علوم رسول

أني لنا السرف والمجازفة في القول بمثل هذا تجاه آية التطهير في كتاب الله العزيز النازلة فيها وفي أبيها وبعليها وبنيتها؟

أني لنا بذلك وبين يدينا هتاف النبي الأقدس ﷺ: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني».

وفي لفظة: «فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها، ويغضبني ما أغضبها».

وفي لفظة: «فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها».

وفي لفظة: «فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها، وينصبني ما أنصبها» في تاج

العروس^(٢): أي يتعيني ما أتعبها.

(١) البداية والنهاية: ٢٧٠/٥، ٣١٠ حوادث سنة ١١هـ.

(٢) تاج العروس: ٤٨٥/١.

وفي لفظة: «فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها».

وفي لفظة: «فاطمة بضعة مني يسعني ما يسعها»، في تاج العروس^(١): أي ينالني ما ينالها، ويلمّ بي ما يلّم بها.

وفي لفظة: «فاطمة شجنة مني يبسطني ما يبسطها، ويقبضني ما يقبضها».

وفي لفظة: «فاطمة مضغة مني فمن آذاها فقد آذاني».

وفي لفظة: «فاطمة مضغة مني يقبضني ما قبضها، ويبسطني ما بسطها».

وفي لفظة: «فاطمة مضغة مني يسرّني ما يسرّها».

أخرجها على اختلاف ألفاظها أئمة الصحاح الستة، وعدة أخرى من رجال الحديث في السنن والمسانيد والمعاجم، وإليك جملة ممن رواها:

١ - ابن أبي مليكة: المتوفى (١١٧)، كما في رواية البخاري ومسلم وابن ماجه وأبي داود وأحمد والحاكم^(٢).
مركز تقيتكم في تيز علوم رسدي

٢ - عمرو بن دينار المكي: المتوفى (١٢٥، ١٢٦) كما في صحيح البخاري ومسلم^(٣).

٣ - الليث بن سعد المصري: المتوفى (١٧٥)، كما في إسناد ابن ماجه وأبي داود وأحمد^(٤).

(١) تاج العروس: ١٣٩/٦.

(٢) صحيح البخاري: ١٣٧٤/٣ ح ٣٥٥٦، صحيح مسلم: ٥٣/٥ - ٥٤ ح ٩٣، ٩٤ كتاب فضائل الصحابة، سنن ابن ماجه: ٦٤٣/١ - ٦٤٤ ح ١٩٩٨، سنن أبي داود: ٢٢٦/٢ ح ٢٠٧١، مسند أحمد: ٤٣٠/٥ ح ١٨٤٤٧، مستدرک الحاكم: ١٧٣/٣ ح ٤٧٥١.

(٣) صحيح البخاري: ١٣٧٤/٣ ح ٣٥٥٦، صحيح مسلم: ٥٤/٥ ح ٩٤ كتاب فضائل الصحابة.

(٤) سنن ابن ماجه: ٦٤٣/١ ح ١٩٩٨، سنن أبي داود: ٢٢٦/٢ ح ٢٠٧١، مسند أحمد: ٤٣٠/٥ ح ١٨٤٤٧

- ٤ - أبو محمد بن عيينة الكوفي: المتوفى (١٩٨)، كما في الصحيحين^(١).
- ٥ - أبو النضر هاشم البغدادي: المتوفى (٢٠٥، ٢٠٧) كما في مسند أحمد^(٢).
- ٦ - أحمد بن يونس اليربوعي: المتوفى (٢٢٧)، كما في صحيح مسلم وسنن أبي داود^(٣).
- ٧ - الحافظ أبو الوليد الطيالسي: المتوفى (٢٢٧)، كما في صحيح البخاري^(٤).
- ٨ - أبو المعمر الهذلي: المتوفى (٢٣٦) كما في صحيح مسلم^(٥).
- ٩ - قتيبة بن سعيد التقي: المتوفى (٢٤٠)، روى عنه مسلم وأبو داود^(٦).
- ١٠ - عيسى بن حماد المصري: المتوفى (٢٤٨، ٢٤٩)، روى عنه ابن ماجه^(٧).
- ١١ - إمام الحنابلة أحمد: المتوفى (٢٤١) في مسنده^(٨) (٣٢٣/٤، ٣٢٨).
- ١٢ - الحافظ البخاري أبو عبدالله: المتوفى (٢٥٦)، في صحيحه في المناقب^(٩) (٢٧٤/٥).
- ١٣ - الحافظ مسلم القشيري: المتوفى (٢٦١)، في صحيحه في الفضائل^(١٠) (٢٦١/٢).

٢٢٣/٧

مركز تحقيق وتصحيح علوم إسلامية

(١) صحيح مسلم: ٥٤/٥ ح ٩٤ كتاب فضائل الصحابة، صحيح البخاري: ١٣٧٤/٣ ح ٣٥٥٦.
(٢) مسند أحمد: ٤٣٠/٥ ح ١٨٤٤٧.
(٣) صحيح مسلم: ٥٣/٥ ح ٩٣ كتاب فضائل الصحابة، وسنن أبي داود: ٢٢٦/٢ ح ٢٠٧١.
(٤) صحيح البخاري: ١٣٧٤/٣ ح ٣٥٥٦.
(٥) صحيح مسلم: ٥٤/٥ ح ٩٤ كتاب فضائل الصحابة.
(٦) المصدر السابق: ٥٣/٥ ح ٩٣ كتاب فضائل الصحابة، سنن أبي داود: ٢٢٦/٢ ح ٢٠٧١.
(٧) سنن ابن ماجه: ٦٤٣/١ ح ١٩٩٨.
(٨) مسند أحمد: ٤٢٣/٥ ح ١٨٤٢٨، وص ٤٣٠ ح ١٨٤٤٧.
(٩) صحيح البخاري: ١٣٧٤/٣ ح ٣٥٥٦.
(١٠) صحيح مسلم: ٥٣/٥ ح ٩٣، ٩٤ كتاب فضائل الصحابة.

- ١٤ - الحافظ أبو عبدالله بن ماجه: المتوفى (٢٧٢)، في سننه^(١) (٢١٦/١).
- ١٥ - الحافظ أبو داود السجستاني: المتوفى (٢٧٥)، في سننه^(٢) (٣٢٤/١).
- ١٦ - الحافظ أبو عيسى الترمذي: المتوفى (٢٧٩)، في جامعه^(٣) (٣١٩/٢).
- ١٧ - الحكيم أبو عبد الله الترمذي، المحدث: المتوفى (٢٨٥)، في نوادر الأصول^(٤) (٣٠٨).
- ١٨ - الحافظ أبو عبدالرحمن النسائي: المتوفى (٣٠٣)، في خصائصه^(٥) (ص ٣٥).
- ١٩ - أبو الفرج الأصبهاني: المتوفى (٣٥٦)، في الأغاني^(٦) (١٥٦/٨).
- ٢٠ - الحاكم أبو عبدالله النيسابوري: المتوفى (٤٠٥)، في المستدرک^(٧) (١٥٤/٣)، (١٥٨، ١٥٩).
- ٢١ - الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: المتوفى (٤٣٠)، في حلية الأولياء (٤٠/٢).
- ٢٢ - الحافظ أبو بكر البيهقي: المتوفى (٤٥٨)، في السنن الكبرى (٣٠٧/٧).
- ٢٣ - أبو زكريا الخطيب التبريزي: المتوفى (٥٠٢)، في مشكاة المصابيح^(٨) (ص ٥٦٠).

(١) سنن ابن ماجه: ٦٤٣/١ ح ١٩٩٨.

(٢) سنن أبي داود: ٢٢٦/٢ ح ٢٠٧١.

(٣) سنن الترمذي: ٦٥٥/٥ ح ٢٨٦٧ و ٦٥٦ ح ٢٨٦٩.

(٤) نوادر الأصول: ١٨٧/٢ الأصل ٢٤١.

(٥) السنن الكبرى: ١٤٧/٥ ح ٨٥١٨ - ٨٥٢٢ كتاب الخصائص.

(٦) الأغاني: ٣٠١/٩.

(٧) المستدرک على الصحيحين: ١٦٨/٣ ح ٤٧٣٤، ص ١٧٢ ح ٤٧٤٧، ص ١٧٣ ح ٤٧٤٩ -

١٧٥١.

(٨) مشكاة المصابيح: ٣٦٩/٣ ح ٦١٣٩.

٢٤ - المحافظ أبو القاسم البغوي: المتوفى (٥١٠، ٥١٦)، في مصابيح السنة^(١)
(٢٧٨/٢).

٢٥ - القاضي أبو الفضل عياض: المتوفى (٥٤٤)، في الشفا^(٢) (١٩/٢).

٢٦ - أخطب الخطباء الخوارزمي: المتوفى (٥٦٨)، في مقتله (٥٣/١).

٢٧ - المحافظ أبو القاسم ابن عساكر: المتوفى (٥٧١)، في تاريخه^(٣) (٢٩٨/١).

٢٨ - أبو القاسم السهيلي: المتوفى (٥٨١)، في الروض الأنف^(٤) (١٩٦/٢).

وقال: إنَّ أبا لبابة رفاعه بن عبد المنذر ربط نفسه في توبته، وإنَّ فاطمة أرادت حلّه حين نزلت توبته فقال: قد أقسمت ألاَّ يحلّني إلَّا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ فاطمة مضغة مني». فصلى الله عليه وعلى فاطمة، فهذا حديث يدلُّ على أنَّ من سبها فقد كفر، ومن صلى عليها فقد صلى على أبيها ﷺ.

٢٩ - ابن أبي الحديد المعتزلي: المتوفى (٥٨٦)، في شرح النهج^(٥) (٤٥٨/٢).

٣٠ - أبو الفرج ابن الجوزي المتوفى (٥٩٧)، في صفة الصفوة^(٦) (٥/٢).

٣١ - المحافظ أبو الحسن ابن الأثير الجزري: المتوفى (٦٣٠)، في أسد الغابة^(٧)

(٥٢١/٥).

٣٢ - أبو سالم بن طلحة الشافعي: المتوفى (٦٥٢)، في مطالب السؤول (ص ٦ - ٧).

٢٣٤/٧

(١) مصابيح السنة: ١٨٥/٤ ح ٤٧٩٩.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٦٠/٢، ٥٦٠، ٦٥٢.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ١٥٦/١، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٢٦٩/٢.

(٤) الروض الأنف: ٤٣٠/٢.

(٥) شرح نهج البلاغة: ١٩٣/٩ خطبة ١٥٦.

(٦) صفة الصفوة: ١٣/٢ رقم ٧١٧٥.

(٧) أسد الغابة: ٢٢٢/٧ رقم ٧١٧٥.

- ٣٣ - سبط ابن الجوزي الحنفي: المتوفى (٦٥٤)، في التذكرة^(١) (ص ١٧٥).
- ٣٤ - المحافظ الكنجي الشافعي: المتوفى (٦٥٨)، في الكفاية^(٢) (ص ٢٢٠).
- ٣٥ - المحافظ محب الدين الطبري: المتوفى (٦٩٤)، في ذخائر العقبي (ص ٣٧).
- ٣٦ - المحافظ أبي محمد الأزدي الأندلسي: المتوفى (٦٩٩)، في شرح مختصر صحيح البخاري (٩١/٣).
- ٣٧ - المحافظ الذهبي الشافعي: المتوفى (٧٤٧)، في تلخيص المستدرک^(٣).
- ٣٨ - القاضي الإيجي: المتوفى (٧٥٦)، في المواقف كما في شرحه^(٤) (٢٦٨/٣).
- ٣٩ - جمال الدين محمد الزرندي الحنفي: المتوفى في (بضع و ٧٥٠)، في درر السمطين^(٥).
- ٤٠ - أبو السعادات اليافعي: المتوفى (٧٦٨)، في مرآة الجنان (٦١/١).
- ٤١ - المحافظ زين الدين العراقي: المتوفى (٨٠٦)، في طرح التثريب (١٥٠/١).
- ٤٢ - المحافظ نور الدين الهيتمي: المتوفى (٨٠٧)، في مجمع الزوائد (٢٠٣/٩).
- ٤٣ - المحافظ ابن حجر العسقلاني: المتوفى (٨٥٢)، في تهذيب التهذيب^(٦) (٤٤١/١٢).
- ٤٤ - المحافظ جلال الدين السيوطي: المتوفى (٩١١)، في الجامع الصغير والكبير^(٧).

(١) تذكرة الخواص: ص ٣١٠.

(٢) كفاية الطالب: ص ٣٦٥.

(٣) تلخيص المستدرک: ١٧٢/٣ ح ٤٧٤٧.

(٤) المواقف: ص ٤٠٢ وشرح المواقف للجرجاني: ٣٥٥/٨.

(٥) نظم درر السمطين: ص ١٧٦.

(٦) تهذيب التهذيب: ٤٦٩/١٢.

(٧) جامع الأحاديث: ٢٥٨/٥ ح ١٤٧٢٤ و ١٤٧٢٥.

٤٥ - المحافظ أبو العباس القسطلاني: المتوفى (٩٢٣)، في المواهب اللدنية^(١)
. (٢٥٧/١).

٤٦ - القاضي الديار بكري المالكي: المتوفى (٩٦٦، ٩٨٢)، في الخميس^(٢)
. (٤٦٤/١).

٤٧ - ابن حجر الهيتمي: المتوفى (٩٧٤)، في الصواعق^(٣) (ص ١١٢، ١١٤).

٤٨ - صفي الدين الخزرجي: المتوفى [بعد ٩٢٣]، في الخلاصة^(٤) (ص ٤٣٥).

٤٩ - زين الدين المناوي: المتوفى (١٠٣١)، في كنوز الحقائق^(٥)
. (ص ٩٦).

وقال في شرح الجامع الصغير (٤/٤٢١): استدللّ به السهيلي على أنّ من سبّها كفر، لأنّه يفضيه، وأنها أفضل من الشيخين، قال الشريف السهودي: ومعلوم أنّ أولادها بضعة منها فيكونون بواسطتها بضعة منه، ومن ثمّ لما رأت أمّ الفضل في النوم أنّ بضعة منه وضعت في حجرها أوّلها رسول الله ﷺ بأن تلد فاطمة غلاماً فيوضع في حجرها، فولدت الحسن فوضع في حجرها، فكلّ من يشاهد الآن من ذريتها بضعة من تلك البضعة، وإن تعدّدت الوسائط، ومن تأمل ذلك انبعث من قلبه داعي الإجلال لهم وتجنّب بغضهم على أيّ حال كانوا عليه.

٢٣٥/٧

قال ابن حجر: وفيه تحريم أذى من يتأذى المصطفى ﷺ بتأذيه، فكلّ من وقع منه في حقّ فاطمة شيء فتأذت به، فالنبي ﷺ يتأذى به بشهادة هذا الخبر،

(١) المواهب اللدنية: ٦٥/٢.

(٢) تاريخ الخميس: ٤١٢/١.

(٣) الصواعق المحرقة: ص ١٨٨، ١٩٠.

(٤) خلاصة الخزرجي: ٣٨٩/٢ رقم ١٢٢.

(٥) كنوز الحقائق: ٢٤/٢.

ولا شيء أعظم من إدخال الأذى عليها من قبل ولدها، ولهذا عرف بالاستقراء
معالجة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشدّ.

٥٠ - الشيخ أحمد المغربي المالكي: المتوفى (١٠٤١) في فتح المتعال^(١)

(ص ٢٨٥). قال في قصيدة كبيرة يمدح بها رسول الله ﷺ:

فما كسبطني رسول الله من أحدٍ ولا يضاھيها في الفخر مفتخرٌ
وهل كفاطمة الزهراء أمهما بنت النبي المصطفى بشرٌ
فإنها بضعة منه وما أحدٌ كبضعة المصطفى إن حُقق النظرُ

٥١ - الشيخ أحمد باكثير المكي الشافعي: المتوفى (١٠٤٧) في وسيلة المآل^(٢).

٥٢ - أبو عبدالله الزرقاني المالكي: المتوفى (١١٢٢) في شرح المواهب (٢٠٥/٣)

فقال: استدلّ به السهيلي على أنّ من سبها كفر، وتوجيه أنها تفضب بمن سبها وقد
سوى بين غضبها وغضبه ومن أغضبه كفر. *بترجمه سدي*

٥٣ - الزبيدي الحنفي: المتوفى (١٢٠٥)، في تاج العروس (٢٢٧/٥ و ١٣٩/٦).

٥٤ - القندوزي الحنفي: المتوفى (١٢٩٣)، في ينابيع المودة^(٣) (ص ١٧١).

٥٥ - الحمزاوي المالكي: المتوفى (١٣٠٣)، في النور الساري هامش البخاري

(٢٧٤/٥).

٥٦ - الشيخ مصطفى الدمشقي^(٤) في مرقاة الوصول (ص ١٠٩).

٥٧ - السيد حميد الدين الآلوسي: المتوفى (١٣٢٤)، في نثر اللآلئ (ص ١٨١).

(١) فتح المتعال: ص ٢٨٣.

(٢) وسيلة المآل: ص ٨٥.

(٣) ينابيع المودة: ١/١٦٩ باب ٥٥.

(٤) هو الشيخ مصطفى بن إسماعيل الإمام، توفي بعد ١٢٩٤ هـ.

٥٨ - السيد محمود القراغولي البغدادي الحنفي ، في جوهرة الكلام (ص ١٠٥) .

٥٩ - عمر رضا كحالة ، في أعلام النساء ^(١) (١٢١٦/٣) .

ثم أني لنا القول بمقال ابن كثير وملء الأسماع قول رسول الله ﷺ : « فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبي فمن آذاها فقد آذاني » ^(٢) . وقوله : « إن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها » . أو : « إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك » قاله لفاطمة ؟

راجع ^(٣) : معجم الطبراني ، مستدرك الحاكم (١٥٤/٣) وصححه ، مسند ابن

٢٣٦/٧

النجار ، مقتل الخوارزمي (٥٢/١) ، تذكرة السبط (ص ١٧٥) ، كفاية الطالب للكنجي (ص ٢١٩) ، ذخائر العقبى للمحب الطبري (ص ٣٩) ، ميزان الاعتدال (٧٢/٢) ، مجمع الزوائد (٢٠٣/٩) ، تهذيب التهذيب (٤٤٣/١٢) ، كنز العمال (١١١/٧) ، أخبار الدول هامش الكامل (١٨٥/١) ، كنوز الحقائق للمناوي (ص ٣٠) ، شرح المواهب للزرقاني (٢٠٥/٣) ، الإسعاف (ص ١٧١) ، ينابيع المودة (ص ١٧٣ ، ١٧٤) ، الشرف المؤبد (ص ٥٩) .

هذه مطلقات تشمل جميع موجبات الرضا والغضب من الصديقة - سلام الله عليها - حتى المباحات شأن أبيها الأقدس كما فهمه القسطلاني والحمزاوي في شرح البخاري ، وذلك يكشف عن أنها - صلوات الله عليها - لا ترضى إلا لما فيه مرضاة

(١) أعلام النساء : ١١٢/٤ .

(٢) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا : ص ٢٠ . (المؤلف)

(٣) المعجم الكبير : ١٠٨/١ ح ١٨٢ ، المستدرك على الصحيحين ١٦٧/٣ ح ٤٧٣٠ ، ذيل تاريخ بغداد :

٢٠٣/١٧ رقم ٤٢٧ ، تذكرة الخواص : ص ٣١٠ ، كفاية الطالب : ص ٣٦٤ ، ميزان الاعتدال :

٥٣٥/١ رقم ٢٠٠٢ ، تهذيب التهذيب : ٤٦٩/١٢ ، كنز العمال : ٦٧٤/١٣ ح ٣٧٧٢٥ ، أخبار

الدول : ٢٥٧/١ ، كنوز الحقائق : ٥٧/١ ، ينابيع المودة : ١٦٩/١ باب ٥٥ ، الشرف المؤبد :

المولى سبحانه، ولا تغضب إلا على ما يفضبه، حتى إنها لو رضيت أو غضبت على أمر مباح فإنّ هناك جهة شرعيّة تدخله في الراجحات، أو يجعله من المكروهات، فلن تجد منها في أيّ من الرضا والغضب وجهة نفسيّة أو صيغة شهويّة، وذلك معنى العصمة التي نفاها المتحذلق - ابن كثير - بعد أن تصامم أو تعامى عن دلالة آية التطهير النازلة فيها وفي أبيها وبعليها وبنيتها: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(١).



مركز تحقيقات كميوتير علوم إسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحاديث الغلو أو قصص الخرافة

هذه أبحاث مجملة تمثل لنا نفسيات الخليفة، وملكاته الفاضلة، تقتصر بها في هذه العجالة وإن لم ترحفنا^(١) ولم يتأت بها القصوى، غير أن فيها بلغة في إيقاف الباحث على حد الخليفة، ومقياساً يُعرف به القالي له من الغالي فيه، والمقتصد فيه من القاسط عليه، ويمتاز به سرف القول في امتداحه عن جزاف الامتداح عليه، فهنأ عندئذٍ ذكر نزرٍ يسير مما سرده القوم من فضائله التي فيها من الغلو الفاحش ما لا يخفى على أي أحد، ثم نشفعه بما جاء في غيره حتى يُعرف أهل الغلو في الفضائل.

٢٣٧/٧

- ١ -

الشمس على العجلة

ذكر الشيخ إبراهيم العبيدي المالكي في كتابه عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق^(٢) نقلاً عن كتاب العقائق، والصفوري في نزهة المجالس (١٨٤/٢) نقلاً عن عيون المجالس، قالوا:

روي أن النبي ﷺ قال يوماً لعائشة رضي الله عنها: إن الله تعالى لما خلق الشمس خلقها من لؤلؤة بيضاء بقدر الدنيا مئة وأربعين مرة وجعلها على عجلة، وخلق

(١) أي تبلغ بنا غاية ما نريد ونطلب.

(٢) ص ١٨٤ [ص ٣٠٩] هامش روض الرياحين لليافعي المطبوع بمصر سنة ١٣١٥. (المؤلف)

للعجلة ثمانئة^(١) وستين عروة، وجعل في كلّ عروة سلسلة من الياقوت الأحمر، وأمر ستين ألفاً من الملائكة المقربين أن يجزّوها بتلك السلاسل مع قوتهم التي اختصهم الله بها، والشمس مثل الفلك على تلك العجلة وهي تدور في القبة الخضراء، وتجلو جمالها على أهل الغبراء، وفي كلّ يوم تقف على خط الاستواء فوق الكعبة لأنها مركز الأرض وتقول: يا ملائكة ربي إني لأستحي من الله عز وجل إذا وصلت إلى محاذة الكعبة التي هي قبلة المؤمنين أن أجوز عليها، والملائكة تجزّ الشمس لتعبر على الكعبة بكلّ قوتها / فلا تقبل منهم وتعجز الملائكة عنها، فالله تعالى يوحى إلى الملائكة وحي إلهام فينادون: أيتها الشمس بحرمة الرجل الذي اسمه منقوش على وجهك المنير إلا رجعت إلى ما كنت فيه من السير، فإذا سمعت ذلك تحركت بقدره المالك.

٢٣٨/٧

فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله من هو الرجل الذي اسمه منقوش عليها؟ قال: هو أبو بكر الصديق، يا عائشة قبل أن يخلق الله العالم علم بعلمه القديم أنه يخلق الهواء، ويخلق على الهواء هذه السماء، ويخلق بجرأ من الماء، ويخلق عليه عجلة كما يشاء، ويجعل العجلة مركباً للشمس المشرقة على الدنيا، وأن الشمس تمرّد على الملائكة إذا وصلت إلى الاستواء، وأن الله تعالى قدر أن يخلق في آخر الزمان نبياً مفضلاً على الأنبياء وهو بعلك يا عائشة على رغم الأعداء، ونقش على وجه الشمس اسم وزيره أعني أبا بكر صديق المصطفى، فإذا أقسمت الملائكة عليها به زالت الشمس، وعادت إلى سيرها بقدره المولى، وكذلك إذا مرّ العاصي من أمّتي على نار جهنم وأرادت النار على المؤمن أن تهجم، فلحرمة محبة الله في قلبه ونقش اسمه على لسانه ترجع النار إلى ورائها هاربة، ولغيره طالبة.

قال الأميني: إن مما يغمرني في الحيرة أنّ هذه العجلة، لم لم يكشف عنها علماء الهيئة قديماً وحديثاً، مع توفّر أدوات الكشف ومحصلاته لأهل الهيئة الجديدة خاصة؟

(١) في روض الرياحين: ثلاثئة.

وأَنَّهُم لَمَّا ذَا اسْتَقَرَّتْ آرَاؤُهُمْ بَعْدَ تَقَدُّمِ الْعِلْمِ وَاسْتَفْحَالَ أَمْرُهُ وَكَثُرَتْ اكْتِشَافَاتُهُ عَلَيَّ دُورَانَ الْأَرْضِ عَلَى الشَّمْسِ .

وَتُعَلِّمُنَا الرِّوَايَةَ عَنِ أَنَّ الْبَخَارَ لَمْ يَكُنْ مُسْتَعْدَمًا عِنْدَ إِنْشَاءِ تِلْكَ الْعَجَلَةِ فِيمَدَّهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهِ حَتَّى لَا يَشْعُرُ بِإِرَادَةِ مَرِيدٍ، وَلَا حَيَاءٍ مِنْ يَسْتَحِي، فَيَمْضِي بِالْعَجَلَةِ وَيُوصِلُهَا فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ إِلَى حَيْثُ شَيْءٌ لَهَا قَدَمًا، وَلَكِنَّ الْعَجَبَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَسْتَبْدِلِ الْمَلَائِكَةَ بِالْبَخَارِ بَعْدَ اكْتِشَافِهِ فَيَطْلُقُ سِرَاحَ أَوْلِيكَ الْآلَافِ الْمُؤَلَّفَةِ الْمُقَيَّدَةِ بِسَلْسَلِ بِلَاءِ الْعَجَلَةِ، وَيَعْتَقُهُمْ مِنْ مَكَابِدَةِ تَمْرُدِ الشَّمْسِ فِي كُلِّ يَوْمٍ!

وهناك مسألة لا أدري من المجيب عنها وهي: أن إرادة الله سبحانه الفائقة على كل قوة جامحة وهي تمسك السماء بغير عمد ترونها، وتسير الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب، صنع الله الذي أتقن كل شيء، لم لم تقم مقام أولئك المسخرين لجر الشمس حتى لا يوقفن! تمرد، ولا تحتاج إلى عرى وسلاسل، أو الإقسام بمن / كتب اسمه عليها؟ وما الذي أحوج المولى سبحانه في تسيير الشمس إلى هذه الأدوات من العجلة والعرى والسلاسل، وخلق أولئك الجم الغفير من الملائكة واستخدامهم بالجر الثقيل، وهو الذي إذا أراد شيئاً أن يكون يقول له كن فيكون؟

ثم إن الشمس هلا كانت تعلم أن إرادة الله سبحانه ماضية عليها بجريها إلى الغاية المقصودة؟ فما هذا التوقف والتمرد؟ والله تعالى أعلم بعظمة الكعبة وشرفها منها وقد جعلها في خطة سيرها. أتى للشمس أن تجهل بها، وهي هي الشاعرة بخط الاستواء، ومحاذة الكعبة ووصولها إلى تلك النقطة المقدسة، وهي العارفة بمقامات الصديق، وأن اسمه منقوش عليها، وأن من واجبها أن تنقاد ولا تجمع على من أقسم به عليها.

ومن عويصات لا تتحل: تجديد الشمس تمرداً كل يوم ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾^(١) ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا

اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿١﴾ .

وأعوص من ذلك إنشاد الملائكة إياها في كلِّ نهار تلك الأنشودة الضخمة ووحى الله إليهم بها طيلة عمر الدنيا .

هكذا تشوّه رواة السوء سمعة السنّة الشريفة، وهي مقدّسة عن هذه الأوهام الخرافية، وأنّ هذه كلّها من جرّاء الغلو الممقوت في الفضائل، ولو كان مختلق هذه المرسلّة المقطوعة عن الإسناد يعلم ما ذكرناه من الفضائح المترتبة على افتعالها لما اقتحم هذا الاقتحام المزري .

التوسّل بلحية أبي بكر

ذكر الياضي في روض الرياحين^(٢) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنّه قال: بينا نحن جلوس بالمسجد وإذا نحن برجل أعمى قد دخل علينا وسلّم فرددنا رضي الله عنه وأجلسناه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله فقال: من يقضيني حاجة في حبّ النبي صلى الله عليه وآله؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما حاجتك يا شيخ؟ فقال: إنّ لي أهلاً ولم يكن عندي ما نقتات به، وأريد من يدفع لنا شيئاً نقتات به في حبّ رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: فنهض أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقال: نعم أنا أعطيك ما يقوم بك في حبّ رسول الله صلى الله عليه وآله. ثمّ قال: هل من حاجة أخرى؟ فقال: نعم إنّ لي ابنة أريد من يتزوّج بها في حياتي حبّاً في محمد صلى الله عليه وآله. فقال أبو بكر: أنا أتزوّج بها في حياتك حبّاً في رسول الله صلى الله عليه وآله، هل من

(١) يس: ٤٠.

(٢) طبع بمصر في المطبعة السعيدية هامش العرائس للتعلبي، توجد الرواية في: ص ٤٤٣. ينقل عنه القسطلاني في المواهب [٢٨/٢]، وقال الزرقاني في شرح المواهب: ١٥٧/٣: مؤلف حسن، وطبع للياضي كتاب آخر مستقل في مصر سنة ١٣١٥ باسم روض الرياحين أيضاً، وهو تأليفه الآخر غير المطبوع في حاشية العرائس. (المؤلف)

حاجة أخرى؟ فقال: نعم اريد أن أضع يدي في شية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حباً في محمد ﷺ. فنهض أبو بكر ﷺ ووضع لحيته في يد الأعمى وقال: امسك لحيتي في حب محمد ﷺ. قال: فقبض الأعمى بلحية أبي بكر الصديق ﷺ وقال: يا رب أسألك بجرمة شية أبي بكر إلا رددت علي بصري. قال: فرد الله عليه بصره لوقته، فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ وقال: يا محمد السلام يقرئك السلام، ويخصك بالتحية والإكرام، ويقول لك: وعزتي وجلاله لو أقسم علي كل أعمى بجرمة شية أبي بكر الصديق لرددت عليه بصره، وما تركت علي وجه الأرض أعمى، وهذا كله ببركتك وعلو قدرك وشأنك عند ربك.

قال الأميني: إنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور. حقاً إن هذا الضرير قد عمي قلبه قبل بصره، فلم يعقل أن القسم بشية رسول الله ﷺ أولى من شية أبي بكر، فهي مقدّمة قداسةً وشرفاً وزلفاً عند الله سبحانه، وهو ﷺ أكبر من أبي بكر سنأ وأكثر شية، فما أعمى الرجل عنها إن كان يريد مقسماً به يبر الله سبحانه به قسمه؟ أو أنه كان له في شية أبي بكر غاية لم نعرفها؟ ثم أين عن هذه الشية عميان أهل السنة؟ وما أغفلهم عن الوحي المنزل فيها؟ فيقسمون على الله بها فيكشف عن أبصارهم، وما بال الحفاظ وأئمة الحديث أرجأوا نشر هذه الرواية إلى القرن الثامن عهد اليافعي؟ هل بخلوا على عميان الأمة بمثل هذا النجاح الباهر وفي الوحي المزعوم قوله سبحانه: وعزتي وجلالي لو أقسم علي كل أعمى، إلى آخره؟ أو أنهم وجدوا مولد هذا الحديث بعد / عصورهم فلم يشيدوا بذكره؟ أو رأوا فيه غلوفاً فاحشاً بتقديم لحية أبي بكر على شية رسول الله ﷺ فطروا عن روايته كشحاً؟ أو عقلوا فيه مهزأة بالله ووحيه وأمينه ونبيه فضربوا عنه صفحاً؟

وللقوم حول شية أبي بكر روايات منها ما أسلفناه في الجزء الخامس (ص ٣١٧) من أنه ﷺ كان إذا اشتاق إلى الجنة قبل شية أبي بكر. ومر هنالك أنها

من أشهر المشهورات من الموضوعات، ومن المقتريات المعلوم بطلانها ببيدته العقل كما قاله الفيروزآبادي والعجلوني^(١).

ومنها ذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢٣٣/١) من أن لإبراهيم الخليل وأبي بكر الصديق شبيهة في الجنة.

ثم قال في المقاصد^(٢) نقلاً عن شيخه ابن حجر: لم يصح أن للخليل في الجنة لحية ولا للصديق، ولا أعرف ذلك في شيء من كتب الحديث المشهورة ولا الأجزاء المنثورة. ثم قال: وعلى تقدير ثبوت وروده فيظهر لي أن الحكمة في ذلك: أمّا في حق الخليل فلكونه منزلاً منزلاً الوالد للمسلمين، لأنه الذي سّماهم بالمسلمين وأُمرُوا باتباع ملته، وأمّا في حق الصديق قلّ أنه كالوالد الثاني للمسلمين، إذ هو الفاتح لهم باب الدخول إلى الإسلام.

قال الأميني: إن الذي سُمى الأمة المرحومة بالمسلمين هو الله سبحانه كما في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾^(٣).

وإن أمكنت التسمية من إبراهيم من قبل فإنها غير ممكنة منه في هذا وهو القرآن الكريم، وإنما وقع ذكر ملّة إبراهيم في البين امتناناً منه سبحانه على الأمة بجعل الإسلام شريعة سهلة لا حرج فيها ترغيباً في الدخول فيه، فالقول بأن إبراهيم سّماهم مسلمين لا يتم مع قوله تعالى: ﴿وفي هذا﴾ يعني في القرآن. قال القرطبي^(٤): هذا

(١) كشف الخفاء: ٤١٩/٢ الخاتمة.

(٢) المقاصد الحسنة: ص ١٤٤ ح ٢٢٨.

(٣) الحج: ٧٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٦٨/١٢.

القول مخالف لقول عطاء الأمة. وقال الطبري^(١): هذا لا وجه له لأنه من المعلوم أن إبراهيم لم يسم هذه الأمة في القرآن مسلمين.

وقال ابن عباس: الله سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي / الذكر. وكذا قال مجاهد وعطاء والضحاك والسدي ومقاتل وقتادة وابن مبارك.

وتدلّ على تعين هذا القول قراءة أبي بن كعب: (الله سماكم المسلمين) كما في تفسير البيضاوي، (١١٢/٢)، وكشاف الزمخشري (٢٨٦/٢)، وتفسير الرازي (٢١٠/٦) وتفسير ابن جزي الكلبى (٤٧/٣).

واستقر به الرازي في تفسيره فقال: لأنه تعالى قال: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٢) فبين أنه سماهم بذلك لهذا الغرض وهذا لا يليق إلا بالله.

واستصوبه ابن كثير في تفسيره (٢٣٦/٣) وقال: لأنه تعالى قال: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ثم حثهم وأغراهم على ما جاء به الرسول صلوات الله عليه بأنه ملّة أبيهم الخليل، ثم ذكر منته تعالى على هذه الأمة بما نوه به من ذكرها والثناء عليها في سالف الدهر وقديم الزمان في كتب الأنبياء يتلى على الأحرار والرهبان فقال: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ﴾. أي من قبل هذا القرآن. ﴿وفي هذا﴾.

وبهذا تعرف قيمة ما حسبه المتفلسف من أن تنزيل إبراهيم منزلة الأب للمسلمين لمحض التسمية فإنه مما لا يُقام له وزن وإلا لوجب اتخاذ من سمى أحداً باسم أباً تنزيلياً، ومن المعلوم بطلانه، وإنما سماه الله أباً للمسلمين لأنه ﷺ أب الرسول الأمين، وأن قريشاً من ذريته، وهو ﷺ أبو الأمة، وأُمَّته في حكم أولاده،

(١) جامع البيان: ج ١٠ / ص ١٧ / ص ٢٠٨.

(٢) الحج: ٧٨.

وأزواجه أمهاتهم كما ورد عنه عليه السلام من قوله: «إنما أنا لكم كالوالد، أو: مثل الوالد»^(١).

أنا لا أدري ما هي الخاصة في الأب التنزيليّ لأمة خاصة أن تكون له لحية في الجنة دون الأب الحقيقيّ للأمم جمعاء، وهو أبو البشر آدم عليه السلام، ولا لحية له؟ مع ما ورد عن كعب الأحبار أنّه قال: ليس أحد في الجنة له لحية إلا آدم، له لحية سوداء إلى سرّته. ذكره ابن كثير في تاريخه^(٢) (٩٧/١).

وإن كانت الحكمة في لحية إبراهيم الخليل وأبي بكر ما زعمه العجلوني من الأبوة فما الحكمة في لحية موسى بن عمران؟ وقد جاء في الحديث: ليس أحد يدخل الجنة إلا جرد مرد إلا موسى بن عمران فإنّ لحيته إلى سرّته. السيرة الحلبية^(٣) (٤٢٥/١).

ثم إنّ للأمة المسلمة أباً تنزلياً روحياً هو أحقّ بالأبوة من الخليل عليه السلام وهو نبيّها الأقدس محمد عليه السلام كما مرّ حديثه، وبها حياتها الحقيقيّة، وهو الذي يدعوهم لما يحييهم، ومنه كيانها المستقرّ، وعزّها الخالد، فهو أولى باللحية من أبيه الخليل وصاحبه أبي بكر.

والعجب كلّ العجب في عدّ أبي بكر أباً ثانياً للأمة لأنّه فتح لها باب الدخول إلى الإسلام، وأنّ الذي فتح باب الإسلام بمصراعيه لدخول الأمم فيه، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، هو رسول الله عليه السلام بدعوته الكريمة، وبراهينه الصادقة، ومعجزه المعلومة، ونواميسه المقدّسة، وخلاتقه الرضيّة، ومغازيه الدامية فهو أولى بأن تكون له لحية في الجنة.

(١) تفسير الخازن: ٣١٤/٣ [٢٩٩/٣]، تفسير النسفي هامش الخازن: ٣١٤/٣ [١١٢/٣]. (المؤلف)

(٢) البداية والنهاية: ١٠٨/١.

(٣) السيرة الحلبية: ٣٩٧/١.

على أن الأمة قطّ لم تعرف باباً فتحه الخليفة لها إلى الإسلام، ولم يدر أيّ أحد أنه متى فتحه؟ وأين فتحه؟ ولماذا فتحه؟ وأيّ باب هو؟

نعم؛ لا تخفى على الأمة جمعا أنه غلق باباً عليها وحرّمها من خير أهله وعلمه ورشده وهداه، ألا وهو باب مدينة علم النبي مولانا أمير المؤمنين بالنصّ المتواتر، وهو الباب الذي منه يؤتى إلى الله، وإليه يتوجّه الأولياء.

فلولا انتزاع الأمر منه لانتشرت علومه. وزهرت معالمه، وتبلفت حكمه، وعُمل بأحكامه، فأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم، منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون، لكنّه ﷺ مُنع عن حقّه فجهلت العباد، وأجدبت البلاد، وصوّحت المرافق، وظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس، وإلى الله المشتكى.

وإن أراد القائل من فتح الباب بداية الفتوح في أيام الخليفة، فالخليفة الثاني على ذلك أجدر باللحية منه، لأنّ عمدة الفتوح وقعت في أيامه.

نعم؛ إن يكن هناك من يحقّ أن يعدّ للأمة أباً ثانياً تنزيلاً بعد رسول الله ﷺ فهو مولانا أمير المؤمنين ﷺ الذي به كان تمام الدعوة والنجاح في المغازي، وهو نفس النبيّ القدسيّة وخليفته المنصوص عليه، ولذلك جاء من طريق أنس بن مالك عنه ﷺ قوله: «حقّ عليّ على هذه الأمة كحقّ الوالد على الولد»، ومن طريق عمّار وأبي أيوب الأنصاري قوله: «حقّ عليّ على كلّ مسلم حقّ الوالد على ولده»^(١).

(١) الرياض النضرة: ١٧٢/٢ [١١٧/٣] نقلًا عن الحاكمي، كنوز الحقائق: ص ٦٤ [١١٩/١] نقلًا عن الديلمي [الفرديوس بمأثور الخطاب: ١٣٢/٢ ح ٢٦٧٤]، مناقب الخوارزمي: ص ٢٤٤، ٢٥٤ [٣٠٩ - ٣١٠ ح ٣-٦، ص ٣٢١ ح ٢٢٧]، فراند السمطين لشيخ الاسلام الحقوني [٢٩٦/١ - ٢٩٧ ح ٢٣٤ و ٢٣٥]، نزّهة المجالس: ٢/٢١٢. (المؤلف)

- ٣ -

شهادة أبي بكر وجبرئيل

ذكر النسفي: أن رجلاً مات بالمدينة، فأراد النبي ﷺ أن يصلي عليه فنزل جبريل وقال: يا محمد لا تُصل عليه. فامتنع فجاء أبو بكر فقال: يا نبي الله صل عليه فما علمتُ منه إلا خيراً. فنزل جبريل وقال: يا محمد صل عليه، فإن شهادة أبي بكر مقدّمة على شهادتي. مصباح الظلام للجرداني^(١) (٢٥/٢)، نزهة المجالس (١٨٤/٢).

قال الأميني: هلّمّ معي تناقش راوي هذه السفسطة الحساب بعد أن لم تقف لها على إسناده تناقش رجاله، ونسائله عن أن ما أدّاه جبريل من الشهادة أكان من عند نفسه، ولم يكن لأمين الله على وحيه أن يأتي رسوله بشيء من قبل نفسه فحبابي أبا بكر بتقديم شهادته؟ أم كان وحياً من المولى سبحانه - وهو المطرد في كل هبوط له إلى الرسول الأمين - فأبطل ذلك الوحي المبين مجازفةً لمحض أن أبا بكر شهد بضدّ ما جاء به؟ وأياً ما كان فإن إخباره كان لا محالة عن عدم تأهل الرجل في الواقع للصلاة عليه في صورة نهي مفيد للتحريم، ومؤداه أن الله سبحانه يبغيض أن تُرفع إليه صلاة على مثله من نبيه المحبوب، فهل يكون قول أبي بكر بتأهله المستنبط من ظاهر الحال الذي يخطيء ويصيب، ولا شك أنه مخطيء في هذا المورد بالخصوص لنزول الوحي بخلافه، فهل يكون قول هذا شأنه مبطلاً للوحي المبين؟ تبصّر واحكم.

- ٤ -

خاتم النبيّ وسجله

روي أن النبي ﷺ دفع خاتمه إلى أبي بكر وقال: اكتب عليه: لا إله إلا الله، فدفعه أبو بكر إلى النقاش وقال: اكتب عليه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. فكتب

(١) مصباح الظلام: ٦١/٢ ح ٣٦٢.

عليه . فلما جاء به أبو بكر إلى النبي ﷺ وجد عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق . فقال : ما هذه الزيادة يا أبا بكر ؟ فقال : ما رضيت أن أفرق اسمك عن اسم الله ، وأما الباقي فما قلته ، فنزل جبريل وقال : إن الله سبحانه وتعالى يقول : إني كتبت اسم أبي بكر لأنه ما رضي أن يفرق اسمك عن اسمي ، فأنا ما رضيت أن أفرق / اسمه عن اسمك . نزهة المجالس للصفوري (١٨٥/٢) نقلاً عن تفسير الرازي ، مصباح الظلام للجرداني^(١) (ص ٢٥) .

٢٤٥/٧

قال الأميني : المتسلم عليه بين المحدثين أن نقش خاتم رسول الله ﷺ كان : محمد رسول الله بلا أي زيادة ، ففي الصحاح عن أنس أنه ﷺ صنع خاتماً من ورق^(٢) ونقش فيه : محمد رسول الله . وقال : فلا ينقش أحد على نقشه .

صحيح البخاري (٣٠٩/٨) ، صحيح مسلم (٢١٤/٢ ، ٢١٥) ، صحيح الترمذي (٣٢٤/١) ، سنن ابن ماجه (٣٨٥ ، ٣٨٤/٢) ، سنن النسائي (١٧٣/٨)^(٣) .

وفي رواية البخاري والترمذي عن أنس قال : كان نقش الخاتم ثلاثة أسطر : محمد سطر ، ورسول سطر ، والله ، سطر . صحيح البخاري^(٤) (٣٠٩/٨) ، صحيح الترمذي^(٥) (٣٢٥/١) .

وروى ابن سعد في طبقاته^(٦) من مرسل ابن سيرين : أن نقشه كان : باسم الله

(١) مصباح الظلام : ٦١/٢ ح ٣٦٢ .

(٢) الورق : الفضة .

(٣) صحيح البخاري : ٢٢٠٥/٥ ح ٥٥٣٩ ، صحيح مسلم : ٣١٩/٤ ح ٥٥ كتاب اللباس والزينة ، سنن الترمذي : ٢٠١/٤ ح ١٧٤٥ ، سنن ابن ماجه : ١٢٠١/٢ ح ٣٦٣٩ ، سنن الكبرى : ٤٥٠/٥ ح ٩٥٠٩ - ٩٥١٣ .

(٤) صحيح البخاري : ٢٢٠٥/٥ ح ٥٥٤٠ .

(٥) سنن الترمذي : ٢٠٢/٤ ح ١٧٤٨ .

(٦) الطبقات الكبرى : ٤٧٤/١ .

الغلوّ في فضائل أبي بكر / أحاديث الغلو أو قصر الخرافة ٣٣١

محمد رسول الله . وقال ابن حجر : ولم يتابع على هذه الزيادة . ذكره عنه الزرقاني في شرح المواهب (٣٩/٥) .

وأخرج أبو الشيخ في الأخلاق النبويّة من رواية عرعر بن البرند ، عن أنس قال : كان مكتوباً على فصّ خاتم رسول الله ﷺ : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

قال : ابن حجر في فتح الباري ^(١) ٢١٠/١٠ : عرعره ضعفه ابن المديني وزيادته هذه شاذة . وقال الزرقاني في شرح المواهب ٣٩/٥ : كان نقش الخاتم النبوي كما في الصحيحين وغيرهما : محمد رسول الله . فلا عبرة بهذه الرواية كرواية أنه كان فيه كلمتا الشهادة معاً ، ورواية ابن سعد ^(٢) عن أبي العالية أن نقشه : صدق الله . ثم الحق الخلفاء : محمد رسول الله .

فما قيمة ما جاء به من النقش صوّاع القرون المتأخرة ، وصاغته يد الإفك والغلوّ بعد لأيٍ من وفاة النبي الأعظم وانقطاع الوحي عنه ، ولا يوجد في تأليف الأولين منه عين ولا أثر ؟ وأنت ترى السلف حاكمين في حديث زيادة كلمة الإخلاص والبسملة بالشذوذ وأنه لا عبرة به ولا يتابع عليه ، ولا يبحث أي متضلع في الفن عن هذه الزيادة المختلفة التي لا صلة لها بالموضوع ، وليست هي إلا استهزاء بالله ونبيه ووحيه وأمين وحيه .

ثم قد صحّ عند القوم أنّ ذلك الخاتم المنقوش الخاصّ بالنبي ﷺ - وكان يتختم به ويختم ﷺ ولم يكن له خاتم غيره ولم يحتمل التعدّد قطّ أحد في رفع اختلاف أحاديث النقش - كان عند أبي بكر في يمينه بعد رسول الله ﷺ ، وبعده في يد عمر ، وبعده عند عثمان في يمينه وسقط سنة ثلاثين من يده أو : من يد غيره في بئر

(١) فتح الباري : ١٠ / ٣٢٩ .

(٢) الطبقات الكبرى : ٤٧٦/١ .

أريس^(١) واتخذ له خاتماً آخر^(٢)، وفي رواية ابن سعد^(٣) عن الأنصاري كما في فتح الباري^(٤) (٢٧٠/١٠) وسنن النسائي^(٥) (١٧٩/٨): أنه كان في يد عثمان ست سنين من عمله. فلو كانت تلكم الأسطورة صحيحة وكان اسم الخليفة منقوشاً في خاتم كان يلبسه النبي الأقدس طيلة حياته وتتنظر إليه الصحابة من كشب وترى بريقه في خنصره كما في صحيح البخاري^(٦) (٣٠٨/٨، ٣٠٩)، كان حقاً على الخليفة والخاتم بيده أن يحتج بها يوم تسّم عرش الخلافة، وكان هناك حوار وصخب، لكنّه لم يحتج لأنّ ذلك الخاتم ما كان مصوغاً بعد ولا منقوشاً، ولم يُعط من المغيب أنه يُستنحت له ذلك بعد قرون متطاولة. وكان حقاً على الصحابة الملتائين به أن يحتجوا بذلك النقش المصنوع في عالم الملكوت، فإن الاحتجاج به أولى من الاحتجاج بكبر السن وأمثاله، لكنهم تركوا الاحتجاج لأنّ هذا المولود لم يكن يولد بعد، وإنما ولدته أم الغلو في الفضائل في آخر الدهر.

ولا يتأتى لأحد عرفان سرّ ما جاء به جبريل الخيالي من القرآن بين اسم النبي الأعظم وبين اسم أبي بكر في ذلك النقش المصوغ في عالم الغيب، أكان أبو بكر نفس النبي الأعظم بنصّ القرآن الكريم؟ أم كان قرينه في العصمة والقداسة في الذكر

(١) هي على ميلين من المدينة: وهي من أقل الآبار ماء [معجم البلدان: ٢٩٨/١]. (المؤلف)
 (٢) صحيح البخاري: ٣-٦/٨ [٢٢٠٢/٥ ح ٥٥٢٨، ص ٢٢٠٤ ح ٥٥٣٥، ص ٢٢٠٦ ح ٥٥٤٠]،
 صحيح مسلم: ٢١٤/٢ [٣١٩/٤ ح ٥٥٥٤ كتاب اللباس والزينة]، سنن النسائي: ١٧٩/٨
 [٤٥٧/٥ ح ٩٥٥٠]، تاريخ الطبري: ٦٥/٥ [٢٨٢/٤ حوادث سنة ٣٠هـ]، تاريخ ابن كثير:
 ١٥٥/٨ [١٧٤/٧ و ١٧٥ حوادث سنة ٣٠هـ]، تاريخ الخميس: ٢٢٣/٢، ٢٦٩ [١٩١/٢ -
 ١٩٢]، تاريخ أبي الفداء: ١٦٨/١. (المؤلف)

(٣) الطبقات الكبرى: ٤٧٦/١.

(٤) فتح الباري: ٣٢٩/١٠.

(٥) السنن الكبرى: ٤٥٧/٥ ح ٩٥٥٠.

(٦) صحيح البخاري: ٢٢٠٤/٥ ح ٥٥٣٤، ص ٢٢٠٥ ح ٥٥٣٦، ٥٥٣٧.

الحكيم؟ أم نزلت فيه آية التبليغ مع ذلك الإرهاب؟ أم أكمل الله به الدين، وأتم به النعمة كما بدأ بالنبى الطاهر؟ أم كان رديف النبى الأقدس في الإسلام والدعوة إلى الله من أول يومه، أم كان وصيه وخليفته المنصوص عليه من بدء الدعوة؟ أم قرنت طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته كما في صحاح جاءت عنه رضي الله عنه؟ أم كان نظيره في أمته بنص منه / رضي الله عنه؟ أم؟ أم؟ إلى مئة أم. لماذا ذلك القران؟ أنا لا أدري، ومختلف الرواية أيضاً لا يدري.

٢٤٧/٧

- ٥ -

عرض جنة أبي بكر

قال الصفوري في نزهة المجالس (١٨٣/٢): رأيت في الحديث: أن الملائكة اجتمعت تحت شجرة طوبى فقال ملك: ووددت أن الله تعالى أعطاني قوة ألف ملك، وكساني ريش ألف طير، فأطير حول الجنة حتى أبلغ طرفها، فأعطاء الله ذلك، فطار ألف سنة حتى ذهب قوته وتساقط ريشه، ثم أعطاء الله تعالى قوة وأجنحة، فطار ألف سنة ثانية حتى ذهب قوته وتساقط ريشه، ثم أعطاء الله تعالى قوة وأجنحة، فطار ألف سنة ثالثة حتى ذهب قوته وتساقط ريشه، فوقع على باب قصر باكبياً، فأشرفت عليه حوراء فقالت: أيها الملك مالي أراك باكبياً وليست هذه بدار بكاء وحزن، وإنما هي دار فرح وسرور؟ فقال: لأني عارضت الله في قدرته، ثم أعلمها بحديثه. فقالت له: لقد خاطرت بنفسك، أتدري كم طرت في هذه الثلاثة آلاف سنة؟ قال: لا. قالت: وعزة ربي ما طرت أكثر من جزء واحد من عشرة آلاف جزء مما أعدّه الله تعالى لأبي بكر الصديق رضي الله عنه. وذكره الجرداني في مصباح الظلام^(١) (٢٥/٢).

قال الأميني: فجموع ما أعدّه الله تعالى لأبي بكر في الجنة هو مسير ثلاثين

(١) مصباح الظلام: ٦١/٢ ح ٣٦٢.

ألف ألف سنة لطائر يطير بقوة ألف ملك وريش ألف طير! جلّت قدرة الباري .

أنا أكل حساب هذه الرواية إلى الشباب النابه العصري المنتخج من المدارس العالية في أرجاء العالم. كما أرى النظرة في رجال سندها من وظائف رجال الغيب إذ من المستحيل أن يقف عليه متّبع، ويعرفه حافظ ضليع، أو محدّث بعيد الظن أو رجاليّ واسع الخطوة من رجال عالم الشهود.

- ٦ -

الله يستحيي من أبي بكر

عن أنس بن مالك قال: جاءت امرأة من الأنصار فقالت: يا رسول الله رأيت في المنام كأن النخلة التي في داري وقعت، وزوجي في السفر. فقال: يجب عليك الصبر فلن تجتمعي به أبداً. فخرجت المرأة باكياً فرأت أبا بكر، فأخبرته بتمامها ولم تذكر له قول النبي ﷺ، فقال: اذهبي فإنك تجتمعين به في هذه الليلة. فدخلت إلى منزلها وهي متفكرة في قول النبي ﷺ وقول أبي بكر. فلما كان الليل وإذا بزوجها قد أتى، فذهبت إلى النبي ﷺ وأخبرته بزوجها، فنظر إليها طويلاً فجاء جبريل وقال: يا محمد الذي قلته هو الحق، ولكن لما قال الصديق: إنك تجتمعين به في هذه الليلة استحيا الله منه أن يجري على لسانه الكذب، لأنه صديق فأحياه كرامة له. نزّهة المجالس (١٨٤/٢).

٢٤٨/٧

قال الأميني: ليتنا كنّا نقف على رجال هذا الخيال النباه الذين أرادوا كسح معرّة الكذب عن ساحة الصديق فجرّوها إلى الساحة النبويّة، فكان الله لم يبال بأن يجري الكذب على لسان نبيّه الصادق المصدّق، حيث إنه لم يخبر عن موت الرجل وإنما أخبر امرأته بأنّها لن تجتمع به أبداً بكلمة لن المفيدة لتأييد النبي المؤكّد بقوله أبداً فظهر خلافه، لكنّه استحيى من أبي بكر بعد أن رجم بالغيب إفكاً ظاهراً، فأراد أن

يرحض عنه ذلك بإحياء الرجل وعدم إمامته كرامة له، وهل يرحضه ذلك بعد أن وقع الكذب؟ أنا لا أدري.

وهل كانت كرامة أبي بكر على الله أعظم من كرامة رسول الله عليه؟ حيث لم يرضَ بظهور الكذب عليه ورضيه على مصطفاه، ولم يكن في انتشاره عنه كسر للإسلام لكن انتشاره عن النبي ﷺ فتّ في عضد الدين.

ثم اعجب من تعليل الرواية بأنّ أبا بكر كان صدّيقاً، أو لم يكن رسول الله ﷺ سيّد الصّدّيقين أجمع؟ وهب أنّ وحي هذه المزعمة خفّف عن ساحة النبوة شيئاً يمكن أن يفوه به من اختلقها بأنّ الأمر كان كما أخبر به رسول الله ﷺ لكن أحيى الله الرجل للغاية التي ذكرها فلا كذب ﷺ، لكن يدفعه ما قدّمناه من أنّه ﷺ لم يخبر عن موت الرجل وإنما أخبر عن أنّها لن تجتمع به أبداً وقد وقع خلاف ما أنبأ به. نعم؛ لعلّ ما مرّ من رأي الخليفة من جواز تقديم المفضول على الفاضل، أو الغلوّ في الفضائل، يرخّصان بكلّ ما ذكر.

- ٧ -

كرامة دفن أبي بكر

أخرج ابن عساكر في تاريخه^(١) قال: روي أن أبا بكر ﷺ لما حضرته الوفاة ٢٤٩/٧ قال لمن حضره: إذا أنا متّ وفرغتم من جهازي فاحملوني حتى تقفوا بباب البيت الذي فيه قبر النبي ﷺ فقفوا بالباب وقولوا: السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن، فإن أذن لكم بأن فتح الباب وكان الباب مغلقاً بقفل فأدخلوني وادفوني، وإن لم يفتح الباب فأخرجوني إلى البقيع وادفوني به، فلما وقفوا على الباب وقالوا ما ذكر سقط القفل وانفتح الباب وإذا بهاتف يهتف من القبر: أدخلوا الحبيب إلى الحبيب، فإنّ الحبيب إلى الحبيب مشتاق.

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٤٣٦/٣٠ رقم ٣٣٩٨، وفي مختصر تاريخ دمشق: ١٢٥/١٣.

وذكره^(١) الرازي في تفسيره (٣٧٨/٥)، والحلي في السيرة النبوية (٣٩٤/٣)،
والديار بكري في تاريخ الخميس (٢٦٤/٢)، والقرماني في أخبار الدول هامش الكامل
(٢٠٠/٨)، والصفوري في نزهة المجالس (١٩٨/٢).

قال الأميني: أراد رواة هذه الرواية تصحيح عمل القوم في دفن الخليفة في
موطن القداسة حجرة النبي ﷺ بعد أن أعيتهم المشكلة وعجزوا عن الجواب، فإن
الحجرة الشريفة إما أن تكون باقية على ملكه ﷺ كما هو الحق المبين. أو أنها
عادت صدقة يؤول أمرها إلى المسلمين أجمع؟ وعلى الأول كان يشترط فيه رضا
أولاد وارثه الوحيدة السبطين الإمامين وأخواتها ولم يستأذن منهم أحد. وعلى
الثاني كان يجب على الخليفة أو علي من تولى الأمر بعده أن يستأذن الجامعة
الإسلامية ولم يكن من أي منها شيء من ذلك، فبقي الدفن هنالك خارجاً عن
ناموس الشريعة. وإن قيل: إنه دفن بحق ابنته، فأبي حق لها بعد ما جاء به أبوها من
قوله: إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة؟ علي أنا أسلفنا في الجزء السادس
(ص ١٩٠): أنه لم يكن لأمهات المؤمنين إلا السكنى في حجرهن كالمعتدة ولم يكن لهن
ترتيب آثار الملك على شيء منها. وقدّمنا هنالك أيضاً أن علي فرض الميراث وعلي
تقدير الإرث من العقار فإن لعائشة تسع الثمن من حجرتها لأنه ﷺ توفي عن تسع،
ومساحة المحل لا يسع / تسع ثمنها جثمان إنسان مهما كبرت الحجرة، علي أن حقها كان
مشاعاً وليس لها التصرف فيه بغير إذن شريكاتها في الميراث.

٢٥٠/٧

أراد القوم التفصي عن هذه المشكلات فكوتوا ما يستتبع مشكلة بعد مشكلة
وهي: أن الخليفة هل قال ما قاله بعهد من النبي ﷺ أو أنه أحاط علماً بالمغيب؟ أما
الثاني فلا أحسب أحداً يدعي له ذلك بعد ما أحطنا خبراً بكل ما قيل في فضائله،

(١) التفسير الكبير: ٨٧/٢٦، السيرة الحلبية: ٣٦٥/٣، تاريخ الخميس: ٢٣٧/٢، أخبار الدول:

وبعد ما أوقفناك على مبلغ علمه في المشهودات، فأين هو عن الغيوب؟

وأما الأوّل فلو كان ذلك لما كان لترديده بين الدفن في الحجر إن فتح الباب وسقط القفل، وبين الذهاب به إلى البقيع إن لم يكن ذلك [أي معنى]، فإن ما أخبر به النبي ﷺ لا بدّ أن يكون، فلا ترديد فيه.

نعم؛ من المحتمل أنه ﷺ لم يعهد ذلك لنفس أبي بكر وإنما رواه عنه من لا يثق به الخليفة ولذلك نوّه بما قال بالترديد، أو أنّ الرواية لا صحّة لها، ولذلك لم تنتشر في الصحاح والمسانيد إلى عهد المحافظ ابن عساكر، وهي على فرض صحّتها مكرمة عظيمة وقعت بمشهد الصحابة ومزدحم المهاجرين والأنصار يوم شيعوه إلى مقرّه الأخير، وكان يجب والحالة هذه أن يتواصل الهمّات بها، وبذلك الهمّات المسموع من القبر الشريف منذ ذلك العهد إلى منصرم الدهر، ولم يكن يوم ذاك في الأبصار غشاوة، ولا في الآذان وقر، ولا في الألسنة بكم، لكنه ويا للأسف لم ينبس أحد عنها بينت شفة، وما ذلك إلا لأنّ المكرمة لم تقع، والقفل ما سقط، والباب ما انفتح، والهمّات لم يكن، وأدخلوا الحبيب إلى الحبيب، فإنّ الحبيب إلى الحبيب مشتاق مهزأة نشأت من الغلو في الفضائل تنبىء عن روح التصوّف في مختلف الرواية. نعم:

ما كلّ من زار الحمى سمع النداء من أهله أهلاً بذاك الزائر

هذه الكرامة المنحوتة المنحولة ذكرها الرازي ومن بعده مرسلين إياها إرسال المسلم، محتجّين بها عداد فضائل أبي بكر، غير مكترئين لما في إسنادها من العلل أو جاهلين بها، وإنما أخرجها ابن عساكر^(١) من طريق أبي طاهر موسى بن محمد بن عطاء المقدسي عن عبد الجليل المدني عن حبة العرني فقال: هذا منكر، وأبو الطاهر

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٧٥٦/٥ - ٧٥٧، وفي مختصر تاريخ دمشق: ١٢٥/١٣.

كذاب، وعبد الجليل مجهول. وفي لسان الميزان^(١) (٣/٣٩١): خبر باطل.

وأبو الطاهر المقدسي؛ كذبه أبو زرعة وأبو حاتم^(٢). وقال النسائي ليس بثقة. وقال ابن حبان^(٣): لا تحل الرواية عنه كان يضع الحديث. وقال ابن عدي^(٤): كان يسرق الحديث. وقال العقيلي^(٥): يحدث عن الثقات بالبواطيل والموضوعات، منكر الحديث وقال منصور بن إسماعيل: كان يضع الحديث على مالك. راجع المصادر المذكورة في (٥/٢٦٧).

- ٨ -

جبريل يسجد مهابة من أبي بكر

حدّث عالم الأمة الشيخ يوسف الفيشي المالكي قال: كان جبريل إذا قدم أبو بكر على النبي ﷺ وهو يجادته يقوم إجلالاً للصدّيق دون غيره، فسأله النبي ﷺ عن ذلك؟ فقال جبريل: أبو بكر له عليّ مشيخة في الأزل، وما ذاك إلا أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم، حدّثني نفسي بما طرد به إبليس فحين قال الله تعالى: اسجدوا؛ رأيت قبة عظيمة عليها مكتوب: أبو بكر، أبو بكر مراراً وهو يقول: اسجد. فسجدت من هيبة أبي بكر، فكان ما كان.

ذكره العبيدي المالكي في عمدة التحقيق هامش روض الرياحين^(٦) (ص ١١١) فقال: وحدّثني أيضاً شيخنا الأستاذ محمد زين العابدين البكري بما يقارب ما قاله الفيشي، وسمعتها من غالب مشايخنا بالأزهر.

(١) لسان الميزان: ٤٧٧/٣ رقم ٤٩١٨.

(٢) الجرح والتعديل: ١٦١/٨ رقم ٧١٥.

(٣) كتاب المجروحين: ٢٤٢/٢.

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال: ٣٤٧/٦ رقم ١٨٢٩.

(٥) الضعفاء الكبير: ١٦٩/٤.

(٦) عمدة التحقيق: ص ١٩٣.

قال الأميني: عجباً لهؤلاء القوم لم يسلم منهم حتى أمين الله على وحيه - جبرائيل - المعصوم من الزلل من أول يومه فجعلوه في عداد إبليس اللعين الطريد نولاً أن أبابكر تدارك أمره!

عجباً لهذا الملك المزعوم يأتمنه المولى سبحانه ثم يرتاب في أمره، ولا يصلح ذلك الشنار القول بأنه إنما ائتمنه بعد زلته تلك، فإنه سبحانه لا يأتمن من يمكن في حديث نفسه الكفر، فلعل تلك الخاطرة دبّت فيه ولم يحصل من يسدّه فتعود هاجسته كفراً صريحاً.

عجباً لهذا الملك المقرب تروعه هيبة أبي بكر ولا تأخذه هيبة الإله العظيم فيطيع أبابكر وهو بهم أن يطيع الله في أمره بالسجدة، وأي سجدة هذه وما قيمتها من مثل / جبرئيل وقد وقعت من هيبة أبي بكر لا بصفة القربان إلى المولى سبحانه والزلقي لديه والامثال لأمره؟ فكأن هيبة أبي بكر في الملائكة الأعلى أعظم وأفخم من هيبة بارئه جلّت عظمته!

ثم أين كانت قبة أبي بكر من مستوى عالم الملكوت؟ ومن الأحرى أن تضرب هنالك قبة نبي العظمة حتى يسدّد فيها من شارف الزلّة لا قبة إنسان من الممكن أن تكتنفه المآثم، وتموت بضعة المصطفى وهي واجدة عليه.

ومن أين علم أبو بكر بهاجسة جبرئيل وحديث نفسه؟ أو هل كان يعلم الغيب؟ أو أوحى إليه بواسطة غير أمين الوحي؟ لك الحكم في هذه كلّها أيها القارئ الكريم.

ثم العجب من مشايخ الأزهر الذين أختبوا إلى هذه الخزية فأثبتوها في الكتب وهجوا بها في الأندية، وخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى فنشروها في الملاء العلمي وشوّهوا بها صفحة التاريخ وسمعة الإسلام المقدّس، نعم: أرادوا نحت فضيلة للخليفة فأعماهم الغلو في الفضائل فنحتوها رذيلة لجبرئيل

الأمين، كل ذلك لأنهم افتعلوها من غير بصيرة في الدين، أو روية شاعرة في المبادئ الإسلامية.

وأحسب أن من اختلق هذه الرواية أراد إثباتها تجاه ما يروى لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام من تسديده لجبرئيل يوم خاطبه الله سبحانه: من أنا ومن أنت؟ فتروى قليلاً وقد أخذته هيبة الجليل سبحانه حتى أدركته نورانية مولانا الإمام عليه السلام، فعلمه أن يقول: أنت الجليل وأنا عبدك جبرئيل. وقد نظم ذلك الشاعر المبدع الشيخ صالح التميمي من قصيدة له في مدح مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وخمسة الشاعر المفلح عبد الباقي أفندي العمري كما في ديوانه (ص ١٢٦) وفي ديوان صاحب الأصل (ص ٤) قال:

روضة أنت للعقول ودوخ مجتنى من طوباك رشد ونصح
ومتى هب من عبيرك نفح شمل الروح من نسيمك روح
حين من ربه أتاه النداء

طالما للأملاك كنت دليلاً ولنسا موسهم هديت سبيلاً
يوم نادى رب السما جبرئيلاً قائلاً من أنا فروى قليلاً
وهو لولاك فاته الإهداء^(١)

لك شكل نتيجة للقضايا لك قلب للعالمين مرايا
لك فعل حوى رفيع المزاي لك إسم رآه خير البرايا
مذ تدلني وضمه الإسراء

وليست هذه كقصة أبي بكر؛ فليس فيها أن جبريل نوى ما نواه إبليس من المروق عن أمره سبحانه، ولا فيها أن أمير المؤمنين أنبأ عن مغيب، ولا أن هييته غلبت هيبة الله العظيم، ولا أن جبريل سجد من هييته، ولا أن له هنالك قبة عظيمة

(١) يعني الإهداء إلى ذلك الجواب الحسن الجميل. (المؤلف)

مكتوب عليها: عليّ عليّ، ولا أنّه هتف مخاطباً لجبرئيل بقوله: اسجد. ورؤعه بذلك، ليست فيها هذه كلّها لأنّ الشيعة في المتأني عن الغلو في الفضائل.

- ٩ -

قصة فيها كرامة لأبي بكر

أخبر أبو العباس بن عبد الواحد، عن الشيخ الصالح عمر بن الزغبى^(١) قال: كنت مجاوراً بالمدينة المشرفة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام فخرجت يوم عاشوراء الذي تجتمع فيه الإمامية في قبة العباس وقد اجتمعوا في القبة. قال: فوقفنا أنا على باب القبة وقلت: أريد في محبة أبي بكر شيئاً، فخرج إليّ شيخ منهم، وقال: اجلس حتى نفرغ ونعطيك، فجلست حتى فرغوا، ثم خرج إليّ ذلك الرجل وأخذ بيدي ومضى بي إلى داره وأدخلني الدار وأغلق ورائي الباب، وسلط عليّ عبدين فكثفاني وأوجعاني ضرباً، ثم أمرهما بقطع لساني فقطعاه، ثم أمرهما فحلا كتافي، وقال: اخرج إلى الذي طلبت في محبة ليرد إليك لسانك. قال: فخرجت من عنده إلى الحجرة الشريفة النبوية وأنا أبكي من شدة الوجع والألم، فقلت في نفسي: يا رسول الله قد تعلم ما أصابني في محبة أبي بكر، فإن كان صاحبك حقاً فأحب أن يرجع إليّ لساني. وبتت في الحجرة قلقاً من شدة الألم فأخذتني سنة من النوم فنمت فرأيت في منامي أنّ لساني قد عاد إلى حاله كما كان، فاستيقظت فوجدته فيّ صحيحاً كما كان وأنا أتكلّم، فقلت: الحمد لله الذي ردّ عليّ لساني، وازدادت محبة في أبي بكر ﷺ.

فلما كان العام الثاني في يوم عاشوراء اجتمعوا على عادتهم فخرجت إلى باب القبة وقلت: أريد في محبة أبي بكر ديناراً، فقام إليّ شاب من الحاضرين وقال لي: اجلس حتى نفرغ. فجلست، فلما / فرغوا خرج إليّ ذلك الشاب وأخذ بيدي ومضى بي إلى تلك الدار فأدخلني فيها ووضع بين يدي طعاماً، فلما فرغنا قام الشاب وفتح

(١) في المصدر: الزغبى.

عليّ باباً على بيت في الدار وجعل يبكي، فقامت لأنظر ما سبب بكائه فرأيت في البيت قرداً مربوطاً، فسألته عن قضيته فزاد بكاءً، فسكنته حتى سكن، فقلت له: بالله أخبرني عن حالك. فقال: إن حلفت لي أن لا تخبر أحداً من أهل المدينة أخبرتك، فحلفت له، فقال: اعلم أنه أتانا في عام أول رجل وطلب في محبة أبي بكر رضي الله عنه شيئاً في قبة العباس يوم عاشوراء، فقام إليه أبي وكان من أكابر الإمامية والشيعة، فقال له: اجلس حتى تفرغ. فلما فرغوا أتى به إلى هذه الدار وسلط عليه عبيد فضرباه، وأمر بقطع لسانه فقطع، وأخرجه فمضى لسبيله ولم يعرف له خبراً، فلما كان الليل ونمنا صرخ أبي صرخة عظيمة فاستيقظنا من شدة صرخته فوجدناه قد مسخه الله قرداً ففرغنا منه وأدخلناه هذا البيت وربطناه، وأظهرنا للناس موته، وهو ذا يبكي عليه بكرة وعشيماً. فقلت له: إذا رأيت الذي قطع أبوك لسانه تعرفه؟ قال: لا والله: فقلت: أنا هو والله، أنا الذي قطع أبوك لساني، وقصصت عليه القصة فأكب عليّ يقبل رأسي ويدي، ثم أعطاني ثوباً وديناراً، وسألني كيف ردة الله عليّ لساني؟ فأخبرته وانصرفت.

مصباح الظلام للجرداني^(١) (ص ٢٣) من الطبعة الرابعة المصرية المطبوعة بمطبعة الرحمانية بمصر سنة (١٣٤٧ هـ)، ونزهة المجالس للصفوري (١٩٥٢).

قال الأميني: ما أحوج القوم إلى اختلاق هذه الأساطير المشرجة وهي لا يصدقها أي قارٍ وبادٍ^(٢) مهما يُقرّها قصاص في أذنيه، ولا يصير بها الأمر إلى قراره مهما حبكت نسقه يد الأفك، وأبدعت في نسجه مهرة الافتعال.

أني يصدق ذو مسكة بأن رجلاً شهيراً يُعدّ من عليّة قوم ومن أكابر أمة يُسخّ

(١) مصباح الظلام: ٥٧/٢ ح ٣٦٢.

(٢) قرا الأرض قرواً: تبعها أرضاً أرضاً وسار فيها ينظر حالها وأمرها. البادي: الضارب في البادية.

ويُرَبط في داره وهو بعدُ مجهول لا يعرف اسمه، ولا يَنْبئُ عنه خبير، ويسع لخلفه إخفاء أمره بدعوى موته، ولم يُسأل أهله عن تجهيزه وتشيعه ودفنه ومقبره وسبب موته، وتتأقّق لولده الغشّية عليها عن أعين الناس وأسماعهم كأنّ في آذانهم صمماً وفي أبصارهم عمى.

ولماذا أخذ ابن الجاني - الذي لم يُخلق بعد لا هو ولا أبوه - ضيفه إلى والده / وهو ٢٥٥/٧ لا يعرف الرجل ولم يخش من الفضيحة، ولماذا أوقفه على أمر أبيه وعواره وقد كان يستخفيه ويظهر للناس موته؟

وأني يُصدّق بأنّ رجلاً قُطع لسانه دون مبدئه وحبّه لخليفته قد استخفي قصّته، وما أشاع بها، وما صاح وما باح بمظلمته، وما أبان أمره عند قومه، وما أفاض عن شأنه بكلمة، ولا يَمّ قاضياً ولا حاكماً ولا الدوائر الحكوميّة الصالحة للنظر في مظلمته من عدليّة أو دائرة شرطة، وعقيرته مرفوعة من شدّة الألم، ولم يزل القوم يتربّص الدوائر على الشيعة، ويخلق عليهم طامات كهذه.

وأني يُصدّق أنّه لما خرج من دار من جنى عليه وهو مقصوص اللسان وقد ملأ فمه دمه، ولاذ بالحجرة الشريفة باكياً قلقاً من شدّة الألم، ما باه له أيّ أحد، وما عرفت مع هذه كلّها من أمره قُدْغَمِلَة^(١)، ولا تنبّه لأمره سدنة الحضرة الشريفة؟

وما بال الرجل لم يُمط الستر في وقته عن جناية عدوّ خليفته، ولم يُفش سرّه، ولم يُعلن كرامة الصديق، ولم يفضح عدوّه، ولم يُعرب عن هذه المكرمة الغالية، ولم يقرّط الآذان بسماعها، وينبس أمره ولم ينبشه، كأنّ لسانه بعدُ مقطوع، وأنّه لم يجده في فيه صحيحاً؟ أو رضي بأن يفشفس^(٢) بعده أعلام قومه؟

وإن تعجب فعجب عود هذا الشخّاذ الجريء إلى سؤاله مرّة ثانية في سنته

(١) القُدْغَمِلَة: الشيء اليسير.

(٢) فشفس: أفرط في الكذب، وانتحل ما لغيره. (المؤلف)

القابلة بعد أن رأى ما رأى قبل أن أعموم^(١)، ووقوفه في ذلك الموقف الخطر في قبّة العباس يوم عاشوراء، ومضيّه من دون أيّ تحاشٍ إلى تلك الدار التي وقعت فيها واقعته الخطرة الهائلة، ودخوله فيها رابطاً جأشه، وإقاؤه نفسه إلى التهلكة، ولم يكن يعرف شيئاً من قصّة الشيعي ومسخه، ولا من حنو الشابّ وعطفه، وقد قال الله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٢).

ولعلّه كان في هذه كلّها على ثقة وطمأنينة من أنّه قطعاً لا يبقى بلا لسان، وأنّ لسانه مهما قطع يُردّ إليه كما كان من بركة الخليفة، وهو في حسبانته هذا وقدمه إلى المهالك مجتهد وله أجره وإن أخطأ كاجتهاد سلفه.

٢٥٦/٧

وقد أنصف الشيخ الصالح المدني في اختلاق هذه القصّة على شيعي كبير لم يولد بعد ولم تسمّه أمّه. وجاء غيره بأسطورة معنوه قوص الحنجرة^(٣) وافتجر^(٤) في القول وأفجس^(٥) ألا وهو الشيخ عليا المالكي، قال الشيخ إبراهيم العبيدي المالكي في عمدة التحقيق^(٦) المطبوع بمصر في هامش روض الرياحين (ص ١٢٣): سمعت خالي العالم الشيخ عليا المالكي يقول: إنّ الرافضي إذا أشرف على الموت يقلب الله صورة وجهه وجه خنزير، فلا يموت إلا إذا مسخ وجهه وجه خنزير، ويكون ذلك علامة على أنّه مات على الرفض، فيستبشرون بذلك الروافض، وإن لم يقلب وجهه عند الموت يحزنون ويقولون: إنه مات سنياً. انتهى.

وتخرّق بعض الثقات في تاريخ حلب شاهداً على هذه الخرقه فقال: لما مات ابن

(١) أي قبل أن يمرّ عليه عام.

(٢) البقرة: ١٩٥.

(٣) يقال: فلان قوص الحنجرة: أي كذاب. (المؤلف)

(٤) افتجر في الكلام: أي اختلقه وذكره من غير أن يسمعه من أحد. (المؤلف)

(٥) أفجس: افتخر بالباطل. (المؤلف)

(٦) عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق: ص ٢٢٧.

منير^(١) خرج جماعة من شبان حلب يتفرجون، فقال بعضهم لبعض: قد سمعنا أنه لا يموت أحد ممن كان يسب أبابكر وعمر إلا ويمسحه الله تعالى في قبره خنزيراً، ولا شك أن ابن منير كان يسبهما، فأجمعوا رأيهم على المضي إلى قبره، فمضوا ونبشوه، فوجدوا صورته خنزيراً ووجهه منحرفاً عن جهة القبلة إلى جهة الشمال، فأخرجوه على قبره ليشاهده الناس، ثم بدا لهم أن يحرقوه فأحرقوه بالنار وأعادوه في قبره وردوا عليه التراب وانصرفوا.

وذكره العلامة الجرداني في مصباح الظلام^(٢) المؤلف سنة (١٣٠١) والمطبوع بمصر سنة (١٣٤٧) وقَرَّظَه جمع من الأعلام ألا وهم كما في آخر الكتاب: العالم العفيف السيد محمود أنسي الشافعي الدمياطي، والعلامة الشيخ محمد جودة، والعلامة الأوحى الشيخ محمد الحماصي، وحضرة القاضى اللبيب الشيخ عطية محمود قطارية، والعالم العامل الشيخ محمد القاضي، وحضرة الشاعر اللبيب محمد أفندي نجل العلامة الشيخ محمد النشار.

ليست هذه النفثات إلا كتيبت^(٣) الإحن، ونفران^(٤) الشحناء. وإن شئت قلت: إنها سكرة الحب، وسرف المغالاة. قد أعمت الأهواء بصائر أولئك الرجال فجاؤوا بهذه المخاريق المخزية، والأفائك المزخرفة، بيتوها غير مكترئين لمغبة صنيعهم، ولا متحاشين عن معرة قبيلهم، وشتان بينها وبين أدب الدين، أدب العلم، أدب التأليف، أدب العفة، أدب الدعاية والنشر: ﴿وإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَ زُورًا﴾^(٥)

(١) أحد شعراء الغدير، مرت ترجمته في الجزء الرابع: ص ٢٢٦ - ٢٢٧ مات في دمشق ثم نقل إلى حلب فدفن بها. (المؤلف)

(٢) مصباح الظلام: ٥٧/٢ ح ٣٦٢.

(٣) الكتيبت: صوت غليان القدر والنبذ ونحوهما. (المؤلف)

(٤) نفر الرجل على فلان نفرأ ونفراناً: غلا جوفه عليه غضباً. (المؤلف)

(٥) المجادلة: ٢.

﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنْ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾^(١).

كأن هؤلاء يحدثون عن أمة بائدة لم يُبق لها الملوان من يشاهده أحد من الأجيال الحاضرة، أو ليست الشيعة هؤلاء الذين هم مبعوثون في أرجاء العالم وأجواء الأمم، يشاهدهم كل ذي بصر وبصيرة أحياء وأمواتاً؟ فن ذا الذي شهد أحدهم أنه انقلب عند موته خنزيراً غير أولئك الشبان الموهومين الذين شاهدوا ابن منير في قبره؟ وهل الشيخ عليا المالكي هو وجد أحداً من الشيعة كما وصفه؟ أو زوي له ذاك الإفك فوثق به كما وثق العبيدي؟ وهل كان يمكنه أن يقف على الموتى جميعاً أو أكثرهم وليس هو بمغسل الموتى أو من حقاري القبور ولا من تباشيرها؟

على أن التشيع ليس من ولائد تلكم العصور وإنما بدأ به منذ العهد النبوي، فهل كان السلف الشيعي من الصحابة والتابعين يموتون كذلك وكان فيهم من يعرف بالتشيع كأبي ذر وسلمان وعمار والمقداد وأبي الطفيل؟ فهل يسحب هذا الرجل ذيل مزعمته إلى ساحة أولئك الأعاظم؟ قطعت جهيزة قول كل خطيب^(٢).

- ١٠ -

أبو بكر شيخ يُعرف والنبّي شابّ لا يُعرف

عن أنس بن مالك قال: أقبل النبي ﷺ إلى المدينة، وأبو بكر شيخ يُعرف والنبّي ﷺ شابّ لا يُعرف؛ فيلقى الرجل أبا بكر^(٣) فيقول: يا أبا بكر من هذا الذي

(١) النساء: ١٠٨.

(٢) مثل يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بحماقة يأتي بها [مجمع الأمثال: ٤٧٤/٢ رقم ٢٧٨٣٠]. (المؤلف)

(٣) في الانتقال من بني عمرو. كذا قاله القسطلاني في إرشاد الساري: ٢١٤/٦ [٤٤٠/٨ رقم ٣٩١١] وبنو عمرو بن عوف هم من الأنصار النازلين بقاء كان قد نزل عليهم رسول الله ﷺ في هجرته إلى المدينة كما يأتي تفصيله. (المؤلف)

الغلو في فضائل أبي بكر / أحاديث الغلو أو قصص الخرافة ٣٤٧

بين يديك؟ فيقول: يهديني السبيل، فيحسب الحاسب أنه يهديه الطريق وإنما يعني سبيل الخير.

٢٥٨/٧

وفي لفظ: إنَّ أبا بكر كان رديف النبي ﷺ وكان أعرف بذلك الطريق فيراه الرجل يعرفه فيقول: يا أبا بكر من هذا الغلام بين يديك؟ وفي لفظ أحمد: كانوا يقولون: يا أبا بكر ما هذا الغلام بين يديك؟ فيقول: هذا يهديني السبيل. وفي لفظ: قالوا: يا أبا بكر من هذا الذي تعظمه هذا الإعظام؟ قال: هذا يهديني الطريق وهو أعرف به مني.

وفي رواية: ركب رسول الله ﷺ وراء أبي بكر ناقته. وفي التمهيد لابن عبد البر: أنه لما أتى براحلة أبي بكر سأل أبو بكر رسول الله ﷺ أن يركب ويردفه، فقال رسول الله ﷺ: بل أنت اركب وأردفك أنا فإن الرجل أحقَّ بصدر دابته، فكان إذا قيل له: من هذا وراءك؟ قال: هذا يهديني السبيل.

وفي لفظ: لما قدم ﷺ المدينة تلقاه المسلمون، فقام أبو بكر للناس، وجلس النبي صامتاً، وأبو بكر شيخ والنبي شاب، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يجيء^(١) أبا بكر فيعرفه بالنبي ﷺ حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه برادته، فعرفه الناس عند ذلك.

صحيح البخاري باب هجرة النبي (٥٣/٦)، سيرة ابن هشام (١٠٩/٢)، طبقات ابن سعد (٢٢٢/١)، مسند أحمد (٢٨٧/٣)، معارف ابن قتيبة (ص ٧٥)، الرياض النضرة (٧٨/١، ٧٩، ٨٠)، المواهب اللدنية (٨٦/١)، السيرة الحلبية (٤٦/٢، ٦١)^(٢).

(١) كذا في السيرة الحلبية، وفي غيرها من المصادر: يجيء.

(٢) صحيح البخاري: ١٤٢١/٣ ح ٣٦٩٤، سيرة ابن هشام: ١٣٧/٢، الطبقات الكبرى: ٢٣٥/١، مسند أحمد: ٢٠٥/٤ ح ١٣٦٤٩، المعارف: ص ١٧٢، الرياض النضرة: ١٠٢/١ - ١٠٥، المواهب اللدنية: ٣٠٦/١، السيرة الحلبية: ٤١/٢ - ٤٢، ٥٤.

قال الأميني: ما أنزل الدهر نبي الإسلام حتى قيل: إنه شاب لا يعرف. كأنه غلام نكرة اتَّخذه شيخ انتشر صوته كصيته بين الناس دليلاً في مسيره يرتدغه تارة ويمشيه بين يديه أخرى، ومهما سئل عنه يقول: هذا يهديني الطريق وهو أعرف به مني، كأن نبي الإسلام ﷺ لم يكن ذلك الذي كان يعرض نفسه على القبائل في كل موسم فعرفوه على بكرة أبيهم من آمن منهم ومن لم يؤمن، خصوصاً الأنصار المدنيين منهم وفيهم رجال الأوس والخزرج، وقد بايعوه عند العقبة الأولى مرة، وبايعه منهم مرة ثانية عند العقبة ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان.

وكانه ﷺ لم يكن ذلك الذي أمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة قبله، وكان بتلك الهجرة غلقت أبواب، وخلت دور أناس من السكنى وهاجر أهلها رجالاً ونساء / وكان في مقدم المهاجرين ما يناهز ستين رجلاً، فلم يبق في مكة المعظمة من أسلم معه ﷺ إلا أمير المؤمنين وأبو بكر وكان المدينة ليست بدار بني النجار وهم خوولة النبي الأقدس.

وكانه ﷺ لم يكن الذي اتَّخذ المدينة قاعدة ملكه، وعاصمة حكومته، ومعسكر نهضته، فبث فيها رجاله وخاصته من أهلها ومن المهاجرين، فكانوا يرقبون مقدمه الشريف في كل حين حتى إذا وافوه مقبلاً عليهم استقبلوه بقضهم وقضيضهم وفيهم أهل البيعتين ومن تقدّمه من المهاجرين وكلّهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وأنه ﷺ مكث في قباء عند بني عمرو بن عوف أياماً وليالي حتى أسس مسجده الشريف فيها، فعرفه كل من في قباء ممّن لم يكن يعرفه قبل من رجال الأوس والخزرج، واتصل به كل من قدمها من المدينة فعرفوه جميعاً، وقد صلى الجمعة في قباء وفي بطن الوادي وادي رانونا واثمّ به من حضر من المسلمين عامّة.

وبقضاء من الطبيعة أنّ الناس عند التطلّع إلى رؤيته ﷺ كان يومي إليه كل عارف، ويسأل عنه كل جاهل، ويتقدّم المبايعون إلى التعرّف به والتزلف إليه، فلا

يبقى في المجتمع جاهل به حتى يسأل أبا بكر عنه في انتقاله من بني عمرو بقوله: من هذا الغلام بين يديك يا أبا بكر؟

فكانَ القادم رجل عادي مادوخ صيته الأقطار، ولم يره بشر من ذلك الجمع الحافل، ولم يحتفل به ذلك الاحتفال، ولا احتفي به تلك الحفاوة، وما سعدت ذوات الخدور على الأجاجير^(١) وما هزجت الصبيان والولائد بقولهن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وكأنه قدم في صورة منكرة بلا أيّ تقدمة إلى بلد لا يعرفه فيه أحد حتى خصّ السؤال عنه بأبي بكر فحسب.

ثم ما هذه التعمية في جواب أبي بكر بقوله: إنه يهديني السبيل. يريد سبيل السعادة فيحسب الحاسب أنه يهديه الطريق؟ الخوف كانت ولم يرد رسول الله ﷺ إلا على العدة والعدد والمتعة والعزة، وقد بايعته الأنصار على التفاني دونه؟ أو كان يخاف أبو بكر قريشاً وهو في حصن الدين المنيع ودرعه الحصينة؟ أم كانت لغير ذلك؟ فاسأل عنه خبيراً. والعجب كلّ العجب أن رجلاً هذه سيرته في التقية عن الناس في عاصمة الإسلام بين فرسان المهاجرين والأنصار كيف صح عنه ما جاء عن ابن مسعود وما روي عن مجاهد مرسلأ من قولهم: إن أول من أظهر الاسلام سبعة: رسول الله، وأبو بكر إلى آخره^(٢).

(١) جمع الإجار بكسر الأول وتشديد الجيم: السطح. (المؤلف)

(٢) تاريخ ابن كثير: ٥٨/٣ [٣٨/٣]، تاريخ ابن عساكر: ٤٤٨/٦ [٢٢١/٢٤] رقم ٢٩٠٥، وفي مختصر تاريخ دمشق: [١١٣/١١]. (المؤلف)

على أنّ الحالة كانت تقتضي أن يُسأل كلّ قادم إلى المدينة يوم ذاك عن شخص رسول الله ﷺ وأوان نزوله بها لا عن الغلام بين أيدي أبي بكر.

والعجب أنّ الجهل برسول الله في مزعمة هذا الراوي كان مستمراً بين مستقبله - وكلّهم نفوسهم نزاعة إلى عرفانه والتبرّك برؤيته - حتى ظلّله أبو بكر بردائه فعرفه الناس عند ذلك.

ومتى كان أبو بكر شيخاً والنبّي شاباً وهو ﷺ أكبر منه بسنتين وعدّة أشهر كما يأتي تفصيله إن شاء الله؟ وابن قتيبة أخذ هذا الحديث بظاهره فقال في المعارف^(١) (ص ٧٥):

هذا الحديث يدلّ على أنّ أبا بكر كان أسنّ من رسول الله ﷺ بمدة طويلة، والمعروف عند أهل الأخبار ما حكيناه. انتهى. وحكى قبل هذا أنّ رسول الله ﷺ هو أكبر سنّاً من أبي بكر.

نعم؛ عرف شرّاح البخاري من المتأخّرين موضع الغمز، فأولوا كون أبي بكر شيخاً بظهور الشيب في لحيته، وكون النبيّ شاباً بسواد كريمته، والعارف بأساليب الكلام يعلم أنّه تمحلّ محض، وأنّ المفهوم من تلك كما فهمه ابن قتيبة؛ كون أبي بكر شيخاً ورسول الله شاباً لا غير ذلك. وإلا فما معنى قولهم: ما هذا الغلام بين يديك؟ أو: من هذا الغلام بين يديك؟ ومن المعلوم أنّ الغلام لا يطلق على من عمره خمسون سنة تقريباً مهما أسودّ عارضه.

وعلى صحّة هذا التأويل أين المؤرّولون من صحيحة ابن عبّاس، قال: قال أبو بكر: / يا رسول الله قد شبت. قال: «شيبتي هود والواقعة» الحديث. وروى مثله الحفاظ عن ابن مسعود، وفي لفظ أبي جحيفة: قالوا: يا رسول الله نراك قد شبت.

قال: « شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا »^(١).

فهذه الصحيحة تعرب عن أنه ﷺ كان قد بان فيه الشيب على خلاف الطبيعة، وأسرع فيه حتى أصبح مسؤولاً عنه وعماً أثره فيه ﷺ، فأين منها ذلك التأويل البارد؟

وربما يُقال في حلّ مشكلة - يُعرف ولا يُعرف -: إنَّ أبا بكر كان تاجراً عرفه الناس في المدينة عند اختلافه إلى الشام، لكنّه على فرض تسليم كونه تاجراً، وعلى تقدير تسليم سفره إلى الشام ودون إثباته خرط القتاد، مقابل بأنَّ رسول الله ﷺ أيضاً كان يحاول التجارة يستطرق المدينة إلى الشام، فلو كانت التجارة بمجردها تستدعي معرفة الناس بالتاجر فهو في النبي الأعظم أولى لأنَّ شرفه المكتسب، وشهرته بالأمانة، وعظمته في النفوس، وتحليله بالفضائل، وبروز عصمته وقداسته عند الناس من أوّل يومه، وشرفه الطائل في نسبه؛ أجلب لتوجّه النفوس إليه، بخلاف التاجر الذي هو خلو من كل ذلك.

على أنّ التاجر متى هبط مصرأً فعارفوه رجال معدودون ممّن شاركوه في الحرفة، أو شارفوه في المعاملة، وهذا التعارف يخصُّ بأناس تُعدّ بالأنامل لا عامّة الناس كما حسبه. وأنّي هذا من سفر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأبو بكر يوم ذاك يرضع من ثدي أمّه، خرجت به ﷺ [أمّه] لما بلغ ستّ سنين من عمره إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزور به أخواله ومعه أمّ أيمن، فنزلت به في دار النابغة

(١) أخرجه الحافظ الترمذي في جامعه [٣٧٥/٥ ح ٣٢٩٧]، والحكيم الترمذي في نواذر الأصول [٢٨/٢ الأصل ١٨٦]، وأبو يعلى [في المسند: ١٠٢/١ ح ١٠٧، ١٠٨، ١٨٤/٢ ح ٨٨٠]، والطبراني [في المعجم الكبير: ١٤٨/٦ ح ٥٨٠٤، ١٠٢/١٠ ح ١٠٠٩١]، وابن أبي شيبة، والحاكم في المستدرک: ٣٤٣/٢ [٣٧٤/٢ ح ٣٣١٤] وصحّحه هو وأقرّه الذهبي، والقرطبي في تفسيره: ١/٧ [٣/٩]، وأبو نصر في اللمع: ص ٢٨٠ [ص ٣٥٢]، وابن كثير في تفسيره: ٤٣٥/٢، والمخازن في تفسيره: ٣٣٥/٢ [٣١٩/٢]. (المؤلف)

رجل من بني عدي بن النجار فأقامت به شهراً، ومما وقع في تلك السفارة:
 قالت أم أيمن: أتاني رجلان من اليهود يوماً نصف النهار بالمدينة فقالا:
 أخرجي لنا أحمد، فأخرجته ونظرا إليه وقلباها ملياً ثم قال أحدهما لصاحبه: هذا / نبي
 هذه الأمة، وهذه دار هجرته، وسيكون بهذه البلدة من القتل والسبي أمر عظيم.
 قالت أم أيمن: وعيت ذلك كله من كلامهما^(١). أبعده هذه كلها، وبعد تلکم الإرهاصات
 للنبوة التي ملأت بين الخافقين، وبعد ذلك الصيت الطائل الذي دوخ الأقطار، وبعد
 مضي خمسين سنة من عمره الشريف ﷺ رسول الله شاب لا يُعرف وأبو بكر شيخ
 يُعرف، يُسأل عنه: من هذا الغلام بين يديك؟

ولإيضاح هذه الجمل من الحري أن نسرّد كيفية هجرته ﷺ حتى تزيد
 بصيرة القارئ على موقع الإفك من هذه المجهلة الماثورة في الصحاح والمسانيد
 الصادرة عن الغلو في الفضائل عمياً وصماً، فأقول:

مركز تحقيقات كميتر علوم رسولي

الأنصار في البيعتين :

كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل في المواسم إذ كان يدعوهم إلى
 الله ويخبرهم أنه نبي مرسل فعرض نفسه على كندة، وعلى بني عبد الله بطن من كلب،
 وعلى بني حنيفة، وعلى بني عامر بن صعصعة، وعلى قوم من بني عبد الأشهل. فلما
 أراد الله عزّ وجلّ إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ وإنجاز مواعده له، خرج ﷺ في
 الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع
 في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً وفيهم:
 أسعد بن زرارة أبو أمانة النجاري، وعوف بن الحارث بن عفراء، ورافع بن مالك،
 وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبد الله.

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم: ٥٠/١ [٢٠٤/١ ح ٩٩]، صفة الصفوة لابن الجوزي: ٢٠/١ [٦٤/١]

رقم [١]، تاريخ ابن كثير: ٢٧٩/٢ [٣٤٠/٢]، بهجة المحافل: ٤٤/١. (المؤلف)

فكلّمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن فأجابوه فيما دعا إليهم ثم انصرفوا عنه ﷺ راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدّقوا.

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ، حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوه بالعقبة الأولى فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب، وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة، وعوف بن عفراء، ومعاذ بن عفراء، ورافع بن مالك، وذكوان بن عبد قيس، وعبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة، والعبّاس بن عبادة، وعقبة بن عامر، وقطبة بن عامر، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة.

قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى: على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي بهتان نفترقه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف.

فلما انصرف القوم عنه ﷺ بعث رسول الله معهم مصعب بن عمير بن هاشم ابن عبد مناف^(١) وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، ويقم فيهم الجمعة والجماعة، وكان مصعب يسمّى بالمدينة: المقرئ، وكان منزله على أسعد ابن زرارة أبي أمامة النجاري. وكان يصلي بهم الجمعة والجماعة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون.

ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجّاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق. قال كعب: فلما فرغنا من الحجّ وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام

(١) ابن عبدالدار بن قصي بن كلاب.

أبو جابر سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا أخذناه معنا، ثم دعونا إلى الإسلام فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيباً، فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نساتنا: نسيبة بنت كعب أم عمارة، وأسما بنت عمرو أم منيع.

قال: فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم». فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لئمننك عما تمنع منه أزرنا^(١) فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحروب، وأهل الحلقة، ورثناها كابراً عن كابر، فقال رسول الله ﷺ: «أخرجوا إلي / منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم». فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. وهم:

٢٦٤/٧

مكتبة التراث العربي

- ١ - أبو أمامة أسعد بن زرارة الخزرجي.
- ٢ - سعد بن الربيع بن عمرو الخزرجي.
- ٣ - عبدالله بن رواحة بن امرئ القيس الخزرجي.
- ٤ - رافع بن مالك بن العجلان الخزرجي.
- ٥ - البراء بن معرور بن صخر الخزرجي.
- ٦ - عبدالله بن عمرو بن حرام الخزرجي.
- ٧ - عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي.
- ٨ - سعد بن عبادة بن دليم الخزرجي.
- ٩ - المنذر بن عمرو بن خنيس الخزرجي.
- ١٠ - أسيد بن حضير بن سماك الأوسي.

(١) أزرنا: يعني نساءنا، والمرأة يُكنى عنها بالإزار. (المؤلف)

١١ - سعد بن خيثمة بن الحارث الأوسي .

١٢ - رفاعة بن عبد المنذر بن زبهر الأوسي . وقد يعدّ بمكانه أبو الهيثم بن

التيهان .

فقال رسول الله ﷺ للنقباء : « أأنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة
الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي - يعني المسلمين - . قالوا :
نعم .

قال العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري : يا معشر الخزرج هل تدرون علام
تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم . قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من
الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبةً ، وأشرافكم قتلاً اسلمتموه
فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة . وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما
دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا :
فإننا نأخذ على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن
وفينا ؟ قال : « الجنة » . قالوا : أبسط يدك . فبسط يده فبايعوه .

١٥/٧ فقال له العباس بن عباد : والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل / منى
غداً بأسيا فنا . قال : فقال رسول الله ﷺ : « لم نُؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى
رجالكم » . فرجعوا إلى مضاجعهم . فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها وفي قومهم
بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك . وكان أهل بيعة العقبة الآخرة ثلاثة
وسبعين رجلاً وامرأتين وهم :

أسيد بن حضير النقيب ، أبو الهيثم بن التيهان النقيب ، سلمة بن سلامة
الأشهلي ، ظهير بن رافع الخزرجي ، أبو بردة بن نيار بن عمرو ، مُهَير بن الهيثم
الحارثي ، سعد بن خيثمة النقيب ، رفاعة بن عبد المنذر النقيب ، عبدالله بن جبير

ابن النعمان ، معن بن عديّ بن الجعد ، عويم بن ساعدة الأوسي ، أبو أيّوب خالد الأنصاري ، معاذ بن الحارث الأنصاري ، أسعد بن زرارة النقيب ، سهيل بن عتيك النجاري ، أوس بن ثابت الخزرجي ، أبو طلحة زيد بن سهل ، قيس بن أبي صعصعة النجاري ، عمرو بن غزية الخزرجي ، سعد بن الربيع النقيب ، خارجة بن زيد الخزرجي ، عبدالله بن رواحة النقيب ، بشير بن سعد الخزرجي ، خلاد بن سويد الخزرجي ، عقبة بن عمرو الخزرجي ، زياد بن لبيد الخزرجي ، فروة بن عمرو الخزرجي ، خالد بن قيس الخزرجي ، رافع بن مالك النقيب ، ذكوان بن عبدقيس الخزرجي ، عبادة بن قيس الخزرجي ، الحارث بن قيس الخزرجي ، البراء بن معرور النقيب ، بشر بن البراء الخزرجي ، سنان بن صيفي الخزرجي ، الطفيل بن النعمان الخزرجي ، معقل بن المنذر الخزرجي ، يزيد بن المنذر الخزرجي ، مسعود بن يزيد الخزرجي ، الضحّاك بن حارثة الخزرجي ، يزيد بن خزام الخزرجي ، جبار بن صخر الخزرجي ، الطفيل بن مالك الخزرجي ، كعب بن مالك الخزرجي ، سليم بن عمرو الخزرجي ، قطبة بن عامر الخزرجي ، يزيد بن عامر الخزرجي ، كعب بن عمرو الخزرجي ، صيفي بن سواد الخزرجي ، ثعلبة بن غنمة السلمي ، عمرو بن غنمة السلمي ، عبدالله بن أنيس السلمي ، خالد بن عمرو السلمي ، عبدالله بن عمر النقيب ، جابر بن عبدالله السلمي ، ثابت بن ثعلبة السلمي ، عمير بن الحارث السلمي ، خديج ابن سلامة بن القرافر ، معاذ بن جبل الخزرجي ، أوس بن عباد الخزرجي ، عبادة بن الصامت النقيب ، غنم بن عوف الخزرجي ، العباس بن عبادة الخزرجي ، / أبو عبدالرحمن بن يزيد الخزرجي ، عمرو بن الحارث الخزرجي ، رفاعة بن عمرو الخزرجي ، عقبة بن وهب الجشمي ، سعد بن عبادة النقيب ، المنذر بن عمرو النقيب ، عوف بن الحارث الأنصاري ، معوذ بن الحارث الأنصاري ، عسارة بن حزم الأنصاري ، عبدالله بن زيد مناة الخزرجي .

نبأ الهجرة :

فلما عنت قريش على الله عز وجل ، وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة ، وكذبوا نبيه ﷺ ، وعذبوا ونفوا من عبده ووحدته وصدق نبيه واعتصم بدينه أذن الله عز وجل لرسوله ﷺ في القتال فنزل قوله تعالى ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْسَهُمْ ظَلَمُوا ﴾^(١) ثم الآية أنزل الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾^(٢) .

فلما أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب وتابعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن أتبعه ، وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، وللحوق بإخوانهم من الأنصار ، وقال : إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تآمنون بها . فخرجوا أرسالاً^(٣) وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة ، فهاجر بنو جحش فغلقت دورهم هجرة تخفق أبوابها يباباً ، ليس فيها ساكن خلاء من أهلها . وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام قد أوعبوا إلى المدينة هجرة نساءهم ورجالهم ، ثم تتابع المهاجرون وفيهم :

أبو سلمة بن عبد الأسد ، عامر بن ربيعة الكعبي ، عبد الله بن جحش ، عبد بن جحش أبو أحمد ، عكاشة بن محصن ، شجاع بن وهب ، عقبة بن وهب ، عريذ بن حمير ، منقذ بن نباتة ، سعيد بن رقيش ، محرز بن نضلة ، يزيد بن رقيش ، قيس بن

(١) الحج : ٣٩ .

(٢) الانفاق : ٣٩ .

(٣) أرسالاً : جماعة في إثر جماعة .

جابر ، عمرو بن محسن ، مالك بن عمرو ، صفوان بن عمرو ، ثقف بن عمرو ، ربيعة بن أكثم ، الزبير بن عبيدة ، تمام بن عبيدة ، سخبرة بن عبيدة ، محمد بن عبد الله بن جحش ، عمر بن الخطاب ، عياش بن أبي ربيعة ، زيد بن الخطاب ، عمرو بن سراقه ، عبد الله بن سراقه ، خنيس بن حذافة ، إياس بن البكير ، عاقل بن البكير ، عامر بن البكير ، خالد بن البكير ، / طلحة بن عبيد الله ، حمزة بن عبد المطلب ، صهيب بن سنان ، زيد بن حارثة ، كنار بن حصين ، عبيدة بن الحارث ، الطفيل بن الحارث ، الحصين بن الحارث ، مسطح بن أثاثة ، سويبط بن سعد ، طليب بن عمير ، خباب مولى عتبة ، عبد الرحمن بن عوف ، الزبير بن عوام ، أبو سبرة بن أبي رهم ، مصعب بن عمير ، أبو حذيفة بن عتبة ، سالم مولى أبي حذيفة ، عتبة بن غزوان ، عثمان بن عفان ، أنسة مولى رسول الله ، أبو كبشة مولى رسول الله .

وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة . ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حُبس أو فتن ، إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه ، وما كان يعلم بخروجه رضي الله عنه أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر ، أما علي فإن رسول الله ﷺ أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة ، حتى يؤدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته رضي الله عنه .

فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج خرج ومعه أبو بكر ثم عمدا إلى غارِ بثور - جبل بأسفل مكة - فدخلاه فأقام فيه رسول الله ﷺ ثلاثاً ومعه صاحبه .

ثم خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط سلك بهما أسفل مكة ثم مضى بهما على

الساحل أسفل من عُسفان^(١) ثم سلك بهما على أسفل أبح^(٢) ثم استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق بعد أن أجاز قديداً^(٣) ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخزاز^(٤) ثم سلك بهما ثنية^(٥) المرة، ثم سلك بهما لقفاً^(٦)، ثم استبطن بهما مدلجة / مجاج^(٧) ثم سلك بهما مرجح مجاج ثم تبطن بهما مرجح^(٨) من ذي العضوين - العضوين - ثم بطن ذي كشر^(٩) ثم أخذ بهما على الجداجد^(١٠) ثم على الأجرد^(١١) ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعدا مدلجة تعهن^(١٢) ثم على العبايد^(١٣) ثم أجاز بهما الفاجة^(١٤) ثم هبط بهما العرج^(١٥)، فحمل رسول الله ﷺ رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل له - يقال له: ابن الرداء - إلى المدينة، وبعث معه غلاماً له، يقال له مسعود بن هنيذة، ثم خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية

(١) بضم الأول ثم السكون: محل من مكة على مرحلتين [معجم البلدان: ١٢١/٤]. (المؤلف)

(٢) بفتح الهمزة والميم: بلد من أعراف المدينة [معجم البلدان: ٢٤٩]. (المؤلف)

(٣) بضم الأول وفتح الدال: موضع فيه ماء بين مكة والمدينة. بها منازل خزاعة. (المؤلف)

(٤) بفتح المعجمة وتشديد الراء: موضع قرب الجحفة. (المؤلف)

(٥) ثنية المرة مخفف الراء. (المؤلف)

(٦) ويقال: لقف بالتحريك. ويفتح اللام وسكون الفاء. وبكسر اللام وسكون الفاء. (المؤلف)

(٧) بفتح الميم وكسره بجيمين وصححه بعض بفتح الميم ثم المعجمة وآخره مهملة. (المؤلف)

(٨) بفتح الميم وسكون الراء بعدها معجمة مكسورة وآخره مهملة. (المؤلف)

(٩) بفتح الكاف وسكون الشين وآخره مهملة. (المؤلف)

(١٠) بالمعجمتين والمهملتين بينها ألف. من الآبار القديمة. (المؤلف)

(١١) اسم جبل هناك. (المؤلف)

(١٢) تعهن بكسر أوله وهائه وتسكين العين وآخره نون: اسم عين ماء سمي به على ثلاثة أميال من

السقيا بين مكة والمدينة، ويقال في ضبطه غير هذا. (المؤلف)

(١٣) ويقال: العبايب، ويقال: العثيانة. (المؤلف)

(١٤) ويقال: الفاجة بالمهملة. والقاحة: مدينة على ثلاث مراحل من المدينة. (المؤلف)

(١٥) بفتح العين وسكون الراء: عقبة بين مكة والمدينة. (المؤلف)

العائر^(١) عن يمين ركوبة^(٢) حتى هبط بهما بطن رثم^(٣) ثم قدم بهما قباء^(٤) على بني عمرو بن عوف حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل.

ولما دنوا من قباء بعثوا رجلاً من أهل البادية إلى أبي أمامة وأصحابه من الأنصار، فثار المسلمون إلى السلاح واستقبله زهاء خمسمئة من الأنصار فوافوه وهو مع أبي بكر في ظل نخلة، ثم قالوا لهما: اركبا آمنين مطاعين. فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بقباء في دار بني عمرو بن عوف، فأقام رسول الله ﷺ بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده، وقد يقال كما في سنن أبي داود^(٥) (١ / ٧٤): إنه أقام في قباء أربع عشرة ليلة، وحكى موسى ابن عقبة اثنتين وعشرين ليلة. وقال البخاري^(٦): بضع عشرة ليلة، وبقباء كانت منازل الأوس والخزرج.

ثم أخرجته الله من بين أظهرهم يوم الجمعة فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي وادي رانونا، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة.

قال عبدالرحمن بن عويم: حدثني رجال من قومي من أصحاب رسول الله ﷺ

(١) قال محمد يحيى الدين المصري في حاشية سيرة ابن هشام: ١٠٨/٢: لم يذكر ياقوت العائر لا بالعين المهملة ولا بالفتحة المعجمة. أقول: ذكره في العين المهملة: ١٠٣/٦ [معجم البلدان: ٧٣/٤] وقال: جبل بالمدينة. وفي حديث الهجرة: ثنية العائر عن يمين ركوبة. ويقال: ثنية العائر، بالفتحة المعجمة. انتهى ملخصاً. (المؤلف)

(٢) بفتح الراء: ثنية صعبة عند العرج. (المؤلف)

(٣) بكسر الراء المهملة موضع على أربعة برد من المدينة. وقيل: ثلاثة برد. (المؤلف)

(٤) بضم أوله: قرية على مابين من المدينة. (المؤلف)

(٥) سنن أبي داود: ١٢٣/١ ح ٤٥٣.

(٦) صحيح البخاري: ١٤٢١/٣ ح ٣٦٩٤.

قالوا: لما سمعنا بمخرج رسول الله ﷺ من مكة وتوكلنا^(١) قدومه كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حررتنا ننتظر رسول الله ﷺ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلًا دخلنا، وذلك في أيام حارة.

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة وصلى الجمعة أتاه عتيان بن مالك وعباس بن عباد بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف، فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة. قال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» - يعني ناقته - فخلوا سبيلها. فانطلقت، حتى إذا وازنت دار بني بياضة، تلقاه زياد بن لبيد، وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة، فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة. قال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة»، فخلوا سبيلها. فانطلقت، حتى إذا مرت بدار بني ساعدة، اعترضه سعد بن عباد، والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة، فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة. قال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة»، فخلوا سبيلها. فانطلقت، حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد ابن الربيع، وخارجه بن زيد، وعبدالله بن رواحة في رجال من بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة. قال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة». فخلوا سبيلها. فانطلقت، حتى إذا مرت بدار بني عدي بن النجار اعترضها سليط بن قيس، وأبو سليط أسيرة بن أبي خارجة في رجال من بني عدي فقالوا: يا رسول الله هلم إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة. قال: «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة». فخلوا سبيلها. فانطلقت، حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار، / بركت على باب مسجده ﷺ وهو يومئذ مربد^(٢) لغلامين يتيمين من بني النجار: سهل وسهيل ابني عمرو، فلما بركت ورسول الله ﷺ عليها لم ينزل وثبتت، فسارت غير

(١) استشعرناه وانتظرناه. (المؤلف)

(٢) بكسر الميم وفتح الباء بينها مهملة ساكنة أصله الموضع الذي يجف فيه التمر. (المؤلف)

بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يشئها به، ثم التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة، فبركت فيه، ثم تحلحلت^(١) ورزمت^(٢) ووضعت جرانها^(٣) فنزل عنها رسول الله ﷺ فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ونزل عليه رسول الله ﷺ وسأل عن المرید لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي، وسأرضيها منه فاتخذته مسجداً.

راجع^(٤) سيرة ابن هشام (٣١/٢ - ١١٤)، تاريخ الطبري (٢٣٣/٢ - ٢٤٩)، طبقات ابن سعد (٢٠١/١ - ٢٢٤)، عيون الأثر (١٥٢/١ - ١٥٩)، الكامل لابن الأثير (٣٨/٢، ٤٤)، تاريخ ابن كثير (١٣٨/٣ - ٢٠٥)، تاريخ أبي الفدا (١٢١/١ - ١٢٤)، الإمتاع للمقرئزي (ص ٣٠ - ٤٧)، السيرة الحليّة (٣/٢ - ٦١).

مركز تحقيقات كوفية - ١١٠ - رسدي

أبو بكر أسنّ من النبيّ

عن يزيد^(٥) بن الأصم: أن النبيّ ﷺ قال لأبي بكر: أنا أكبر أو أنت؟ قال: لا بل أنت أكبر مني وأكرم مني وخير مني، وأنا أسنّ منك.

(١) تحلحلت: تحركت. وقد يقال: تلححلت. أي لزمت مكانها. (المؤلف)

(٢) وعند ابن الأثير: أرزمت. أي رغت ورجعت في رغائها. (المؤلف)

(٣) الجران، ككتاب: قال السهيلي: أي عنقها. وقال غيره: الجران. ما يصيب الأرض من صدرها وباطن حلقها. (المؤلف)

(٤) السيرة النبوية: ٦٣/٢ - ١٤١، تاريخ الأمم والملوك: ٣٥٢/٢ - ٣٨٣، الطبقات الكبرى: ٢٢٥/١ - ٢٣٨، عيون الأثر: ٢٥٣/١ - ٢٥٩، الكامل في التاريخ: ٥٢٠/١ حوادث السنة الأولى للهجرة، البداية والنهاية: ٢٤٠/٣ - ٢٤٨، تاريخ أبي الفداء: ١٢٦ - ١٢٧، السيرة الحليّة: ٤١/٢ - ٦٠، الروض الأنف: ١٨١/٤ - ٢٣٣.

(٥) في الرياض [١٦٠/١]: زيد. والصحيح: يزيد. (المؤلف)

أخرجه ابن الضحّاك، وذكره أبو عمر في الاستيعاب (٢٢٦/٢)، والمحَبّ الطبري في الرياض النضرة^(١) (١٢٧/١)، والسيوطي في تاريخ الخلفاء^(٢) (ص ٧٢) نقلاً عن خليفة بن خياط، وأحمد بن حنبل، وابن عساكر^(٣).

قال الأميني: أو لا تعجب من أكذوبة تُعدّ أكرومة؟ متى تصحّ رواية يزيد بن الأصم عن النبي ﷺ ولم يُدرکه، فإنّ الرجل توفّي سنة (١٠١، ١٠٣، ١٠٤) وهو ابن ثلاث و / سبعين سنة، فولادته بعد وفاة النبي ﷺ بدهر.

٢٧١/٧

ثمّ متى كان أبو بكر أسنّ من النبيّ وقد وُلد ﷺ في عام الفيل، ووُلد أبو بكر بعد عام الفيل بثلاث سنين. وقال سعيد بن المسيب: استكمل أبو بكر بخلافته سنّ رسول الله ﷺ، فتوفّي وهو بسنّ النبيّ ﷺ ابن ثلاث وستين سنة. راجع:

المعارف^(٤) لابن قتيبة (ص ٧٥) وقال: اتَّفَقُوا على أنّ عمره ثلاث وستون سنة، فكان رسول الله ﷺ أسنّ من أبي بكر بمقدار سنّ خلافته. صحيح الترمذي^(٥) (٢٨٨/٢) وفيه: أنّه ﷺ توفّي وهو ابن خمس وستين سنة، سيرة ابن هشام (٢٠٥/١)، تاريخ الطبري^(٦) (١٢٥/٢ و ٤٧/٤)، الاستيعاب^(٧) (٣٣٥/١) وقال: لا يختلفون أنّ سنّه انتهت إلى حين وفاته ثلاثاً وستين سنة إلا ما لا يصحّ، وأنّه استوفّي بخلافته بعد رسول الله ﷺ سنّ رسول الله ﷺ وقال في الجزء الثاني (ص ٦٢٦) بعد ذكر حديث يزيد الأصم: هذا الخبر لا يعرف إلا بهذا الإسناد، وأحسبه وهماً لأنّ

(١) الرياض النضرة: ١٦٠/١.

(٢) تاريخ الخلفاء: ص ٩٩.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٢٥/٣٠ رقم ٣٣٩٨.

(٤) المعارف: ص ١٧٢.

(٥) سنن الترمذي: ٥٦٤/٥ ح ٣٦٥٠، ٣٦٥١.

(٦) تاريخ الأمم والملوك: ١٥٥/٢، ٢١٦/٣ حوادث سنة ١٣ هـ.

(٧) الاستيعاب: القسم الثالث/ ٩٧٧ رقم ١٦٣٣.

جمهور أهل العلم بالأخبار والسير والآثار يقولون: إن أبا بكر استوفى بمدة خلافته سن رسول الله ﷺ. توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة^(١). الكامل (١٨٥/١ و ١٧٦/٢)، أسد الغابة (٢٢٣/٣)، مرآة الجنان (٥٦/١، ٦٩)، مجمع الزوائد (٦٠/٩)، عيون الأثر (٤٣/١)، الإصابة (٣٤٤، ٣٤١/٢)، السيرة الحلبية (٣٩٦/٣).

نعم: هذه المسألة وقعت بينه ﷺ وبين سعيد بن يربوع المخزومي كما رواها البغوي وابن منده^(٢)، وابن يربوع توفي سنة (٥٤) وله (١٢٠) سنة. وقيل: وزيادة أربع. ولما كانت شيبة أبي بكر وكبر سنه هي الحجّة الوحيدة على مخالفته يوم السقيفة فأيدها المغالون في فضائله بأمثال هذه المخاريق المفتعلة، وتحريف التاريخ عن مواضعه والله يعلم إنهم لكاذبون.



إسلام أبي بكر قبل ولادة عليّ

عن شباية عن فرات بن السائب قال: قلت لميمون بن مهران: أبو بكر الصديق أول إيماناً بالنبي ﷺ أم عليّ بن أبي طالب؟ قال: والله لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ / زمن بحيرا الراهب، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه، وذلك كله قبل أن يولد عليّ بن أبي طالب.

٢٧٢/٧

وعن ربيعة بن كعب^(٣) قال: كان إسلام أبي بكر شبيهاً بالوحي من السماء وذلك أنه كان تاجراً بالشام فرأى رؤيا فقصها على بحيرا الراهب، فقال له: من أين أنت؟ فقال: من مكة. فقال: من أيها؟ قال: من قريش. قال: فأبي شيء أنت؟ قال:

(١) الكامل في التاريخ: ٧٥/٢ حوادث سنة ١٣هـ، أسد الغابة: ٣٢٤/٣ رقم ٣٠٦٤، عيون الأثر: ٦٤/١، السيرة الحلبية: ٣٦٧/٣.

(٢) الإصابة: ٥١/٢ [رقم ٣٢٩١]. (المؤلف)

(٣) في الخصائص الكبرى [٥٠/١]: عن كعب. وهو الصحيح. (المؤلف)

تاجر. قال: إن صدق الله رؤياك فإنه يُبعث نبي من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته من بعد وفاته. فأسر ذلك أبو بكر في نفسه حتى بُعث النبي ﷺ فجاءه فقال: يا محمد ما الدليل على ما تدعي؟ قال: الرؤيا التي رأيت بالشام، فعانقه وقبل بين عينيه وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله.

وقال الإمام النووي: كان أبو بكر أسبق الناس إسلاماً، أسلم وهو ابن عشرين سنة، وقيل: خمس عشرة سنة.

راجع^(١): الرياض النضرة (١/٥١، ٥٤)، أسد الغابة (١/١٦٨)، تاريخ ابن كثير (٩/٣١٩)، الصواعق المحرقة (ص ٤٥)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٤)، الخصائص الكبرى (١/٢٩)، نزهة المجالس (٢/١٨٢).

قال الأميني: هلّم معي ننظر إلى هذه المراسيل هل توجد فيها مسحة من الصدق؟ أما رواية ابن مهران سنداً: *تحتية كتيبة علوم رسيدي*

١ - فشبابه بن سوار^(٢) أبو عمرو المدائني: قال أحمد: تركته لم أكتب عنه للإرجاء وكان داعية، وقال ابن خراش: كان أحمد لا يرضاه وهو صدوق في الحديث، وقال الساجي وابن عبدالله وابن سعد^(٣) والعجلي^(٤) وابن عدي^(٥): إنه كان يقول بالإرجاء.

وقبل هذه كلها يظهر مما رواه أبو علي المدائني: أنه كان يبغض أهل بيت

(١) الرياض النضرة: ٧٤/١، أسد الغابة: ٣/٣١٠، رقم ٣٠٦٤، البداية والنهاية: ٩/٣٤٨ حوادث

سنة ١٣هـ، الصواعق المحرقة: ص ٧٦، تاريخ الخلفاء: ص ٣٢، الخصائص الكبرى: ١/٥٠.

(٢) في ميزان الاعتدال: سواد [٢/٢٦٠ رقم ٣٦٥٣، وفي الطبعة التي بين أيدينا: سوار]. (المؤلف)

(٣) الطبقات الكبرى: ٧/٣٢٠.

(٤) تاريخ الثقات: ص ٢١٤ رقم ٦٥١.

(٥) الكامل في ضعفاء الرجال: ٤/٤٥ رقم ٩٠٥.

النبي صلوات الله عليهم، وضربه الله بالفالج لدعاء من دعا عليه بقوله: اللهم إن كان شبابة يبغض أهل نبيك فاضربه الساعة بالفالج، ففلج في يومه ومات. ميزان الاعتدال (٤٤٠/١). تهذيب التهذيب^(١) (٣٠٢/٤).

٢ - فرات بن السائب الجزري: قال البخاري: منكر الحديث. وقال يحيى بن معين^(٢): ليس بشيء، منكر الحديث. وقال الدارقطني^(٣) وغيره: متروك. وقال أحمد ابن حنبل: قريب من محمد بن زياد الطحان في ميمون يتهم بما يتهم به ذلك. ومحمد بن زياد هو الشكري أحد الكذابين الوضاعين كما مر في (٢٥٨/٥)، ففرات عند إمام الحنابلة كذاب وضاع. وقال أبو حاتم^(٤): ضعيف الحديث، منكر الحديث. وقال الساجي: تركوه. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث. وقال ابن عدي^(٥): له أحاديث غير محفوظة وعن ميمون مناكير. ميزان الاعتدال^(٦) (٣٢٥/٢)، لسان الميزان^(٧) (٤٣٠/٤).

٣ - ميمون بن مهران: حسبه ما مر في رواية فرات عنه، أضف إلى ذلك قول العجلي: إنه كان يحمل على علي. كما في تهذيب ابن حجر^(٨) (٣٩١/١٠). هب أنه وثقة من وثقه، فما قيمته وقيمة حديثه بعد تحامله على علي أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

ثم قد أتى ميمون في حديثه بأمرين: إسلام أبي بكر زمن بحيرا، واختلافه في

(١) تهذيب التهذيب: ٢٦٤/٤.

(٢) التاريخ: ٤٢١/٤ رقم ٥٠٨٠.

(٣) الضعفاء والمتروكون: ص ٣٢٥ رقم ٤٣٣.

(٤) الجرح والتعديل: ٨٠/٧ رقم ٤٥٥.

(٥) الكامل في ضعفاء الرجال: ٢٢/٦ رقم ١٥٧٠.

(٦) ميزان الاعتدال: ٣٤١/٣ رقم ٦٦٨٩.

(٧) لسان الميزان: ٥٠٣/٤ رقم ٦٥٢٢.

(٨) تهذيب التهذيب: ٣٤٩/١٠.

زواج رسول الله ﷺ من خديجة. أما اختلافه بينه ﷺ وبين خديجة فلم ينبيء عنه قط خير. وليس من الجائز أن يكون الوسيط في قران رجل عظيم كمحمد وامرأة من بيت مجد وسؤدد ورئاسة كخديجة، شاب حدث ابن اثنتين وعشرين سنة وللزوج أعمام أشرف أعظم كالعباس وحمزة وأبي طالب وهو بينهم وفي بيتهم، وكان عمه أبو طالب كما يأتي يحبه حباً شديداً لا يحب أولاده مثله، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرجه معه حين يخرج^(١) وكان هو الذي كلم خديجة حتى وكّلت رسول الله ﷺ بتجارتهما، كما في الامتاع للمقريزي (ص ٨).

والذي جاء في السير والتاريخ في أمر هذا القران أن خديجة بعثت إلى رسول الله ﷺ ورغبت في زواجه لقربته وأمانته وحسن خلقه وصدق حديثه، وعرضت نفسها عليه ﷺ، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأعمامه فخرج معه عمه حمزة وفي لفظ ابن الأثير: خرج معه حمزة وأبو طالب وغيرهما من عمومته. حتى دخل على خويلد بن أسد، أو على عمرو بن أسد عم خديجة فخطبها إليه فتروجها عليه وآله الصلاة والسلام، وخطب أبو طالب ﷺ خطبة النكاح، فقال:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضئ^(٢) معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسؤاس حرمة، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبدالله لا يوزن برجل إلا رجع به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً، فإن كان في المال قل فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل. فزوجها.

(١) يأتي تفصيل ذلك في الكلام عن أبي طالب ﷺ. (المؤلف)

(٢) الضئضئ: الأصل والمعدن.

راجع^(١) طبقات ابن سعد (١١٣/١)، تاريخ الطبري (١٢٧/٢)، أعلام الماوردي (ص ١١٤)، الصفوة لابن الجوزي (٢٥/١)، الكامل لابن الأثير (١٥/٢)، تاريخ ابن كثير (٢٩٤/٢)، تاريخ الخميس (٢٩٩/١)، عيون الأثر (٤٩/١)، أسد الغابة (٤٣٥/٥)، الروض الأنف (١٢٢/١)، تاريخ ابن خلدون (١٧٢/٢)، المواهب اللدنية (٥٠/١)، السيرة الحلبية (١٤٩/١، ١٥٠)، شرح المواهب للزرقاني (٢٠٠/١)، سيرة زيني دحلان هامش الحلبية (١١٤/١).

فأين مزعمة ابن مهران من هذا التاريخ الصحيح المتواتر؟

وأما إسلام أبي بكر قبل ولادة عليّ أمير المؤمنين زمن بحيرا الراهب فإنه مأخوذ مما أخرجه ابن منده^(٢) من طريق عبد الغني بن سعيد الثقفي عن ابن عباس: أن أبا بكر الصديق صحب النبي وهو ابن ثمانين سنة وعشرين وهم يريدون الشام في تجارة، حتى إذا نزل منزلاً فيه سدرة قعد في ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له: بحيرا يسأله عن شيء.

هذه الرواية ضعفها غير واحد من الحفاظ. قال الذهبي في ميزان الاعتدال^(٣) (٢٤٣/٢): عبد الغني ضعفه ابن يونس. وأقرّ ضعفه ابن حجر في لسانه^(٤) (٤٥/٤)، وقال في الإصابة (١٧٧/١): أحد الضعفاء المتروكين.

(١) الطبقات الكبرى: ١٣٦/١، تاريخ الأمم والملوك: ٢٨١/٢، أعلام النبوة: ص ١٨٠، صفوة الصفوة: ٧٣/١ - ٧٤ رقم ١، الكامل في التاريخ: ٤٧١/١، البداية والنهاية: ٣٥٨/٢، تاريخ الخميس: ٢٦٣/١، عيون الأثر: ٧١/١، أسد الغابة: ٨٠/٧ رقم ٦٨٦٧، الروض الأنف: ٢٣٨/٢، تاريخ ابن خلدون: ٤٠٩/٢، المواهب اللدنية: ١٩٢/١، السيرة الحلبية: ١٣٧/١ - ١٣٩، السيرة النبوية: ٥٥/١.

(٢) أبو عبدالله محمد بن إسحاق الأصبهاني الحافظ الرّحال: المتوفى ٣٥٥. (المؤلف)

(٣) ميزان الاعتدال: ٦٤٢/٢ رقم ٥٠٥١.

(٤) لسان الميزان: ٥٣/٤ رقم ٥٢٣٦.

وذكره السيوطي في الخصائص الكبرى^(١) (٨٦/١) فقال: سند ضعيف، وضعفه القسطلاني في المواهب^(٢) (٥٠/١)، والحلي في السيرة النبوية^(٣) (١٣٠/١).

وأفزع من هذا رواية أخرجهما الحفاظ من طريق أبي نوح قراد عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبي موسى قال: خرج، أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله ﷺ في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب - يعني بجيرا - هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرّون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم، قال: فنزل وهم يحملون رحالهم، فجعل يتخلّهم حتى جاء فأخذ بيد النبي ﷺ فقال: هذا سيّد العالمين، هذا رسول ربّ العالمين، هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين، إلى أن قال:

فبايعوه وأقاموا معه عنده، فقال الراهب: أنشدكم الله أتيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب. فلم يزل يناشده حتى رده، وبعث معه أبو بكر بلائاً، وزوّده الراهب من الكعك والزيت.

أخرجه^(٤) الترمذي في صحيحه (٢٨٤/٢) فقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والحاكم في المستدرک (٦١٦/٢)، وأبو نعيم في الدلائل (٥٣/١)، والبيهقي في الدلائل، والطبري في تاريخه (١٩٥/٢)، وابن عساکر في تاريخه (٢٦٧/١)، وابن كثير في تاريخه (٢٨٤/٢)، نقلاً عن المحافظ أبي بكر الخرائطي والحفاظ المذكورين،

(١) الخصائص الكبرى: ١٤٥/١.

(٢) المواهب اللدنية: ١٨٩/١.

(٣) السيرة الحلبية: ١٢١/١.

(٤) سنن الترمذي: ٥٥٠/٥ ح ٣٦٢٠، المستدرک على الصحيحين: ٦٧٢/٢ ح ٤٢٢٩، دلائل النبوة:

٢١٧/١ ح ١٠٩، دلائل النبوة للبيهقي: ٢٤/٢، تاريخ الأمم والملوك: ٢٧٨/٢، تاريخ مدينة

دمشق: ٤/٣ - ٨، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٦/٢، البداية والنهاية: ٣٤٧/٢، عيون الأثر:

٦٣/١، المواهب اللدنية: ١٨٧/١.

وابن سيد الناس في عيون الأثر (٤٢/١)، والقسطلاني في المواهب (٤٩/١).

رجال الرواية :

١ - أبو نوح قراد عبدالرحمن بن غزوان : قال عباس الدوري : ليس في الدنيا أحد يحدث بهذا الحديث غير قراد أبي نوح ، وقد سمعه منه أحمد ويحيى لغرابته وانفراده . تاريخ ابن كثير ^(١) (٢٨٥/٢).

وقال الذهبي في الميزان ^(٢) (١١٣/٢) : كان يحفظ ، قوله مناكير ، وأنكر ما له حديث عن يونس - وذكر شرطاً من الحديث - فقال : ومما يدل على أنه باطل قوله : وبعث معه أبو بكر بلالاً ، وبلال لم يكن خلق بعد ، وأبو بكر كان صبيّاً .

وقال في تلخيص المستدرک تعليقاً على تصحيحه : قلت : أظنه موضوعاً فبعضه باطل . وقال ابن حجر في التهذيب ^(٣) (٢٤٨/٦) : ذكره ابن حبان في الثقات ^(٤) وقال : كان / يخطئ يتخالج في القلب منه لروايته عن الليث قصّة المالك . وقال أحمد : هذا - يعني حديث المالك - باطل مما وضع الناس . وقال الدارقطني : قال أبو بكر : أخطأ فيه قراد .

٢ - يونس بن أبي اسحاق : ضعف أحمد ^(٥) حديثه عن أبيه ، وقال : حديثه عن أبيه مضطرب . وقال أبو حاتم ^(٦) : كان صدوقاً إلا أنه لا يُحتج بحديثه . وقال أبو أحمد الحاكم : ربّما وهم في روايته . تهذيب التهذيب ^(٧) (٤٣٤/١١) . وقال أبو حاتم : صدوق

(١) البداية والنهاية : ٣٤٨/٢ .

(٢) ميزان الاعتدال : ٥٨١/٢ رقم ٤٩٣٤ .

(٣) تهذيب التهذيب : ٢٢٤/٦ .

(٤) الثقات : ٣٧٥/٨ .

(٥) العلل ومعرفة الرجال : ٥١٩/٢ رقم ٣٤٢٤ وفيه : حديثه حديث مضطرب .

(٦) الجرح والتعديل : ٢٤٤/٩ رقم ١٠٢٤ .

(٧) تهذيب التهذيب : ٣٨١/١١ .

لا يحتاج به. وقال ابن خراش: في حديثه لين. وقال ابن حزم في المحلى: ضعفه يحيى وأحمد جداً. وقال أحمد: حديثه مضطرب. ميزان الاعتدال^(١) (٣/٣٣٩).

٣ - أبو إسحاق السبيعي: قال ابن حبان^(٢): مدلس، وذكره الكرابيسي في المدلسين، وقال معن: أفسد حديث أهل الكوفة الأعمش وأبو إسحاق للتدليس. تهذيب التهذيب^(٣) (٦٦/٨)^(٤).

٤ - أبو بكر بن أبي موسى توفي سنة (١٠٦)، ضعفه ابن سعد^(٥)، وقال أحمد^(٦): لم يسمع من أبيه. تهذيب التهذيب^(٧) (٤١/١٢).

٥ - أبو موسى الأشعري المتوفى سنة (٤٢، ٥٠، ٥١، ٥٣): وهو ابن (٦٣) سنة بلا خلاف أجده، وقد وقعت الواقعة بعد عام الفيل بتسع سنين أو اثني عشر عاماً قبل ولادة أبي موسى الأشعري (١٧، ٢٢، ٢٣، ٢٥) عاماً، فإن كان أبو موسى هو الشاهد للقصة قبل مولده فحجداً، وإن كان يرويها عن شاهدها فن هو حتى ننظر في حاله؟ هذا شأن الرواية سنداً.

أهذه كلها تخفى على مثل الترمذي ومن بعده من الحفاظ فيحكمون فيها بالحسن؟ أو بالصحة كما فعله ابن حجر والحلي؟ أنا لا أدري. نعم؛ الحب يُعمى أو يُصم.

(١) ميزان الاعتدال: ٤٨٢/٤ رقم ٩٩١٤.

(٢) الثقات: ١٧٧/٥.

(٣) تهذيب التهذيب: ٥٩/٨.

(٤) ميزان الاعتدال: ٢٧٠/٢ رقم ٦٣٩٣.

(٥) الطبقات الكبرى: ٢٦٩/٦.

(٦) العلل ومعرفة الرجال: ٥٤١/١ رقم ١٢٨٠.

(٧) تهذيب التهذيب: ٤٢/١٢.

وأما متن الرواية فهو يكفي في تكذيبها، إذ سفر أبي طالب عليه السلام إلى الشام وأخذه معه رسول الله عليه السلام كان وقد مضى من عمره عليه السلام تسع سنين على ما قاله أبو جعفر الطبري والسهيلي وغيرهما، أو اثنا عشر عاماً على ما قاله آخرون^(١) وكان / أبو بكر يوم ذاك ابن ستٍّ أو تسع سنين، فأين كان هو؟ وماذا كان يصنع بالشام؟ وأي اختيار كان له بين شيوخ قريش؟ ولم تكن تنعقد نطفة بلال يوم ذاك أخذاً بقول من قال: إنه توفي سنة (٢٥) وله بضع وستون سنة^(٢) أو أنه ولد في تلكم السنين أخذاً بقول ابن الجوزي في الصفوة^(٣) (١٧٤/١) من أنه مات سنة عشرين وهو ابن بضع وستين سنة. كأنَّ أبا بكر وُلد وهو شيخ وبلال عتيقه، وكان معه من أوَّل يومه، وكان من يوم ولد له الحلَّ والعقد!

ثمَّ أيَّ بيعة كانت يوم ذاك؟ وما معنى قول أبي موسى الأشعري: فبايعوه وأقاموا معه عنده؟ وأيَّ إيمان وإسلام على زعم رواة هذه الأفيفة، وكان قبل البعثة بإحدى وثلاثين سنة، أو ثمانية وعشرين عاماً، أو اثنين وعشرين، أو سبع عشرة سنة على زعم النووي؟ ولم تكن للنبي عليه السلام يومئذٍ دعوة، ولا كلف أحداً بالإيمان به، فلا يُقال لمن عرف شيئاً من إرهاصات النبوة إنه أسلم يوم عرف وإلا لكان بحيرا الراهب ونسطور وأمثالهما من الرهبان والكهنة أقدم إسلاماً من أبي بكر، وكم هنالك أناس عرفوا أمر الرسالة قبلها وبشروا بها ثمَّ بعد البعثة عاندوا وحسدوا، فنتهم من مات مشركاً، ومنهم من أدركته الهداية بعد حين كما يأتي في كعب الأحيار بعيد هذا. وكيف أثبت ذلك اليوم إيماناً لأبي بكر وصار بذلك أقدم الناس إسلاماً ولم يُثبت لأبي

(١) طبقات ابن سعد: ١٠٢/١ [١٢١/١]، تاريخ الطبري: ٢٧٨/٢، تاريخ ابن عساکر: ٢/١، ٢٦٩

[٩/٣]، تاريخ ابن كثير: ٢٨٥/٢ [٣٤٨/٢]، الروض الأنف: ١١٨/١ [٢٢١/٢]، إمتاع

المقريزي: ص ٨، عيون الأثر: ٤٣/١ [٦٤/١]، شرح المواهب للزرقاني: ١٩٦/١. (المؤلف)

(٢) تهذيب التهذيب: ٥٠٣/١ [٤٤١/١]. (المؤلف)

(٣) صفة الصفوة: ٤٤٠/١ رقم ٢٤.

الغلوة في فضائل أبي بكر / أحاديث الغلو أو قصص الخرافة..... ٣٧٣

طالب لا ذاك ولا غيره؟ وأبو موسى لم يستثنِ أبا طالب من أولئك الذين بايعوا يوم ذاك نظراء أبي بكر وبلال الخيالي.

قال المحافظ الدمياطي: في هذا الحديث وهمان: الأول: قوله: فبايعوه وأقاموا معه. والثاني: قوله: وبعث معه أبو بكر بلالاً، ولم يكونا معه، ولم يكن بلال أسلم ولا ملكه أبو بكر، بل كان أبو بكر حينئذ لم يبلغ عشر سنين، ولم يملك أبو بكر بلالاً إلا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين سنة. وكذا ضعفه الذهبي^(١).

وقال الزركشي في الإجابة (ص ٥٠): هذا من الأوهام الظاهرة لأن بلالاً إنما اشتراه أبو بكر بعد مبعث النبي ﷺ وبعد أن أسلم بلال وعذبه قومه، ولما خرج النبي ﷺ إلى الشام مع عمه أبي طالب كان له من العمر اثنتا عشرة سنة وشهران وأيام، ولعل بلالاً لم يكن بعد ولد.

وقال ابن كثير في تاريخه^(٢) (٢٨٥/٢): إن قوله: وبعث أبو بكر معه بلالاً إن كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك اثنتي عشرة سنة فقد كان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرًا، وعمر بلال أقل من ذلك، فأين كان أبو بكر إذ ذاك؟ ثم أين كان بلال؟ كلاهما غريب، اللهم إلا أن يقال: إن هذا كان ورسول الله ﷺ كبير، إنما بأن يكون سفره بعد هذا، أو إن كان القول بأن عمره كان إذ ذاك اثنتي عشرة سنة غير محفوظ،^(٣) فإنه إنما ذكره مقيداً بهذا الواقدي، وحكى السهيلي عن بعضهم أنه كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك تسع سنين، والله أعلم.

قال الأميني: إن ابن كثير غضَّ البصر عما في الرواية من خرافة البيعة كأن لم

(١) حياة الحيوان للدميري: ٢٧٥/٢ [٢٤٦/٢]، تاريخ الخميس: ٢٩٢/١ [٢٥٨/١]، [وضعفه

الذهبي في تاريخ الإسلام: ٥٥ - ٥٧]. (المؤلف)

(٢) البداية والنهاية: ٣٤٨/٢.

(٣) أي غير المذكور في كتب التاريخ.

يكن شيئاً مذكوراً. ثم أتى في تصحيح بعث أبي بكر بلائاً بما لا يخفى عليه فسادهُ، إذ لم يزد سفر رسول الله ﷺ إلى الشام مع أبي طالب ﷺ على المرّة الواحدة، وكون عمره ﷺ اثني عشر عاماً محفوظ عند ابن سعد وابن جرير وابن عساكر وابن الجوزي، ولم ينحصر بالواقدي كما حسبه. وقد سافر رسول الله ﷺ إلى الشام مرّة ثانية سنة خمس وعشرين من عام الفيل مع ميسرة غلام السيّدة خديجة سلام الله عليها، وليس هناك أيّ ذكر عن بحيرا وإنما فيه قضيّة نسطور الراهب^(١).

وقال ابن سيّد الناس في عيون الأثر^(٢) (٤٣/١) مثل مقالة الندميّاطي المذكورة، وكذلك الحلبي في السيرة النبويّة^(٣) (١٢٩/١)، والحديث أخرجه ابن الجوزي في صفة الصفوة^(٤) (٢١/١) من طريق داود بن الحصين وليس فيه أثر من الوهمين ولا ذكر عن أبي بكر.



مركز تحقيقات كميّتر علوم إسلامي

نظرة في حديث كعب :

وأما رواية كعب : فإنّي لم أجدها في أصل من أصول الحديث، ولم أر لها سنداً قطّ، وفي ذكر كعب وهو كعب الأحبار من رجال / سندها كفاية، وحسبنا في كعب ما أخرجه البخاري من حديث الزهري عن حميد بن عبدالرحمن أنّه سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار، فقال: إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدّثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنّا مع ذلك لنبلو عليه الكذب^(٥).

(١) تاريخ ابن عساكر: ٢٦٧/١، ٢٧٢ [١٤،٣/٣]، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٩٠،٥/٢، دلائل النبوة لأبي نُعيم: ٥٤/١ [٢١٩/١ ح ١١٠]، صفة الصفوة لابن الجوزي: ٢٤/١ [٧١/١ رقم ١]، تاريخ أبي الفداء: ١١٤/١، الإجابة للزركشي: ص ٥٠، تاريخ الخميس: ٢٦٢/١. (المؤلف)

(٢) عيون الأثر: ٦٤/١.

(٣) السيرة الحلبيّة: ١٢١/١.

(٤) صفة الصفوة: ٦٧/١ رقم ١.

(٥) تهذيب التهذيب: ٤٣٩/٨ [٣٩٤/٨]، الإصابة: ٣١٦/٣ [رقم ٧٤٩٦]. (المؤلف)

وقال ابن أبي الحديد في شرحه^(١) (٣٦٢/١): روى جماعة من أهل السير أنّ علياً كان يقول في كعب الأحمبار: «إنّه الكذاب» وكان كعب منحرفاً عن عليّ عليه السلام.

وأخرج ابن أبي خيثمة، بإسناد حسنه ابن حجر، عن قتادة قال: بلغ حذيفة أنّ كعباً يقول: إنّ السماء تدور على قطب كالحصى، فقال: كذب كعب، إنّ الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾^(٢).

عليّ أنّ كعباً لو كان يصدّق نفسه فيما أخبره من الإرهاصات والبشائر لما كان يبقى على دين اليهود طيلة حياة النبي صلى الله عليه وآله وما كان يؤخر إسلامه إلى عهد عمر بن الخطاب، ولما كان يتعلّل عندما سُئل عما منعه عن إسلامه في العهد النبويّ بقوله: إنّ أبي كان كتب لي كتاباً من التوراة فقال: **أعمل بهذا**، وختم عليّ سائر كتبه، وأخذ عليّ بحقّ الوالد على الولد أن لا أفضّ الختم عنها. فلما رأيت ظهور الإسلام قلت: لعلّ أبي غيب عني علماً، ففتحتها فإذا صفة محمد وأمتّه، فجنّت الآن مسلماً^(٣). وكان له يوم توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله اثنان وثمانون عاماً^(٤)، وأثر الكذب لائح في جلّ ما جاء به كعب، وحسبه ما أخرجه ابن عساكر في تاريخه^(٥) (٢٦٠/٥) من حديث ذي قربات الذي حكم الحفّاظ بعدم صحّته، وما جاء به السيوطي في الخصائص الكبرى^(٦) (٣١/١) من حديث إخباره عمر وعثمان بأنّهما المذكوران بالخلافة في التوراة، وفيها أنّ

(١) شرح نهج البلاغة: ٧٧/٤ خطبة ٥٦.

(٢) الإصابة: ٣١٦/٣ [رقم ٧٤٩٦]. (المؤلف)

(٣) الإصابة: ٣١٦/٣ [رقم ٧٤٩٦]. (المؤلف)

(٤) راجع الإصابة: [٣١٦/٣ رقم ٧٤٩٦]، أسد الغابة: [٤٨٧/٤ رقم ٤٤٧٧]، تهذيب التهذيب

[٣٩٣/٨]. (المؤلف)

(٥) تاريخ مدينة دمشق: ٣٦٥/١٧ رقم ٢١٠٨، وفي مختصر تاريخ دمشق: ١٨١/٢١.

(٦) الخصائص الكبرى: ٥٤/١.

عثمان يُقتل مظلوماً. ومع هذه كلها لم يُعلم صدور هذه البشارة منه في أيام إسلامه، ولعله كان قبله فلا يُقبل قوله ولا يصدق في حديثه.

على أن الأحلام إن صحّت وصدقت فلم لم يحدث أبو بكر أحداً من الصحابة بما أخبره بجيرا من البشارة في نفسه من أنه يكون وزيراً وخليفة لرسول الله ﷺ حتى يدور حديثه في دور النبي ﷺ على ألسنتهم، وتخبّت إليه أفئدتهم، وتزهر بذاكرته أنديتهم؟ أو أنه حدّث بها لكن الصحابة ضربوا عنها صفحاً فلم تُسنّه إلى المحدثين، ولا انتهت إلى أحد من أرباب الصحاح والمسانيد حتى انتهت النوبة إلى الغلاة في الفضائل من المتأخرين فأرسلوها إرسال المسلم تجاه الحقائق الراهنة.

ولو كان أبو بكر أوّل من أسلم بتلكم التقارب فأين كان هو إلى منتهى سبع سنين من البعثة التي يقول رسول الله ﷺ فيها: «لقد صلّت الملائكة عليّ وعليّ عليّ سبع سنين، لأنّا كنّا نصلّي وليس معنا أحد يصلّي غيرنا»^(١)؟

في أوليّة أمير المؤمنين في الإسلام أحاديث صحيحة عنه ﷺ وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الجزء الثالث، وأسلفنا هناك ما يربو على ستين حديثاً من الصحابة والتابعين في أن عليّاً أوّل الناس إسلاماً وأوّل من صلّي وآمن من ذكر. وقد مرّت هناك صحيحة الطبري أن أبا بكر أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً، ولو كان أبو بكر أوّل من أسلم وقد آمن به ﷺ قبل ولادة عليّ عليه السلام فأين كان هو يوم قال العباس لعبد الله بن مسعود: ما عليّ وجه الأرض أحد يعبد الله بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة: محمد وعليّ وخديجة؟ تاريخ ابن عساكر^(٢) (٣١٨/١).

فلا يحقّ أنتدّ لأيّ مغالٍ في الفضائل أن يدع تلكم الصحاح عن النبي الأعظم ووصيّته الأقدس والصحابة الأولين والتابعين لهم بإحسان، ويأخذ تجاهها برواية

(١) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا: ص ٢٢٠ - ٢٢٤. (المؤلف)

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٢٦٦/٣ مختصر تاريخ دمشق: ٦٨/٢.

كعب، وإن هو إلا كعب ليس إلا، ولا يثبت الحق بالكعاب! ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾^(١)، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَخَذَ لَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾^(٢).

- ١٣ -

أبو بكر أسن أصحاب النبي

أخرج ابن سعد^(٣) والبرزاري بسند حسن، عن أنس قال: كان أسن أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق وسهيل بن عمرو بن بيضاء.

وأخرجه أبو عمر في الاستيعاب^(٤) (٥٧٦/١)، وابن الأثير في أسد الغابة^(٥)

٢٨١/٧ (٣٧٠/٢) / وذكره المحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٠/٩) فقال: رواه البرزاري وإسناده حسن، ورواه ابن حجر في الإصابة (٨٥/٢). وفيه: سهل، بدل: سهيل، وهو أخوه أو هو هو، والسيوطي في تاريخ الخلفاء^(٦) (ص ٧٣) نقلاً عن ابن سعد والبرزاري.

قال الأميني: كنّا نعتقد أنّ المغلاة يمكن أن تقع في النفسيات التي لا تدرك بالحواس الظاهرة كالعلم والتقوى وأمثالها، وأمّا الغلو في المشهودات فلم يدع المنطق له مساعاً، فسرعان ما يظهر فيه كذب الغالي، ويفتضح به المائن حتى أوقفنا السير على أمثال هذه الأقاويل، فرأينا الرجل يقول بلاء فيه: إنّ أبابكر أسن أصحاب النبي ﷺ، وهو يجد في معاجم الصحابة كثيرين هم أسن منه بكثير، وإليك أسماء أمة منهم:

(١) النساء: ١٢٣.

(٢) المائدة: ٤٩.

(٣) الطبقات الكبرى: ٢٠٢/٣.

(٤) الاستيعاب: القسم الثاني/٦٦٨ رقم ١١٠٠.

(٥) أسد الغابة: ٤٧٨/٢ رقم ٢٣١٥.

(٦) تاريخ الخلفاء: ص ١٠٠.

١ - أمانة بن قيس بن شيبان الكندي : أسلم وقد عاش دهرأ، ويقال : إنه عاش ثلاثئة وعشرين سنة . كما في الإصابة (٦٣/١) .

٢ - أمد بن أهد الحضرمي : أدرك هاشم بن عبد مناف وأميّة بن عبد شمس ويقال : إنه كان في عهد معاوية له ثلاثئة سنة . الإصابة (٦٣/١) .

٣ - أنس بن مدرك أبو سفيان الخثعمي : قتل مع عليّ . كان سيّد خشعم في الجاهليّة عاش مئة وأربعاً وخمسين سنة . الإصابة (٧٢/١) .

٤ - أوس بن حارثة الطائي والد خريم ، صاحب رسول الله ﷺ : عاش مئتي سنة ، وأكثر هذه المدّة من أيام الجاهليّة . الإصابة (٨٢/١) .

٥ - ثور - ثوب - بن تلدة : أنشد له ابن الكلبي :

وإن امرأ قد عاش تسعين حجّة ~~منتهية~~ إلى مكّتين كلّها هو ذاهب

قال : ولا أدري ما عاش بعد ما أنشد هذا لمعاوية . وقد يقال : إنه كان له يوم بدر عشرون ومئة عام . الإصابة (٢٠٦/١) .

٦ - الجعد بن قيس المرادي : أسلم ، وكان قد بلغ مئة سنة . الإصابة (٢٣٥/١) .

٧ - حسان بن ثابت الأنصاري : عاش في الجاهليّة ستين وفي الإسلام ستين عاماً . الإصابة (٣٢٦/١) .

٨ - حكيم بن حزام الأسدي ابن أخي خديجة زوج النبي ﷺ : ولد قبل عام الفيل بثلاث وعشرين سنة ، وتوفيّ وهو ابن عشرين ومئة سنة . الإصابة (٣٤٩/١) .

٩ - حمزة بن عبدالمطلب عمّ النبيّ الأعظم : ولد قبله ﷺ بستين أو بأربع . الإصابة (٣٥٣/١) .

١٠ - حنيفة بن جبير بن بكر التيمي: أدرك أحفاده النبي ﷺ ولهم صحبة وكانوا يوم ذاك ذا الحلى، كما في الإصابة (٣٥٩/١).

١١ - حويطب بن عبدالعزى بن أبي قيس العامري، المتوفى سنة (٥٤): له مئة وعشرون عاماً. الإصابة (٣٦٤/١).

١٢ - حيدة بن معاوية العامري، مات وهو عم ألف رجل وامرأة وأدرك عبدالمطلب بن هاشم جد النبي ﷺ وكان بالغاً مبلغ الرجال. الإصابة (٣٦٥/١).

١٣ - خنابة بن كعب العبسي: كان له على عهد معاوية بن أبي سفيان مئة وأربعون سنة، وله قوله في الإصابة (٤٦٣/١):

حويت من الغايات تسعين حجة وخمسين حتى قيل أنت المقرع

١٤ - خويلد بن مرة الهذلي، أبو خراش: أدرك الاسلام شيخاً كبيراً. الإصابة (٤٦٥/١).

١٥ - ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم، أبو أروى الهاشمي. كان أسن من عمه العباس الآتي ذكره. الإصابة (٥٠٦/١).

١٦ - سعيد بن يربوع القرشي المخزومي، المتوفى (٥٤): وله (١٢٠، ١٢٤) عاماً. الإصابة (٥٢/٢).

١٧ - سلمة السلمي: أقبل إلى النبي ﷺ وأسلم وهو شيخ كبير.

١٨ - سلمان أبو عبدالله الفارسي، مات سنة (٣٢، ٣٣، ٣٦): روى أبو الشيخ عن العباس بن يزيد أنه قال: أهل العلم يقولون: عاش سلمان ثلاثمئة وخمسين سنة، فأما مئتان وخمسون فلا يشكون فيها. الإصابة (٦٢/٢).

١٩ - أبو سفيان القرشي الأموي: كان أسن من أبي بكر باثني عشر عاماً وعدة أشهر. الإصابة (١٧٩/٢).

٢٠ - صرمة بن أنس أبو قيس الأوسي : أدرك الإسلام فأسلم وهو شيخ كبير، عاش نحواً من مئة وعشرين عاماً، وهو القائل كما في الإصابة (١٨٣/٢):

بدا لي أني عشت تسعين حجةً وعشراً وما بعدها لي ثانيا
فلم ألفها لما مضت وعددها يحسبها^(١) في الدهر إلا لياليا

٢٨٣/٧

٢١ - صرمة بن مالك الأنصاري : أدرك الإسلام فأسلم وهو شيخ كبير. الإصابة (١٨٣/٢).

٢٢ - طارق بن المرقع الكناني : كان في حجة الوداع شيخاً كبيراً. الإصابة (٢٢١/٢).

٢٣ - الطفيل بن زيد الحارثي : هو الذي أخبر عمر بأمر رسول الله ﷺ في الجاهلية، وكان يوم ذاك قد أتت عليه مئة وستون سنة. الإصابة (٢٢٤/٢).

٢٤ - عاصم بن عدي العجلاني : توفي سنة خمس وأربعين، وله مئة وعشرون سنة. الإصابة (٢٤٦/٢).

٢٥ - العباس بن عبد المطلب عم النبي الأعظم : ولد قبل رسول الله بستين أو ثلاث. الإصابة (٢٧١/٢).

٢٦ - عبدالله بن الحارث بن أمية : أدرك الإسلام وهو شيخ كبير. الإصابة (٢٩١/٢).

٢٧ - عدي بن حاتم الطائي : مات بعد الستين وبلغ مئة وثمانين كما قاله أبو حاتم السجستاني، أو مئة وعشرين كما في قول خليفة. الإصابة (٤٦٨/٢).

٢٨ - عدي بن وداع الدوسي : من رجال الجاهلية، أدرك الإسلام فأسلم

الغلو في فضائل أبي بكر / أحاديث الغلو أو قصص الخرافة ٣٨١

وغزا، وتوفي وله ثلاثمائة سنة. الإصابة (٤٧٢/٢).

٢٩ - عمرو بن المسيب^(١) الطائي: مات وله مئة وخمسون عاماً. قال ابن قتيبة:
لست أدري أقبض قبل وفاة النبي أم بعده. الإصابة (١٦/٣).

٣٠ - فضالة بن زيد العدواني: سأله معاوية: كم أتت لك يا فضالة؟ قال:
عشرون ومئة سنة. الإصابة (٢١٤/٣).

٣١ - قباث بن أشيم: سأله عثمان بن عفان: أنت أكبر أم رسول الله؟ فقال:
رسول الله أكبر مني وأنا أسن منه. الإصابة (٢٢١/٣).

٣٢ - قردة بن نفاثة السلولي: أدرك الإسلام وهو شيخ كبير، وعاش مئة
وخمسين / سنة، وله كما في الإصابة (٢٣١/٣) من أبيات:

بان الشباب فلم أحفل به بالآل وأقبل الشيب والإسلام إقبالا

٣٣ - لبيد بن ربيعة بن عامر الكلابي الجعفري: توفي سنة (٤١) وهو ابن مئة
وأربعين أو مئة وسبع وخمسين سنة أو مئة وستين سنة. الإصابة (٣٢٦/٣).

٣٤ - اللجلاج الغطفاني: وفد إلى النبي ﷺ وهو ابن سبعين وعاش مئة
وعشرين سنة. الإصابة (٣٢٨/٣).

٣٥ - المستوعز بن ربيعة بن كعب: كان من فرسان العرب في الجاهلية، عاش
إلى أيام معاوية وكان له ٣٢٠/٣٣٠ سنة. الإصابة (٤٩٢/٣).

٣٦ - معاوية بن ثور البكائي: أسلم بيد النبي وهو شيخ كبير. الإصابة
(١٥٦/١) وفي بعض المعاجم: كان ابن مئة سنة.

(١) بضم الميم وفتح المهملة وتشديد الموحدة كما في الإصابة: ١٦/٣، وفي المعارف لابن قتيبة:
ص ١٣٦ [ص ٣١٤]: المسيح. (المؤلف)

٣٧ - منقذ بن عمرو الأنصاري: كان قد أتى عليه مئة وثلاثون في حياة رسول الله ﷺ كما في أسد الغابة^(١).

٣٨ - النابغة الجعدي: عاش في الجاهلية مئتي سنة، ومات وهو ابن ٢٢٥/٢٣٠ عاماً، وهو القائل كما في الإصابة (٥٣٨/٣):

| | |
|---|---------------------------|
| أبو ولدٍ كبيرٍ السنِّ فإني | ألا زعمت بنو أسدٍ بأني |
| من الفتيان أيام الخنَانِ ^(٢) | فن يك سائلاً عني فإني |
| وعشرٌ بعد ذاك وججتان | أتت مئة لعام ولدتُ فيه |
| كما أبقت من السيفِ اليماني | وقد أبقت صروفُ الدهرِ مني |

وقال أبو حاتم: عاش مئتي سنة، وهو القائل:

| | |
|----------------------------|---------------------------------|
| وقذجت من عنزٍ على الأوثان | وقالت أمامة كم عمرت زمانه |
| فيها وكنت أعدُّ من الفتيان | ولقد شهدت عكاظ قبل مجئها |
| وشهدت يوم هجائن النعمان | والمندَر بن محرقٍ في ملكه |
| وقوارعٌ تُتلى من القرآن | وعمرت حتى جاء أحمدٌ بالهدى |
| من سيبٍ لا حرمٍ ولا منان | ولبستُ في الإسلامِ ثوباً واسعاً |

٣٩ - نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمي ابن عم النبي الطاهر: كان أسنَّ من / أسلم من بني هاشم حتى من عميه حمزة والعباس المذكورين. الإصابة (٥٧٧/٣). ٢١.٥/٧

٤٠ - نوفل بن معاوية بن عروة الدؤلي: كان ممن عاش في الجاهلية ستين وفي الإسلام ستين سنة. الإصابة (٥٧٨/٣).

وقبل هؤلاء كلهم أبو قحافة والد الخليفة؛ فإنه كان أكبر سنّاً من الخليفة

(١) أسد الغابة: ٢٧٣/٥ رقم ٥١١٧.

(٢) الخنّان: داء يأخذ الإبل في مناخرها وتموت منه، وأرخ به لأنه جاء جارفاً.

لا محالة إن لم تُصغره المعاجز من ابنه كما صغرت رسول الله ﷺ وجعلته غلاماً وشاباً لا يُعرف بين يدي أبي بكر وهو أكبر منه!

راجع في تراجم هؤلاء المذكورين المعارف لابن قتيبة، معجم الشعراء للمرزباني، الاستيعاب لأبي عمر، أسد الغابة لابن الأثير، تاريخ ابن كثير، الإصابة لابن حجر، مرآة الجنان لليافعي، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي.

هؤلاء جملة ممن وقفنا على أسمائهم ممن أربوا على أبي بكر في السنّ من الصحابة الأولين، وهب أنا غضضنا الطرف عن كل ذلك فهلاً نسائل القوم عن وجه الفضيلة في كبر السنّ؟ أوليس في الأمم والأجيال من طعنوا في السنّ فبلغوا من العمر عتياً، وفيهم الحالي بالفضائل والعاطل عنها، وإذا مُدح أحدهم فإنما يُمدح بماثره لا بطول عمره؟ ومها طال عمر الخليفة فإن أكثره انقضى في الجاهلية، بُعث النبي ﷺ وللخليفة ثمان وثلاثون سنة، وقد مرّ في الجزء الثالث (ص ٢٢٠) أنه ﷺ صلى سبع سنين ولم يصلّ معه غير عليّ أمير المؤمنين. إذن فلا بُدّ من كبر عند إسلامه خمسة وأربعون عاماً وتوفي وهو ابن ثلاثة وستين، فقد أشغل في الإسلام ثماني عشرة سنة، وهذه المدّة الأخيرة هي التي يمكن أن تزددان بشيء من المناقب، فهل ازدانت أو لا؟

وفي الغاية أحسب أنه ليس للقوم غاية يعتدّ بها في كبر السنّ والاهتمام بذلك غير أنهم جعلوا الحجر الأساس للخلافة الراشدة أشياء منها: أن أبا بكر قدّم على أمير المؤمنين لأنه شيخ محنك لا ترة لأحد عنده فينبغض؛ وعلى هذا الأساس جعلوه تارة أكبر سنّاً من النبي ﷺ، وقد عرفت حاله في صفحة (٢٧٠) وأخرى أنه كان شيخاً يُعرف والنبيّ شاباً لا يُعرف، وأوقفناك على حقيقة الحال في (ص ٢٥٧). وآونة أنه أسنّ الصحابة ليحسموا مادة النقص بشيوخ في الصحابة كلهم أكبر من الإمام أمير المؤمنين ﷺ / وفيهم رؤساء وأعاضم، وما عرفوا أن المستقبل الكشاف سيوقف الباحثين على أناس هم أكبر من الرجل سنّاً، وأوفر علماً، وأبلغ حنكةً، وأقدم شرفاً، وأسبق إسلاماً.

- ١٤ -

أبو بكر في كفة الميزان

أخرج الخطيب في تاريخه (٧٨/١٤) من طريق عبدالله بن أحمد بن حنبل، عن الهذيل، عن مطرح بن يزيد، عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن زيد^(١)، عن القاسم ابن عبدالرحمن، عن أبي أمامة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: دخلت الجنة فسمعت فيها خشفة بين يدي. فقلت: ما هذا؟ قال: بلال، فضيت فإذا أكثر أهل الجنة فقراء المهاجرين وذراري المسلمين، ولم أر فيها أحداً أقل من الأغنياء والنساء. إلى أن قال: ثم خرجنا من أحد أبواب الجنة الثانية، فلما كنت عند الباب أتيت بكفة فوضعت فيها ووضعت أمتي في كفة فرجحت بها، ثم أتى بأبي بكر فوضع في كفة وجيء بجميع أمتي فوضعوا في كفة فرجع أبو بكر، ثم أتى بعمر فوضع في كفة وجيء بجميع أمتي فوضعوا فرجع عمر، ثم رُفِع الميزان إلى السماء. وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول^(٢) (ص ٢٨٨).

رجال الرواية:

١ - مطرح بن يزيد الكوفي: قال الدوري عن ابن معين^(٣): ليس بشيء، وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث، وقال أبو حاتم^(٤): ليس بالقوي ضعيف الحديث يروي أحاديث عن ابن زحر عن علي بن يزيد، فلا أدري البلاء منه أو من علي بن يزيد،

(١) كذا والصحيح: يزيد. (المؤلف)

[أنظر: التاريخ الكبير: ٣٠١/٦ رقم ٢٤٧٠، وتهذيب الكمال: ١٧٨/٢١ رقم ٤١٥٤].

(٢) نوادر الأصول: ١٥٣/٢ الأصل ٢٣٩.

(٣) التاريخ: ٥٦٩/٢ رقم ٢٢٠٩.

(٤) الجرح والتعديل: ٤٠٩/٨ رقم ١٨٧٠.

وقال الآجري عن أبي داود: زعموا أن البليّة من قبل عليّ بن يزيد، وقال النسائي^(١):
ضعيف ليس بشيء، وقال ابن عدي^(٢): بجانب روايته عن ابن زحر والضعف على
حديثه بين. ميزان الاعتدال^(٣) (١٧٤/٣)، تهذيب التهذيب^(٤) (١٧١/١٠).

٢ - عبيدالله بن زحر الإفريقي: مُجمَع على ضعفه كما في الميزان^(٥). ضعفه
أحمد^(٦). وقال ابن معين^(٧): ليس بشيء كل حديثه عندي ضعيف. وقال ابن المديني:
منكر الحديث. وقال الحاكم: لئن الحديث. وقال ابن عدي^(٨): يقع في أحاديثه ما لا
يتابع عليه. وقال أبو مسهر: صاحب كل معضلة. وقال الدارقطني: ضعيف، وقال
ابن حبان^(٩): يروي الموضوعات عن / الأثبات، فإذا روى عن عليّ بن يزيد أتى
بالطامات، وإذا اجتمع في إسناد خبر عبيدالله بن زحر وعليّ بن يزيد والقاسم بن
عبدالرحمن لم يكن متن ذلك الخبر إلا ما عملته أيديهم^(١٠).

قال الأميني: هذه الرواية بما اجتمع فيه هؤلاء الثلاثة فهو مما عملته أيديهم.

٣ - عليّ بن يزيد الألهاني: قال ابن معين: عليّ بن يزيد، عن القاسم، عن أبي
أمامة ضعاف كلّها. وقال يعقوب: واهي الحديث كثير المنكرات. وقال الجوزجاني:
رأيت غير واحد من الأئمة ينكر أحاديثه التي يرويها عنه عبيدالله بن زحر. وقال

(١) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ٢٢٧ رقم ٥٩٤.

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال: ٤٤٩/٦ رقم ١٩٣٠.

(٣) ميزان الاعتدال: ١٢٣/٤ رقم ٨٥٨٠.

(٤) تهذيب التهذيب: ١٥٥/١٠.

(٥) ميزان الاعتدال: ٦/٣ رقم ٥٣٥٩.

(٦) راجع الجرح والتعديل: ٣١٥/٥ رقم ١٤٩٩.

(٧) التاريخ: ٤٢٦/٤ رقم ٥١٠٧.

(٨) الكامل في ضعفاء الرجال: ٣٢٥/٤ رقم ١١٥٧.

(٩) كتاب المجروحين: ٦٢/٢.

(١٠) تهذيب التهذيب: ١٣/٧ [١٢/٧]. (المؤلف)

أبو زُرعة: ليس بالقوي. وقال أبو حاتم^(١): ضعيف الحديث أحاديثه منكرة، وقال البخاري^(٢): منكر الحديث ضعيف. وقال النسائي^(٣): ليس بثقة متروك الحديث. وقال الأزدي والدارقطني^(٤) والبرقي: متروك. وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث. وقال الساجي: اتفق أهل العلم على ضعفه. وقال أبو نُعيم: منكر الحديث. وقال ابن حجر: متهم.

ميزان الاعتدال^(٥) (٢٤٠/٢): تهذيب التهذيب^(٦) (١٣/٧، ٣٦٩).

٤ - القاسم بن عبدالرحمن الشامي: قال أحمد^(٧): هذه المناكير التي يروها عنه جعفر وبشر ومطرح مناكير مما يروها الثقات أنها من قِبَل القاسم. وقال الأثرم: حملها أحمد على القاسم. وقال: ما أرى هذا إلا من قِبَل القاسم. وقال الحرّاني: قال أحمد: ما أرى البلاء إلا من القاسم. وقال الغلابي: منكر الحديث. وقال ابن حبان^(٨): يروي عن الصحابة المعضلات. ميزان الاعتدال^(٩) (٣٤/٢)، تهذيب التهذيب^(١٠) (٣٢٣/٨). وهذا الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٩/٩) فقال: رواه أحمد^(١١) والطبراني^(١٢) وفيها: مطرح بن زياد وعلي بن يزيد الألهاني وكلاهما مجمع على ضعفه.

(١) الجرح والتعديل: ٢٠٨/٦ رقم ١١٤٢.

(٢) التاريخ الكبير: مج ٦ ج ٣/١٠٣ رقم ٢٤٧٠.

(٣) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ١٨٠ رقم ٤٥٥.

(٤) الضعفاء والمتروكون: ص ٣١٢ رقم ٤٠٨.

(٥) ميزان الاعتدال: ١٦١/٣ رقم ٥٩٦٦.

(٦) تهذيب التهذيب: ١٢/٧، ٣٤٦.

(٧) العُلل ومعرفة الرجال: ٥٦٥/١ رقم ١٣٥٣.

(٨) كتاب المجرحين: ٢/٢١١.

(٩) ميزان الاعتدال: ٣٧٣/٣ رقم ٦٨١٧.

(١٠) تهذيب التهذيب: ٢٨٩/٨.

(١١) مسند أحمد: ٣٤٦/٦ ح ٢١٧٢٩.

(١٢) المعجم الكبير: ٢١٦/٨ ح ٧٨٦٤.

قال الأمين: هذا شأن الرواية سنداً ورجاله كما ترى، واستدل الهيثمي على ضعفه بما في متنه. راجع مجمع الزوائد (٥٩/٩).

- ١٥ -

توسّل الشمس بأبي بكر

قال النبي ﷺ: عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ، حَتَّى الشَّمْسِ، فَإِنِّي سَلَّمْتُ عَلَيْهَا وَسَأَلْتُهَا عَنِ كَسُوفِهَا، فَأَنْطَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَقَالَتْ: لَقَدْ جَعَلَنِي اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَجَلَةٍ / تَجْرِي حَيْثُ يَرِيدُ، فَأَنْظِرْ إِلَى نَفْسِي بَعِينَ الْعَجَبِ فَتَزَلْ بِي الْعَجَلَةُ فَأَقْعُ فِي الْبَحْرِ، فَأَرَى شَخْصَيْنِ أَحَدُهُمَا يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ. وَالْآخَرُ يَقُولُ: صَدَقَ صَدَقَ. فَأَتَوَسَّلُ بِهِمَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَيَنْقِذُنِي مِنَ الْكُسُوفِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مَنْ هُمَا؟ فَيَقُولُ: الَّذِي يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ هُوَ حَبِيبِي مُحَمَّدٌ ﷺ وَالَّذِي يَقُولُ: صَدَقَ صَدَقَ هُوَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه. نزهة المجالس (١٨٤/٢).

أنا لا أحكم في هذه الرواية إلاّ علماء علم الفلك سواء في ذلك القدماء منهم والمحدثون. وقد تكلمنا في صحيفة (٢٣٨) عن العجلة التي حملت الشمس وبحثنا عنها بحثاً ضافياً، وليت الهيثميين درسوا هذه الرواية فأخذوا عنها علماً غزيراً، وعرفوا أنّ الكسوف يكون بغمس الشمس في البحر عقوبة على نظرها إلى نفسها بعين العجب وإنّ انجلاءها يتمّ بالتوسّل، ولعلّ المستقبل الكشاف يأتي بمن يعلم الأمة بسرّ خسوف القمر وتتأتّى به للمجالس نزهة بعد نزهة.

وهنا أسئلة جمّة:

١ - ليس الكسوف يخصّ هذه الأمة فحسب، ولا بأيام حياة أبي بكر خاصّة، فمن ذا الذي كان يقول: صدق صدق. قبل ميلاد أبي بكر؟ ومن ذا الذي يقوها بعد وفاته؟ ومن كانت الشمس تتوسّل قبل ذلك؟ ومن تتوسّل بعده؟

٢ - أين كان يقول أبو بكر: صدق صدق؟ أيقولها وهو في محله بمراى من الناس ومسمع فيسمعها الشمس بالإعجاز؟ أو كان يحضر على ذلك البحر الذي لم يحدّد بأيّ ساحل فيغيب عن الناس وتطوى له المسافة بخرق العادات؟ فلمّ لم يحدث عنه ذلك ولو مرّة واحدة؟ أو أنه يذهب هو ويدع قلبه المثالي بين الناس فيحسبونه هو هو؟ أو أنه يثبت في مكانه فيرسل قلبه ذلك فتحسبه الشمس أنه هو؟.

٣ - هب أن الشمس تحمل حياة روحية، فهل تحمل معها نفساً أمارة بالسوء بها تعجب بنفسها؟ أنا لا أدري. وعلى فرض ثبوت النفس الأمارة، فما بالها تدأب على المعصية وهي ترى استمرار العقوبة مع كل عصيان؟ فهل هي تتوب بعد كل معصية ثم تعود إليها بنسيان العقاب أو غلبة الشهوة؟ ومن المعلوم أن الكسوف لم ينقطع ليلة المعراج فهو من الكائنات المتجددة إلى انقراض العالم، فكان الشمس حينئذ كانت / تخبر رسول الله ﷺ بتصميمها على الاستمرار على المعصية منذ كل كسوف، فمتى تتوب هذه العاصية الشاعرة؟ أنا لا أدري. وفي ذمّة الصفوري صاحب الكتاب الخروج عن عهدة هذه الأسئلة. فهل يخرج؟ أنا لا أدري، وهذا أيضاً من الغلوّ في الفضائل والحبّ المعمي والمصمّ.

- ١٦ -

كلية من الجنّ مأمورة

عن أنس بن مالك قال. كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ أقبل إليه رجل من أصحابه وساقاه تشخبان دماً، فقال النبي ﷺ: ما هذا؟ قال: يا رسول الله، مررت بكلبة فلان المنافق فهشتني. فقال ﷺ: اجلس، فجلس بين يدي النبي ﷺ. فلما كان بعد ذلك بساعة إذ أقبل إليه رجل آخر من أصحابه وساقاه تشخبان دماً مثل الأول، فقال النبي ﷺ: ما هذا؟ فقال: يا رسول الله إني مررت بكلبة فلان المنافق فهشتني، قال: فهض النبي ﷺ: وقال لأصحابه: هلمّوا بنا إلى هذه الكلبة نقتلها،

فقاموا كلهم وحمل كل واحد منهم سيفه. فلما أتوها وأرادوا أن يضربوها بالسيف وقعت الكلبة بين يدي رسول الله ﷺ وقالت بلسان طلق ذلق: لا تقتلني يا رسول الله فأني مؤمنة بالله ورسوله، فقال: ما بالك نهشت هذين الرجلين؟ فقالت: يا رسول الله إني كلبة من الجنّ مأمورة أن أنهش من سبّ أبا بكر وعمر. فقال النبي ﷺ: يا هذين أما سمعتم ما تقول الكلبة؟ قالوا: نعم يا رسول الله إنا تائبان إلى الله عزّ وجلّ. عمدة التحقيق للعبدي المالكي^(١) (ص ١٠٥).

قال الأمين: ما أعظم شأن هذه الكلبة وأثبتها في ميدان البسالة حتى استدعى أمرها أن يتجهز لحربها النبي ﷺ ويحمل عليها أصحابه شاهرين السيوف! فهل هي كلبة أو أسد ضارٍ؟ أو عفرني^(٢) باسل؟ أو حشيد^(٣) هُام؟ وأحسب أن اللذين نهشتها كانا من هيئة الصحابة، فإن شجعانهم ما كانوا يباليون بالضراغم فضلاً عن الكلاب.

وأين كانت هذه الكلبة عمّن كان ينال من أبي بكر غير الرجلين في ذلك العهد وبعد العهد النبويّ وهلمّ جرّاً؟ فلم تُشهد لها نهشة، ولا سُمع لها عواء، فليتها صاحب عمدة التحقيق لتحليل هذه المسائل وذلك بعد الغضّ عن إسناده الموهوم.

ثمّ ما أخرس ألسنة أولئك الصحابة الحضور يوم أطلق الله لسان تلك الكلبة الطلقة الذلقة عن بثّ هذه الفضيلة الراقية؟ ومثلها تتوفّر الدواعي لنقلها، وما أذهل الحفاظ وأئمة الحديث وأرباب السير عن روايتها؟ فلا يجدها الباحثة في المسانيد والصحاح والفضائل ومعاجم السير وأعلام النبوة ودلائلها، إلى أن بشر بها العبدي آل الصديق بعد لأي من عمر الدهر وقذف بهذه الأكذوبة أنس بن مالك.

(١) عمدة التحقيق: ص ١٨٢.

(٢) العفرني: الأسد.

(٣) الحشيد: الشجاع الذي لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والنصرة.

أهكذا تكون المغلاة في الفضائل؟ ... لعلها تكون.

نعم؛ لله كلاب مفترسة وأسود ضارية سلطها الله على أعدائه بدعاء نبيّه الأعظم أو أحد من أولاده الصادقين صلوات الله عليهم، منها: كلب سلطه الله على هب بن أبي هب بدعاء النبي الأقدس كما مرّ في الجزء الأول (ص ٢٦١). ومنها، كلب أخذ برأس عتبة بدعاء رسول الله ﷺ كما مرّ في (٢٦١/١).

قال الحلبي في السيرة النبوية^(١) (٣١٠/١): ووقع مثل ذلك لجعفر الصادق، قيل له: هذا فلان ينشد الناس هجاءكم - يعني أهل البيت - بالكوفة، فقال لذلك القائل: «هل علقت من قوله بشيء» قال: نعم، قال: فأنشد. فأنشد:

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم أر مهدياً على الجذع يصلب
وقسم بعثمان علياً سفاهةً وعثمان خير من علي وأطيب

فعند ذلك رفع جعفر يديه وقال: «اللهم إن كان كاذباً فسلب عليه كلباً من كلابك»، فخرج ذلك الرجل فافترسه الأسد. وإنما سمي الأسد كلباً لأنه يشبه الكلب في أنه إذا بال رفع رجله.

قال الأميني: الشاعر المفترس هو الحكيم الأعور أحد الشعراء المنقطعين إلى بني أمية بدمشق، وقصته هذه من المتسالم عليه، غير أن في معجم الأدباء^(٢) كما مرّ في الجزء الثاني (ص ١٩٧) من كتابنا هذا: أن الداعي على الرجل هو عبدالله ابن جعفر وأحسبه تصحيف أبي عبدالله جعفر، فعلى كلّ قد وقع من أهله في محله.

(١) السيرة الحلبيّة: ٢٩١/١.

(٢) معجم الأدباء: ٢٤٩/١٠.

هبة أبي بكر لمحبيّه

٢٩١/٧ عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال عليّ عليه السلام: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ وليس معنا ثالث إلا الله عزّ وجلّ، فقال: يا عليّ تريد أن أعزّفك بسيد كهول أهل الجنة وأعظمهم عند الله قدراً ومنزلة يوم القيامة؟ فقلت: إي وعيشك يا رسول الله. قال: هذان المقبلان. قال عليّ. فالتفت فإذا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم رأيت رسول الله ﷺ تبسّم ثم قطّب وجهه حتى ولجا المسجد، فقال أبو بكر: يا رسول الله لما قربنا من دار أبي حنيفة ^(١) تبسّمت لنا ثم قطّبت وجهك، فلم ذلك يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: لما صرنا بجانب دار أبي حنيفة ^(٢) عارضكما إبليس ونظر في وجوهكما ثم رفع يديه إلى السماء أسمع وأراه وأتألم لا تسمعانه ولا تريانه وهو يدعو ويقول: اللهم إني أسألك بحقّ هذين الرجلين أن لا تعذّبي بعذاب باغضي هذين الرجلين. قال أبو بكر: ومن هو الذي يبغضنا يا رسول الله، وقد آمنّا بك وآزرناك وأقررنا بما جئت به من عند ربّ العالمين؟ قال: نعم يا أبا بكر، قوم يظهرون في آخر الزمان يقال لهم الرافضة، يرفضون الحقّ ويتأولون القرآن على غير صحّته، وقد ذكرهم الله ﷻ في كتابه العزيز وهو قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ ^(٣). فقال: يا رسول الله فما جزاء من يبغضنا عند الله؟ قال: يا أبا بكر حسبك أن إبليس لعنه الله تعالى يستجير بالله تعالى أن لا يعذّبه بعذاب باغضيكما. قال: يا رسول الله هذا جزاء من قد أبغض فما جزاء من قد أحبّ؟ فقال رسول الله ﷺ: أن تهديا له هديّة من أعمالكما. فقال: أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله أشهدك وأشهد الله وملائكته

(١) و(٢) كذا في المصدر.

(٣) النساء: ٤٦، والمائدة: ١٣.

أني قد وهبت لهم ربع أجري - أي عملي - منذ آمنت بالله إلى أن نلقاه. فقال عمر رضي الله عنه : وأنا مثل ذلك يا رسول الله . قال رسول الله ﷺ : فضعنا خطكما بذلك . قال علي رضي الله عنه كرم الله وجهه : فأخذ أبو بكر زجاجة وقال له رسول الله ﷺ : اكتب ، فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . يقول عبدالله عتيق بن أبي قحافة : إني قد أشهدتُ الله ورسوله ومن حضر من المسلمين أنني قد وهبت ربع عملي لمحبي في دار الدنيا منذ آمنت بالله إلى أن ألقاه ، وبذلك وضعت خطي .

قال : وأخذ عمر وكتب مثل ذلك . فلما فرغ القلم من الكتابة هبط الأمين جبريل عليه السلام وقال : يا رسول الله الرب يُقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ، ويقول لك : / هات ما كتبه صاحبك . فقال رسول الله ﷺ : هذا هو . فأخذه جبريل وعرج به إلى السماء ثم إنه عاد إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : أين ما أخذت يا جبريل مني ؟ قال : هو عند الله تعالى وقد شهد الله فيه ، وأشهد حملة العرش وأنا وميكائيل وإسرافيل . وقال الله تعالى : هو عندي حتى يفي أبو بكر وعمر بما قالوا يوم القيامة . عمدة التحقيق للعبدي المالكي ^(١) (ص ١٠٥ - ١٠٧) .

٢٩٢/٧

قال الأميني : أنا لا أحاول إطناباً في تفنيد هذه الرواية الشبيهة بأساطير القصاصين أو الروايات الخيالية ، فإن كل فصل منها شاهد صدق على عدم صحتها . أنا لا أخدش في كهولة الشيخين بما مرّ في الجزء الخامس (ص ٣١٣) من القول المعزوّ إلى رسول الله ﷺ : يا عليّ أتحبّ هذين الشيخين ؟ ولا بما مرّ في هذا الجزء (ص ٢٤١) من أن أبا بكر له شبيهة في الجنة وليست لأحد لحية هناك إلا هو وإبراهيم الخليل ولا بما مرّ (ص ٢٤١) من أن رسول الله كان يقبل شبيهة أبي بكر . ولا بما مرّ في

(١) عمدة التحقيق : ص ١٨٣ - ١٨٦ .

صفحة (٢٥٧) من أن أبا بكر كان يوم هجرة النبي ﷺ إلى المدينة شيخاً والنبي شاباً. ولا بما مرّ في (ص ٢٧٠) من أن أبا بكر كان أكبر من النبي، ولا بما مرّ في (ص ٢٨٠) من أنه كان أسن أصحاب النبي.

ولا أتكلّم في عذاب باغضي أبي بكر وعمر، وأنه ما الذي أربى به على عذاب من تكبر وتجبر تجاه المولى سبحانه وعانده وخالف أمره وهو من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم يغوي عباد الله ويضلّهم عن سبيل الحقّ؟

ولا أناقش في أن إبليس كيف كان يصحّ له أن يتعوّذ بالله من عذاب باغضيها؟ أكان يحبّها فلماذا هو؟ أو كان يبغضها كما يبغض كلّ مؤمن بالله؟ فالدعاء لماذا؟ وماذا ينتج له وهو يعلم عذاب مبغضيها وهو يبغضها ولا يزال يغري الناس ببغضيها؟

ولا أمدّ يراعي إلى الزجاجة المكتوبة فيها تلك الهبة الموهومة لئلا تنكسر فتحرم الأمة المرحومة من تلك البضاعة الغالية.

ولا أسائل رواة هذه المهزأة عن تلکم الشهادات من الله إلى حملة عرشه إلى أمين وحيه إلى ميكائيل وإسرافيل، لماذا هي كلّها؟ وما الذي أحوج المولى سبحانه إلى ذلك الاهتمام البالغ في استحکام ذلك الصلک؟ وما الذي أهمّ ادّخاره عند الله حتى يبي أبو بكر و / عمر بما قالوا يوم القيامة؟

ولا أقول: لماذا تركت الأئمّة وحفاظ الحديث هذه الفضيلة العظيمة إلى قرن العبيدي المالكي - القرن الحادي عشر - وفيها بشارة كبيرة لمحّبّ الشيخين وإرشاد للأئمّة إلى ما فيه نجاتهم ونجاحهم والمثوبة الجزيلة بجزء ربّعي أعمالهما؟ ولماذا شخّ أولئك الحفظة على الأئمّة وسمع العبيدي؟

ولكن هلمّ معي إلى مفاد الآية الكريمة فهي في موضعين من القرآن الكريم:

١ - ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾^(١) .

٢ - ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ الْقَرْضَ حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾^(٢) .

ألا تعجب من تحريف الكلم بإسناد ما ناء به اليهود وبنو إسرائيل بنصر القرآن الحكيم إلى قوم لم يأتوا بعد وسيضمنهم الزمان في أخرياتة؟ حاشا رسول الله ﷺ أن يقول ذلك، ولكنها ورطات القالة، وأهواء وشهوات، حبذت الوقعة في قوم مؤمنين اتبعوا النبي الأمين، وهدوا إلى الصراط المستقيم، ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾^(٣) ، ﴿ وَمَنْ يَخْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٤) .

مركز تحقيق وتوثيق علوم إسلامية

- ١٨ -

أبو بكر في قاب قوسين

بلغنا أن النبي ﷺ لما كان قاب قوسين أو أدنى أخذته وحشة فسمع في حضرة الله تعالى صوت أبي بكر رضي الله عنه فاطمأن قلبه واستأنس بصوت صاحبه .

ذكره العبيدي المالكي في عمدة التحقيق^(٥) (ص ١٥٤) فقال: هذه كرامة للصديق انفرد بها رضي الله تعالى عنه .

(١) النساء: ٤٦ .

(٢) المائدة: ١٢، ١٣ .

(٣) الحج: ٢٤ .

(٤) آل عمران: ١٠١ .

(٥) عمدة التحقيق: ص ٢٦٠ .

قال الأميني: لماذا تلك الوحشة؟ ولماذا ذلك الأنس؟ وهو ﷺ في ساحة القدس الربوبي، وكان لا يأنس إلا بالله، وكانت نفسه القدسيّة في كلّ آنائه منعطفة إليها، فهل هو يستوحش إذا حصل فيها؟ وهي أزلف مباءة إلى المولى سبحانه لا تقلّ غيره. حتى أنّ جبرئيل الأمين انكفاً^(١) عنها فقال: إن تجاوزت احترقت بالنار. لما جذبه الله تعالى إليها وحفته قداسة إلهية تركته مستعداً لتلقّي الفيض الأقدس، وهل هناك وحشة لمثله ﷺ يسكنها صوت أبي بكر؟! وهل كانت له ﷺ وهو في مقام الفناء لفته إلى غيره جلّت عظمته حتى يأنس بصوته؟ لا ها الله، وما كان قلب النبي ﷺ يقلّ غيره سبحانه فهو مستأنس به ومطمئنّ بآلائه، فلا مدخل فيه لأيّ أحد يطمئنّ به، ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ﴾^(٢)، ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾^(٣)، ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾^(٤)، ولم تبرح نفسه الكريمة مطمئنّة ببارئها حتى خوطب بقوله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ أَرْجَعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً﴾^(٥).

هذا مبلغ الرواية من نفس الأمر لكن الغلو في الفضائل أثر أن يعدّوها من فضائل الخليفة وإن كانت مقطوعةً عن الإسناد.

الدين وسمعه وبصره

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لقد هممت أن أبعث إلى الآفاق رجالاً يُعلّمون الناس السنن والفرائض كما بعث عيسى بن مريم

(١) الكامل: ٢١/٢ [٤٨٢/١]، السيرة الحلبية: ٤٣١/١ [٣٧٣/١]. (المؤلف)

(٢) الأحزاب: ٤.

(٣) التكوير: ٢٣.

(٤) النجم: ١٠ - ١٨.

(٥) الفجر: ٢٧، ٢٨.

المحاورين . قيل له : فأين أنت عن أبي بكر وعمر ؟ قال : إنه لا غنى بي عنهما إنيهما من الدين كالسمع والبصر . أخرجه الحاكم في المستدرک^(١) (٧٤/٣) فقال : هذا حديث تفرّد به حفص بن عمر العدني عن مسعر . وقال الذهبي في تلخيصه : هو وإي . قال الأميني : قال النسائي^(٢) : حفص بن عمر ليس بثقة . وقال ابن عدي^(٣) : عامة حديثه غير محفوظ . وقال ابن حبان^(٤) : كان ممن يقلّب الأسانيد لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد . / وقال ابن معين^(٥) : رجل سوء ، ليس بثقة . وقال مالك بن عيسى : ليس بشيء . وقال العقيلي^(٦) : يحدث بالأباطيل ، وقال أحمد : كان مع حماد^(٧) في تلك البلايا ، وقال أبو داود : منكر الحديث ، وقال الدارقطني^(٨) : ضعيف ، ليس بقوي ، متروك^(٩) .

هذا على ما فرّق جمع بينه وبين حفص بن عمر بن دينار الأيلي . وأمّا إن كان هو هو فقال ابن عدي^(١٠) : أحاديثه كلّها منكّرة المتن والسند وهو إلى الضعف أقرب . وقال أبو حاتم^(١١) : كان شيخاً كذاباً . وقال العقيلي^(١٢) : يحدث عن شعبة ومسعر ومالك

مركز تحقيق وتصحيح التراث الإسلامي

(١) المستدرک علی الصحیحین : ٧٨/٣ ح ٤٤٤٨ وكذا في تلخيصه .

(٢) كتاب الضعفاء والمتروكين : ص ٨٢ رقم ١٣٥ .

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال : ٣٨٧/٢ رقم ٥٠٨ .

(٤) كتاب المجروحين : ٢٥٧/١ .

(٥) التاريخ : ٢٩٨/٤ رقم ٤٩٦٩ .

(٦) الضعفاء الكبير : ٢٧٣/١ رقم ٣٣٨ .

(٧) أحد الكذابين والوضاعين . (المؤلف)

[هو حماد البربري ولآه الرشيد مكة واليمن ، وقال عنه أحمد في العلل ٣٥٠/٢ رقم ٢٥٤٧ : كان

رجل سوء]

(٨) الضعفاء والمتروكون : ص ١٨٤ رقم ١٦٨ .

(٩) ميزان الاعتدال : ٢٦٢/١ [٥٦٠/١ رقم ٢١٣٠] ، تهذيب التهذيب : ٤١٠/٢ [٣٥٣/٢] . (المؤلف)

(١٠) الكامل في ضعفاء الرجال : ٣٩٠/٢ رقم ٥١١ .

(١١) الجرح والتعديل : ١٨٣/٣ رقم ٧٨٩ .

(١٢) الضعفاء الكبير : ٢٧٥/١ رقم ٣٣٩ .

ابن مغول والأئمة بالبواطيل، وقال الساجي: كان يكذب، وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث^(١).

هذا شأن سند الرواية؛ وليت شعري أيّ سنّة أو فريضة كان يعلمها الرجلان على فرض إرسالهما؟ وبماذا كان يفتيان في الكلاله وإرث الجدّ والجدة والتسيم وشكوك الصلاة إلى مسائل أخرى، عرفناك بعضها في الجزء السادس وجملة منها في هذا الجزء؟ وبماذا كانا يجيبان لو سُئلا عن آيات القرآن وهما يتقاعسان عن معرفة بعض ألفاظها اللغويّة فكيف بالغوامض والمعضلات؟

ثمّ بماذا كان غناء الرجلين لرسول الله ﷺ؟ وبماذا كانا من الدين كالسمع والبصر؟ أبصولاتهما في الحروب؟ أم بأياديهما في الجدوب؟ أم ببصائرهما في الأمور؟ أم بعلمهما الناجع في الكتاب والسنة؟ أم بتوقف الدعوة عليهما في عاصمة الإسلام؟ أم بإناطة تنفيذ الأحكام بهما؟ اقرأ السير ثمّ استحف الخبر.

وقد مرّ في (٣٢٥/٥) عن المقدسي: أنّ أبا بكر وعمر من الإسلام بمنزلة السمع والبصر، من موضوعات الوليد بن الفضل الوضع.

وذكر أبو عمر في الاستيعاب^(٢) (١٤٦/١) مرفوعاً لأبي بكر وعمر: هذان منّي بمنزلة السمع والبصر من الرأس، وقال: إسناده ضعيف. أخبرنا أبو عبد الله يعيش بن سعيد قال: حدّثنا أبو بكر بن محمد بن معاوية، قال جعفر بن محمد الفريابي، قال عبد السلام بن محمد الحرّاني، قال ابن أبي فديك، عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن المطّلب بن عبد الله بن حنطب، عن أبيه، / عن جدّه: إنّ النبيّ... ليس له غير هذا الإسناد، والمغيرة بن عبد الرحمن هذا هو الحزامي ضعيف وليس بالمخزومي الفقيه

(١) ميزان الاعتدال: ٢٦٣/١ [٥٦١/١ رقم ٢١٣٢]، لسان الميزان: ٣٢٤/٢ [٣٩٤/٢ رقم ٢٨٤٩].

(المؤلف)

(٢) الاستيعاب: القسم الأول/٤٠٠ رقم ٥٥٩.

صاحب الرأي. إلى آخره. وقال^(١) في (٣٤٨/١): حديث مضطرب الإسناد لا يثبت. وفي الإصابة (٢٩٩/٢): حديث هذان السمع والبصر؛ في أبي بكر وعمر قال أبو عمر: حديث مضطرب لا يثبت.

أقول: في الإسناد المذكور غير واحد من المجاهيل والضعاف ولا ينحصر ضعفه بمكان المغيرة فحسب، وقال فيه ابن معين^(٢): إنه ليس بشيء. وقال النسائي: ليس بالقوي. تهذيب التهذيب^(٣) (٢٦٦/١٠).

- ٢٠ -

أبو بكر ومنزلته عند الله

عن ابن عباس قال: كان أبو بكر مع النبي ﷺ في الغار فعطش عطشاً شديداً فشكا إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: اذهب إلى صدر الغار فاشرب. قال أبو بكر: فانطلقت إلى صدر الغار فشربت ماءً أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأذكى رائحة من المسك ثم عدت إلى النبي ﷺ فقال: شربت؟ قلت: نعم. قال: ألا أبشرك يا أبا بكر؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: إن الله تبارك وتعالى أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن اخرق نهراً من الجنة الفردوس إلى صدر الغار ليشرب أبو بكر، فقلت: يا رسول الله ولي عند الله هذه المنزلة؟ فقال النبي ﷺ: نعم وأفضل، والذي بعثني بالحق نبياً لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان له عمل سبعين نبياً.

الرياض النضرة^(٤) (٧١/١)، مرقاة الوصول (ص ١١٤).

(١) الاستيعاب: القسم الثالث/٨٩٢ رقم ١٥١٦.

(٢) التاريخ: ٢٠٢/٣ رقم ٩٢٨.

(٣) تهذيب التهذيب: ٢٣٨/١٠.

(٤) الرياض النضرة: ٩٦/١.

قال الأميني: كيف تصحّ هذه الرواية وقد ضرب عنها حفاظ الحديث وأئمة التاريخ والسير صفحاً؟ مع ما فيها من نبأ عظيم وكرامة هامة وهي بين أيديهم وهم يهتمون بجمع دلائل النبوة ومعجز الرسالة، فلم تخرّج في أصل، ولم تذكر في سيرة، وإنما ذكرها السيوطي في الخصائص^(١) (١٨٧/١) فقال: أخرج ابن عساكر^(٢) بسند واهٍ.

ولماذا خصّت روايتها بابن عباس وقد ولد في شعب أبي طالب قبل الهجرة بقليل فكان يوم الغار ابن سنة أو سنتين ولم يسندها إلى أحد ولم يكن في الغار غير النبي ﷺ وصاحبه؟ فأين روايتها إياها؟ وأين أولئك الصحابة عنها؟ أيجز لحكيم أو حافظ أن / يرسل مثل هذه الواهية إرسال المسلم في عدّ الفضائل؟

نعم؛ للقوم في محبة أبي بكر وصاحبه روايات تشبهه بالقصص الخيالية نسجتها يد الغلو في الفضائل، وإليك منها:

١ - عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: لما ولد أبو بكر في تلك الليلة أطلع الله على جنة عدن فقال: وعزّي وجلالي لا أدخلك إلا من أحبّ هذا المولود.

من موضوعات أحمد بن عصمة النيشابوري كما مرّ في (٣٠٠/٥).

٢ - عن أبي هريرة مرفوعاً: إن في السماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله لمن أحبّ أبابكر وعمر، وفي السماء الثانية ثمانون ألف ملك يلعنون من أبغض أبابكر وعمر.

من طامات أبي سعيد الحسن بن عليّ البصري كما أسلفناه في (٣٠٠/٥).

٣ - عن أنس: أن يهودياً أتى أبابكر فقال: والذي بعث موسى وكلمه تكليماً إنّي

(١) الخصائص الكبرى: ٣٠٧/١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ١٥٠/٣٠.

لأحبك، فلم يرفع أبو بكر رأسه تهاوناً باليهودي، فهبط جبرئيل على النبي ﷺ وقال: يا محمد إنَّ العليَّ الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك: قل لليهودي: إنَّ الله قد أحاد عنك النار. الحديث. إقرأ واحكم بعد قراءة تك القرآن والتدبر في الآي النازلة في عذاب الكفار. من موضوعات أبي سعيد البصري. راجع الجزء الخامس (ص ٣٠١).

٤ - عن أنس مرفوعاً: إنَّ الله تعالى في كل ليلة جمعة مئة ألف عتيق من النار إلا رجلين فإنَّهما يدخلان في أمتي وليسا منهم، وإنَّ الله لا يعتقهما فيمن عتق منهم مع أهل الكبائر في طبقتهم، مصفدين مع عبدة الأوثان: مبغضي أبي بكر وعمر، وليس هم داخلين في الإسلام، وإنما هم يهود هذه الأمة.

من وضع أبي شاكر مولى المتوكل كما مرَّ في (٣٠٣/٥).

٥ - عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: إنَّ الله أمرني بحبِّ أربعة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ. من بلايا السجزي كما مرَّ في (٣١٠/٥).

٦ - عن أبي هريرة مرفوعاً قال لعليّ: أتحبُّ هذين الشيخين؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: أحبَّهما تدخل الجنة. من صناعة الأسناني كما مرَّ في (٣١٣/٥).

٧ - عن جابر مرفوعاً: لا يبغض أبابكر وعمر مؤمن ولا يحبَّهما منافق.

من موضوعات معلّى الطحان. راجع (٣٢٣/٥).

٢٩٨/٧

٨ - عن أبي هريرة مرفوعاً: هذا جبريل يخبرني عن الله: ما أحبُّ أبابكر وعمر إلا مؤمن تقي، ولا أبغضها إلا منافق شقي.

من موضوعات إبراهيم الأنصاري كما مرَّ في (٣٥٤/٥).

٩ - عن أبي سعيد مرفوعاً: من أبغض عمر فقد أبغضني. راجع (٣٢٩/٥).

١٠ - عن عليّ مرفوعاً قد أخذ الله بكم الميثاق في أم الكتاب لا يحبَّكم - يعني

أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليّاً - إلا مؤمن تقيّ، ولا يبغضكم إلا منافق شقيّ.

من موضوعات إبراهيم الأنصاري كما مرّ في (٣٢٦/٥).

١١ - عن عليّ مرفوعاً في أبي بكر: من أحبّني فليحبّه، ومن أراد كرامتي فليكرمه. مرّ في الجزء الخامس (ص ٣٥٥).

١٢ - عن أنس مرفوعاً: إنّ لعرش الرحمن ثلاثئة وستين قائمة، كلّ قائمة كطباق الدنيا ستين ألف مرّة، بين كلّ قائمتين ستون ألف صخرة، كلّ صخرة مثل الدنيا ستون ألف مرّة، في كلّ صخرة ستون ألف عالم، كلّ عالم مثل الثقلين ستون ألف مرّة. قد ألهمهم الله تعالى الاستغفار لمن يحبّ أبا بكر وعمر، ويلعنون مبغضها إلى يوم القيامة^(١).

كانَ لعدد ستين ألف خاصّة عند واضع هذه الخرافة فجعل سلسلة الأكوان الخياليّة على ذلك العدد، ليست هذه كلها إلا حلقة بلاء جاءت بها رماة القول على عواهنه المغالون في الفضائل تجاه الحقائق الراهنة، غير أنّنا لا نخدش العواطف بيسط القول في متونها، ونكل القضاء فيها إلى ضمير الباحث النابه الحرّ.

- ٢١ -

النبيّ مؤيّد بالشيخين

عن أبي أروى الدوممي، قال: كنت جالساً عند النبيّ ﷺ فاطّلع أبو بكر وعمر ﷺ فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي أيّدني بكما.

قال الأميني: أخرجه الحاكم في المستدرک^(٢) (٧٤/٣) من طريق ابن أبي فديك،

(١) عمدة التحقيق للبيدي المالكي: ص ١٨٣ [ص ٣٠٧] نقلاً عن كتاب العقائق. (المؤلف)

(٢) المستدرک على الصحيحين: ٧٧/٣ ح ٤٤٤٧.

وهو وإن وثقه ابن مَعِين^(١) غير أن ابن سعد^(٢) قال : ليس بحجة .

عن : عاصم بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب : ضعفه أحمد وابن مَعِين^(٣) وأبو حاتم^(٤) ، وابن عدي^(٥) ، وقال الفروي : ليس بقوي ، وقال الجوزجاني : يضعف حديثه ، وقال البخاري^(٦) : منكر الحديث ، وقال الترمذي : متروك ليس بثقة ، وقال ابن حبان^(٧) : يخطي ويخالف ، وقال أيضا^(٨) : منكر الحديث جداً يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات ، لا يجوز الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات ، وقال ابن الجارود : ليس حديثه بحجة . وتكلم النسائي على أحمد بن صالح حيث وثقه .

عن سهيل بن أبي صالح : قال ابن مَعِين^(٩) : حديثه ليس بحجة . وقال أبو حاتم^(١٠) : حديثه لا يُحتج به ، وقال ابن حبان : يخطئ ، وقال ابن أبي خيثمة عن يحيى : لم يزل أهل الحديث يتقون حديثه . وذكر العقيلي^(١١) عن يحيى أنه قال : هو صويلح وفيه لين .

عن محمد بن إبراهيم بن الحارث المدني : وثقه غير واحد ، غير أن إمام الحنابلة

(١) التاريخ : ١٥٨/٣ رقم ٦٧١ .

(٢) الطبقات الكبرى : ٤٣٧/٥ .

(٣) التاريخ : ٢١٠/٣ رقم ٩٧٠ .

(٤) المرح والتعديل : ٣٤٧/٦ رقم ١٩١٥ .

(٥) الكامل في ضعفاء الرجال : ٢٢٨/٥ رقم ١٣٨٢ .

(٦) التاريخ الكبير : مج ٦/ص ٤٩٢ رقم ٣٠٨٢ .

(٧) الثقات : ٢٥٩/٧ .

(٨) كتاب المجروحين : ١٢٧/٢ .

(٩) التاريخ : ٢٣٠/٣ رقم ١٠٧٧ .

(١٠) المرح والتعديل : ٢٤٧/٤ رقم ١٠٦٣ .

(١١) الضعفاء الكبير : ١٥٥/٢ رقم ٦٥٩ .

الغلوة في فضائل أبي بكر / أحاديث الغلو أو قصص الخرافة ٤٠٣

أحمد^(١) قال: في حديثه شيء يروي أحاديث مناكير أو منكرة^(٢). والحديث ذكره ابن حجر في الإصابة (٥/٤) وضعفه.

هذا مجمل القول في رجال سند الرواية، وأما متنه فكما ترى آية في الغلو.

- ٢٢ -

الأشباح الخمسة من ذرية آدم

عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أخبرني جبريل أن الله تعالى لما خلق آدم وأدخل الروح في جسده أمرني أن آخذ تفاحة من الجنة فأعصرها في حلقه فعصرتها في فمه فخلقك الله من النقطة الأولى أنت يا محمد، ومن الثانية أبا بكر، ومن الثالثة عمر، ومن الرابعة عثمان، ومن الخامسة علي. فقال آدم: من هؤلاء الذين كرمتهم؟ فقال الله تعالى: هؤلاء خمسة أشباح من ذريتك، وقال: هؤلاء أكرم عندي من جميع خلقي. قال: فلما عصى آدم ربه. قال: رب بجرمة أولئك الأشباح الخمسة الذين فضلتهم إلا تبت علي فتاب الله عليه.

ذكره المحافظ محب الدين الطبري في الرياض النضرة^(٣) (٣٠/١)، وابن حجر / في ٣٠٠/٧ الصواعق^(٤) (ص ٥٠) نقلاً عن رياض المحب الطبري وقال: عهدته عليه.

قال الأميني: ما أبعد المسافة بين من يجوز توصل آدم أول الأنبياء إلى الله تعالى بأناس عاديين في سياق توصله بأفضل الرسل وسيد الأوصياء عليها وآلهما السلام،

(١) العلل ومعرفة الرجال: ٥٦٦/١ رقم ١٣٥٥.

(٢) راجع ميزان الاعتدال: ٤/٢، ٤٣٢/١ [٤٤٥/٣ رقم ٧٠٩٧، ٢٤٣/٢ رقم ٣٦٠٤]، تهذيب التهذيب: ٦/٩، ٦٦ [٥٢، ٦/٩]، و٢٦٣/٤ [٢٣١/٤] و٥١/٥ [٤٥/٥] وبهذا الطريق أخرجه البرزاري كما في الصواعق: ص ٤٧ [ص ٧٩]. (المؤلف)

(٣) الرياض النضرة: ٤٤/١.

(٤) الصواعق المحرقة: ص ٨٣.

وبين من ينكر التوسل لأي أحد بأي أحد، ولا يرى لتوسل آدم بالنبي الأعظم ﷺ أي قيمة وكرامة، فيعتقد الأول صحة مثل هذه الرواية التي حكم السيوطي بأنها كذب موضوع، وارتضاه ابن حجر في نقله عنه كما في كشف الخفاء، وإن عدّه في صواعقه من الفضائل زعماً منه بأن الدهر لم يأت بعده بمن يناقشه في الحساب، وصافقهما على التكذيب والوضع العجلوني، فقال في كشف الخفاء^(١) (٢٣٣/١): قال ابن حجر الهيثمي نقلاً عن السيوطي: كذب موضوع.

ومتن الرواية أوضح شاهد على ذلك، غير أن المغالاة في الفضائل اختلقتها لمعارضة ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾^(٢).

أخرج الديلمي في مسند الفردوس كما في الدر المنثور^(٣) (٦٠/١) بإسناده عن عليّ قال: «سألت النبي ﷺ عن قول الله: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾؟ فقال: إن الله أهبط آدم بالهند وحواء بجدة - إلى أن قال -: حتى بعث الله إليه جبريل، وقال: يا آدم ألم أخلقك بيدي؟ ألم أنفخ فيك من روحي؟ ألم أسجد لك ملائكتي؟ ألم أزوجك حواء أمي؟ قال: بلى. قال: فما هذا البكاء. قال: وما يعني من البكاء وقد أخرجت من جوار الرحمن؟ قال: فعليك بهؤلاء الكلمات، فإن الله قابل توبتك وغافر ذنبك. قل: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانه لا إله إلا أنت، عملت سوءاً، وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم. فهؤلاء الكلمات التي تلقى آدم.»

وأخرج ابن النجار عن ابن عباس قال: سألت رسول الله ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه؟ قال: «سأل بحق محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليّ، فتاب عليه.» الدر المنثور (٦٠/١).

(١) كشف الخفاء: ٢٤٩/١ ح ٧٦٢.

(٢) البقرة: ٣٧.

(٣) الدر المنثور: ١٤٧/١.

وأخرجه الفقيه ابن المغازلي في المناقب^(١) كما في ينابيع المودة^(٢) (ص ٢٣٩).

٣٠١/٧ وروى أبو الفتح محمد بن علي النطنزي المولود (٤٨٠) في كتاب الخصائص:
عن ابن عباس أنه قال: لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس فقال: الحمد لله.
فقال له ربه: يرحمك ربك. فلما أسجد له الملائكة فقال: يا رب خلقت خلقاً هو أحب
إليك مني؟ قال: نعم، ولولا هم ما خلقتك. قال: يا رب فأرنيهم.

فأوحى الله إلى ملائكة الحجب: أن ارفعوا الحجب. فلما رفعت إذا آدم بخمسة
أشباح قدام العرش قال: يا رب من هؤلاء؟ قال: يا آدم هذا محمد نبيي، وهذا علي
أمير المؤمنين ابن عم نبيي ووصيه، وهذه فاطمة بنت نبيي، وهذان الحسن والحسين
ابنا علي وولدا نبيي. ثم قال يا آدم هم ولدك، وفرح بذلك. فلما اقترف الخطيئة قال:
يا رب أسألك بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين لما غفرت لي، فغفر الله له.
فهذا الذي قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾. إن الكلمات التي تلقاها آدم
من ربه: اللهم بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي. فتاب الله
عليه.

وهذا الرجل يُروى له بسند صحيح توصل عمر - أحد الأشباح المزعومة -
بالعباس عم النبي ﷺ في الاستسقاء، خرج يستسقي به وقد أجذب الناس فقال:
اللهم إنا نستشفع إليك بعم نبيك أن تذهب عنا المحل، وأن تسقينا الغيث. فقال
العباس: اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب، ولا يكشف إلا بتوبة، وقد توجه
بي القوم إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا بالتوبة، وأنت
الراعي لا تهمل الضالّة، ولا تدع الكسير بدار مضیعة، فقد ضرع الصغير، ورق
الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم فأغثهم بغياثك قبل أن

(١) المناقب: ص ٦٣ ح ٨٩.

(٢) ينابيع المودة: ٦٣/٢.

يقنطوا فيهلكوا، فإنه لا ييأس من رحمتك إلا القوم الكافرون .

فما تمّ كلامه حتى أرخت السماء مثل الجبال، فنشأت السحاب، وهطلت السماء، فطفق الناس بالعبّاس يسحون أركانه ويقولون: هنيئاً لك ساقى الحرمين . فقال حسان بن ثابت :

سأل الإمامُ وقد تتابعَ جدُّنا فسقى الغمامَ بغرّةِ العبّاسِ
عمُّ النبيِّ وصنوِّ والدِهِ ائذي ورثَ النبيَّ بذاك دونِ الناسِ
أحيا الإلهُ به البلادَ فأصبحتُ مخضرةَ الأجنابِ بعد الياسِ

وقال ابن عفيف النصري :

ما زال عبّاسُ بن شيبَةَ غايَةً للناسِ عند تنكّرِ الأيامِ
رجلٌ تفتحتِ السماءُ لصوتهِ لما دعا بدعوةِ الإسلامِ
فتحت له أبوابها لما دعا فيها بجندِ معلمين كرامِ
عمُّ النبيِّ فلا كمن هو عمُّهُ ولذّ ولا كالعمِّ في الأقوامِ
عرفت قريشُ يوم قام مقامهُ فيه له فضلٌ على الأقوامِ^(١)

وقال شاعر بني هاشم :

رسولُ اللهِ والشهداءُ منّا وعبّاسُ الذي بعجَ الغماما

وقال العبّاس بن عتبة بن أبي لهب :

بعمي سقى الله الحجازَ وأهلَهُ عشيةً يستسقى بشيبتِهِ عمرو
توجّه بالعبّاسِ في الجدبِ دائماً^(٢) إليه فما إن رام حتى أتى المطرُ

(١) في تاريخ مدينة دمشق، وتهذيبه: ... في الأعمام.

(٢) في الطبعة المحققة من تاريخ دمشق: راغباً، بدلاً من: دائماً.

ومنا رسول الله فينا ترائه فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر^(١)

فهل هذا الرجل هو المتوسل به في حديث الأشباح - المختلق - الواقع في رديف صاحب الرسالة وسيد الوصيين صلى الله عليهما وآلهما، وهو ومن معه أكرم خلق الله جميعاً باعتراف ممن خلقهم وفي خلقه سبحانه الأنبياء وأولو العزم من الرسل والأوصياء والملائكة والمقربون؟

فهل هذا الرجل دعا الله بنفسه؟ وما محلّ توسله بالعبّاس وهو أكرم عند الله منه ومن أبيه آدم وولده وهلمّ جرّاً؟ أو أنّه وجد استثناء في العبّاس فحسب، فهو أكرم على الله منه ومن كلّ من هو أكرم على الله منه؟

٣٠٣/٧ أنا لا أدري ماذا أقول، ولك الفسحة والمجال لأن تقول الحقّ وما يحدوك / إليه ضميرك الحرّ وتقول: كيف يكون المذكورون في الحديث - غير محمد وصنوه - أكرم على الله من جميع خلقه وفيهم من ذكرناهم من الأنبياء والرسل والأوصياء والأولياء والملائكة؟ وكيف يتوسل أبو البشر النبيّ المعصوم بمثل أبي بكر وصاحبيه وهم هم؟ وسيرتهم بين يديك، وكيف يكونون رديف النبيّ الأعظم وصنوه المعصوم بنصّ الكتاب العزيز ونفسه المطهر الناطق به القرآن الكريم؟ وكيف يشاركونها في فضيلة الحلقة، وكرامة التوسل؟ ولا أحسب أنّ أحداً من شيعة القوم يوافق رواية هذه الأفيكة على هذه المزاعم، ولعلّهم يوافقونهم ويجعلونها على عهدتهم كما فعل

(١) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء [٣٤٢/١ ح ٩٦٤]، صحيح مسلم كتاب الصلاة، الأغاني: ٨١/١٢، أعلام الماوردي: ص ٧٨ [ص ١٣٢]، تاريخ ابن عساكر: ٢٤٥/٧ - ٢٤٨ [٣٥٥/٢٦ - ٣٦١]، مستدرک الحاكم: ٣٣٤/٣ [٣٧٧/٣ ح ٥٤٣٨]، تاريخ ابن كثير: ٩٢/٧ [١٠٤/٧ حوادث سنة ١٨هـ]، مرآة الجنان: ٧٢/١، طرح التثريب: ٦٣/١، فتح الباري: ٣٩٨/٢ [٤٩٧/٢] وقال: يستفاد من القصة استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة، عمدة القاري: ٤٣٨/٣ [٣٢/٧]، شذرات الذهب: ٢٩/١ [١٦٤/١ حوادث سنة ١٧هـ]. (المؤلف)

ابن حجر إذ غلوهم في الفضائل غير محدود.

وأما الرجل الثاني الذي أربكه التفريط وأسف به إلى هوة الجهل فكالقصيمي الذي أنكر ما جاء في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك. فقال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ، ادعني بحقه قد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك».

أخرجه^(١): البيهقي في دلائل النبوة^(٢)، والحاكم في المستدرک (٦١٥/٢) وصححه، والطبراني في المعجم الصغير، وأبو نعيم في الدلائل، وابن عساكر كما في الخصائص، وأقرّ صحته السبكي في شفاء السقام (ص ١٢٠)، والقسطلاني في المواهب (١٦٦/١)، والسمهودي في وفاء الوفا (٤١٩/٢)، والزرقاني في شرح المواهب (٦٢/١)، والعزّامي في فرقان القرآن (ص ١١٧)، وذكره السيوطي في الخصائص الكبرى عن عدّة من الحفاظ (٦/١).

فقال القصيمي في الصراع (٥٩٣/٢) تبعاً لأثر ابن تيمية في الردّ على هذه المأثرة النبوية الصحيحة: والسؤال بحق النبيّ أو بحق غيره من الأنبياء والصالحين ليس له من القيمة العملية الدينية ما يوجب أن يكون عملاً صالحاً مبروراً فضلاً عن أن يكون أداة / غفران وعتو تامّ، وماذا في قول القائل: أسألك يا الله بحق فلان أو فلانة من عمل صالح يؤهل قائله لأن يكون من المغفور لهم؟ وإنما يغفر للمستغفر.

٣٠٤/٧

(١) دلائل النبوة: ٤٨٩/٥، المستدرک على الصحيحين: ٦٧٢/٢ ح ٤٢٢٨، المعجم الصغير: ٨٢/٢،

شفاء السقام: ص ١٦٦، المواهب اللدنية: ٨٢/١، وفاء الوفا: ١٣٧١/٤، الخصائص الكبرى: ١٢/١.

(٢) قال الذهبي في الثناء عليه: عليك به فكله هدئ ونور. (المؤلف)

وقال: وأما الألفاظ المجردة فلا وزن لها عند الله ولا ينظر إليها فضلاً عن أن تكون عملاً تحطّ به الذنوب والخطايا الثقيلة، فما في قول القائل: أسألك بحق محمد لما غفرت لي من الشأن والقيمة؟ حتى يُقال له: وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك. وأجهل الناس وأرقهم ديناً وتقوى وفضيلة وأشدّهم بعداً عن الله وعن رضاه يقولون ذلك، ويلهجون به، وهم على رغمهم لا يجدر بهم الغفران ولا التجاوز والعفو والرضا بل وهم خليقون بالانتقام والطرد والعذاب الأليم الموجه، ولن تجديهم هذه المقالة ولا هذا التوسل قليلاً ولا كثيراً، فنحن لا نشكّ في أن آدم ما غفر له ذنبه إلا لتوبته ولرجوعه إلى ربه وإقلاعه عن ذنبه، ولا اعتذاره واستغفاره الصادرين عن جميع نفسه وقلبه وعقله، أما السؤال بالحقّ فلا قيمة ولا وزن له عند الله البتة. انتهى.

نحن لا نقابل هذا المغفل المستهتر البذي إلا بالسلام، هذا في هديانه هذا حذو شيخه ابن تيمية، وقد ردّ عليه جمع من أئمة الحديث وحفاظه بكلمات ضافية تقتصر منها بكلام السبكي، قال في شفاء السقام^(١) (ص ١٢١): قال ابن تيمية: أمّا ما ذكر في قصّة آدم من توّسله فليس له أصل، ولا نقله أحد من النبي ﷺ بإسناد يصلح للاعتداع عليه ولا الاعتبار ولا الاستشهاد. ثمّ ادّعى ابن تيمية أنّه كذب وأطال الكلام في ذلك جداً بما لا حاصل تحته بالوهم والتخرّص، ولو بلغه أن الحاكم صحّحه لما قال ذلك، أو لتعرض للجواب عنه، وكأني به إن بلغه بعد ذلك يطعن في عبدالرحمن بن يزيد راوي الحديث، ونحن نقول: قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم، وأيضاً عبدالرحمن بن يزيد لا يبلغ في الضعف إلى الحد الذي ادّعاه، وكيف يحلّ لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الأمر العظيم الذي لا يرده عقل ولا شرع؟ وقد ورد فيه هذا الحديث، وأمّا ما ورد من توّسل نوح وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء فذكره المفسّرون واكتفينا عنه بهذا الحديث لجودته وتصحيح الحاكم له، ولا فرق في هذا المعنى بين أن

يعبر عنه بالتوسل أو الإستعانة أو التشفع أو التجوّه^(١). والداعي بالدعاء المذكور ما في معناه متوسل بالنبي ﷺ لأنه جعله وسيلة لإجابة الله دعاءه، أو مستغيث به، والمعنى أنه استغاث الله به على ما يقصده. ٣٠٥/٧

وقد أسلفنا الكلام حول الموضوع في الجزء الخامس (ص ١٤٣ - ١٥٦) راجع.

- ٢٣ -

أبو بكر خير أهل السموات والأرض

عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: أبو بكر وعمر خير أهل السموات والأرض، وخير الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين.

ذكره ابن حجر في الصواعق^(٢) (٤٥) نقلاً عن الحاكم وابن عدي^(٣)، وأخرجه الخطيب في تاريخه (٢٥٣/٥) وسكت عنه في سنده من العلل - على عادته الجارية في مناقب الشيخين - وفيه: جبرون بن واقد الإفريقي والراوي عنه محمد بن داود القنطري، قال الذهبي في الميزان^(٤): جبرون متهم فأنه روى بقلة حياء عن سفيان، وروى عنه محمد بن داود القنطري، عن أبي هريرة مرفوعاً: أبو بكر وعمر خير الأولين. الحديث تفرد به وبالذي قبله وهما موضوعان. وزاد ابن حجر في اللسان^(٥) (٩٤/٢) عن ابن عدي^(٦) أنه قال: لا أعرف له غير هذين الحديثين ولا أعلم يرويهما عنه غير محمد بن داود وهما منكران.

(١) التجوّه: التوسل بالجاء.

(٢) الصواعق المحرقة: ص ٧٦.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال: ١٨٠/٢ رقم ٣٦٨.

(٤) ميزان الاعتدال: ٢٨٧/١ رقم ١٤٣٥.

(٥) لسان الميزان: ١٢١/٢ رقم ١٩٠٠.

(٦) تقدم تخريجه آنفاً.

وقال الذهبي^(١) في ترجمة محمد بن داود: عن جبرون الإفريقي محدثين باطلين ذكرهما ابن عدي في ترجمة جبرون، وقال: تفرد بهما محمد.

وقال ابن حجر في اللسان^(٢) (١٦١/٥): أحسب الآفة في الحديث من جبرون، وقد ساق المؤلف الحديثين في ترجمته وصرّح بأنهما موضوعان وأشار إلى أن المشتهر بهما جبرون.

قال الأميمي: ومن الحرّيّ لمثل هذين المبطلين أن يرويا باطلاً كمثل هذا الذي يرتني مفتعله تفضيل الرجلين على الملائكة المقرّبين المعصومين من أهل السماوات وفيهم سيدهم أمين الوحي جبرئيل، وعلى من ثبتت زلفتهم وقربهم من أولياء الله وأصفيائه وأوصياء الأنبياء، أنا لا أدري بماذا فضلاً عليهم: أبعلمها المتدفّق وقد عرفت مبلغها منه؟ أم بالعصمة عن الخطايا والذنوب وأنت لا تقول بها؟ أو أن ما حفظه التاريخ من سيرتها لا يدع أن تقول بها، لكن عصمة الملائكة ثابتة لا ريب فيها، وعصمة الأوصياء واجبة بالبرهنة الصحيحة، وزلني المقرّبين كلقمان والخضر وذو القرنين / من القضايا التي قياساتها معها، أم ببأسها المرهب في ذات الله وعنائها في سبيل الدين وجهودها الجبّارة؟

لا يخفى على أحد حقّ القول في ذلك كلّهُ، ضع يدك هاهنا على أيّ فضيلة فإنك لا تجد فيها منها ما يربي بهما على كثير من الصحابة والتابعين هلّمّ جرّاً فضلاً عن من ذكرناهم، غير أن الغلّوّ في الفضائل حدا صاحبه إلى أن يقول بذلك، فدعه يقل؛ فإنّ الحقائق الثابتة غير قابلة للزوال والأصول الموضوعية يركن إليها على كلّ حال.

(١) ميزان الاعتدال: ٥٤٠/٣ رقم ٧٥٠٠.

(٢) لسان الميزان: ١٨١/٥ رقم ٧٣٢٩.

- ٢٤ -

ثواب النبي ﷺ وأبي بكر

عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبي بكر: يا أبا بكر إن الله أعطاني ثواب من آمن به منذ خلق آدم إلى أن بعثني، وإن الله أعطاك ثواب من آمن بي منذ بعثني إلى أن تقوم الساعة.

أخرجه الخلعلي والملاء كما في الرياض النضرة^(١) (١٢٩/١)، والخطيب البغدادي في تاريخه (٥٣/٥) من طريق أحمد بن محمد بن عبيد الله أبي الحسن التمار المقرئ فقال: كان غير ثقة روى أحاديث باطلة، ذكرت أبا القاسم الأزهري حال هذا الشيخ وقلت: أراه ضعيفاً لأن في حديثه مناكير، فقال: نعم هو مثل أبي سعيد العدوي.

قال الأميني: أبو سعيد العدوي هو الحسن بن علي العدوي البصري شيخ قليل الحياء كذاب يضع الحديث، أسلفنا ترجمته في سلسلة الكذابين في الجزء الخامس (ص ٢٢٤)، فقول الأزهري في أبي الحسن التمار إنه مثل أبي سعيد يومي إلى أنه أيضاً كذاب وضاع.

وفي الإسناد أبو معاوية الضرير وقد اشتهر عنه الغلوّ غلوّ التشيع، وقال يعقوب بن شيبه: ثقة ربما يدلّس. ميزان الاعتدال^(٢) (٣٨٢/٣):

وفيه: أبو البخترى عن عليّ. قال سلمة بن كهيل: ما كان من حديث أبي البخترى [ساعاً]^(٣) فهو حسن، وما كان عن^(٤) فهو ضعيف. ميزان الاعتدال^(٥) (٣٤٤/٣).

(١) الرياض النضرة: ١٦٢/١.

(٢) ميزان الاعتدال: ٥٧٥/٤ رقم ١٠٦١٨.

(٣) من المصدر.

(٤) كذا في المصدر أيضاً.

(٥) ميزان الاعتدال: ٤٩٤/٤ رقم ٩٩٨٦.

هذا شأن سند الرواية، وأمّا متنه فضميرك الحرّ نعم الحكم فيه.

- ٢٥ -

الحبّ والشكر الواجبان على الأمة

٣٠٧/٧ عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: حبّ أبي بكر وشكره واجب على أمتي.

أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٤٥٣/٥) من طريق عمر بن إبراهيم الكردي وقال: تفرد به عمر، وهو ذاهب الحديث. وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال^(١) (٢٤٩/٢) فقال: الحديث منكر جداً.

ورواه الخطيب في تاريخه (٧٣/٥) من طريق عمر الكردي. أيضاً بلفظ: إن أمنّ الناس عليّ في صحبتته وذات يده أبو بكر الصديق، فحبّه وشكره وحفظه واجب على أمتي.

قال الأميني: هذه الرواية من موضوعات عمر الكردي، قال الدارقطني: كذاب خبيث، وقال الخطيب^(٢): غير ثقة يروي مناكير من الأثبات. راجع ما مرّ في سلسلة الكذابين في الجزء الخامس (ص ٢٤٦).

والعجب من الخطيب في تاريخه أنه، مع قوله المذكور في ترجمة الكردي، ترى عقدةً في لسانه لما يذكر الرواية، فيسكت عمّا فيها تارة ولم يتكلّم بدأمة تعرب عن وضعها، ويقتصر أخرى بقوله: تفرد بروايته عمر وغير عمر أوثق منه. كما قاله في الموضوع الثاني، وليست هذه كلّها إلا لإغفال القراء عن جليّة الحال، والتمويه على الحقائق الراهنة، فن جزائها يأتي الصفوري بعد حين ويذكر الرواية في نزهة

(١) ميزان الاعتدال: ١٧٩/٣ رقم ٦٠٤٤.

(٢) تاريخ بغداد: ٢٠٢/١١ رقم ٥٩٠٥.

المجالس^(١) (١٨٦/٢) مرسلًا إياها إرسال المسلم.

- ٢٦ -

أبو بكر في كفة الميزان

أخرج الحكيم الترمذي كما في مرقاة الوصول (ص ١١٢) قال: حدّثنا رزق الله ابن موسى الباجي البصري، قال: حدّثنا مؤمل بن إسماعيل - العدوي البصري - قال: حدّثنا حماد بن سلمة، قال: حدّثنا سعيد بن جهان البصري عن سفينة مولى أم سلمة، قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح أقبل على أصحابه فقال: أيكم رأى الليلة / رؤيا؟ قال: فصلّى ذات يوم الصبح ثم أقبل على أصحابه فقال: أيكم رأى الليلة رؤيا؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله، رأيت كأن ميزاناً أدلي من السماء فوضعت في كفة الميزان ووضع أبو بكر في كفة أخرى فرجحت بأبي بكر فرفعت، وترك أبو بكر فجيء بعمر فوضع في الكفة الأخرى فوزن بأبي بكر فرجح أبو بكر بعمر، ورفع أبو بكر وترك عمر مكانه، فجيء بعثمان فوضع في الكفة الأخرى فرجح عمر بعثمان، ورفع عمر وترك عثمان مكانه، فجيء بعليّ فوضع في الكفة الأخرى فرجح عثمان بعليّ ورفع الميزان. فتغيّر وجه رسول الله ﷺ ثم قال: خلافة نبوة ثلاثين عاماً ثم تكون ملكاً.

رجال إسناده:

١ - رزق الله البصري المتوفى (٢٥٦، ٢٦٠): قال الأندلسي: روى أحاديث منكراً وهو صالح لا بأس به. تهذيب التهذيب^(٢) (٢٧٣/٣).

٢ - مؤمل العدوي البصري المتوفى (٢٠٦): قال أبو حاتم^(٣): صدوق شديد في

(١) نزهة المجالس: ١٨٣/٢.

(٢) تهذيب التهذيب: ٢٣٥/٣.

(٣) المجرح والتعديل: ٣٧٤/٨ رقم ١٧٩.

السنة كثير الخطأ. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال يعقوب بن سفيان: شيخ جليل سني سمعت سليمان بن حرب يحسن الثناء - عليه - كان مشيختنا يوصون به إلا أن حديثه لا يشبه حديث أصحابه، وقد يجب على أهل العلم أن يقفوا عن حديثه، فإنه يروي المناكير عن ثقات شيوخه، وهذا أشد فلو كانت هذه المناكير عن الضعفاء لكتنا نجعل له عذراً، وقال الساجي: صدوق كثير الخطأ، وله أوهام يطول ذكرها، وقال ابن سعد^(١) والدارقطني: كثير الخطأ. وقال المروزي: إذا انفرد بحديث وجب أن يتوقف ويتثبت فيه، لأنه كان سني الحفظ كثير الغلط.

ميزان الاعتدال^(٢) (٢٢١/٢)، تهذيب التهذيب^(٣) (٣٨١/١٠).

٣ - سعيد بن جهمان البصري المتوفى (١٣٦). قال أبو حاتم^(٤): يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال الساجي: لا يتابع على حديثه.

ميزان الاعتدال^(٥) (٣٧٧/١)، تهذيب التهذيب^(٦) (١٤/٤).

قال الأميني: ﴿ وَيَلُ لِلْمُطَفِّينَ ﴾ الَّذِينَ إِذَا ائْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ أَلَا يَنْظُرُونَ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿^(٧)

هذه الميزان التي جاء بها البصريون وأدليت من سماء البصرة في منجمها عين، ٣٠٩/٧

(١) الطبقات الكبرى: ٥٠١/٥.

(٢) ميزان الاعتدال: ٢٢٨/٤ رقم ٨٩٤٩.

(٣) تهذيب التهذيب: ٣٣٩/١٠.

(٤) الجرح والتعديل: ١٠/٤ رقم ٣٠.

(٥) ميزان الاعتدال: ١٣١/٢ رقم ٣١٤٩.

(٦) تهذيب التهذيب: ١٣/٤.

(٧) المطففين: ١ - ٦.

وفي إحدى كفتيها شول، وفي لسانها عوج ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١) ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾^(٢) .

كيف يوزن في ميزان العدل والنصفة رسول الله ﷺ وهو هو مع ابن أبي قحافة الذي ليس إلا أبو بكر، أي خلائق كريمة؟ أي نفسيات طاهرة؟ أي ملكات فاضلة؟ أي حكم علمية أو عملية؟ أي عوارف ومعارف راقية؟ أي بصيرة نافذة؟ أي علم؟ أي شجاعة؟ أي عصمة؟ أي قداسة؟ أي عظمة؟ أي عزم؟ أي حزم؟ أي أي؟ جعلت في كفة جعل فيها أبو بكر؟ هل هذه الموازنة يقبلها الوجدان والمنطق حتى يقال بالرجحان في إحدى كفتي الميزان؟ ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾^(٣) .

ثم كيف رجح أبو بكر بعمر وإنهما كانا عكبي بعير في الفضائل كلها أيام حياتهما، غير أن فتوحات عمر وأياديه في بسط الإسلام في أرجاء العالم لا تُنسى، ولم تزل تذكر في صفحات التاريخ، فله فضيلة الرجحان على أبي بكر إن وزنا بميزان غير معيبة .

وكيف فصل بين النبي الأعظم وبين أمير المؤمنين في الميزان؟ وهو نفسه بنص القرآن الكريم، وله العصمة بحكم الكتاب العزيز، وهو وارث علمه، وباب حكمته، وهو عدل القرآن وخليفة نبي الإسلام بقوله ﷺ: « إِنِّي مَخْلَفٌ فِيكُمْ اثْنَيْنِ: كِتَابُ اللَّهِ وَعَتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي » وأي فضيلة رابية لعثمان جعلت في كفة الميزان ورجح بها على علي رديف رسول الله ﷺ في فضائله؟ أنا لا أدري .

ثم إن كان التعبير الذي عزوه إلى رسول الله ﷺ حقاً فهو لا محالة بتقدير من

(١) الزمر: ٩ .

(٢) الرعد: ١٦ .

(٣) النساء: ٧٨ .

الله تعالى ومشيئة منه رعاية للنظام الأصلح، فلماذا تغيّر وجهه ﷺ مما قدّره المولى سبحانه وشاءه وأحبّه؟ ولم تكن له غاية إلا الحصول على مرضاته والدعوة إليها وإيقاف الأمة عليها أوليس هذا مما ينافي عصمته ويضادّ مقامه الأسمى؟ لكن الغلوّ في الفضائل قد يصحّح أمثال ذلك. فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

- ٢٧ -

ما أسلم أبو مهاجر إلا أبو أبي بكر

أخرج ابن منده وابن عساكر^(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما أسلم أبو أحد / من المهاجرين إلا أبو أبي بكر. تاريخ الخلفاء للسيوطي^(٢) (ص ٧٣).

وروى المحبّ الطبري في رياضته^(٣) (٤٧/١) عن الواحدي مرسلًا بلا إسناد عن عليّ بن أبي طالب أنّه قال في أبي بكر: أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من الصحابة المهاجرين أسلم أبواه غيره. وذكره القرطبي في تفسيره^(٤) (١٩٤/١٦).

وأخذ غير واحد من المتأخرين كالشبلنجي ونظرائه هذين الحديثين فعّدوهما من فضائل أبي بكر المتسالم عليها.

قال آدميني: نحن نقدّس ساحة عليّ وعائشة عن مثل هذا الكذب الفاحش الذي ينادي التاريخ بخلافه، وتكذّبه سيرة الصحابة المهاجرين، وإنّما الحبّ الدفين قد أعمى رواة هذه الأفيفة وأصمّهم عمّا في غضون الكتب، فأسرفوا في القول وتغالوا في الفضائل غير مكرّنين لمغبّة قلوبهم، أهذا مبلغهم من العلم؟ أم يقولون على الله الكذب وهم يعلمون؟

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٢٤/٣٠ رقم ٣٣٩٨.

(٢) تاريخ الخلفاء: ص ١٠٠.

(٣) الرياض النضرة: ٦٨/١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٢٩/١٦.

هاجر بنو مطعون من بني جمح، وبنو جحش بن رثاب حلفاء بني أمية، وبنو البكير من بني سعد بن ليث حلفاء بني عدي بن كعب بأهلهم وأموالهم، وغلقت دورهم بمكة هجرة ليس فيها ساكن كما في سيرة ابن هشام^(١) (٧٩/٢، ١١٧) أكانت نساء تلکم الأسر الكبيرة أرامل أو عقائم؟ أو كانت أبناؤها أيتاماً من الأبوين أيامي؟ أو كانت أبواؤها رجالاً بلا أعقاب؟ قاتل الله الحب كيف يُعمى ويُصم.

وهلمّ معي نقرأ صحيفة من تراجم المهاجرين:

هذا عمّار بن ياسر، مهاجر عظيم وأبواه في الرعيّل الأوّل من المعدّبين في الإسلام. قال مسدّد كما في تهذيب التهذيب^(٢) (٤٠٨/٧): لم يكن في المهاجرين من أبواه مسلمان غير عمّار بن ياسر. فهذا ينفي إسلام والذي أبي بكر ويكذب ذلك المختلق.

وهذا عبدالله بن جعفر، هاجر أبوه ومعه عبدالله وأخواه محمد وعون ومعهم أمّهم أسماء بنت عميس.

وهذا عمرو بن أبان بن سعيد الأموي، من المهاجرين وأبوه شهد خيبراً مع رسول الله ﷺ وأمّه فاطمة بنت صفوان مسلمة.

وهذا خالد بن أبان الأموي أخو عمرو بن أبان المذكور.

وهذا إبراهيم بن الحارث بن خالد التميمي، هاجر مع أبيه وأمّه ربيعة بنت الحارث بن جبلة.

وهذا الحاطب بن الحارث الجمحي، من المهاجرين وهاجر معه أبوه وأمّه فاطمة بنت المجلل.

(١) السيرة النبوية: ١٤٤/٢ - ١٤٥.

(٢) تهذيب التهذيب: ٣٥٧/٧.

وهذا الخطاب بن الحارث الجمحي ، هاجر مع أبيه وأمه وأخيه الحاطب ومعه امرأته فكيهة بنت يسار .

وهذا حكيم بن الحارث الطائي ، هاجر مع امرأته وبنيه ومعه أبواه وهما مسلمان .

وهذا خزيمه بن جهم بن قيس العبدري ، هاجر مع أبيه وأخيه عمرو ومعهم أمهما أم حرملة بنت عبد الأسود .

وهذا جابر بن سفيان بن معمر الجمحي ، هاجر هو وأبوه وأمه حسنة .

وهذا جنادة بن سفيان الجمحي ، هاجر ومعه أمه حسنة وأخوه جابر المذكور .

وهذا سلمة بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، هاجر أبوه وهاجرت بعده أمه أم سلمة زوج النبي ﷺ مع ابنها سلمة .

وهذا جناب بن الحارثة بن صخر العذري ، هاجر إلى المدينة وأبوه قد أسلم .

وهذا الحارث بن قيس السهمي ، هاجر مع بنيه الحارث وبشر ومعمر ، فهم مهاجرون وأبوه الحارث قد أسلم وهاجر .

وهذا السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي ، من المهاجرين وأبوه مهاجر عظيم .

وهذا سليط بن عمرو العامري ، قال عمر : دلوني على فتى مهاجر هو وأبوه . فدلوه عليه .

وهذا عبدالرحمن بن صفوان بن قدامة ، هاجر هو وأبوه .

وهذا عبدالله بن صفوان بن قدامة ، هاجر هو وأبوه .

وهذا عامر بن غيلان بن سلمة الثقفي ، هاجر إلى رسول الله وأبوه قد أسلم .

وهذا عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، من المهاجرين ووالده صحابي عظيم .

وهذا عبدالله بن أبي بكر بن أبي قحافة ، مهاجر وهاجر أبوه وأسلم جدّه وجدته أم الخير / على زعم القوم ، وسيأتي الكلام في إسلامها . ٣١٢/٨

وهذا عبدالله بن عمر بن الخطاب ، مهاجر وأبوه قد أسلم وهاجر .

وهذا محمد بن عبدالله بن جحش ، أحد المهاجرين ومعه أبوه وأمه .

وهذا عبدالله بن المطلب بن أزر ، أحد المهاجرين وأبوه مهاجر .

وهذا معمر بن عبدالله بن نضلة ، أحد المهاجرين ووالده مهاجر .

وهذا مهاجر بن قنفذ بن عمير القرشي التيمي ، من المهاجرين السابقين إلى الإسلام وأبوه له صحبة .

وهذا موسى بن الحارث بن خالد القرشي التيمي ، مهاجر ابن مهاجر .

وهذا النعمان بن عدي بن نضلة ، مهاجر هو ووالده .

راجع^(١) سيرة ابن هشام (ص ٢١) ، طبقات ابن سعد ، تاريخ الطبري ، الاستيعاب ، أسد الغابة ، كامل ابن الأثير ، تاريخ ابن كثير ، عيون الأثر لابن سيّد الناس ، الإصابة ، تهذيب التهذيب ، السيرة الحلبية .

ولعلّ الباحث يقف في غضون السير وكتب التاريخ ومعاجم التراجم كثيراً من نظراء هؤلاء من المهاجرين الذين أسلم آباؤهم أو آباؤهم وأمهاتهم . فما جاء به المحب

(١) سيرة ابن هشام : ١١٢/٢ - ١١٧ ، الطبقات الكبرى : ٣٤/٤ ، ١٤٢ ، ٢٠٣ ، ٢٩٤ ، تاريخ الأمم والملوك : ٣٦٩/٢ ، الاستيعاب : القسم الثالث / ٩٥٠ رقم ١٦١٢ ، أسد الغابة : ١٩٨/٣ رقم ٢٨٦٢ ، الكامل في التاريخ : ٣٦٦/٢ ، البداية والنهاية : ٢٠٩/٣ ، عيون الأثر : ٢٢٧/١ .

الطبري والسيوطي ومن لفّ لفّها من فضيلة إسلام والد أبي بكر أو والديه دون سائر الصحابة وعزوه إلى مولانا أمير المؤمنين ليس إلا مجهولة ومخرقة نشأت من الغلو الفاحش في الفضائل .

إسلام والدي أبي بكر :

هلّمّ معي نحاسب إسلام والدي أبي بكر أحقّاً هما أسلما؟ فضلاً عن أن يخصّ بهما الإسلام من بين آباء المهاجرين وأمهاتهم، أم لم ينبأ به خير؟ بل هو نبأ كنبأ إسلام والدي غيره من المهاجرين يناقش فيه وإنما ولده الغلو في الفضائل . أمّا إسلام أبي قحافة فيقال : إنّه أسلم يوم الفتح وقد أتى به ابنه أبو بكر إلى رسول الله ﷺ ولم يؤثر إتيانه إلى رسول الله ﷺ طيلة حياته غير مرّة واحدة في تلك السنة يوم ذلك . وها نحن نذكر جميع ما ورد في إتيانه ذلك ، ونجعل تلكم الروايات المروية فيه قسمين : الأوّل ما لم يذكر فيه إيعاز إلى إسلامه ، والثاني ما يوعز فيه إلى إسلامه .

القسم الأوّل :

١ - أخرج الحاكم في المستدرک^(١) (٢٤٥/٣) عن أبي عبدالله محمد بن أحمد بن القاضي ابن القاضي ، قال : حدّثني أبي ، حدّثنا محمد بن شجاع ، حدّثنا الحسين^(٢) بن زياد ، عن أبي حنيفة ، عن يزيد بن أبي خالد ، عن أنس رضي الله عنه قال : كأني أنظر إلى الحية أبي قحافة كأنه ضرام عرفج من شدّة حمرة ، فقال رسول الله ﷺ : لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناها تکرمةً لأبي بكر .

سكت الحاكم عمّا في سند هذه الرواية ولم يصحّحه على عادته في الكتاب ،

(١) المستدرک على الصحيحين : ٢٧٢/٣ ح ٥٠٧٠ .

(٢) الصحيح : الحسن بن زياد . (المؤلف)

وتبعه في ذلك الذهبي في تلخيصه^(١)، كل ذلك تكرمة لأبي بكر، وإن بخسا الحق والحقيقة. فيه:

١ - محمد بن شجاع البغدادي أبو عبدالله بن الثلجي الفقيه: قال أحمد إمام الحنابلة: مبتدع صاحب هوى. وقال عبدالله بن أحمد: سمعت القواريري قبل أن يموت بعشرة أيام وذكر ابن الثلجي فقال: هو كافر. فذكرت ذلك لإسماعيل القاضي فسكت، فقلت: ما أكفره إلا بشيء سمعه منه. قال: نعم.

وقال زكريا الساجي: فأما ابن الثلجي فكان كذاباً احتال في إبطال حديث رسول الله ﷺ وردّه نصرته لمذهبه، وفي المنتظم^(٢): نصرته لأبي حنيفة ورأيه.

وقال ابن عدي^(٣): كان يضع أحاديث في التشبيه وينسبها إلى أصحاب الحديث يلبسهم^(٤) بذلك.

وقال الأزدي: كذاب لا تحل الرواية عنه لسوء مذهبه، وزيفه عن الدين.

وقال الجوزجاني: قال موسى بن القاسم الأشيب: كان كذاباً خبيثاً^(٥). وفيه:

٢ - الحسن ابن اللؤلؤي الكوفي: قال يحيى بن معين: كذاب.

وقال ابن المديني: لا يكتب حديثه.

وقال محمد بن عبدالله بن غير: يكذب على ابن جريج.

(١) المستدرک علی الصحیحین: ٢٧٣/٣ ح ٥٠٧٠.

(٢) المنتظم: ٢١٠/١٢ رقم ١٧٢٤.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال: ٢٩١/٦ رقم ١٧٧٦.

(٤) كذا في تهذيب التهذيب، وفي الكامل في الضعفاء: يثلبسهم.

(٥) ميزان الاعتدال: ٧١/٣ [٥٧٧/٣ رقم ٧٦٦٤]، المنتظم لابن الجوزي: ٥٧/٥ [٢٠٩/١٢]

رقم ١٧٢٤]، تهذيب التهذيب: ٢٢٠/٩ [١٩٥/٩]. (المؤلف)

وقال أبو داود: كذاب غير ثقة.

وقال أبو حاتم^(١): ليس بثقة. وقال الدارقطني^(٢): ضعيف متروك.

وقال نضر بن شميل لرجل كتب كتب الحسن: لقد جلبت إلى بلدك شراً.

وقال أبو ثور: ما رأيت أكذب من اللؤلؤي، كان على طرف لسانه: ابن جريج عن عطاء.

وقال أحمد بن سليمان: رأيت يوماً في الصلاة وغيلاً وأمرد إلى جانبه في الصف، فلما سجد مَدَّ يده إلى خَدِّ الغلام فقرصه فلا أهدت عنه.

وقال ابن أبي شيبة: كان أبو أسامة يسميه الخبيث.

وقال يعقوب بن سفيان، والعقيلي، والساجي: كذاب.

وقال النسائي^(٣): ليس بثقة ولا مأمون^(٤). اقرأ واحكم. أتخفي هذه كلها على مثل الحاكم والذهبي؟ لاها الله.

٢ - أخرج الحاكم في المستدرک^(٥) (٢٤٤/٣) عن أبي العباس محمد بن يعقوب، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدّثنا حسين بن محمد المروزي، حدّثنا عبدالله بن عبد الملك الفهري، حدّثنا القاسم بن محمد بن أبي بكر، عن أبيه، عن أبي بكر رضي الله عنه قال: جئت بأبي أبي قحافة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هلا تركت الشيخ

(١) الجرح والتعديل: ١٥/٣ رقم ٤٩١.

(٢) الضعفاء والمتروكون: ص ١٩٢ رقم ١٨٧.

(٣) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ٨٩ رقم ١٥٨.

(٤) ميزان الاعتدال: ٢٢٨/١ [٤٩١/١ رقم ١٨٤٩]، لسان الميزان: ٢٠٨/٢ [٢٦٠/٢ رقم ٢٤٤٩].

(المؤلف)

(٥) المستدرک على الصحيحين: ٢٧٢/٣ ح ٥٠٦٥.

حتى آتية . فقلت : بل هو أحق أن يأتيك . قال : إننا لنحفظه لأبيادي ابنه عندنا .

وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٠/٩) فقال : رواه البرزاري وفيه عبدالله ابن عبد الملك الفهري ولم أعرفه . وقال الذهبي في تلخيص المستدرک^(١) : عبدالله منكر الحديث .

وقال الذهبي في الميزان^(٢) (٥٥/٢) ، وابن حجر في لسانه^(٣) (٣١١/٢) : قال ابن حبان^(٤) : عبدالله لا يشبه حديثه حديث الثقات يروي العجائب . وقال العقيلي^(٥) : منكر الحديث لا يتابع عليه ، وقال أبو زرعة : هو ضعيف يضرب على حديثه . وقال البرقاني : سألت أبا الحسن عنه قلت : ثقة ؟ قال : لا ولا كرامة . انتهى ما في الميزان ولسانه . وفي السند : القاسم بن محمد عن أبيه عن أبي بكر ، توفي القاسم بن محمد سنة (١٠٨ ، ١٠٩) وهو ابن (٧٠ - ٧٢) سنة كما في صفة الصفوة لابن الجوزي^(٦) (٥٠/٢) وتوفي والده محمد سنة / (٣٨) فتكون ولادة القاسم سنة وفاة أبيه محمد ، وإن أخذنا قول ابن سعد^(٧) من أن القاسم توفي سنة (١١٢) وهو ابن سبعين سنة فيكون القاسم عند وفاة والده ابن أربع سنين فأني له الرواية عن أبيه !!؟

٣١٥/٧

وأما رواية محمد عن أبيه أبي بكر فلا يصح ؛ إذ محمد ولد عام حجة الوداع سنة عشرة من الهجرة وتوفي والده في جمادى الآخرة عام ثلاثة عشر ، فأين يكون مقيل هذه الرواية من الصحة ؟ قال الذهبي في تلخيص المستدرک في تعقيب هذه

(١) تلخيص المستدرک : ٢٧٢/٣ ح ٥٠٦٥ .

(٢) ميزان الاعتدال : ٤٥٧/٣ رقم ٤٤٣٣ .

(٣) لسان الميزان : ٣٨٤/٣ رقم ٤٦٥٣ .

(٤) كتاب المجروحين : ١٧/٢ .

(٥) الضعفاء الكبير : ٢٧٥/٢ رقم ٨٣٩ .

(٦) صفة الصفوة : ٩٠/٢ رقم ١٦٢ .

(٧) الطبقات الكبرى : ١٩٤/٥ .

الرواية: القاسم لم يدرك أباه ولا أبوه أبا بكر^(١).

٣- أخرج الحاكم في المستدرک^(٢) (٢٤٤/٣) عن القاضي أبو بكر محمد بن عمر ابن سالم بن الجعابي الحافظ الأوحّد، حدّثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحرّاني، بإسناده عن أنس قال: جاء أبو بكر ﷺ يوم فتح مكة بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناها.

ليت شعري ما الذي دعا الذهبي إلى تسليم رواية الجعابي هذه وترك الغمز فيها وقد ترجمه في ميزانه^(٣) (١١٣/٣) وقذفه بقوله: إنّه فاسق رقيق الدين، وقال الخطيب: كثير الغرائب، ومذهبه في التشيع معروف، ونسب إليه ابن الجوزي ما هو بريء منه، وحكي عن الحاكم أنّه قال: قلت للدارقطني: بلغني أنّ ابن الجعابي تغير بعدنا. فقال: وأيّ تغير؟ فقلت: هذا فهمه في الحديث. قال: إي والله حدّث عن الخليل بن أحمد صاحب العروض بعشرين حديثاً بأسانيد ليس له فيها أصل. إلى آخر ما أتى به القوم في ترجمته. راجع: تاريخ الخطيب (٢٦/٣)، المنتظم لابن الجوزي^(٤) (٣٨/٧)، لسان الميزان^(٥) (٣٢٢/٥).

ثمّ كيف خفي عليه وعلى الحاكم أنّ الجعابي ولد سنة (٢٨٥) وتوفي (٣٥٥) باتفاق المؤرّخين، فأنتي تصحّ روايته عن أبي شعيب عبد الله بن الحسن المتوفّي (٢٩٢)؟ كما أرّخه الذهبي في ميزان الاعتدال، هذا أخذاً بما في لفظ الذهبي في تلخيصه من حذف حرف (الأو) من السند وأما على ما في لفظ الحاكم من (الأو) فيكون

(١) وقبلها: عبد الله بن عبد الملك منكر الحديث.

(٢) المستدرک على الصحيحين: ٢٧٢/٣ ح ٥٠٦٤.

(٣) ميزان الاعتدال: ٦٧٠/٣ رقم ٨٠٠٦.

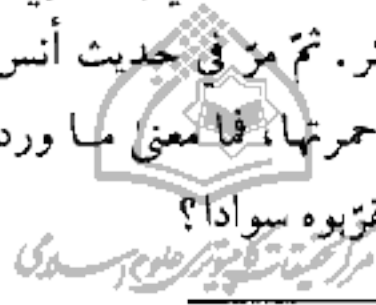
(٤) المنتظم: ١٧٩/١٤ رقم ٢٦٥٢.

(٥) لسان الميزان: ٣٦٣/٥ رقم ٧٨٤٨.

الراوي عن أبي شعيب المتوفى (٢٩٢) هو نفس الحاكم المولود سنة (٣٢١)^(١).
 على أن الذهبي قال في الميزان^(٢) (٣٠/٢): كان أبو شعيب غير متهم لكنه أخذ
 الدراهم على الحديث؛ وحكى ابن حجر عن ابن حبان^(٣) في لسان الميزان^(٤)
 (٢٧١/٣) أنه قال: كان يخطئ، ويهم.

٤ - أخرج الحاكم في المستدرک^(٥) (٢٤٤/٣) عن أبي العباس محمد بن يعقوب،
 حدثنا بحر بن نصر، حدثنا عبد الله بن وهب، أخبرني ابن جريج عن أبي الزبير عن
 جابر أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبي قحافة فأتى به النبي ﷺ، فلما وقف به على
 رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: غيروه^(٦) ولا تقربوه سوادا.

متن هذه الرواية يكذبه كل ما ورد في إتيان أبي قحافة إلى النبي ﷺ، فإن في
 الجميع أن الآتي به هو أبو بكر. ثم من في حديث أنس أنه نظر إلى لحية أبي قحافة
 كأنها ضرام عرفج من شدة حرمتها، فامعنى ما ورد في هذا الرواية من قول
 رسول الله ﷺ: غيروه ولا تقربوه سوادا؟



(١) لم يذكر مترجمو ابن الجعابي أنه حدث عن أبي شعيب الحراني، ولا الذين ترجموا لأبي شعيب أن
 ابن الجعابي روى عنه. وبما أن الطبقة لا تسمح بأن يروي القاضي ابن الجعابي عن أبي شعيب،
 فالظاهر أن سند الرواية منقطع بجهولية أحد رجاله.

أما لفظ (الأو) فهو ليس زائداً، بل هو جزء كلمة (الأوحد) التي وصف الحاكم بها القاضي
 ابن الجعابي بقوله: المحافظ الأوحد، وحذفها الذهبي في تلخيصه؛ لأن الحاكم يختصر كلمة
 (حدثنا) بـ (تنا) ولا يكتبها كاملة إلا في أول السند.

وعلى هذا السهو أسس المؤلف تعليقه، وكأنه يرى تجزئة كلمة (الأوحد) إلى جزئين.
 ولا يوجد هذا الالتباس في الطبعة المعتمدة لدينا من المستدرک.

(٢) ميزان الاعتدال: ٤٠٦/٢ رقم ٤٢٦٦ وفيه: مات سنة (٢٩٥).

(٣) النقات: ٣٦٩/٨.

(٤) لسان الميزان: ٣٣٨/٣ رقم ٤٥٢٧.

(٥) المستدرک على الصحيحين: ٢٧٣/٣ ح ٥٠٦٨.

(٦) قال الذهبي في تلخيص المستدرک: غيروه، يعني الشيب. (المؤلف)

وأما سندها ففيها عبدالله بن وهب؛ قال ابن معين: ابن وهب ليس بذلك، وفي ابن جريج كان يستصغر. ميزان الاعتدال^(١) (٨٦/٢).

وفيها أبو الزبير محمد بن مسلم الأسدي المكي، ففي الميزان^(٢) (١٢٥/٣): يرد ابن حزم من حديث أبي الزبير ما يقول: عن جابر ونحوه، لأنه عندهم ممن يدلّس، فإذا قال: سمعت وأخبرنا احتجّ به.

قال الأميني: هذا الحديث مما قال فيه أبو الزبير: عن جابر فهو يُردّ على ما قاله ابن حزم.

وقال أبو زرعة وأبو حاتم: أبو الزبير لا يحتجّ به. وقال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي واحتجّ عليه رجل بحديث عن أبي الزبير فغضب وقال: أبو الزبير محتاج إلى دعامة. وعن ورقاء قال: قلت لشعبة: مالك تركت حديث أبي الزبير؟ قال: رأيت يزن ويسترجع في الميزان، وقال شعبة: قدمت مكة فسمعت من أبي الزبير، فبينما أنا جالس عنده إذ جاءه رجل يوماً فسأله عن مسألة فردّ عليه، فقلت له: يا أبا الزبير تفترى على رجل مسلم، قال: إنه أغضبني. قلت: من يفضبك تفترى عليه؟! لا رويت عنك حديثاً أبداً. وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب^(٣) (٤٤٠/٩) وحكى تضعيف أيوب وأحمد وغيرهما إياه.

وعن أبي الزبير هذا أخرج الحاكم في المستدرک^(٤) (٢٤٥/٣) عن جابر أنه قال:

أتى النبي ﷺ يوم الفتح بأبي قحافة ورأسه ولحيته كالثغامة^(٥) فقال

(١) ميزان الاعتدال: ٥٢٢/٢ رقم ٤٦٧٧.

(٢) المصدر السابق: ٣٧/٤ رقم ٨١٦٩.

(٣) تهذيب التهذيب: ٣٩١/٩.

(٤) المستدرک على الصحيحين: ٢٧٣/٣ ح ٥٠٦٩.

(٥) الثغامة: نبت أبيض الثمر والزهر، يشبهه بياض الشيب به.

رسول الله ﷺ : اخضبوا لحيته .

٥ - أخرج ابن حجر من طريق محمد بن زكريا الغلابي^(١) ، عن العباس بن بكار ، عن أبي بكر الهذلي ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : جاء أبو بكر بأبي قحافة وهو شيخ قد عمي ، فقال رسول الله ﷺ : ألا تركت الشيخ حتى آتية؟ قال : أردت أن يؤجره الله ، والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام أبي طالب مني بإسلام أبي ، أتمس بذلك قرّة عينك . الإصابة (١١٦/٤) .

رجال الإسناد :

١ - محمد بن زكريا الغلابي البصري : قال الذهبي : ضعيف . وقال ابن حبان^(٢) : يعتبر بحديثه إذا روى عن ثقة . وقال ابن منده : تكلم فيه . وقال الدارقطني^(٣) : يضع الحديث . وذكر الصولي بإسناده حديثاً فقال : هذا كذب من الغلابي . ميزان الاعتدال^(٤) (٥٨/٣) .

٢ - العباس بن بكار البصري : قال الدارقطني^(٥) : كذاب . وقال العقيلي^(٦) : الغالب على حديثه الوهم والمناكير . ميزان الاعتدال^(٧) (١٨/٢) .

٣ - أبو بكر الهذلي البصري : قال الدوري : ليس بشيء ، وقال أيضاً : ليس بثقة . وقال ابن معين^(٨) : ليس بشيء . وقال غندر : كان يكذب . وقال أبو زرعة :

(١) الصحيح : الغلابي . (المؤلف)

(٢) كتاب الثقات : ١٥٤/٩ .

(٣) الضعفاء والمتروكون : ص ٣٥٠ رقم ٤٨٣ .

(٤) ميزان الاعتدال : ٥٥٠/٣ رقم ٧٥٣٧ .

(٥) الضعفاء والمتروكون : ص ٣٢١ رقم ٤٢٣ .

(٦) الضعفاء الكبير : ٣٦٣/٣ رقم ١٣٩٩ .

(٧) ميزان الاعتدال : ٣٨٢/٢ رقم ٤١٦٠ .

(٨) التاريخ : ٨٨/٤ رقم ٣٢٨١ .

ضعيف. وقال أبو حاتم^(١): لئن الحديث يكتب حديثه ولا يحتج بحديثه. وقال النسائي^(٢): ليس بثقة ولا يكتب حديثه. وقال ابن الجنيّد: متروك الحديث. وقال ابن المديني: ضعيف ليس بشيء، ضعيف جداً، ضعيف ضعيف. وقال الجوزجاني: يضعف حديثه. وقال الدارقطني^(٣): منكر الحديث متروك. وقال يعقوب بن سفيان: ضعيف ليس حديثه بشيء. وقال المروزي: كان أبو عبدالله يضعف أمره. وقال ابن عمّار: بصريّ ضعيف. وقال أبو إسحاق: ليس بحجّة. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقويّ عندهم. وقال ابن عدي^(٤): عامّة ما يرويه لا يُتابع عليه.

وقال الذهبي^(٥): ضعفه أحمد وغيره. وقال غندر وابن مَعِين^(٦): لم يكن بثقة.

وقال / يزيد بن زريع: عدلت عنه عمداً. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال البخاري^(٧): ٣١٨/٧ ليس بالحافظ عندهم.

راجع: ميزان الاعتدال^(٨) (٣/٣٤٥)، تهذيب التهذيب (١٢/٤٦)، وقال ابن حجر في الإصابة بعد ذكر الحديث: إسناد وإبه.

٦ - قال ابن حجر في الإصابة (٤/١١٧): أخرج أبو قرّة موسى بن طارق، عن

موسى بن عبيدة، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر قال: جاء أبو بكر بأبي قحافة يقوده يوم فتح مكة فقال رسول الله ﷺ: ألا تركت الشيخ حتى نأتيه؟ قال أبو بكر: أردت أن يؤجره الله، والذي بعثك بالحق لأننا كنت أشدّ فرحاً بإسلام أبي

(١) الجرح والتعديل: ٣١٣/٤.

(٢) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ١١٦ رقم ٢٤٥.

(٣) الضعفاء والمتروكون: ص ٢٢٣ رقم ٢٤٥.

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال: ٣/٣٢٥ رقم ٧٧٨.

(٥) ميزان الاعتدال: ٤/٤٩٧ رقم ١٠٠٠٥.

(٦) التاريخ: ٤/٢٣٨ رقم ٤١٤١.

(٧) التاريخ الكبير: ٤/١٩٨ رقم ٢٤٧٨.

(٨) ميزان الاعتدال: مرّ تخريجه، تهذيب التهذيب: ١٢/٤٧، الإصابة: ٤/١١٦.

طالب لو كان أسلم^(١) مني بأبي .

هذا الحديث كسابقه لا يدل على إسلام أبي قحافة وهو نظير قول عمر للعبّاس : أنا بإسلامك إذا أسلمت أفرح مني بإسلام الخطاب، يعني لو كان أسلم^(٢) .
وأما رجال إسناده ففيه :

١ - موسى بن طارق . قال أبو حاتم^(٣) : يُكتب حديثه ولا يُحتجّ به كما قاله الذهبي في الميزان^(٤) (٢١١/٣) .

٢ - موسى بن عبيدة : قال الذهبي : قال أحمد^(٥) : لا يُكتب حديثه ، وقال النسائي^(٦) وغيره^(٧) : ضعيف . وقال ابن عدي^(٨) : الضعف على روايته بين . وقال ابن معين : ليس بشيء . وقال مرة : لا يُحتجّ بحديثه . وقال يحيى بن سعيد : كُنا نتقي حديثه . وقال يعقوب بن شيبة : صدوق ضعيف الحديث جداً . ميزان الاعتدال^(٩) (٢١٤/٣) .

٣ - عبدالله بن دينار : قال العقيلي^(١٠) : روى عنه موسى بن عبيدة ونظراؤه أحاديث مناكير ، الحمل فيها عليهم . تهذيب التهذيب^(١١) (٢٠٢/٥) .

(١) هذه الجملة أعني : «لو كان أسلم» دخيل من المتأخرين نظراء ابن حجر ولا توجد في الأصول

القديمة . راجع الرياض النضرة : ٤٥/١ [٦٦/١] . (المؤلف)

(٢) الإصابة : ١١٧/٤ [رقم ٦٨٥] . (المؤلف)

(٣) الجرح والتعديل : ١٤٨/٨ رقم ٦٦٩ .

(٤) ميزان الاعتدال : ٢٠٧/٤ رقم ٨٨٨٢ .

(٥) راجع الكامل في ضعفاء الرجال : ٣٢٤/٦ ، تهذيب الكمال : ١٠٤/٢٩ - ١٠٩ .

(٦) كتاب الضعفاء والمتروكين : ص ٢٢٤ رقم ٥٨١ .

(٧) التاريخ الكبير : ٢٩١/٧ رقم ١٢٤٢ .

(٨) الكامل في ضعفاء الرجال : ٢٣٧/٦ رقم ١٨١٣ .

(٩) ميزان الاعتدال : ٢١٣/٤ رقم ٨٨٩٥ .

(١٠) الضعفاء الكبير : ٢٤٩/٢ رقم ٨٠٢ .

(١١) تهذيب التهذيب : ١٧٧/٥ رقم ٣٥٠ .

القسم الثاني :

لا يوجد في كتب الحديث ومعاجم التراجم ما يدل على إسلام أبي قحافة إلا ما / أخرجه أحمد في مسنده^(١) (٣٤٩/٦) من طريق ابن إسحاق عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لما وقف رسول الله ﷺ بذني طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده : أي بنية اظهري بي على أبي قبيس . قالت : وقد كفّ بصره ، قالت : فأشرفت به عليه ، فقال : يا بنية ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً . قال : تلك الخيل . قالت : وأرى رجلاً يسعى بين ذلك السواد مقبلاً ومدبراً . قال : يا بنية ذاك الوازع يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها . ثم قالت : قد والله انتشر السواد . فقال : قد والله إذا دفعت الخيل فاسرعي بي إلى بيتي ، فانحطت به وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته وفي عنق الجارية طوق لها من ورق فتلقاها رجل فاقتلعه من عنقها . قالت : فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد أتاه أبو بكر بأبيه يقوده . فلما رآه رسول الله ﷺ قال : هلاً تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه . قال أبو بكر : يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه . قال : فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال له : أسلم ، فأسلم ودخل به أبو بكر ﷺ على رسول الله ﷺ ورأسه كأنه ثغامة ، فقال رسول الله ﷺ : غيروا هذا من شعره . ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال : أنشد بالله وبالإسلام طوق أختي فلم يجبه أحد ، فقال : يا أختي : احتسبي طوقك .

وفي لفظ المحب الطبري في الرياض^(٢) (٤٥/١) : احتسبي طوقك ، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم قليل .

قال الأميني : هذه الرواية لا تصح لمكان محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار

(١) مسند أحمد : ٤٨٩/٧ ح ٢٦٤١٦ .

(٢) الرياض النضرة : ٦٥/١ - ٦٦ .

المدني نزيل العراق، وليست هي إلا من موضوعاته. قال سليمان التيمي: ابن إسحاق كذاب. وقال هشام بن عروة: كذاب.

وقال مالك: دجال من الدجاجلة.

وقال يحيى القطان: أشهد أن محمد بن إسحاق كذاب.

وقال الجوزجاني: الناس يشتهون حديثه، وكان يرمى بغير نوع من البدع.

وقال ابن غير: يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة.

وقال أيوب بن إسحاق: سألت أحمد فقلت له: يا أبا عبدالله إذا انفرد ابن

إسحاق بحديث تقبله؟ قال: لا والله إنني رأيت يحدّث عن جماعة بالحديث الواحد

ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا. ٣٢٠/٧

وقال أبو داود: سمعت أحمد ذكر محمد بن إسحاق فقال: كان رجلاً يشتهي

الحديث فيأخذ كتب الحديث فيضعها في كتبه، وكان يدلس، وكان لا يبالي عمّن

يحكي عن الكلبي وغيره. مركز تحقيق التراث، بيروت، لبنان

وقال عبدالله بن أحمد: ما رأيت أبي أتن حديثه قط، وكان يتتبعه بالعلو

والنزول، قيل له: يحتجّ به؟ قال: لم يكن يحتجّ في السنن.

وقال ابن معين^(١): ليس بذاك، ضعيف، ليس بقوي.

وقال النسائي^(٢): ليس بقوي.

وقال ابن المديني: كذبه سليمان التيمي، ويحيى القطان، ووهيب بن خالد.

وقال الدارقطني: لا يحتجّ به. وقال: اختلفت الأئمة فيه وليس بحجة إنما يعتبر به.

وقال هشام بن عروة: يحدث ابن إسحاق عن امرأتي فاطمة بنت المنذر، والله

إن رآها قط.

(١) التاريخ: ٢٤٧/٣ رقم ١١٥٨.

(٢) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ٢١١ رقم ٥٣٨.

وقال وهيب: سألت مالكا عنه، فاتهمه.

وقال أحمد: هو كثير التدليس جداً^(١).

وأخرج الحاكم في المستدرک^(٢) (ج ٣): من طريق الحديث الرابع المذكور عن عبدالله بن وهب، عن عمر بن محمد، عن زيد بن أسلم رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ هنا أبا بكر بإسلام أبيه.

وفيه -مضافاً إلى ما أسلفناه في الحديث الرابع- أن زيد بن أسلم توفي سنة (١٣٦) وعُدَّ ممن لقي ابن عمر^(٣)، فلا تصح روايته عن النبي ﷺ وقد ولد بعده بكثير.

على أن ابن حجر قال في تهذيب التهذيب^(٤) (٣/٣٩٧): ذكر ابن عبد البر في مقدمة التمهيد ما يدل على أنه كان يدلس، وقال في موضع آخر: لم يسمع من محمود ابن لييد وحكى عن ابن عيينة أنه قال: كان زيد رجلاً صالحاً وكان في حفظه شيء. ونقل / عن غيره قوله: لا أعلم به بأساً إلا أنه يفسر برأيه القرآن ويكثر منه، وفي ميزان الاعتدال^(٥) (١/٣٦١): إنه كان يفسر القرآن برأيه.

هذا إسلام أبي قحافة وحديثه وليس إلا دعوى مجردة مدعومة بالواهيات، ولا يثبت بها إسلام أي أحد، ويظهر من نفس رواية أحمد أن إتيانه إلى رسول الله ﷺ -على فرض تسليمه- لم يكن إلا لاسترداد ما أخذه المسلمون من ابنته من الطوق، ولو كان له إسلام ثابت وكان إتيانه للإسلام لكان يعيد زيارته ﷺ.

(١) راجع ميزان الاعتدال: ٢١/٣ - ٢٤ [٤٦٨/٣ رقم ٧١٩٧]، تهذيب التهذيب: ٣٨/٩ - ٤٦ [٤٠ - ٣٤/٩]. (المؤلف)

(٢) المستدرک على الصحيحين: ٢٧٣/٣ ح ٥٠٦٨.

(٣) تاريخ ابن كثير: ٦١/١٠ [٦٦/١٠ حوادث سنة ٥١٣٦هـ]، مرآة الجنان: ٢٨٤/١. (المؤلف)

(٤) تهذيب التهذيب: ٣٤٢/٣.

(٥) ميزان الاعتدال: ٩٨/٢ رقم ٢٩٨٩.

مرة بعد أخرى، وكان ينتهز الفرص أيام إقامته تلك في مكة ويستفيد من غير علمه، ويأخذ منه معالم دينه، وكان حقاً عليه أن يزوره في حجة الوداع، ولو كان له إسلام لكان يروي عنه ﷺ ولو حديثاً واحداً، أو كان يروي عن أصحابه ولو عن واحد منهم، ولو كان قد أسلم لكان تُنقل عنه كلمة في الإسلام، أو قول في الذب عنه، أو حرف واحد في الدعوة إليه أو كان له في التاريخ ذكر عن أيام إسلامه، ونبأ عن آثار إيمانه بالله وبرسوله، ولا أقل من روايته هو لحديث إسلامه.

ثم إن صح الخبر وقد أكرمه رسول الله ﷺ بقوله: هلاً تركت الشيخ في بيته. إلى آخره. وكان ذلك - كما مر - تكرماً لأبي بكر فما بال الصحابة تردّ شفاعته مثل هذا الرجل العظيم؟ الذي عظمه رسول الله ﷺ بتلك الكلمة القيّمة التي لم تُؤثر عنه ﷺ في أحد من الصحابة حتى في أعيانهم ﷺ وفيهم العباس الذي يستسقى به الغمام، وهم يسمعونها منه ﷺ، ما بالهم يصفحون عن شفاعته في والده بإعادة الطوق إليه وهو شيخ كبير حديث العهد بالإسلام حريّ بأن يُكرّم؟ وما بال أبي بكر الذي أنفق جلّ ماله لرسول الله ﷺ على زعم القوم يأخذ بيد أخته ويأتي بها إلى مجتمع النويلة^(١) وينشد الحضور بالله وبالإسلام ويسألهم ردّ طوقها إليها؟ وما الطوق وما قيمته والصحابة لم تقبل فيه شفاعته شيخهم يوم ذاك وخليفتهم في الغد؟ وكيف يستعظم أبو بكر أمر الطوق ويأمر أخته بالاحتساب ويرى الأمانة قليلة في الصحابة يوم ذاك مع حضور نبيهم فيهم؟ فما كان محلهم من الأمانة بعد يومهم ذاك بثلاث سنين وقد ارتحل النبي ﷺ من بين ظهرانيهم؟ وكيف صاروا بعد فقدهم نبيهم عدولاً؟ أنا لا أدري!

إسلام أمّ أبي بكر:

ليس إسلام أمّ الخير أمّ أبي بكر إلا كإسلام أبيه أبي قحافة، لا يُدعم بدليل ولا تقوّمه البرهنة.

(١) النويلة من الناس: الجماعة تجيء من كل وجه. يقال: انثال عليه الناس أي انصبوا عليه من كل جانب.

أخرج المحافظ أبو الحسن خيثمة بن سليمان الأذربلسي قال: حدّثنا عبيدالله ابن محمد بن عبدالعزيز العمري قاضي المصيصة، حدّثنا أبو بكر عبدالله بن عبيدالله ابن إسحاق بن محمد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيدالله، حدّثني أبي عبدالله، حدّثني عبدالله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة، قال: حدّثني أبي محمد بن عمران عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما اجتمع أصحاب النبي وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألم أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: يا أبا بكر إنا قليل. فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرّق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً، ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرّفها لوجهه، وأثر ذلك حتى ما يُعرف أنفه من وجهه، وجاءت بنو تيم تتعادي فأجلوا المشركين عن أبي بكر، وحملوا أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه بيته ولا يشكّون في موته، ورجع بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة. ورجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجابهم فتكلّم آخر النهار: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فنالوه بالسنتهم وعدلوه ثم قاموا وقالوا لأمّ الخير بنت صخر: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه، فلما خلت به وألحت جعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: والله ما أعلم بصاحبك. قال: فاذهبي إلى أمّ جميل بنت الخطاب فاسألها عنه، فخرجت حتى جاءت إلى أمّ جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبدالله. قالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبدالله، وإن تحبّي أن أمضي معك إلى ابنك فعلت. قالت: نعم. فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً، فدنت منه أمّ جميل وأعلنت بالصياح، وقالت: إن قوماً نالوا منك هذا لأهل فسق وإني لأرجو أن ينتقم الله لك. قال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع.

قال: فلا عين عليك منها. قالت: سالم صالح. قال: فأنتي هو؟ قالت: في دار الأرقم. قال: فإنَّ الله عليّ آليت لا أذوق طعاماً ولا شرباً أو آتي رسول الله ﷺ فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرّجل وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما حتى دخلتا على النبي ﷺ قال: فانكبت عليه فقبتله وانكبت عليه المسلمون ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة، فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي ليس بي إلا ما نال الفاسق من وجهي، هذه أُمِّي برة بوالديها، وأنت مبارك، فادعها إلى الله وأدع الله عز وجل لها عسى أن يستنقذها بك من النار. فدعاها رسول الله ﷺ فأسلمت^(١).

قال الأميني: تفرد بهذا الحديث عبيد الله بن محمد العمري، رماه النسائي بالكذب، وحكاه عنه الذهبي وابن حجر^(٢)، وقال الدارقطني في حديث آخر تفرد به العمري أيضاً: ليس بصحيح تفرد به العمري وكان ضعيفاً.

وبقية رجال السند كلهم تيمون، فيهم عبدالله وعبيدالله من أولاد طلحة بن عبيدالله مجهولان لا يعرفان. وعبدالله ومحمد بن عمران من أولاد طلحة بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر، أو: من أولاد طلحة بن عبيدالله أيضاً وهما مجهولان كسابقيهما، على أن أبا بكر لا يعدّ من المعتذرين في الإسلام، ولو كان له هذا الموقف في ذلك اليوم العصبوب وكانت على النبا مسحة من الصّحة لكان يُذكر في صفحة كل تاريخ، ولم يكن يهمله أي مؤرخ، أمن المعقول أن يحفظ التاريخ في طياته تعذيب الموالى ولم يكن في صفحته ذكر عن مثل هذا الموقف لمثل أبي بكر؟

ثم لو لم يكن الحفاظ عدوا هذه الرواية من موضوعات عبيدالله العمري وكان عندهم ثقة برجالها ولو بالعلاج ولو بقيل قائل، لما أعرضوا عنها في تلكم القرون

(١) الرياض النضرة: ٤٦/١ [٦٦/١]، تاريخ ابن كثير: ٣٠/٣ [٤٠/٣]. (المؤلف)

(٢) ميزان الاعتدال: ١٨٠/٢ [١٥/٣ رقم ٥٣٩٢]، لسان الميزان: ١١٢/٤ [١٣٠/٤ رقم ٥٤٣٥].

الحنالية كلها، وكان يتلقاها حافظ عن حافظ وإمام عن إمام ولم تكن تخص روايتها بالمحب الطبري وابن كثير المتخصصين لذكر الموضوعات والأحاديث المفتعلة أو من يحدو حدوهما. وفي نفس الرواية ما يكذبها من شتى النواحي:

١ - إن عائشة ولدت في السنة الرابعة أو الخامسة من البعثة^(١)، والقضية على

٣٢٤/٧

تسليم / قبولها قد وقعت في السادسة من البعثة، فأين كانت عائشة يوم ذاك؟ أشاهدت موقف أبيها وهي على ثدي أمها بنت سنة أو سنتين؟ لماذا لم يرو ذلك عن أبيها أو عن أمها أو عن أم جميل؟ لعل الرواية من ولائد القرون المتأخرة عنهم، ولدتها أم الفضائل بعد قضاء الدهر على حياة من خلقت لأجله.

٢ - إن في لفظ الرواية: لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين

رجلاً. فعلى هذا لم يكن أبو بكر يوم ذاك مسلماً أخذاً بقول النبي ﷺ «صَلَّتِ الملائكة عليّ وعلى عليّ سبع سنين لأننا كنا نصليّ وليس معنا أحد يصليّ غيرنا»^(٢). وما مرّت من الصحيحة عن أمير المؤمنين ؑ: «لقد صلّيت مع رسول الله ﷺ قبل الناس بسبع سنين»^(٣). وما أسلفنا من صحيحة الطبري: أن أبا بكر أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً^(٤).

٣ - في الرواية: ألح أبو بكر على رسول الله في الظهور، فقال: يا أبا بكر إننا

قليل، فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ. إلخ. يكذبه ما في السير من أن رسول الله ﷺ أظهر الدعوة قبل ذلك اليوم بثلاث سنين.

وروى ابن سعد وابن هشام والطبري وغيرهم: أن الله عزّ وجلّ أمر نبيّه

(١) طرح التثريب: ١٤٧/١، الإصابة: ٣٥٩/٤ [رقم ٧٠٤]. (المؤلف)

(٢) راجع الجزء الثالث: ص ٢٢٠. (المؤلف)

(٣) راجع الجزء الثالث: ص ٢٢١. (المؤلف)

(٤) تاريخ الطبري: ٢١٥/٢ [٣١٦/٢]. (المؤلف)

محمداً ﷺ بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما جاءه منه، وأن ينادي الناس بأمره ويدعو إليه فقال له: ﴿فَاصدَعْ بِمَا تُوَمِّرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١) وكان قبل ذلك في السنين الثلاث من مبعثه إلى أن أمر بإظهار الدعوة إلى الله مستسراً مخفياً أمره ﷺ وأنزل عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^{(٢)(٣)}.

فإظهار النبي ﷺ دعوته كان بأمر من المولى سبحانه من دون سبق أي إلحاح من أي أحد عليه من أبي بكر أو غيره سواء كان أسلم أبو بكر يوم ذاك أو لم يسلم. على أن أبا بكر عدَّ ممن كان يدعو سرّاً بعد ذلك اليوم بعد ظهور الدعوة من المسلمين، فأين مقيل إلحاحه على رسول الله في الظهور من الصحة يوم ذاك؟ قال ابن سعد في طبقاته^(٤) (١٨٥/١): كان أبو بكر يدعو ناحية سرّاً، وكان سعد بن زيد مثل ذلك، وكان عثمان مثل ذلك، وكان عمر يدعو علانية وحمزة بن عبدالمطلب. فإسرار أبي بكر في الدعوة يوم إعلان عمر كان بعد ذلك اليوم، إذ أسلم عمر بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة بعد أربعين رجلاً^(٥). وقد مرَّ في الرواية أن القضية وقعت والمسلمون ثمان وثلاثون نسمة.

٣٢٥/٧

(١) الحجر: ٩٤.

(٢) الشعراء: ٢١٤ - ٢١٦.

(٣) تاريخ الطبري: ٢١٦/٢ [٣١٨/٢]، طبقات ابن سعد: ١٨٣/١ [١٩٩/١]، سيرة ابن هشام:

٢٧٤/١ [٢٨٠/١]، الكامل: ٢٣/٢ [٤٨٦/١]، تفسير القرطبي: ٦٢/١٠ [٤١/١٠]، عيون الأثر

لابن سيد الناس: ٩٩/١ [١٣١/١]، تاريخ أبي الفدا: ١١٦/١، تفسير ابن كثير: ٥٥٩/٢، تفسير

المخازن: ١٠٩/٣ [٢٧١/٣]، تفسير الشوكاني: ١٣٩/٣ [١٤٤/٣]. (المؤلف)

(٤) الطبقات الكبرى: ٢٠٠/١.

(٥) الاستيعاب - هامش الإصابة: ٤٥٩/٢ [الاستيعاب: القسم الثالث/١١٤٥ رقم ١٨٧٨]، تاريخ

ابن كثير: ٣١/٣ [٤٢/٣]. (المؤلف)

وذكر الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٩/٩) حديثين في إسلام أم أبي بكر؛ أحدهما عن ابن عباس قال: أسلمت أم أبي بكر وأم عثمان وأم طلحة وأم الزبير وأم عبدالرحمن بن عوف وأم عمار. فقال:

فيه: خازم بن الحسين وهو ضعيف. وقال الذهبي في الميزان^(١) (٣١٥/١): قال ابن معين^(٢): خازم ليس بشيء. وقال أبو داود: روى مناكير. وقال ابن عدي^(٣): عامة ما يرويه لا يتابع عليه.

والحديث الثاني للهيثمي عن طريق الهيثم بن عدي قال: هلك أبو بكر فورثاه أبواه جميعاً وكانا أسلميا. ثم قال: إسناده منقطع.

قال الأميني: كأن الحافظ الهيثمي يوهم بكلمته الأخيرة أن علة الحديث هي انقطاعه فحسب، ولم يذكر بقية رجاله حتى تقف عليها نظارة التنقيب، غير أن في ذكر الهيثم بن عدي الكذاب كفاية. قال البخاري: ليس بثقة كان يكذب. وقال أبو داود: كذاب. وقال النسائي^(٤) وغيره: متروك الحديث. وقالت جارية الهيثم: كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي فإذا أصبح جلس يكذب، وقال النسائي أيضاً: منكر الحديث. وذكر حديثاً وعده من افتراء الهيثم على هشام بن عروة. وقال أبو حاتم^(٥): متروك الحديث. وقال أبو زرعة: ليس بشيء. وقال العجلي^(٦): كذاب وقد رأيتته. وقال الساجي: سكن / مكة وكان يكذب. وقال إمام الحنابلة أحمد: كان صاحب أخبار وتدليس. وقال الحاكم والنقاش: حدث عن الثقات بأحاديث منكرة. وعده

(١) ميزان الاعتدال: ٦٢٦/١ رقم ٢٣٩٨.

(٢) التاريخ: ٥٧/٤ رقم ٣١٣٠.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال: ٧٥/٣ رقم ٦٢١.

(٤) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ٢٤١ رقم ٦٣٧.

(٥) الجرح والتعديل: ٨٥/٩ رقم ٣٥٠.

(٦) تاريخ الثقات: ص ٤٦٢ رقم ١٧٥٧.

البيهقي والنقاش والجوزجاني الحديث من الموضوعات لكون الهيثم فيه. وقال أبو نعيم: يوجد في حديثه المناكير^(١).

فإسلام أم أبي بكر كإسلام والده أبي قحافة قط لا يثبت. والذي ذكر إسلامها من المؤرخين كابن كثير والديار بكري والحلي وغيرهم لا يعول على قولهم بعد ما عرفت الحال في مستند أقوالهم، فلا قيمة للدعوى المجردة والتقول بلا دليل.

ويُعرب عن جليلة الحال بقاء أم الخير - أم أبي بكر - في حباله أبي قحافة في مكة، وقد أسلمت هي على قول من يقول بإسلامها في السادسة من البعثة، وأسلم أبو قحافة في الثامنة من الهجرة سنة الفتح كما سمعت، فتخلل بين إسلامها خمسة عشر عاماً، فبأي كتاب أم بأية سنة بقيت تلك المسلمة أم مثل أبي بكر تلك السنين المتطاولة في نكاح أبي قحافة الذي لم يسلم بعد؟ وما الذي جمع بينهما؟ والفراق بينهما كان أول شعار الإسلامية. فأين إسلامها؟ وماذا يثبت والحال هذه؟

مركز تحقيق التراث
- ٢٨ -

أبو بكر وأبواه في القرآن

لعبت أيدي الهوى بكتاب الله، وحرّفت الكلم عن مواضعها، وجاء من يؤلف في التفسير وقد أعماه الحب وأصمه، يخبط خبط عشواء، فتراه كحاطب ليل يروي في كتابه أساطير السلف الأولين من الوضّاعين مرسلات إياها إرسال المسلم من دون أي تحقيق وتثبت وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ومع ذلك يرون أنفسهم أئمة وقادة في علم القرآن العزيز. حتى يروون أن قوله تعالى في الأحقاف (١٥): ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ

(١) ميزان الاعتدال: ٢٦٥/٣ [٣٢٤/٤ رقم ٩٣١١]، لسان الميزان: ٢٠٩/٦ [٢٥١/٦ رقم ٨٩٧٧]،

وعلى والِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿ نزلت في أبي بكر .

ويروون عن عليّ أمير المؤمنين وابن عباس أن الآية نزلت في أبي بكر الصديق، وكان حمله وفصاله ثلاثين شهراً، حملته أمّه تسعة أشهر وأرضعته واحداً وعشرين / شهراً، أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره، فأوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده. فلما نبيّ رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة صدّق أبو بكر ﷺ رسول الله ﷺ وهو ابن ثمانٍ وثلاثين سنة، فلما بلغ أربعين سنة قال: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ﴾، واستجاب الله له فأسلم والداه وأولاده كلهم .

الكشاف (٩٩/٣)، تفسير القرطبي (١٩٣/١٦، ١٩٤)، الرياض النضرة (٤٧/١)، مرقاة الوصول (ص ١٢١)، تفسير الخازن (١٣٢/٤)، تفسير النسفي هامش الخازن (١٣٢/٤)، تفسير الشوكاني (١٨/٥)^(١).

ألا مسائل هؤلاء الأعلام المغفلين عن أن كون مدّة الحمل والفصال ثلاثين شهراً هل يخصّ بأبي بكر فحسب حتى يُخصّ بالذكر؟ أم هو مطرّد في خلق الله، إمّا يكون مدّة الحمل ستة أشهر ومدّة الإرضاع حولين كاملين، وإمّا يكون الحمل تسعة أشهر والإرضاع واحداً وعشرين شهراً؟ وإنّ الحريّ بالذكر هو الأوّل لشذوذه عن العادة المطرّدة.

ثمّ إن كان هذا من خاصّة أبي بكر وحكاية لحمله وفصاله فكيف يصحّ لمولانا أمير المؤمنين وابن عباس الاستدلال بالآية مع ما في سورة لقمان على كون أقلّ الحمل

(١) الكشاف: ٣٠٣/٤، الجامع لأحكام القرآن: ١٢٩/١٦، الرياض النضرة: ٦٨/١، تفسير الخازن:

١٢٥/٤، تفسير النسفي: ١٤٣/٤، فتح القدير: ٢٠/٥.

سته أشهر؟ كما مرّ في الجزء السادس (ص ٩٣ - ٩٥)، فالآية الكريمة لا تبين إلا ما هو السائر الدائر بين البشر بأحد الوجهين المذكورين وبهذا يتم الاستدلال. وفيه قال ابن كثير في تفسيره (١٥٧/٤): وهو استنباط قويّ صحيح ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم. وابن كثير مع إكثاره بنقل الموضوعات لم يوعز إلى نزول الآية في أبي بكر لما يرى في نقله من الفضيحة على نفسه.

ثم إن في نصّ الآية أن ذلك الانسان قال ما قاله وقد بلغ أشده وبلغ من عمره أربعين عاماً. وأبو بكر لم يكن مسلماً يوم ذاك لا هو ولا أبوه ولا أمّه، أمّا هو فقد قدّمنا أنه أسلم بعد سبع من البعثة بنصوص مرّت في الجزء الثالث (ص ٢٢٠ - ٢٢٣).

وأما أبوه فقد أسلم - إن أسلم - يوم الفتح في السنة الثامنة من الهجرة، وكان لأبي بكر يومئذ ستّ وخمسون سنة أو أكثر،
وأما أمّه فقد أسلمت - إن أسلمت - في السنة السادسة من البعثة، وأبو بكر يوم ذاك ابن أربع وأربعين سنة أو أكثر منها.

٣٢٨/٧

فماذا أنعم الله عليه وعلى والديه يوم قال: ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ، وكلّهم غير مسلمين؟ والجملة دُعائية بالنسبة إلى إلهام الشكر على ما أنعم الله به عليه وعلى والديه فحسب، وأمّا بالنسبة إلى كونهم من المنعم عليهم فخبريّة تقتضي سبق تلك النعمة على ظرف الدعاء، فالقول بأن الله سبحانه استجاب له فأسلم والداه وأولاده كلّهم، مهزأة غير مدعومة بشاهد.

على أن أخبار إسلام والديه - بعد تسليمها والغضّ عمّا فيها - تدلّ على أن إسلام أمّه كان بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله لها بالإسلام، وإسلام أبيه من بركة مسحه صلى الله عليه وآله يده على صدره، فأين دعاء أبي بكر؟

وأما ما في ذيل الرواية ممّا عزي إلى أمير المؤمنين عليه السلام من أنه لم يجتمع لأحد

من المهاجرين أن أسلم أبواه غير أبي بكر. فحاشا أمير المؤمنين يقول مثل ذلك، وقد عرّفناك (ص ٣١٠ - ٣١٢) زرافات من المهاجرين أسلموا هم وآباؤهم وأمهاتهم ويقدمهم هو سلام الله عليه بالأولوية والأولوية.

آية أخرى في أبي بكر وأبيه :

وردت في قوله تعالى من سورة المجادلة (٢٢) ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ
أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

من طريق ابن جريج: أن أبا قحافة سب النبي ﷺ فصكّه أبو بكر ابنه صكّة
فسقط منها على وجهه، ثم أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: أو فعلته لا تعد إليه،
فقال: والذي بعثك بالحق نبياً لو كان السيف مني قريبا لقتلته. فنزلت قوله: لا تجد
قوماً. الآية.

تفسير القرطبي^(١) (٣٠٧/١٧)، تفسير الزمخشري^(٢) (١٧٢/٣)، مرقاة الوصول
حاشية نوادر / الأصول (ص ١٢١)، تفسير الألوسي (٣٦/٢٨).

قال الأميني: أصفق رجال التفسير على أن سورة الأحقاف التي مرّت فيها
الآية الأولى مكّيّة، وعلى أن سورة المجادلة مدنيّة، وعلى أن هذه الآية نزلت بعد رده
من الزمن من نزول الأحقاف، ويظهر من تفسير القرطبي وابن كثير^(٣) والرازي^(٤) أنها

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٧/١٩٩.

(٢) الكشف: ٤/٤٩٧.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤/٣٣٠.

(٤) التفسير الكبير: ٢٩/٢٧٦.

نزلت بعد بدر وأحد فيقع نزولها على هذا في السنة الرابعة من الهجرة تقريباً، فما وجه الجمع بين الآيتين على تقدير تسليم نزولها في أبي بكر؟ والأولى منها كما مر نص على أن أبا قحافة ممن أنعم الله عليه يوم كان لأبي بكر أربعون سنة، ولما بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدِي﴾، وهذه الآية كما ترى نص في أن أبا قحافة يوم نزولها - وكان يوم ذاك لأبي بكر ثلاث وخمسون سنة تقريباً - كان ممن حاد الله ورسوله .

والذي يهون الخطب أن متن هذه الرواية - كالرواية السابقة الواردة في الآية الأولى - يكذب نفسها. إذ الآية كما سمعت نزلت بالمدينة، وظاهر الرواية وقوع القصة بها، ويوم ذاك كان أبو قحافة بمكة، فأين وأنى اجتمع أبو بكر مع أبيه وصكّه؟

ثم هل يشترط وجوب قتل من سب رسول الله ﷺ بقرب السيف ممن سمعه؟ أو شرع هذا الحكم بعد القضية؟ أو خص أبو قحافة منه بالدليل؟ سل من أعماه الغلو في الفضائل وأصمته: ﴿وَابْتِهَامٌ لِيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾^(١)، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

الغاية للقالّة

أحسب أن القوم لم ينسجوا هذا الإفك على نول الجهل بتراجم الرجال فحسب، ولا أن لهم مأرباً في آباء المهاجرين أسلموا أو لم يسلموا، أو أن لهم غاية في إسلام أبوي أبي بكر. لكنهم زمروا لما لم يزل لهم فيه مكاء وتصدية من تكفير سيد الأباطح شيخ الأئمة أبي طالب والد مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليهما، وذلك بعد أن عجزوا عن الوقيعة في الولد فوجهوها إلى الوالد أو إلى الوالدين كما فعله المحافظ

(١) المجادلة : ٢ .

(٢) آل عمران : ٧٨ .

العاصمي في زين الفتى. وكان من تهويلهم في تخفيف تلکم الوطأة أن جرّوا ذلك إلى والدي النبي المعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعليهما حتى قال العاصمي في زين الفتى عند بيان وجه الشبه بين النبي والمرضى صلى الله عليهما وآلهما: أما تشبيه الأبوين في الحكم والتسمية، فإن النبي في كثرة ما أنعم الله تعالى عليه ووفور إحسانه إليه لم يرزقه إسلام أبويه، وعلى هذا جمهور المسلمين^(١) إلا شردمة قليلين لا يلتفت إليهم، فكذلك المرضى فيما أكرمه الله به من الأخلاق والخصال وفنون النعم والأفعال لم يرزقه إسلام أبويه. انتهى.

فلم تفتأ لهم في ذلك جلبة ولغظ مكابرين فيها المعلوم من سيرة شيخ الأبطح وكفالاته لصاحب الرسالة، ودرته عنه كل سوء وعادية، وهتافه بدينه القويم، وخضوعه لناموسه الإلهي في قوله وفعله وشعره ونثره، ودفاعه عنه بكل ما يملكه من حول وطول.

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً وقاما
فذاك بمكة آوى وحامي وهذا بيثرب جسّ الحاميا
تكلّ عبد منافٍ بأمرٍ وأودى فكان عليّ تماماً
فقل في ثبير مضى بعد ما قضى ما قضاه وأبقى شاماً^(٢)
فليله ذا فاتحاً للهدى والله ذا للمعالي ختاماً
وما ضرّ مجدّ أبي طالب جهولٌ لغا أو بصيرٌ تعامى
كما لا يضرُّ إياب^(٣) الصبا ح من ظنّ ضوء النهار الظلاماً^(٤)

(١) أفك الرجل على جمهور المسلمين، فإن الإمامية والزيدية على بكرة أبيهم ومن حذا حذوهم من محققي أهل السنة ذهبوا إلى إسلام والدي النبي الأقدس، ومن شدّ عنهم فلا يؤبه به ولا يلتفت إليه. (المؤلف)

(٢) ثبير وثمام: اسماء جيلين.

(٣) في شرح النهج: إياة، ومعناه الضوء.

(٤) ذكرها ابن أبي الحديد لنفسه في شرحه: ٣١٧/٣ [٨٤/١٤] كتاب ٩. (المؤلف)

وهناك طرق لا يمكن التوصل إلى الإذعان بنفسيات أي أحد إلا بها، ألا وهي:

- ١ - استنباطها مما يلفظ به من قول.
- ٢ - أو مما ينوء به من عمل.
- ٣ - أو مما يروي عنه آله وذووه. فإن أهل البيت أدرى بما فيه.
- ٤ - أو مما أسنده إليه من لاث به وجمع له.

- ١ -

أما أقوال أبي طالب سلام الله عليه: فإليك عقوداً عسجدية من شعره الرائق مثبتة في السير والتواريخ وكتب الحديث.

أخرج الحاكم في المستدرک^(١) (٦٢٣/٢) بإسناده عن ابن إسحاق قال: قال أبو طالب أبياتاً للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم - يعني عن المهاجرين إلى الحبشة من المسلمين:

ليعلمن خيار الناس أن محمداً وزيراً لموسى والمسيح ابن مريم
 أتانا بهدي مثل ما أتيا به
 وإنكم تتلون في كتابكم
 وإنك ما تأتيك منها عصابة
 فكل بأمر الله يهدي ويعصم^(٢)
 بصدق حديث لا حديث المبرجم
 بفضلك إلا أرجعوا بالتكريم

وقال سلام الله عليه من قصيدة:

فبلغ عن الشحاء أفناء غالب
 لأننا سيوف الله والمجد كله
 ألم تعلموا أن القطيعة ماثم
 وأن سبيل الرشد يعلم في غد
 لوياً وتياً عند نصر الكرائم
 إذا كان صوت القوم وجي الغائم
 وأمر بلاء قائم غير حازم
 وأن نعيم الدهر ليس بدائم

(١) المستدرک على الصحيحين: ٦٨٠/٢ ح ٤٢٤٧.

(٢) في البيت إقواء.

فلا تسفهن أحلامكم في محمدٍ
تمنيتم أن تقتلوه وإنما
وإنكمم والله لا تقتلونه
ولم تبصروا والأحياء منكم ملاحماً
وتدعو بأرحامٍ أواصر بيننا
زعمتم بأننا مسلمون محمداً
من القوم مفضال أبي العدي
أمين حبيب في العباد مسوّم
يرى الناس برهاناً عليه وهيبة
نبي أتاه الوحي من عند ربه
تطيف به جرثومة هاشمية

ولا تتبعوا أمر الغواة الأشائم
أمايكم هذي كأحلام نائم
ولما تروا قطف اللحن والغلاصم^(١)
تحوم عليها الطير بعد ملاحم
فقد قطع الأرحام وقع الصوارم
ولما نقاذف دونه ونزاحم
تمكن في الفرعين من آل هاشم
بخاتم رب قاهر في الخواتم
وما جاهل في قومه مثل عالم
ومن قال لا يقرغ بها سن نادم
تذنب عنه كل عاب ظالم

ديوان أبي طالب (ص ٢٢)، شرح ابن أبي الحديد (٣/٣١٣)^(٢).

ومن شعره في أمر الصحيفة التي سنوقفك على قصتها قوله:

ألا أبلغا عني على ذات بينها
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً
وأن عليه في العباد محبة
وأن الذي رقتتم في كتابكم

لويّاً وخضاً من لوي بني كعب
رسولاً كموسى خط في أول الكتب
ولا حيف فيمن خصه الله بالحب
يكون لكم يوماً كراغية السقب^(٣)

(١) في رواية: والجهاجم. الغلاصم جمع الغلصمة: اللحم بين الرأس والعنق. (المؤلف)

(٢) ديوان أبي طالب: ٨٤ - ٨٥، شرح نهج البلاغة: ٧٣/١٤ كتاب ٩.

(٣) في رواية ابن هشام:

وإن الذي ألقتم من كتابكم لكم كائن نحساً كراغية السقب

رقش: كتب وسطر. الراغية من الرغاء: أصوات الإبل. السقب: ولد الناقة. (المؤلف)

أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزُّبى^(١) ولا تتبعوا أمر الغواية وتقطعوا
وتستجلبوا حرباً عواناً^(٢) وربما فلسنا وبيت الله نُسلمُ أحمداً
ولما تبين منا ومنكم سوائفُ بُعتركِ ضنكِ ترى كِسَرَ القنا
كأنَّ بحال الخيل في حجاته ليس أبونا هاشمٌ شدُّ أزره
ولسنا نغلُّ الحرب حتى تملنا ولكنتنا أهل الحفائظِ والنُّهى
ويصبح من لم يجن ذنباً كذي ذنبٍ أواصرنا بعد المودّة والقرب
أمر على من ذاقه حَلَبُ الحربِ لِعزاء من عضّ الزمان ولا كرب^(٣)
وأيدٍ أتت^(٤) بالمهندة الشهبِ به والضباع العرج تعكف كالشرب^(٥)
ومعمعة الأبطال معركة الحرب وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولا نشكي مما ينوب من النكب إذا طار أرواح الكماة من الرعب

سيرة ابن هشام (٣٧٣/١)، شرح ابن أبي الحديد (٣١٢/٣)، بلوغ الأرب (٣٢٥/١)، خزانة الأدب للبغدادي (٢٦١/١)، الروض الأنف (٢٢٠/١)، تاريخ ابن كثير (٨٧/٣)، أسنى المطالب (ص ٦، ١٣)، طلبة الطالب (ص ١٠)^(٦).

ومن شعره قوله:

ألا ما لهممٌ آخرَ الليل معتمٍ طواني وأخرى النجم لما تقم

- (١) في سيرة ابن هشام [٣٧٧/١]: الثرى، بدل الزبى. (المؤلف)
(٢) الحرب العوان: التي قوتل فيها مرّة بعد أخرى. أشدّ الحروب. (المؤلف)
(٣) العزاء: السنة الشديدة. عضّ الزمان: شدته وكلبه. (المؤلف)
(٤) تبين: تنفصل. السوائف: صفحات الاعناق. أتت: قطعت. (المؤلف)
(٥) ضنك: ضيق. الضباع العرج مرّ ص ٥٨. الشرب: الجماعة من القوم يشربون. والشطر الثاني في سيرة ابن هشام [٣٧٩/١]: به والنسور الطخم يعكفن كالشرب. (المؤلف)
(٦) السيرة النبوية: ٣٧٧/١ - ٣٧٩، شرح نهج البلاغة: ٧٢/١٤ كتاب ٩، خزانة الأدب: ٧٦/٢، الروض الأنف: ٢٨٣/٣، البداية والنهاية: ١٠٨/٣.

طواني وقد نامت عيون كثيرة
 لأحلام أقوام أرادوا محمداً
 سعوا سفهاً واقتادهم سوء أمرهم
 رجاة أمور لم ينالوا نظامها
 يرجون منا خطة دون نيلها
 يرجون أن نسخي بقتل محمد
 كذبتهم وبيت الله حتى تفلقوا
 وتقطع أرحام وتنسى حليته
 وينهض قوم بالحديد إليكم
 هم الأسد أسد الزارتين إذا غدت
 فيا لبني فهر أفيقوا ولم تقم
 على ما مضى من بغيكم وعقوقكم
 وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى
 فلا تحسبونا مسلميه ومثله
 فهذي معاذير وتقدمة لكم

وسامر أخرى قاعد لم ينوم
 بظلم ومن لا يتقى البغي يظلم
 على خائل من أمرهم غير محكم
 وإن نشدوا في كل بدو وموسم
 ضراب وطعن بالوشيج المقوم^(١)
 ولم تختضب سمر العوالي من الدم
 هاجم تلقى بالحميم وزمزم^(٢)
 حليلاً ويغشى محرم بعد محرم
 يذبون عن أحسابهم كل مجرم
 على حنق لم تخش إعلام معلم
 نوائح قتلى تدعي بالتسدم^(٣)
 وغشيانكم في أمرنا كل ماتم
 وأمر أتى من عند ذي العرش قيم^(٤)
 إذا كان في قوم فليس بمسلم
 لكيلا تكون الحرب قبل التقدم

ديوان أبي طالب^(٥) (ص ٢٩)، شرح ابن أبي الحديد (٣/٣١٢)^(٦).

وله قوله مخاطباً للنبي الأعظم ﷺ:

(١) الوشيج: الرماح.

(٢) في الديوان: تفرقوا. بدلاً من: تفلقوا. و: بالحميم. بدلاً من: بالحميم.

(٣) التسدم من السدم: الهم مع الندم، الغيظ مع الحزن. (المؤلف)

(٤) في رواية شيخ الطائفة: مبرم. (المؤلف)

(٥) ديوان أبي طالب: ص ٨٢ - ٨٣.

(٦) شرح نهج البلاغة: ٧١/١٤ كتاب ٩.

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
فاصدع بأمرِكَ ما عليك غضاضةً
ودعوتني وعلمتُ أنّك ناصحي
ولقد علمتُ بأنّ دينَ محمدٍ
حتى أوسد في التراب دفينا
وابشر بذاك وقرّ منك عيونا
ولقد دعوتُ وكنّت ثمّ أمينا^(١)
من خير أديان البريّة دينا

رواها الثعلبي في تفسيره وقال: قد اتفق على صحّة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب: مقاتل، وعبدالله بن عباس، والقاسم بن محضرة، وعطاء بن دينار.

راجع: ^(٢) خزانة الأدب للبغدادي (٢٦١/١)، تاريخ ابن كثير (٤٢/٣)، شرح ابن أبي الحديد (٣٠٦/٣)، تاريخ أبي الفدا (١٢٠/١)، فتح الباري (١٥٣/٧، ١٥٥)، الإصابة (١١٦/٤)، المواهب اللدنيّة (٦١/١)، السيرة المحليّة (٣٠٥/١)، ديوان أبي طالب (ص ١٢)، طلبه الطالب (ص ٥)، بلوغ الأرب (٣٢٥/١)، السيرة النبويّة لزيني دحلان هامش المحليّة (٩١/١، ٢١١)، وذكر البيت الأخير في أسنى المطالب (ص ٦) فقال: عدّه البرزنجي من كلام أبي طالب المعروف.

لغت نظر:

زاد القرطبي وابن كثير في تاريخه على الأبيات:

لولا الملامة أو حذاري سبّة
لوجدتني سمحاً بذاك مبيّنا

(١) وفي رواية القسطلاني:

ودعوتني وزعمت أنّك ناصحي
ولقد صدقت وكنّت ثمّ أمينا

(المؤلف)

(٢) خزانة الأدب: ٧٦/٢، البداية والنهاية: ٥٦/٣، شرح نهج البلاغة: ٥٥/١٤، كتاب ٩، فتح الباري: ١٩٤/٧، ١٩٦، المواهب اللدنيّة: ٢٢٣/١، السيرة المحليّة: ٢٨٧/١، ديوان أبي طالب: ص ٤١، السيرة النبويّة لزيني دحلان: ٤٥/١، أسنى المطالب: ص ١٠.

قال السيد أحمد زيني دحلان في أسنى المطالب^(١) (ص ١٤): فليل: إن هذا البيت موضوع أدخلوه في شعر أبي طالب وليس من كلامه.

قال الأميني: هب أن البيت الأخير من صلب ما نظمه أبو طالب عليه السلام فإن أقصى ما فيه أن العار والسب، اللذين كان أبو طالب عليه السلام يحذرهما خيفة أن يسقط محله عند قريش فلا تتسنى له نصرة الرسول المبعوث ﷺ، إنما منعه عن الإبانة والإظهار لاعتناق الدين، وإعلان الإيمان بما جاء به النبي الأمين، وهو صريح قوله: لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً. أي مظهراً، وأين هو عن اعتناق الدين في نفسه، والعمل بمقتضاه من النصرة والدفاع؟ ولو كان يريد به عدم الخضوع للدين لكان تهافتاً بيتاً بينه وبين أبياته الأولى التي ينص فيها بأن دين محمد ﷺ من خير أديان البرية دينا، وأنه ﷺ صادق في دعوته أمين على أمته.

ومن شعره قوله قد غضب لعثمان بن مظعون حين عدّته قريش ونالت منه:

| | |
|---|----------------------------|
| أصبحت مكتئباً تبكي كمحزون | أمن تذكر دهر غير مأمون |
| يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين | أم من تذكر أقوام ذوي سفه |
| إننا غضبنا لعثمان بن مظعون | ألا ترون أذل الله جمعكم |
| بكل مطرد في الكف مسنون | ونمنع الضيم من يبغي مضيماً |
| يشق بها الداء من هام المجانين | ومرهفات كأن الملح خالطها |
| بعد الصعوبة بالأسماح واللين | حتى تقر رجال لا حلوم لها |
| على نبي كموسى أو كذي النون ^(٢) | أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب |

ومن شعره يمدح النبي الأعظم ﷺ قوله:

(١) أسنى المطالب: ص ٢٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ٣/٣١٣ [٧٣/١٤ كتاب ٩]. (المؤلف)

لقد أكرم الله النبيَّ محمداً فأكرم خلق الله في الناس أحمدُ
وشقَّ له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمودٌ وهذا محمدُ

أخرجه^(١) البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن [زيد]^(٢)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٦/١)، وابن عساكر في تاريخه (٢٧٥/١)، وذكره له ابن أبي الحديد في شرحه (٣١٥/٣)، وابن كثير في تاريخه (٢٦٦/١)، وابن حجر في الإصابة (١١٥/٤)، والقسطلاني في المواهب اللدنية (٥١٨/١) نقلاً عن تاريخ البخاري، والديار بكري في تاريخ الخميس (٢٥٤/١) فقال: أنشأ أبو طالب في مدح النبي أبياتاً منها هذا البيت:

وشقَّ له من اسمه ليجلّه

٣٣٦/٧

حسان بن ثابت ضمن شعره هذا البيت فقال:

ألم تر أن الله أرسل عبده بأياته والله أعلى وأمجدُ
وشقَّ له من اسمه ليجلّه

والزرقاني في شرح المواهب (١٥٦/٣) وقال: توارد حسان معه أو ضمنه شعره وبه جزم في الخميس، أسنى المطالب^(٣) (ص ١٤).

ومن شعره المشهور كما قاله ابن أبي الحديد في شرحه^(٤) (٣١٥/٣):

أنت النبيُّ محمدُ قرمٌ أغرُّ مسوّدُ
لمسوّدِين أكارمٍ طابوا وطاب المولّدُ
نعم الأرومة أصلها عمرو الخضمُّ الأوحّدُ

(١) التاريخ الصغير: ٣٨/١، دلائل النبوة: ٤٤/١ ح ٢، تاريخ مدينة دمشق: ٣٢/٣ - ٣٣، شرح نهج

البلاغة: ٧٨/١٤ كتاب ٩، البداية والنهاية: ٣٢٥/٢، المواهب اللدنية: ٢٥/٢.

(٢) في الأصل: يزيد، والتصحيح من تاريخ البخاري وبقية المصادر.

(٣) أسنى المطالب: ص ٢٤.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٧٧/١٤ كتاب ٩.

هشم الربيكة في الجفا ن وعيش مكة أنكد^(١)
 فجرت بذلك سنة فيها الخبيزة تثرؤ
 ولنا السقاية للحجيب حج بها يماث العنجد^(٢)
 والمأزمان^(٣) وما حوت عرفاتها والمسجد
 أني تضاء ولم أمث وأنا الشجاع العريد
 وبطاح مكة لا يرى فيها نجيع أسود
 وبنو أبيك كأنهم أسد العرين توقدوا
 ولقد عهدتك صادقاً في القول لا يتزئد
 ما زلت تنطق بالصوا ب وأنت طفل أمرؤ

جاء أبو جهل بن هشام إلى رسول الله ﷺ وهو ساجد ويده حجر يريد أن يرميه به ، فلما رفع يده لصق الحجر بكفه فلم يستطع ما أراد ، فقال أبو طالب :

أفيقوا بني غالب وانتهوا عن العي من بعض ذا المنطقي
 وإلا فإني إذن خائف بوائق في داركم تلتقي
 تكون لغيركم عبرة ورب المغارب والمشرق
 كما نال من كان من قبلكم ثود وعاد وماذا بقي
 غداة أتاهم بها صرصر وناقة ذي العرش قد تستقي
 فحل عليهم بها سخطه من الله في ضربة الأزرق^(٤)

(١) عمرو: اسم هاشم بن عبد مناف. الخضم: كثير العطاء. الربيكة: طعام يعمل من تمر وأقط وسمن.

(٢) ماث الشيء ميثاً: مرسه. ومات الملح في الماء: أذابه. العنجد: الزبيب.

(٣) المأزمان: موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة وهو شعب بين جبلين [معجم البلدان: ٤٠/٥].

(المؤلف)

(٤) الأزرق: عاقر ناقة صالح.

غداة يعرضُ بعرقوبها حساماً من الهند ذا رونقٍ
وأعجب من ذلك في أمركم عجائبُ في الحجرِ الملتصقِ
بكفّ الذي قام من خبيته إلى الصابرِ الصادقِ المتَّقِي
فأثبته الله في كفِّه على رغيهِ الجائرِ الأحمقِ
أحقيقُ مخزومكم إذ غوى لغِي الغواة ولم يصدقِ

ديوان أبي طالب^(١) (ص ١٣)، شرح ابن أبي الحديد (٣/٣١٤)^(٢).

قال ابن أبي الحديد في شرحه^(٣) (٣/٣١٤): قالوا: وقد اشتهر عن عبد الله المأمون رحمه الله أنه كان يقول: أسلم أبو طالب والله بقوله:

نصرتُ الرسولَ رسولَ الملِكِ ببيضِ تلاًلا كلمعِ البروقِ
أذبُّ وأحمي رسولَ الإلهِ حمايةً حامٍ عليه شفيقِ
وما إن أدبَ لأعدائِهِ دبسبَ البكارِ حذارِ الفنيقِ^(٤)
ولكن أذير لهم سامياً كما زار ليث بغيل مضيقِ

وتوجد هذه الأبيات مع بيت زائد في ديوانه^(٥) (ص ٢٤).

ولسيدنا أبي طالب أبيات كتبها إلى النجاشي بعد ما خرج عمرو بن العاص إلى بلاد الحبشة ليكيد جعفر بن أبي طالب وأصحابه عند النجاشي. يحرّض النجاشي على إكرام جعفر والإعراض عن ما يقوله عمرو^(٦)، منها:

(١) ديوان أبي طالب: ص ٤٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٧٤/١٤ كتاب ٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الفنيق: الفعل المكرم لا يؤذى ولا يركب لكرامته جمع فنق وأفناق. (المؤلف)

(٥) ديوان أبي طالب: ص ٧٠.

(٦) ديوان أبي طالب ص ١٠٩ وهي مما استدركه محقق الديوان على جامعه.

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفرٌ
 وهل نال إحسانُ النجاشي جعفرأ
 وعمرؤ وأعداءُ النبي الأقاربُ
 وأصحابه أم عاق عن ذلك شاغبُ
 تعلم أبيت اللعن^(١) أنك ماجدٌ
 ونعلم أن الله زادك بسطةً
 وأسباب خير كلها بك لازبُ

تاريخ ابن كثير^(٢) (٧٧/٣)، شرح ابن أبي الحديد (٣١٤/٣).

قال ابن أبي الحديد في شرحه^(٣) (٣١٥/٣): ومن شعره المشهور أيضاً قوله
 يخاطب محمداً، ويسكن جأشه، ويأمره باظهار الدعوة:

لا يمنعك من حقّ تقوم به
 فإن كفك كفي إن بهم مليت^(٤)
 أيدٍ تصول ولا سلق بأصواتٍ
 ودون نفسك نفسي في الملياتِ

قال ابن هشام^(٥): ولما خشي أبو طالب دهاء العرب أن يركبوه مع قومه قال
 قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها؛ وتوذد فيها أشراف قومه وهو على
 ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله ﷺ، ولا تاركة
 لشيء أبداً، حتى يهلك دونه، فقال أبو طالب:

خليلي ما أذني لأول عاذلٍ
 ولما رأيت القوم لاؤدّ فيهمُ
 بصغواءٍ في حقّ ولا عند باطلٍ
 وقد قطعوا كلّ العرى والوسائلِ
 وقد صارحونا بالعداوة والأذى
 وقد طاعوا أمرَ العدو المزيلى

(١) أبيت اللعن، كلمة كانت العرب تحيي بها ملوكها في الجاهلية؛ معناها: أبيت أيها الملك أن تأتي ما
 تلعن عليه.

(٢) البداية والنهاية: ٩٧/٣.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٧٧/١٤ كتاب ٩.

(٤) في المصدر: إن بليت بهم.

(٥) السيرة النبوية: ٢٩١/١.

وقد حالفوا قوماً علينا أظنة^(١) يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمرء سمحة^(٢) وأبيض عضب من تراث المقاول^(٢)

أعوذُ بربِّ الناسِ من كلِّ طاعنٍ علينا بسوءٍ أو مُلحٍ بباطلٍ
ومن كاشحٍ سمى لنا بعبيةٍ ومن مُلحقٍ في الدين مالم نحاولِ
وثورٍ ومن أرسى ثبيراً مكانه وراقٍ ليرقى في حراءٍ ونازلٍ^(٣)
وبالبيتِ حقَّ البيتِ من بطنِ مكةَ وباللهِ إنَّ اللهَ ليس بغافلٍ
وبالحجرِ المسودِّ إذ يسحونه إذا اكتنفوه بالضحي والأصائلِ

كذبتهم وبيتِ اللهِ نتركُ مكةَ ونظعنُ إلا أمركم في بلايلِ
كذبتهم وبيتِ اللهِ نُبرِى محمداً ولنا نطاعنُ دونه ونناضلِ^(٤)
ونسلمه حتى نُصرِّعَ حوله ونُذهلَ عن أبنائنا والحلائلِ
وينهضَ قومٌ بالحديدِ إليكم هوَض الرِّوايا تحت ذاتِ الصلاصِلِ^(٥)
وحتى نرى ذا الظُّغنِ يركبُ رده من الطعنِ فعل الأنكبِ المتحامِلِ^(٦)
وإنَّا لعمرُ اللهِ إنَّ جدَّ ما أرى لتلتبسُ أسيافنا بالأمائِلِ
بكتي فتىً مثلَ الشهابِ سميذع أخي ثقةَ حامِي الحقيقةِ باسِلِ

٣٣٩/

(١) أظنة: جمع ظنين: المتهم. (المؤلف)

(٢) سمرء سمحة: أراد بها قناة لينة تسمح بالانعطاف عند هزها. العضب: القاطع. المقاول: أراد بها السادات. (المؤلف)

(٣) ثور ونبير وحراء: جبال في مكة. (المؤلف)

(٤) نُبرِى: نُسَلِب.

(٥) الروايا: الإبل التي تحمل الماء، واحدها: راوية. الصلاصل جمع الصلصلة: الصوت وذات الصلاصل: المزايدات التي فيها بقية من الماء يسمع لها صوت حين تسير الإبل. (المؤلف)

(٦) يقال: ركب رده، أي خرَّ صريعاً لوجهه. الأنكب: الذي يمشي على شق. (المؤلف)

شهوراً وأياماً وحسولاً مجزماً^(١) علينا وتأتي حجةً بعد قابل
وما ترك قومٍ - لا أبالك - سيّداً يحوط الذمار غير ذربٍ مواكل^(٢)
وأبيض يُستسقى الغمامُ بوجهه ثمّال اليتامى عصمةً للأرامل
يلوذ به الهلاكُ من آل هاشمٍ فهم عنده في رحمةٍ وفواضل

بـيزان قسطٍ لا يخيس شعيرةً له شاهدٌ من نفسه غيرُ عائل^(٣)
لقد سفهت أحلامُ قومٍ تبدلوا بني خلفٍ قسيضاً بنا والغياطل^(٤)
ونحن الصميمُ من ذؤابة هاشمٍ وآل قصيٍّ في الخطوب الأوائل
وسهمٌ ومخزومٌ تمالوا وآلبوا علينا العدا من كلِّ طملٍ وخامل^(٥)
فعبء منافع أنتم خيرُ قومكم فلا تُشركوا في أمركم كلٌّ واغل^(٦)

ألم تعلموا أنّ ابننا لا مكذبٌ لذيئنا ولا نعبا بقول الأباطل
أشمُّ ممن الشمِّ البهاليل ينتمي إلى حسب في حومة المجدِ فاضل
لعمرى لقد كلفت جداً بأحمدٍ وأحببته حبَّ الحبيبِ المواصل

٣٤٠/٧

(١) حولاً مجزماً: أي مكثراً. يقال: تجرّمت السنة، إذا كملت وانقضت. (المؤلف)

(٢) الذمار: ما يلزمك أن تحميه. ذرب: فاسد. مواكل: يتكل على غيره. (المؤلف)

(٣) لا يخيس من قولهم: خاس بالعهد إذا نقضه وأفسده، ويروى لا يخش أي لا ينقص. عائل: جائر. (المؤلف)

(٤) قسيضاً بنا: عوضاً منا تقول: قاضه بكذا أي عوضه به. الغيطنة: من بني مرة بن عبد مناة إخوة مدلج بن مرة وهي أم الغياطل، فقيل لولدها: الغياطل وهم من بني سهم بن عمرو بن هصيص.

(المؤلف)

(٥) الطمل: الرجل الفاحش لا يبالي ما صنع. اللثيم، الأحمق، اللص الفاسق. (المؤلف)

(٦) كلٌّ واغل: أراد كل ملصق ليس من صميم، وأصل الواغل الداخل على القوم وهم يشربون من غير أن يدعى. (المؤلف)

فلا زال في الدنيا جالاً لأهلها وزيناً لمن والاه ربُّ المشاكل
فأصبحَ فينا أحمدٌ في أرومةِ تقصّر عنه سورة المتطاولِ
حدثتْ بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرى والكلاكل^(١)
فأئده ربُّ العباد بنصره وأظهر ديناً حقّه غير باطلِ

هذه القصيدة ذكر منها ابن هشام في سيرته^(٢) (٢٨٦/١ - ٢٩٨)، أربعة وتسعين بيتاً وقال: هذا ما صح لي من هذه القصيدة. وذكر ابن كثير منها اثنين وتسعين بيتاً في تاريخه^(٣) (٥٣/٣ - ٥٧)، وفي رواية ابن هشام ثلاثة أبيات لم توجد في تاريخ ابن كثير وقال (ص ٥٧) قلت: هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع يقولها إلا من نسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها، وقد أوردتها الأمويّ في مغازيه مطوّلة بزيادات أخر والله أعلم.

وذكرها أبو هفان العبدي في ديوان أبي طالب^(٤) (ص ٢ - ١٢) في مئة وأحد عشر بيتاً ولعلها تمام القصيدة.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه^(٥) (٣١٥/٣) بعد ذكر جملة من شعر أبي طالب: فكلّ هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر؛ لأنّه إن لم تكن آحادها متواترة فمجموعها يدلّ على أمر واحد مشترك وهو تصديق محمد ﷺ، ومجموعها متواتر كما أنّ كل واحدة من قتلات عليّ عجل الفرسان منقولة آحاداً ومجموعها متواتر يفيدنا

(١) حدثت: عطفت ومنعت. الذرى جمع ذرة: أعلى ظهر البعير. الكلاكل جمع كلكل: معظم الصدر. (المؤلف)

(٢) السيرة النبوية: ٢٩١/١ - ٢٩٩.

(٣) البداية والنهاية: ٧٠/٣ - ٧٤.

(٤) ديوان أبي طالب: ص ٢١ - ٢٨.

(٥) شرح نهج البلاغة: ٧٨/١٤ كتاب ٩.

العلم الضروريّ بشجاعته، وكذلك القول فيما روي من سخاء حاتم وحلم الأحنف ومعاوية وذكاء إياس وخلاعة أبي نؤاس وغير ذلك. قالوا: واتركوا هذا كله جانباً، ما قولكم في القصيدة اللامية التي شهرتها كشمرة قفا نيك؟ وإن جاز الشكّ فيها أو في شيء من أبياتها جاز الشكّ في قفا نيك وفي بعض أبياتها.

وقال القسطلاني في إرشاد الساري^(١) (٢٢٧/٢): قصيدة جليلة بليغة من بحر الطويل، وعدة أبياتها مئة وعشرة أبيات، قالها لما تملاً قريش على النبي ﷺ ونفروا عنه من يريد الإسلام.

وذكر منها في المواهب اللدنية^(٢) (٤٨/١)، أبياتاً فقال: هي أكثر من ثمانين بيتاً
قال ابن التين: إن في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنه كان يعرف نبوة النبي ﷺ قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا وغيره من شأنه. وقال العيني في عمدة القاري^(٣):
(٤٣٤/٣) قصيدة طنانة وهي مئة بيت وعشرة أبيات أولها:

خليليّ ما أذني لأوّل عاذلٍ بصغواءٍ في حقٍّ ولا عند باطلٍ

ذكر منها البغدادي في خزانة الأدب^(٤) (٢٥٢/١ - ٢٦١) اثنين وأربعين بيتاً مع

شرحها، وقال: أولها:

خليليّ ما أذني لأوّل عاذلٍ بصغواءٍ في حقٍّ ولا عند باطلٍ

خليليّ إنّ الرأي ليس بشركةٍ ولا نهنيّ عند الأمور البلابل^(٥)

(١) إرشاد الساري: ٢٦٣/٣.

(٢) 'المواهب اللدنية': ١٨٥/١.

(٣) عمدة القاري: ٣٠/٧.

(٤) خزانة الأدب: ٥٩/٢ - ٧٥.

(٥) النهنيّ: المضيء، والنير الشقاف الذي يظهر الأشياء على جليتها. البلابل: جمع بلبلة أو بلبال، وهما بمعنى الهمة ووساوس الصدر.

ولما رأيت القوم لا ودَّ عندهم وقد قطعوا كلَّ العرى والوسائلِ

وذكر الآلوسي عدَّة منها في بلوغ الأرب^(١) (٢٣٧/١) وذكر كلمة ابن كثير المذكور وقال: هي مذكورة مع شرحها في كتاب لبَّ لباب لسان العرب.

وذكر منها السيّد زيني دحلان أبياتاً في السيرة النبويّة هامش الحليّة^(٢) (٨٨/١) فقال: قال الإمام عبدالواحد السفاقي^(٣) في شرح البخاري: إنّ في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنّه كان يعرف نبوّة النبي ﷺ قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا الراهب وغيره من شأنه، مع ما شاهده من أحواله، ومنها الاستسقاء به في صغره ومعرفة أبي طالب بنبوّة ﷺ، جاءت في كثير من الأخبار زيادة على أخذها من شعره.

قال الأميني: أنا لا أدري كيف تكون الشهادة والاعتراف بالنبوّة إن لم يكن منها هذه الأساليب المتنوّعة المذكورة في هذه الأشعار؟ ولو وجد واحد منها في شعر أيّ أحد أو نثره لأصفق الكلّ على إسلامه، لكن جميعها لا يدلّ على إسلام أبي طالب. فاعجب واعتبر!

هذه جملة من شعر أبي طالب ﷺ الطافع من كلّ شطره الإيمان الخالص، والإسلام الصحيح، قال العلامة الأوحّد ابن شهر آشوب المازندراني في كتابه متشابهات القرآن عند قوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾^(٤): إنّ أشعار أبي طالب / الدالّة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت يكشف فيها من يكشف النبي ﷺ ويصحّ نبوّة. ثمّ ذكر جملة ضافية ومما ذكر له قوله في وصيته:

٣٤٢/٧

(١) بلوغ الأرب: ٣٢٦/١.

(٢) السيرة النبويّة: ٤٣/١.

(٣) هو ابن التين المذكور في كلام القسطلاني. (المؤلف)

(٤) الحج: ٤٠.

أوصي بنصرِ نبيِّ الخَيْرِ أربعةً
وحمزةَ الأسدِ الحامي حقيقتهُ
كونوا فداءً لكم أمِّي وما ولدت
إبني علياً وشيخَ القومِ عباساً
وجعفرأً أن تذودا دونه الناسا
في نصرِ أحمدَ دون الناس أتراساً^(١)

- ٢ -

ما ناء به من عمل بارّ وقول مشكور

أما ما ناء به سيّد الأباطح أبو طالب سلام الله عليه من عمل بارّ وسعي مشكور في نصرة النبي ﷺ وكلاءته والذبّ عنه والدعوة إليه وإلى دينه الحنيف منذ بدء البعثة إلى أن لفظ أبو طالب نفسه الأخير، وقد تخلّل ذلك جمل من القول كلّها نصوص على إسلامه الصحيح، وإيمانه الخالص، وخضوعه للرسالة الإلهية، فإلى الملتقى. روى القوم:

١ - قال ابن إسحاق: إنّ أبا طالب خرج في ركب إلى الشام تاجراً، فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير هبّ له رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته وقال: يا عمّ إلى من تكلمي لا أب لي ولا أمّ لي؟ فرقّ له أبو طالب وقال: والله لأخرجنّ به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً. قال: فخرج به معه، فلما نزل الركب بصريّ من أرض الشام وتهيأ راهب يُقال له بحيرا في صومعة له، وكان أعلم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة راهب إليه يصير علمهم من كتاب فيهم كما يزعمون يتوارثونه كائناً عن كائن، فلما نزلوا ذلك العام ببخيرا وكانوا كثيراً ما يمرّون عليه قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يتعرّض لهم، حتى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريباً من صومعته فصنع لهم طعاماً كثيراً وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته في اركب حين أقبلوا، وغمامة تظله ﷺ من بين القوم. ثمّ أقبلوا حتى نزلوا بظلّ شجرة قريباً منه فنظر إلى الغمامة حتى أظلت / الشجرة وتهصّرت، يعني تدلّت أغصانها على رسول الله ﷺ حتى

(١) في النسخة المطبوعة من متشابهات القرآن تصحيف وتحريف في الآيات. راجع: ٦٥/٢. (المؤلف)

استظلّ تحتها، فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، وأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وحرّكم وعبيدكم، فقال له رجل منهم: يا بحيرا إنّ لذلك اليوم لشأناً ما كنت تصنع هذا فيما مضى وقد كنا نمرّ بك كثيراً، فما شأنك اليوم؟ فقال له بحيرا: صدقت قد كان ما تقولون، ولكنكم ضيوف فأحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً تأكلون منه كلكم، فاجتمعوا إليه وتخلّف رسول الله ﷺ من بين القوم لحدائته سنّه في رحال القوم تحت الشجرة.

فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرفها وهي موجودة عنده، فقال: يا معشر قريش لا يتخلّف أحد منكم عن طعامي هذا، فقالوا: يا بحيرا ما تخلّف عنك أحد ينبغي أن يأتيك إلا غلام هو أحدث القوم سنّاً تخلّف في رحالهم، قال: فلا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فقال رجل من قريش: واللآل والعزى إنّ لهذا اليوم نبأ. أيليق أن يتخلّف ابن عبد الله عن الطعام من بيننا؟ ثمّ قام إليه فاحتضنه ثمّ أقبل به حتى أجلسه مع القوم. فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفته حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرّقوا قام بحيرا فقال له: يا غلام أسألك بالآلات والعزى إلا أخبرتني عمّا أسألك عنه. فقال رسول الله ﷺ: لا تسألني بالآلات والعزى شيئاً قطّ، فقال بحيرا: فبالله إلا ما أخبرتني عمّا أسألك عنه. فقال: سئني عمّا بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من نومه وهيئته وأموره ورسول الله يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثمّ نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده. الحديث.

فقال أبو طالب في ذلك:

إنّ ابن أمنة النبيّ محمداً عندي يفوق منازل الأولاد

لما تعلق بالزمام رحمته
فأرفض من عيني دمع ذارف
راعيت فيه قرابة موصولة
وأمرتة بالسير بين عمومة
ساروا لأبعد طيبة معلومة
حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا
حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً
قومٌ يهودٌ قد رأوا لما رأى
ثاروا لقتل محمد فنهاهم
فتنى زبيراً من بحيرا فانتنى
ونهى دريساً فانتهى عن قوله

والعيس قد قلصن^(١) بالأزواد
مثل الجمان مفروق الأفراد
وحفظت فيه وصية الأجداد
بيض الوجوه مصالت أنجاد^(٢)
فلقد تباعد طيبة^(٣) المرتاد
لا قوا على شرك من المرصاد^(٤)
عنه ورد معاشر الحساد
ظل الغمام وعن ذي الأكباد^(٥)
عنه وجاهد أحسن التجهاد
في القوم بعد تجاوز وبعاد^(٦)
حبرٌ يوافق أمره برشاد

مركز تقيتكم كويت علوم رسيدي

وقال أيضاً:

ألم ترني من بعد هم همته
بفرقة حرّ الوالدين حرام^(٧)

(١) قلص القوم: اجتمعوا فساروا. قلصت الناقة: استمرت في مضيتها. تقلص: انضم وانزوى، تدانى.

(المؤلف)

(٢) مصالت: الماضي في الحوائج. الصلت الجبين: الواضح. نجد جمع النجد: الضابط للأمر بدّل

المصاعب. الشجاع الماضي فيما يعجز غيره. سريع الإجابة إلى ما دعي إليه. (المؤلف)

(٣) في الموضوعين في رواية: طبة. بالموحدة مؤنث الطب بفتح الطاء. الناحية. (المؤلف)

(٤) في الديوان: على شرف من المرصاد.

(٥) وفي رواية:

قومٌ يهودٌ قد رأوا ما قد رأوا
ظل الغمامة ناغري الأكباد

(المؤلف)

(٦) كذا في تهذيب تاريخ دمشق: ٢٧٢/١، وفي الديوان: وثنى بحيرا زبيراً فانتنى...

(٧) كذا في تهذيب تاريخ دمشق، وفي الديوان والروض الأنف: كرام، بدلاً من حرام.

بأحمد لما أن شددت مطيبي
 بكى حزناً والعيس قد فصلت بنا
 ذكرت أباه ثم رقرقتُ عبرةً
 فقلت: ترخّل راشداً في عمومية
 فجاء مع العير التي راح ركبها
 فلما هبطنا أرضَ بصرى تشرّفوا
 فجاء بحيرا عند ذلك حاشداً
 فقال اجمعوا أصحابكم لطعامنا
 يتيم فقال ادعوه إن طعامنا
 فلولا الذي خبرتم عن محمد
 فلما رآه مقبلاً نحو داره
 حنا رأسه شبه السجود وضمه
 وأقبل ركبٌ يطلبون الذي رأى
 فثار إليهم خشيةً لعراهم^(٢)
 دريس وتام وقد كان فيهم^(٣)
 فجأؤوا وقد همّوا بقتل محمد
 بتأويله التوراة حتى تيقنوا
 أتبعون قتلاً للنبي محمد
 وإن الذي نختاره منه مانع
 فذلك من أعلامه وبيانه

بسرحلي وقد ودّعته بسلام
 وأخذت بالكفين فضل زمام
 تجود من العينين ذات سجام
 مواسير في البأساء غير لثام^(١)
 شامي الهوى والأصل غير شام
 لنا فوق دورٍ ينظرون جسام
 لنا بشرابٍ طيبٍ وطعام
 فقلنا جمعنا القوم غير غلام
 كثيرٌ عليه اليوم غير حرام
 لكنتم لدينا اليوم غير كرام
 يوقيه حرّ الشمس ظلّ غمام
 إلى نحره والصدر أي ضم
 بحيرا من الأعلام وسط خيام
 وكانوا ذوي بغي لنا وعرام
 زبيرٌ وكلّ القوم غير نيام
 فردّهم عنه بحسن خصام
 وقال لهم رمتهم أشدّ مرام
 خصتم على شؤم بطول أثم
 سيكفيه منكم كيد كلّ طعام
 وليس نهائز واضح كظلام

٣٤٥/٧

(١) في الديوان والروض الأنف، مواسير بدلاً من: مواسير.

(٢) العرام: الشراسة والأذى. (المؤلف)

(٣) دريس، وتام، وزبير - في بعض النسخ: زدير. أحبار من اليهود. (المؤلف)

ديوان أبي طالب^(١) (ص ٣٣ - ٣٥)، تاريخ ابن عساكر^(٢) (١/٢٦٩ - ٢٧٢)،
الروض الأنف^(٣) (١/١٢٠).

وذكر السيوطي الحديث من طريق البيهقي في الخصائص الكبرى^(٤) (١/٨٤)
فقال في (ص ٨٥): وقال أبو طالب في ذلك أبياتاً منها:

فما رجعوا حتى رأوا من محمدٍ أحاديث تجلو غمَّ كلِّ فوادٍ
وحتى رأوا أحبار كلِّ مدينةٍ سجوداً له من عصبيةٍ وفرادٍ
زبيراً وتاماً وقد كان شاهداً دريساً وهموا كلهم بفسادٍ
فقال لهم قولاً بحيرا وأيقنوا له بعد تكذيبٍ وطولٍ بعادٍ
كما قال للرهط الذين تهودوا وجاهدتهم في الله كلَّ جهادٍ
فقال ولم يترك له النصح ردهً فإنَّ له إرصاد كلِّ مصادٍ
فإني أخاف الحاسدين وإنه لفي الكتب مكتوبٌ بكلِّ مدادٍ

٢ - استسقاء أبي طالب بالنبي ﷺ :

أخرج ابن عساكر في تاريخه^(٥) عن جلهمة بن عرفطة قال: قدمت مكة وهم
في قحط / فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادي، وأجدب العيال، فهلّم واستسق. ٣٤٦/٧
فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلّت عنه سحابه قتياءً وحوله أغيلمة،
فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة، ولاذّ بإصبعه الغلام، وما في السماء قرعة^(٦)،

(١) ديوان أبي طالب: ص ٨٩ - ٩٠.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ١٢/٣ - ١٤.

(٣) الروض الأنف: ٢/٢٢٧.

(٤) الخصائص الكبرى: ١/١٤٤.

(٥) مختصر تاريخ دمشق: ١٦١/٢ - ١٦٢.

(٦) القرعة: القطعة من السحاب. (المؤلف)

فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا، وأغدق واغدودق، وانفجر له الوادي، وأخصب البادي والنادي، وفي ذلك يقول أبو طالب:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمأل اليتامى عصمةً للأراملِ
يلوذ به الهلاكُ من آلِ هاشم فهم عنده في نعمةٍ وفواضلِ
وميزان عدلٍ لا يخيس شعيرةً ووزان صدقٍ وزنه غيرُ هائلِ

شرح البخاري للقسطلاني (٢٢٧/٢)، المواهب اللدنية (٤٨/١)، الخصائص الكبرى (٨٦، ١٢٤)، شرح بهجة المحافل (١١٩/١)، السيرة الحلبية (١٢٥/١)، السيرة النبوية لزيني دحلان هامش الحلبية (٨٧/١)، طلبة الطالب (ص ٤٢)^(١).

ذكر الشهرستاني في الملل والنحل^(٢) بهامش الفصل (٢٢٥/٣) سيّدنا عبدالمطلب وقال: ومما يدلّ على معرفته بحال الرسالة وشرف النبوة أنّ أهل مكة لما أصابهم ذلك الجذب العظيم، وأمستك السحاب عنهم سنتين، أمر أبا طالب ابنه أن يحضر المصطفى عليه الصلاة والسلام وهو رضيع في قاط، فوضعه على يديه واستقبل الكعبة ورماه إلى السماء وقال: يا ربّ بحقّ هذا الغلام. ورماه ثانياً وثالثاً وكان يقول: بحقّ هذا الغلام اسقنا غيثاً مغيثاً دائماً هاطلاً. فلم يلبث ساعة أن طبّق السحاب وجه السماء وأمطر حتى خافوا على المسجد، وأنشد أبو طالب ذلك الشعر اللامي الذي منه:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمأل اليتامى عصمةً للأراملِ

ثم ذكر أبياتاً من القصيدة، ولا يخفى على الباحث أنّ القصيدة نظمها أبو طالب عليه السلام أيام كونه في الشعب كما مرّ.

(١) إرشاد الساري: ٢٧/٣، المواهب اللدنية: ١٨٤/١، الخصائص الكبرى: ١٤٦/١، ٢٠٨، السيرة الحلبية: ١١٦/١، السيرة النبوية: ٤٣/١.
(٢) الملل والنحل: ٢٤٩/٢.

فاستسقاء عبد المطلب وابنه سيّد الأبطح بالنبيّ الأعظم يوم كان ﷺ رضيعاً يافعاً يُعرب عن توحيدهما الخالص، وإيمانها بالله، وعرفانها بالرسالة الخاتمة، وقداسة صاحبها من أوّل يومه، ولو لم يكن لهما إلا هذان الموقفان لكفياهما، كما يكفيان / الباحث عن دليل آخر على اعتناقهما للإيمان.

٣- أبو طالب في مولد أمير المؤمنين ﷺ :

عن جابر بن عبد الله قال: سألت رسول الله ﷺ عن ميلاد عليّ بن أبي طالب فقال: «لقد سألتني عن خير مولود ولد في شبه المسيح ﷺ، إن الله تبارك وتعالى خلق عليّاً من نوري وخلقتني من نوره وكلانا من نور واحد، ثمّ إن الله عزّ وجلّ نقلنا من صلب آدم ﷺ في أصلاّب ظاهرة إلى أرحام زكّية، فاستقلت من صلب إلّا ونقل عليّ معي، فلم نزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي آمنة. واستودع عليّاً خير رحم وهي فاطمة بنت أسد». وكان في زماننا رجل زاهد عابد يقال له المبرم بن دعيب بن الشقبان قد عبد الله تعالى مئتين وسبعين سنة لم يسأل الله حاجة، فبعث الله إليه أبا طالب، فلما أبصره المبرم قام إليه وقبّل رأسه وأجلسه بين يديه ثمّ قال: من أنت؟ فقال: رجل من تهامة. فقال: من أيّ تهامة؟ فقال: من بني هاشم. فوثب العابد فقبّل رأسه ثمّ قال: يا هذا إنّ العليّ الأعلى ألهمني إلهاماً. قال أبو طالب: وما هو؟ قال: ولد يولد من ظهرك وهو وليّ الله ﷺ. فلما كان الليلة التي ولد فيها عليّ أشرقت الأرض، فخرج أبو طالب وهو يقول: أيها الناس ولد في الكعبة وليّ الله، فلما أصبح دخل الكعبة وهو يقول:

يا ربّ هذا الغسق الدجيّ والقمر المنبلج المضيّ
بين لنا من أمرك الخفيّ ماذا ترى في إسم ذا الصبيّ

قال: فسمع صوت هاتف يقول:

يا أهل بيت المصطفى النبيِّ خصصتمُ بالولدِ الزكيِّ
إنَّ اسمه من شاخِ العليِّ عليُّ اشتقَّ من العليِّ

أخرجه الحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب^(١) (ص ٢٦٠) وقال: تفرّد به مسلم بن خالد الزنجي وهو شيخ الشافعي، وتفرّد به عن الزنجي عبد العزيز بن عبدالصمد وهو معروف عندنا.

٤ - بدء أمر النبي وأبو طالب :

أخرج فقيه الحنابلة إبراهيم بن علي بن محمد الدينوري في كتابه نهاية الطلب وغاية السؤال في مناقب آل الرسول^(٢) بإسناده عن طاووس عن ابن عباس في حديث طويل: إن النبي ﷺ قال للعباس عليه السلام إن الله قد أمرني بإظهار أمري وقد أنبأني واستنبأني فما عندك؟ فقال له العباس عليه السلام: يا ابن أخي تعلم أن قريشاً أشدّ الناس حسداً لولد أبيك، وإن كانت هذه الخصلة كانت الطامة الطماء والداهية العظيمة ورمينا عن قوس واحد وانتسفونا نسفاً، صلتا^(٣) ولكن قرّب إلى عمك أبي طالب فإنه كان أكبر أعمامك إن لا ينصرك لا يخذلك ولا يسلمك، فأتياه، فلما رآهما أبو طالب قال: إن لكما لظنة وخبراً، ما جاء بكما في هذا الوقت؟ فعرفه العباس ما قال له النبي ﷺ وما أجابه به العباس، فنظر إليه أبو طالب وقال له: أخرج يا ابن أخي فإنك الرفيع كعباً، والمنيع حزباً، والأعلى أباً، والله لا يسلكك لسان إلا سلقته ألسن حداد، واجتذبتة سيوف حداد، والله لتذلن لك العرب ذلّ البهم لحاضنها، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً، ولقد قال: إن من صلبني لتسيباً، لو ددت أني أدركت ذلك

(١) كفاية الطالب: ص ٤٠٦.

(٢) راجع لطرائف لسيدنا ابن طاووس: ص ٨٥ [ص ٣٠٢ - ٣٠٣ ح ٢٨٨]، وضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف. (المؤلف)

(٣) الصلت: الشديد.

الزمان فأمنت به ، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به .

قال الأميني: أتري أن أبا طالب يروي ذلك عن أبيه مطمئناً به؟ وينشط رسول الله ﷺ هذا التنشيط لأوّل يومه، ويأمره بإشهار أمره والإشادة بذكر الله، وهو محبت بأنه هو ذلك النبي الموعود بلسان أبيه والكتب السالفة، ويتكهن بخضوع العرب له، أترأه سلام الله عليه يأتي بهذه كلها ثم لا يؤمن به؟ إن هذا إلا اختلاق.

٥- أبو طالب وفقده النبي ﷺ :

ذكر ابن سعد الواقدي في الطبقات الكبرى^(١) (١٨٦/١) طبع مصر (ص ١٢٥) طبع ليدن حديث ممثي قريش إلى أبي طالب في أمره ﷺ إلى أن قال: فاشمأزوا ونفروا منها - يعني من مقالة محمد - وغضبوا وقاموا وهم يقولون: اصبروا على آهتكم، إن / هذا لشيء يُراد، ويقال المتكلم بهذا عقبه بن أبي معيط. وقالوا: لا نعود إليه أبداً، وما خيرٌ من أن نقتل محمداً. فلما كان مساء تلك الليلة فقد رسول الله ﷺ وجاء أبو طالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه، فجمع فتياناً من بني هاشم وبني المطلب ثم قال: ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة، ثم ليتبعني إذا دخلت المسجد، فلينظر كل فتى منكم فليجلس إلى عظيم من عظمائهم فيهم ابن الحنظلية - يعني أبا جهل - فإنه لم يغب عن شرّ إن كان محمد قد قُتل، فقال الفتيان: نفعل، فجاء زيد بن حارثة فوجد أبا طالب على تلك الحال؛ فقال: يا زيد أحسست ابن أخي؟ قال: نعم كنت معه آنفاً. فقال أبو طالب: لا أدخل بيتي أبداً حتى أراه؛ فخرج زيد سريعاً حتى أتى رسول الله ﷺ وهو في بيت عند الصفا ومعه أصحابه يتحدّثون، فأخبره الخبر، فجاء رسول الله ﷺ إلى أبي طالب، فقال: يا بن أخي أين كنت؟ أكنت في خير؟ قال: نعم. قال: ادخل بيتك، فدخل

رسول الله ﷺ . فلما أصبح أبو طالب غدا على النبي ﷺ ، فأخذ بيده فوقف به على أندية قريش ومعه الفتيان الهاشميون والمطلبيون فقال : يا معشر قريش هل تدرون ما هممت به ؟ قالوا : لا . فأخبرهم الخبر ، وقال للفتيان : اكشفوا عما في أيديكم فكشفوا ، فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة . فقال : والله لو قتلتموه ما بقيت منكم أحداً . حتى نتفاني نحن وأنتم ، فانكسر القوم وكان أشدهم انكساراً أبو جهل .

لفظ آخر :

وأخرج الفقيه الحنبلي إبراهيم بن علي بن محمد الدينوري في كتابه نهاية الطلب^(١) بإسناده عن عبدالله بن المغيرة بن معقب ، قال : فقد أبو طالب رسول الله ﷺ فظن أن بعض قريش اغتاله فقتله ، فبعث إلى بني هاشم فقال : يا بني هاشم أظن أن بعض قريش اغتال محمداً فقتله ، فليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة وليجلس إلى جنب عظيم من عظماء قريش ، فإذا قلت : أبغي محمداً . قتل كل منكم الرجل الذي إلى جانبه . وبلغ رسول الله جمع أبي طالب وهو في بيت عند الصفا ، فأتى أبا طالب وهو في المسجد ، فلما رآه أبو طالب أخذ بيده ثم قال : يا معشر قريش ، فقدت محمداً فظننت أن بعضكم اغتاله / فأمرت كل فتى شهد من بني هاشم أن يأخذ حديدةً ويجلس كل واحد منهم إلى عظيم منكم ، فإذا قلت : أبغي محمداً قتل كل واحد منهم الرجل الذي إلى جنبه ، فاكشفوا عما في أيديكم يا بني هاشم فكشف بنو هاشم عما في أيديهم فنظرت قريش إلى ذلك فعندها هابت قريش رسول الله ﷺ ، ثم أنشأ أبو طالب :

ألا أبلغ قريشاً حيث حلّت وكلّ سرائر منها غرور

(١) راجع الطرائف لسيدنا ابن طاووس : ص ٨٥ [ص ٣٠٣ ح ٣٨٩] . (المؤلف)

فإني والضوايح عاديات^(١) وما تتلو السفاسرة الشهور^(٢)
 لآل محمدٍ راعٍ حفيظٌ وودّ الصدر مني والضميرُ
 فلستُ بقاطعٍ رحمي وولدي ولو جرّت مظالمها الجزورُ
 أيامر جمعهم أبناءَ فهِرٍ بقتل محمدٍ والأمرُ زورُ
 فلا وأبيك لا ظفرتُ قريشُ ولا أمتُ رشاداً إذ تشيرُ
 بُني أخي ونوطُ القلبِ مني وأبيضُ ماؤه غدقٌ كثيرُ
 ويشرب بعده الولدان رِيّاً وأحمد قد تضمّنه القبورُ
 أيا بن الأنف أنف بني قصي^(٣) كأنَّ جبينك القمرُ المنيرُ

لغت نظر: قال شيخنا العلامة المجلسي في البحار^(٤) (٣١/٩): روى جامع
 الديوان - يعني ديوان أبي طالب - نحو هذا الخبر مرسلًا ثم ذكر الأشعار هكذا...
 فذكر الأشعار وفيها زيادة عشرين بيتاً على ما ذكر، وهي لا توجد في الديوان
 المطبوع لسيدنا أبي طالب. *مركز تحقيق وتوثيق علوم راسدي*

لفظ ثالث :

وقال السيد فخار بن معد في كتابه الحجّة^(٥) (ص ٦١): وأخبرني الشيخ الحافظ
 أبو الفرج عبدالرحمن بن محمد ابن الجوزي المحدث البغدادي - وكان ممن يرى كفر / أبي
 طالب ويعتقده - بواسطة العراق سنة إحدى وتسعين وخمسمئة بإسناد له إلى الواقدي،

(١) في تاج العروس: ٢٧٢/٣: فإني والسوايح كل يوم. وفي ص ٣٢٠: فإني والضوايح كل يوم. (المؤلف)

(٢) السفاسرة: أصحاب الأسفار وهي الكتب. الشهور: العلماء جمع الشهر. كذا فسر البيت كما في

تاج العروس: ٢٧٢/٣، ٣٢٠. (المؤلف)

(٣) الأنف: السيد. (المؤلف)

(٤) بحار الأنوار: ١٤٩/٣٥ ح ٨٥.

(٥) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٢٥٤.

قال: كان أبو طالب بن عبدالمطلب لا يغيب صباح النبي ولا مساءه، ويحرسه من أعدائه ويخاف أن يفتانوه، فلما كان ذات يوم فقدته فلم يره، وجاء المساء فلم يره، وأصبح الصباح فطلبه في مظانته فلم يجده فلزم أحشاءه، وقال: واولداه، وجمع عبيده ومن يلزمه في نفسه فقال لهم: إن محمداً قد فقدته في أمسنا ويومنا هذا ولا أظن إلا أن قريشاً قد اغتالته وكادته، وقد بقي هذا الوجه ما جئته، وبعيد أن يكون فيه. واختار من عبيده عشرين رجلاً، فقال: امضوا وأعدوا سكاكين وليمض كل رجل منكم وليجلس إلى جنب سيد من سادات قريش، فان أتيت ومحمد معي فلا تُحدثن أمراً وكونوا على رسلكم حتى أقف عليكم، وإن جئت وما محمد معي فليضرب كل منكم الرجل الذي إلى جانبه من سادات قريش. فمضوا وشحذوا سكاكينهم حتى رضوها، ومضى أبو طالب في الوجه الذي أرادته ومعه رهطه من قومه فوجده في أسفل مكة قائماً يصلي إلى جنب صخرة فوقع عليه وقبله وأخذ بيده وقال: يا بن أخ قد كدت أن تأتي على قومك، سر معي، فأخذ بيده وجاء إلى المسجد وقريش في ناديهم جلوس عند الكعبة، فلما رأوه قد جاء ويده في يد النبي ﷺ قالوا: هذا أبو طالب قد جاءكم بمحمد إن له لشأناً، فلما وقف عليهم والغضب في وجهه قال لعبيده: أبرزوا ما في أيديكم فأبرز كل واحد منهم ما في يده. فلما رأوا السكاكين قالوا: ما هذا يا أبا طالب؟ قال: ما ترون؛ إنني طلبت محمداً فلم أره منذ يومين فخفت أن تكونوا كدتموه ببعض شأنكم، فأمرت هؤلاء أن يجلسوا حيث ترون وقلت لهم: إن جئت وليس محمد معي فليضرب كل منكم صاحبه الذي إلى جنبه ولا يستأذني فيه، ولو كان هاشمياً، فقالوا: وهل كنت فاعلاً؟ فقال: أي ورب هذه وأومئ إلى الكعبة، فقال له المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وكان من أحلافه: لقد كدت تأتي على قومك؟ قال هو ذلك. ومضى به وهو يقول:

إذهب بُنيَّ فما عليك غضاضةً إذهب وقرَّ بذاك منك عيوننا

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي
وذكرت ديناً لا محالة أنه
من خير أديان البرية ديناً^(١)

٣٥٢/٧

فرجعت قريش على أبي طالب بالعتب والاستعطاف وهو لا يحفل بهم
ولا يلتفت إليهم.

قال الأميني: هذا شيخ الأبطح يروقه أن يُضحّي كل قومه دون نبي الإسلام
وقد تأهب لأن يطأ القوميات كلها والأواصر المتشعبة بينه وبين قريش بأخص
الدين، فحيّاها الله من عاطفة إلهية، وأصرة دينية هي فوق أواصر الرحم.



٦- أبو طالب في بدء الدعوة:

لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢). خرج رسول الله ﷺ فصعد على
الصفا فهتف: يا صباحاه. فاجتمعوا إليه، فقال: «أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلاً
تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدّقي؟» قالوا: نعم ما جرّبنا عليك كذباً. قال: «فإني نذير
نكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو هب: تبتاً لك، أما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم أحضر
قومه في داره، فبادره أبو هب وقال: هؤلاء هم عمومتك وبنو عمك فتكلّم ودع
الصبأة^(٣) واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وأن أحق من أخذك فحبسك
بنو أبيك، وإن أقت ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن ينبّ لك بطون قريش،
وتمدّمهم العرب، فما رأيت أحداً جاء على بني أبيه بشرّاً ممّا جئتهم به. فسكت
رسول الله ﷺ ولم يتكلّم.

(١) راجع ما أسلفناه: ص ٣٣٤. (المؤلف)

(٢) مرّ حديثها في الجزء الثاني: ص ٢٧٨. (المؤلف)

(٣) الصبأ: الخروج من دين إلى دين آخر. (المؤلف)

ثمّ دعاهم ثانية وقال: «الحمد لله أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. ثمّ قال: إنّ الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصّة وإلى الناس عامّة، والله لتموتنّ كما تنامون، ولتبعثنّ كما تستيقظون، ولتحاسبنّ بما تعملون، وإنّها الجنّة أبدأ والنار أبدأ».

فقال أبو طالب: ما أحبّ إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشدّ تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنما أنا أحدهم غير أنّي أسرعهم إلى ما تحبّ، فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أنّ نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب^(١).

٣٥٣/٧

قال الأمين: لم يكن دين عبد المطلب سلام الله عليه إلا دين التوحيد والإيمان بالله ورسوله وكتبه غير مشوب بشيء من الوثنيّة، وهو الذي كان يقول في وصاياّه: إنّه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة. إلى أن هلك ظلوم لم تصبه عقوبة. فقيل له في ذلك، ففكر في ذلك، فقال: والله إنّ وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بأساءته، وهو الذي قال لأبرهة: إنّ لهذا البيت ربّاً يذبّ عنه ويحفظه، وقال وقد صعد أبا قبيس:

| | |
|------------------------------------|---|
| لاهُمَّ إِنَّ الْمَرْءَ يَمُوتُ | نَعِ حَلَّهُ فَاْمْنَعِ حَلَالِكُ |
| لَا يَغْلِبُنَّ صَلِيْبَهُمْ | وَمَحَالَهُمْ عَدَاوَاتُ مَحَالِكُ |
| فَانصُرْ عَلَيَّ آلَ الصَّلِيْبِ | سَبِّ وَعَابِدِيهِ الْيَوْمَ آلِكُ |
| إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَكَعَدْتَ | جَبْتَنَا فَاْمُرْ مَا بَدَأَ لَكَ ^(٢) |

(١) الكامل لابن الأثير: ٢٤/٢ [٤٨٦/١]. (المؤلف)

(٢) الملل والنحل للشهرستاني هامش الفصل: ٢٢٤/٣ [٢٤٩/٢]، الدرر المنيفة للسيوطي: ص ١٥

مسالك الحنفاء: ص ٣٧. (المؤلف)

ويعرب عن تقدّمه في الإيمان الخالص والتوحيد الصحيح انتفاء رسول الله ﷺ
إليه ومباهاته به يوم حنين بقوله:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب^(١)

وقد أجاد المحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في قوله:

تنقل أحمد نوراً عظيماً تلالاً في جباه الساجدين
تقلب فيهم قرناً قرناً إلى أن جاء خير المرسلين^(٢)

وهذا هو الذي أراده أبو طالب - سلام الله عليه - بقوله: نفسي لا تطاوعني
على فراق دين عبدالمطلب. وهو صريح بقیة كلامه، وقد أراد بهذا السياق التعمية على
الحضور لئلا يناصره العداة بمفارقتهم، وهذا السياق من الكلام من سنن العرب في
محاوراتهم، قد يريدون به التعمية، وقد يراد به التأكيد للمعنى المقصود كقول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بين قلوب من قراع الكتائب

ولو لم يكن لسيدنا أبي طالب إلا موقفه هذا لكنى بمفرده في إيمانه الثابت،
وإسلامه القويم، وثباته في المبدأ.

قال ابن الأثير^(٣): فقال أبو لهب: هذه والله السوء^(٤)، خذوا على يديه قبل أن
يأخذ غيركم، فقال أبو طالب: والله لننعتن ما بقينا. وفي السيرة الحلبية^(٥) (٣٠٤/١):
إن الدعوة كانت في دار أبي طالب.

(١) طبقات ابن سعد طبع مصر رقم التسلسل ص ٦٦٥ [١٥١/٢]، تاريخ الطبري: [٧٦/٣] حوادث
سنة ٨ هـ. (المؤلف)

(٢) مسالك الحنفاء للسيوطي: ص ٤٠، الدرج المنيفة ص ١٤. (المؤلف)

(٣) الكامل في التاريخ: ٤٨٧/١.

(٤) في المصدر: السوءة.

(٥) السيرة الحلبية: ٢٨٥/١.

قال عقيل بن أبي طالب: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك يؤذينا في نادينا وفي كعبتنا وفي ديارنا ويُسمعنا ما نكره، فإن رأيت أن تكفّه عنا فافعل. فقال لي: يا عقيل التمس لي ابن عمك، فأخرجته من كِبَس^(١) من كباس أبي طالب. فجاء يمشي معي يطلب النىء يطأ فيه لا يقدر عليه، حتى انتهى إلى أبي طالب فقال: يا بن أخي والله لقد كنت لي مطيعاً، جاء قومك يزعمون أنك تأتيتهم في كعبتهم وفي ناديتهم فتؤذيهم وتسمعهم ما يكرهون، فإن رأيت أن تكف عنهم. فحلّق بصره إلى السماء وقال: والله ما أنا بقادر أن أرد ما بعثني به ربّي، ولو أن يشعل أحدهم من هذه الشمس ناراً. فقال أبو طالب: والله ما كذب قط، فارجعوا راشدين.

قال الأميني: هكذا أخرجه البخاري في تاريخه^(٢) بإسناد رجاله كلهم ثقات، وبهذا اللفظ ذكره المحبّ الطبري في ذخائر العقبى (ص ٢٢٣). غير أن ابن كثير لما رأى لكلمة: راشدين. قيمة في إيمان أبي طالب حذفها في تاريخه^(٣) (٤٢/٣). حياءً الله الأمانة!

مركز تحقيقات كميته بر علوم رسولي

وأخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى^(٤) (١٧١/١) حديث الدعوة عن عليّ وفيه: «ثم قال لهم ﷺ: من يؤازرني عليّ ما أنا عليه ويحييني عليّ أن يكون أخي وله الجنة؟ فقلت: أنا يا رسول الله، وإني لأحدثهم سنّاً، وأحشهم ساقاً. وسكت القوم، ثم قالوا: يا أبا طالب ألا ترى ابنك؟ قال: دعوه فلن يألوه^(٥) ابن عمّه خيراً». وروى أبو عمرو الزاهد الطبري عن تغلب عن ابن الأعرابي أنّه قال في لغة العور - إنه الرديّ من كلّ شيء قال: ومن العور ما في رواية ابن عباس. ثم ذكر

(١) الكِبَس: البيت الصغير.

(٢) التاريخ الكبير: ج ٥٠/٧ رقم ٢٣٠.

(٣) البداية والنهاية: ٥٥/٣.

(٤) الطبقات الكبرى: ١٨٧/١.

(٥) يألوه: يقصّر. (المؤلف)

٣٥٥/٧ حديث / عليّ عليه السلام بطوله إلى أن قال: قال: « فلما أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يتكلم اعترضه أبو هب، فتكلم بكلمات وقال: قوموا. فقاموا وانصرفوا. قال: فلما كان من الغد أمرني فصنعت مثل ذلك الطعام والشراب ودعوتهم فأقبلوا ودخلوا فأكلوا وشربوا، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله ليتكلم فاعترضه أبو هب فقال له أبو طالب: اسكت يا أعور ما أنت وهذا؟ ثم قال: لا يقوم أحد. قال: فجلسوا ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله: قم يا سيدي فتكلم بما تحب وبلغ رسالة ربك فإنك الصادق المصدق. »

وإلى هذا الحديث وكلمة أبي طالب - اسكت يا أعور ما أنت وهذا؟ - وقع الإيعاز في النهاية لابن الأثير^(١) (١٥٦/٣)، والفائق للزمخشري^(٢) (٩٨/٢) نقلاً عن ابن الأعرابي، وفي لسان العرب^(٣) (٢٩٤/٦)، تاج العروس (٤٢٨/٣).

قال الأميني: أي كافر طاهر هذا سلام الله عليه وهو يدافع عن الإسلام المقدس بكل حوله وطوله، ويسلق رجال قومه بلسان حديد، ويحض النبي الأعظم على الدعوة وتبليغ رسالته عن ربه، ويراه الصادق المصدق؟

٧ - قول أبي طالب لعليّ: إلزم ابن عمك :

قال ابن إسحاق: ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه عليّ بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فاذا أمسيا رجعا فكثنا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان، فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا بن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: « أي عمّ هذا

(١) النهاية: ٣١٩/٣.

(٢) الفائق: ٣٧/٣.

(٣) لسان العرب: ٤٦٩/٩.

دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم» .

وذكروا أنه قال لعليّ: أي بُنيّ ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: «يا أبت آمنتم بالله وبرسول الله وصدّقته بما جاء به، وصليت معه لله واتّبعته» فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلّا إلى خير، فالزمه. وفي لفظ عن عليّ: إنه لما أسلم قال له أبو طالب: إلزم ابن عمّك.

سيرة ابن هشام (٢٦٥/١)، تاريخ الطبري (٢١٤/٢)، تفسير الشعلي، عيون الأثر / (٩٤/١) الإصابة (١١٦/٤)، أسنى المطالب (ص ١٠) (١).

وفي شرح ابن أبي الحديد^(٢) (٣١٤/٣): روي عن عليّ قال: قال أبي: يا بنيّ إلزم ابن عمّك فإنك تسلم به من كلّ بأس عاجل وآجل. ثمّ قال لي:

إِنَّ الْوَثِيقَةَ فِي لُزُومِ مُحَمَّدٍ فَاشْدُدْ بِصَحْبَتِهِ عَلَى أَيْدِيكَ
فَقَالَ: وَمَنْ شَعَرَهُ الْمُنَاسِبَ لِهَذَا الْمَعْنَى قَوْلَهُ:

إِنَّ عَلِيًّا وَجَعْفَرًا ثِقْتِي عِنْدَ مَلَمِّ الزَّمَانِ وَالتَّوْبِ
لَا تَخْذَلَا وَانصُرَا ابْنَ عَمَّكَ أَخِي لِأُمِّي مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَبِي
وَاللَّهِ لَا أَخْذَلَ النَّبِيَّ وَلَا يَخْذَلُهُ مِنْ بَنِيِّ ذُو حَسْبِ

هذه الأبيات الثلاثة توجد في ديوان أبي طالب^(٣) أيضاً (ص ٣٦) وذكرها العسكري كتاب الأوائل^(٤) قال: إنَّ أبا طالب مرَّ بالنبيِّ ﷺ ومعه جعفر فرأى

(١) السيرة النبوية: ٢٦٣/١، تاريخ الأمم والملوك: ٣١٣/٢، عيون الأثر: ١٢٥/١، أسنى المطالب: ص ١٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٧٥/١٤ كتاب ٩.

(٣) ديوان أبي طالب: ص ٩٤ - ٩٥.

(٤) الأوائل: ص ٧٥.

رسول الله ﷺ يصلي وعليّ معه، فقال لجعفر: يا بني صل جناح ابن عمك. فقام إلى جنب عليّ، فأحس النبي فتقدّمها، وأقبلوا على أمرهم حتى فرغوا، فانصرف أبو طالب مسروراً وأنشأ يقول:

إنّ عليّاً وجعفرأ ثقتي عند ملّم الزمان والنوبِ

وذكر أبياتاً لم يذكرها ابن أبي الحديد ومنها:

نحن وهذا النبي نصره نضرب عنه الأعداء كالشهبِ

وأخرج أبو بكر الشيرازي في تفسيره: أن النبي ﷺ لما أنزل عليه الوحي أتى المسجد الحرام وقام يصلي فيه، فاجتاز به عليّ عليه السلام وكان ابن تسع سنين فناداه: يا عليّ إليّ أقبل. فأقبل إليه ملبياً فقال له النبي: «إني رسول الله إليك خاصّة وإلى الخلق عامّة فقف عن يميني وصلّ معي». فقال: «يا رسول الله حتى أمضي وأستأذن أبا طالب والدي»؛ فقال له: «أذهب فإنه سيأذن لك»، فانطلق إليه يستأذنه في أتباعه، فقال: يا ولدي تعلم أن محمداً أمين الله منذ كان، إمض إليه وأتبعه ترشد وتفلح. فأتى عليّ عليه السلام ورسول الله ﷺ قائم يصلي في المسجد، فقام عن يمينه يصلي معه، فاجتاز أبو طالب بهما وهما يصلّيان فقال: يا محمد ما تصنع؟ قال: «أعبد إله السماوات والأرض ومعى أخي عليّ يعبد ما أعبد وأنا أدعوك إلى عبادة الواحد القهار» فضحك أبو طالب حتى بدت نواجذه وأنشأ يقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أغيب في التراب دفيناً

إلى آخر الأبيات التي أسلفناها (ص ٣٣٤).

٨- قول أبي طالب: صل جناح ابن عمك:

أخرج ابن الأثير: أن أبا طالب رأى النبي ﷺ وعليّاً يصلّيان وعليّ عليّ

يمينه، فقال لجعفر رضي الله تعالى عنه: صل جناح ابن عمك، وصل عن يساره، وكان إسلام جعفر بعد إسلام أخيه عليّ بقليل. وقال أبو طالب:

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| فصبراً أبا يعلى على دين أحمدٍ | وكن مظهراً للدين وفقت صابرا |
| وحط من أتي بالحق من عند ربّه | بصدقٍ وعزمٍ لا تكن حمزُ كافرا |
| فقد سرّني إذ قلت إنك مؤمنٌ | فكن لرسول الله في الله ناصرا |
| وبادٍ قريشاً بالذي قد أتيتّه | جهاراً وقل ما كان أحمد ساحرا |

أسد الغابة^(١) (٢٨٧/١)، شرح ابن أبي الحديد^(٢) (٣١٥/٣)، الإصابة (١١٦/٤)، السيرة الحلبية^(٣) (٢٨٦/١)، أسنى المطالب^(٤) (ص ٦) وقال: قال البرزنجي: تواترت الأخبار أن أبا طالب كان يحبّ النبي ﷺ ويحوطه وينصره ويعينه على تبليغ دينه ويصدّقه فيما يقوله؛ ويأمر أولاده كجعفر وعليّ باتّباعه ونصرته.

وقال في (ص ١٠): قال البرزنجي: هذه الأخبار كلّها صريحة في أن قلبه طافح وممتلئ بالإيمان بالنبي ﷺ.

٩ - أبو طالب وحنوّه على النبي ﷺ :

قال أبو جعفر محمد بن حبيب ﷺ في أماليه: كان أبو طالب إذا رأى رسول الله ﷺ أحياناً يبكي ويقول: إذا رأيتك ذكرت أخي، وكان عبد الله أخاه لأبويه، وكان شديد الحبّ والحنوّ عليه، وكذلك كان عبدالمطلب شديد الحبّ له، وكان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله ﷺ البيات إذا عرف مضجعه، فكان يقيمه ليلاً من

(١) أسد الغابة: ٣٤١/١ رقم ٧٥٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٧٦/١٤ كتاب ٩.

(٣) السيرة الحلبية: ٢٦٩/١.

(٤) أسنى المطالب: ص ١٠ و ١٧.

منامه ويضع ابنه علياً مكانه ، فقال له علي ليلة : « يا أبت إنني مقتول » ، فقال له :

أصبرن يا بني فالصبر أحجى كلُّ حيٍّ مصيره لشعوبِ
 قد بذلناك والبلاء شديدٌ لعداء الحبيبِ وابنِ الحبيبِ
 لعداءِ الأغرِّ ذي الحسبِ الثا قب والباعِ والكريمِ النجيبِ
 إن تُصِبكَ المنونُ فالنبُلُ تبرئ^(١) فصيبٌ منها وغيرُ مصيبِ
 كلُّ حيٍّ وإن تملئ بعمر^(٢) آخذٌ من مذاقها بنصيبِ

فأجاب علي بقوله :

أأمرني بالصبر في نصرِ أحمدٍ والله ما قلتُ الذي قلتُ جازعا
 ولكنني أحببت أن ترى نصرتي وتعلمَ أنني لم أزل لك طائعا
 سأسعى لوجهِ الله في نصرِ أحمدٍ نبي الهدى المحمودِ طفلاً وبافعا

وذكره ابن أبي الحديد^(٣) (٣١٠/٣) نقلاً عن الأمالي وهناك تصحيف في البيت الثاني والثالث من أبيات أبي طالب صححناه من طبقات السيد علي خان الناقل عن شرح ابن أبي الحديد المخطوط ، وذكر القصة أبو علي الموضح العمري العلوي كما في كتابه الحجّة^(٤) (ص ٦٩).

قال الأميني : إن القرابة والرحم تبعثان إلى المحاماة إلى حدٍّ محدود ، لكنه إذا بلغت حدَّ التضحية بولد كأمر المؤمنين هو أحب العالمين إلى والده ، فهناك يقف التفاني

(١) في بعض المصادر : تترى . (المؤلف)

(٢) في مصادر مخطوطة عتيقة : كلُّ حيٍّ وإن تطاول عمراً . (المؤلف)

(٣) شرح نهج البلاغة : ٦٤/١٤ كتاب ٩ .

(٤) الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب : ص ٢٧٥ .

على موقفه ، فلا يستسهل الوالد أن يعرض ابنه على القتل كل ليلة فينيمه على فراش المفدى ، ويستعوض منه ابن أخيه ، إلا أن يكون مندفعاً إلى ذلك بدافع ديني وهو معنى اعتناق أبي طالب للدين الحنيف ، وهو الذي تعطيه المحاوراة الشعرية بين الوالد والولد فترى الولد يصارح بالنبوة ، فلا ينكر عليه الوالد بأن هذا التهالك ليس إلا بدافع قومي ، غير فاطر عن حض ابنه على ما يتغيه من النصره ولا مستثبط عن النهوض بها . فسلام الله على والد وما ولد .

١٠ - أبو طالب وابن الزبير :

قال القرطبي في تفسيره^(١) (ص ٤٠٦) : روى أهل السير قال : كان النبي ﷺ قد خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصلي ، فلما دخل في الصلاة قال أبو جهل لعنه / الله : من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته ؟ فقام ابن الزبير فأخذ فرثاً ودماً فلطخ به وجه النبي ﷺ فانفتل النبي ﷺ من صلاته ، ثم أتى أبا طالب عمه فقال : « يا عم ألا ترى إلى ما فعل بي ؟ » فقال أبو طالب : من فعل هذا بك ؟ فقال النبي ﷺ : « عبدالله بن الزبير » . فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم ، فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون ؛ فقال أبو طالب : والله لئن قام رجل لجللته بسيفي فقعدوا حتى دنا إليهم ، فقال : يا بُني من الفاعل بك هذا ؟ فقال : « عبدالله بن الزبير » ؛ فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فلطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم ، وأساء لهم القول .

حديث موقف أبي طالب هذا يوجد في غير واحد من كتب القوم وقد لعبت به أيدي الهوى ، وسنوقفك إن شاء الله على حق القول فيه تحت عنوان : أبو طالب في الذكر الحكيم^(٢) .

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٢٦١/٦ .

(٢) الغدير : ١١/٨ - ٣٦ .

١١ - سيدنا أبو طالب وقريش :

قال ابن إسحاق : لما بادى رسول الله ﷺ قومه بالإسلام ، وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه ، فيما بلغني ، حتى ذكر آلهتهم وعابها . فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خلافه وعداوته ، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام وهم قليل مستخفون ، وحديب^(١) على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب ومعه وقام دونه ، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهراً لأمره ، لا يردّه عنه شيء .

وقال : إن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا بن أخي إن قومك جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا ، فأبق عليّ وعلى نفسك ، ولا تحمّلي من الأمر ما لا أطيق ، قال : فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعنه فيه بداء ، وأنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « يا عمّ والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » . قال : ثم استعبر رسول الله ﷺ / فبكى ثم قام ، فلما ولي ناداه أبو طالب ، فقال : أقبل يا بن أخي . قال : ٣٦٠/٧ فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال : إذهب يا بن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

ثم إن قريشاً حين عرفوا أنّ أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله ، فخذة فلك عقله ونصره ، واتّخذة ولدأ فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك ، هذا الذي قد خالفك دينك ودين آبائك

(١) حدب : عطف عليه ومنع له . (المؤلف)

وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل، قال: والله لبئس ما تسومونني؛ أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيتكم ابني تقتلونني؟ هذا والله ما لا يكون أبداً. قال: فقال المطعم بن عدي بن نوفل: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً، فقال أبو طالب لمطعم: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ فاصنع ما بدا لك أو كما قال.

قال: فحقب الأمر، وحميت الحرب، وتنابد القوم، وبأدى بعضهم بعضاً، فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدي ويعم من خذله من عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش؛ ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم:

ألا قل لعمر والوليد ومطعم
 من الخور حجاب كثير رغاؤه^(١)
 يرش على الساقين من بوله قطر^(٢)
 تخلف خلف الورد ليس بلاحق^(٣)
 إذا ما علا الفياء قيل له وبر^(٤)
 إذا سُئلا قالا إلى غيرنا الأمر
 أرى أخوينا من أهبنا وأمنا
 كما جرجمت من رأس ذي علق صخر^(٥)
 هما نبذانا مثل ما يُنبذ الجمر
 بلى لهما أمر ولكن تجرجما
 أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلاً
 فقد أصبحا منهم أكفها صفر
 هما أغمزا للقوم في أخويهما
 من الناس إلا أن يرش له ذكر^(٥)
 هما أشركا في المجد من لا أبا له

٣٦١/٧

(١) لبكر: الفتي من الإبل. (المؤلف)

(٢) الخور جمع أخور: الضعيف. حجاب بالمهملتين: القصير. ويروى بالجيمين المعجمتين: الكثير الكلام. ويروى بالخاء المعجمة ومعناه: الضعيف. (المؤلف)

(٣) الفياء: الأرض القفر. وبر: دوية على قدر المرة. (المؤلف)

(٤) تجرجما: سقطا وانحدرا، يقال: تجرجم الشيء إذا سقط. ذو علق: جبل في ديار بني أسد. (المؤلف)

(٥) يرش له ذكر: يذكر ذكراً خفيفاً. رش الحديث: حدث به في خفاء. (المؤلف)

وتسيمٌ ومخزومٌ وزهرةٌ منهمُ وكانوا لنا مولىً إذا بُني النصرُ^(١)
 فوالله لا تنفكُ منا عداوةٌ ولا منهمُ ما كان من نسلنا شفرُ^(٢)
 فقد سفهت أحلامهم وعقولهم وكانوا كجفرٍ بثس ما صنعت جفرُ

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذع فيهما.

قال الأميني: حذف ابن هشام منها ثلاثة أبيات لا تخفى على أي أحد غايته الوحيدة فيه، وإن الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره، ألا وهي:

وما ذاك إلا سؤدد خصنا به إله العباد واصطفانا له الفخرُ
 رجالٌ تمالوا حاسدين وبغضة لأهل العلى فيبينهمُ أبدأ وترُ
 وليدٌ أبوه كان عبداً لجدنا إلى علجة زرقاء جال بها السحرُ

يريد به الوليد بن المغيرة وكان من المستهزئين بالنبي الأعظم ومن الذين مشوا إلى أبي طالب ﷺ في أمر النبي ﷺ وقد نزل قوله تعالى: ﴿ تَزِينِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيداً^(٣) ﴾ وكان يسمي: الوحيد في قومه^(٤).

ثم قام أبو طالب - حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون - في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه، وأجابوه ما دعاهم، إليه، إلا ما كان من أبي هلب عدو الله الملعون.

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرّه في جهدهم معه وحدثهم عليه؛ جعل يمدحهم ويذكر قديمهم؛ ويذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم، ومكانه منهم، ليشدّ لهم

(١) في سيرة ابن هشام: ٢٨٧/٨: إذا بغى النصر.

(٢) شفر. أحد. يقال: ما بالدار شفر، أي ما بها أحد. (المؤلف)

(٣) المدثر: ١١.

(٤) الروض الأنف: ١٧٣/١ [٦٢/٣]، تفسير البيضاوي: ٥٦٢/٢ [٥٤٢/٢]، الكشاف: ٢٣٠/٣

[٦٤٧/٤]، تاريخ ابن كثير: ٤٤٣/٤ [٧٨/٣]، تفسير الخازن: ٣٤٥/٤ [٣٢٨/٤]. (المؤلف)

رأيهم، وليحدبوا معه على أمره؛ فقال:

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمفخرٍ
فإن حُصِّلَتْ أشرافُ عبدِ منافِها
وإن فخرت يوماً فإن محمداً
تداعت قريشُ غُثَّها وسمينها
وكنَّا قديماً لا نقرُّ ظلامَةً
ونحمي حماها كلَّ يومٍ كريهيةً
بنا انتعش العود الذواء وإنما
فعبدُ منافٍ سرَّها وصميمها^(١)
ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمها
هو المصطفى من سرَّها وكريمها
علينا فلم تظفر وطاشت حلومها^(٢)
إذا ما ثنوا صُعرَ الخدود نُقيمها^(٣)
ونضرب عن أحجارها من يرومها
بأكنافنا تندي وتنى أرومها^(٤)

٣٦٢/٨

سيرة ابن هشام (٢٧٥/١ - ٢٨٣)، طبقات ابن سعد (١٨٦/١)، تاريخ الطبري (٢١٨/٢ - ٢٢١)، ديوان أبي طالب (ص ٢٤)، الروض الأنف (١٧١/١، ١٧٢)، شرح ابن أبي الحديد (٣٠٦/٣)، تاريخ ابن كثير (١٢٦/٢، ٢٥٨، و ٤٢/٣، ٤٨، ٤٩)، عيون الأثر (٩٩/١، ١٠٠)، تاريخ أبي الفداء (١١٧/١)، السيرة الحلبية (٣٠٦/١)، أسنى المطالب (ص ١٥) فقال: هذه الأبيات من غرر مدائح أبي طالب للنبي ﷺ الدالة على تصديقه إياه، طلبه الطالب (ص ٥ - ٩)^(٥).

(١) سرَّها وصميمها: خالصها وكريمها. يقال: فلان من سرَّ قومه. أي: من خيارهم ولبابهم وأشرفهم. (المؤلف)

(٢) طاشت حلومها: ذهبت عقولها. (المؤلف)

(٣) ثنوا: عطفوا. صعر جمع أصعر: المائل. يقال: صعر خده. أي أماله الى جهة كما يفعل المتكبر. (المؤلف)

(٤) انتعش: ظهرت فيه الحضرة. الذواء: اليايس. الأكناف: النواحي. الأرومة: الأصل. (المؤلف)

(٥) السيرة النبوية: ٢٨٢/١ - ٢٨٨، الطبقات الكبرى: ٢٠٢/١، تاريخ الأمم والملوك: ٣٢٢/٢ -

٣٢٨، ديوان أبي طالب: ص ٧٢، الروض الأنف: ٤٨/٣، ٦٠، شرح نهج البلاغة: ٥٣/١٤ - ٥٥

كتاب ٩، البداية والنهاية: ١٤٨/٢، ٣١٧، ج ٥٦/٣، ٦٤، ٦٥، عيون الأثر: ١٣١/١ - ١٣٣،

السيرة الحلبية: ٢٨٧/١، أسنى المطالب: ص ٢٨.

١٢ - سيد الأباطح وصحيفة قريش :

اجتمع قريش وتشاوروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوا إليهم، ولا يبيعوا منهم شيئاً ولا يتبايعوا، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل، ويخلوا بينهم وبينه، وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة، أو بخط بغيض بن عامر، أو بخط النضر ابن الحارث، أو بخط هشام بن عمرو، أو بخط طلحة بن أبي طلحة، أو بخط منصور ابن عبد، وعلقوا / منها صحيفة في الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة، وكان اجتماعهم بخيف بني كنانة وهو المحصب، فاجاز بنو هشام وبنو المطلب إلى أبي طالب ودخلوا معه في الشعب إلا أبا هب فكان مع قريش، فأقاموا على ذلك سنتين وقيل ثلاث سنين، وإنهم جهدوا في الشعب حتى كانوا يأكلون الخبط^(١) وورق الشجر.

قال ابن كثير: كان أبو طالب مدة إقامتهم بالشعب يأمره ﷺ فيأتي فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شراً وغائلة، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوانه أو بني عمه أن يضطجع على فراش المصطفى ﷺ ويأمر هو أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها.

ثم إن الله تعالى أوحى إلى النبي ﷺ أن الأرض أكلت جميع ما في الصحيفة من القطيعة والظلم فلم تدع سوى اسم الله فقط، فأخبر النبي ﷺ عمه أبا طالب بذلك، فقال: يا بن أخي أربك أخبرك بهذا؟ قال: «نعم». قال: والثواب ما كذبتني قط. فانطلق في عصابة من بني هاشم والمطلب حتى أتوا المسجد، فأنكر قريش ذلك، وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا إليهم رسول الله ﷺ، فقال أبو طالب:

(١) الخبط: الورق المتساقط من الشجر.

يا معشر قريش جرت بيننا وبينكم أمور لم تذكر في صحيفتكم، فأتوا بها، لعل أن يكون بيننا وبينكم صلح، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها فأتوا بها وهم لا يشكّون أن أبا طالب يدفع إليهم النبي ﷺ، فوضعوها بينهم وقبل أن تفتح قالوا لأبي طالب: قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم، فقال: أتيتكم في أمر هو نصف بيننا وبينكم، إن ابن أخي أخبرني - ولم يكذبني - أن الله قد بعث على صحيفتكم دابة فلم تترك فيها إلا اسم الله فقط، فإن كان كما يقول فأفيقوا عما أنتم عليه، فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا. وإن كان باطلاً دفعناه إليكم فقتلتم أو استحييتم! فقالوا: رضينا، ففتحوها فوجدوها كما قال ﷺ.

فقالوا: هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغياً وعدواناً.

وإن أبا طالب قال لهم بعد أن وجدوا الأمر كما أخبر به ﷺ: علام نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعة؟ ودخل هو ومن معه بين أستار الكعبة وقال: اللهم انصرنا على من ظلمنا، وقطع أرحامنا، واستحل ما يحرم عليه منا.

وعند ذلك مشت طائفة من قريش في نقض تلك الصحيفة، فقال أبو طالب:

| | |
|--|--|
| ألا هل أتى بحريتنا ^(١) صنع ربنا | على نأيهم والله بالناس أروء ^(٢) |
| فيخبرهم أن الصحيفة مُرقت | وأن كل ما لم يرضه الله مفسد |
| تراوحها إفكٌ وسحرٌ مجمع | ولم يلف سحرٌ آخر الدهر يصعد |
| تداعى لها من ليس فيها بقرقر | فطائرُها في رأسها يتردد ^(٣) |

٣٦٤/٧

(١) يريد به من كان هاجر من المسلمين إلى الحبشة في البحر. (المؤلف)

(٢) أروء: أرفق. (المؤلف)

(٣) القرقر: اللين السهل. وقال السهيلي: من ليس فيها بقرقر: أي ليس بذليل. وطائرُها: أي حظها من الشؤم والشر، وفي التنزيل ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ الإسراء: ١٣. (المؤلف)

وكانت كفاءً وقعةً بأثيمةٍ ويسظعن أهل المكتين فيهربوا
 ويسقطع منها ساعدٌ ومقلدٌ ويترك حراتٌ يقلب أمره
 فرائضهم من خشية الشر ترعدُ وتصعد بين الأخشبين كتيبةً
 أيتهم فيها عند ذاك ويُنجدُ^(١) فمن ينش من حضار مكة عزه
 لها حُدجٌ سهمٌ وقوسٌ ومرهدُ^(٢) نشأنا بها والناس فيها قلائلُ
 فعزتنا في بطن مكة أتلدُ^(٣) ونطعم حتى يترك الناس فضلهم
 فلم ننفكك نزدادُ خيراً ونحمدُ جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا^(٥)
 إذا جعلت أيدي المفيضين ترعدُ^(٤) قعوداً لدى خطم الحجون كأنهم
 على ملأ يهدي لحزمٍ ويُرشدُ أعان عليها كل صقرٍ كأنه
 مقاولة^(٦) بل هم أعزُّ وأمجدُ ألا إن خير الناس نفساً ووالداً
 إذا ما مشى في رفرف الدرع أحردهُ^(٧) نبي الإله والكريم بأصله
 إذا غدَّ سادات البرية أحمدُ جريءٌ على جلى الخطوب كأنه
 وأخلاقه وهو الرشيد المؤيدُ
 شهابٌ بكفي قابس يتوقدُ^(٨)

(١) الحرات: المكتسب. يُثم: يأتي تهامة. يُنجد: يأتي نجداً. (المؤلف)

(٢) الأخشبان: جبلان بمكة. المرهد: الرمح اللين. (المؤلف)

(٣) ينش: أي ينشأ بجذف الهمزة على غير قياس. أتلد: أقدم. (المؤلف)

(٤) المفيضين: الضاربون بقداح الميسر. يريد سلام الله عليه: أنهم يطعمون إذا بخل الناس. (المؤلف)

(٥) في سيرة ابن هشام: تتابعوا. والمقصود بهم الأشخاص الذين سعوا في نقض الصحيفة التي تعاهدت فيها قريش على مقاطعة بني هاشم.

(٦) المقاوله: الملوك. (المؤلف)

(٧) رفرف الدرع: ما فضل منها. أحرده: بطيء المشي لثقل الدرع. (المؤلف)

(٨) وفي رواية:

حزيم على جل الأمور كأنه شهاب بكفي قابس يتوقد

من الأكرمين من لؤي بن غالب
 طويل النجاد^(٢) خارجُ نصف ساقه
 عظيمُ الرماد سيّد وابنُ سيّد
 ويبني لأبناء العشيّة صالحاً
 آلظّ^(٣) بهذا الصلح كلّ مبرأ
 قضا ما قضا في ليّهم ثمّ أصبحوا
 هم رجّعوا سهل بن بيضاء راضياً
 متى شرك الأقوام في جُلّ أمرنا
 وكنا قديماً لا نُقرّ ظلامّة
 فيال قصي هل لكم في نفوسكم
 فياني وإياكم كما قال قائل

إذا سيم خسفاً وجهه يتربّد^(١)
 على وجهه يُسقى الغمام ويسعدُ
 يحضُّ على مقرى الضيوف ويحشدُ
 إذا نحن طُفنا في البلاد ويمهدُ
 عظيم اللواء أمره ثمّ يحمدُ
 على مهلٍ وسائر الناس رُقّدُ
 وسرّ أبو بكر بها ومحمد^(٤)
 وكنا قديماً قبلها نتودّدُ
 ونذكر ما شئنا ولا نتشددُ
 وهل لكم فيما يجيء به غدُ
 لديك البيان لو تكلمت أسود^(٥)

طبقات ابن سعد (١٧٣/١، ١٩٢)، سيرة ابن هشام (٣٩٩/١ - ٤٠٤)، عيون
 الأخبار لابن قتيبة (١٥١/٢)، تاريخ يعقوبي (٢٢/٢)، الاستيعاب ترجمة سهل بن
 بيضاء (٥٧٠/٢)، صفة الصفوة (٣٥/١)، الروض الأنف (٢٣١/١)، خزانة الأدب
 للبغدادي (٢٥٢/١)، تاريخ ابن كثير (٨٤/٣، ٩٥، ٩٧)، عيون الأثر (١٢٧/١)،

(١) سيم - بالبناء للمجهول - : كلف . الخسف : الذل . يتربّد : يتغير إلى السواد . (المؤلف)

(٢) النجاد : حمائل السيف . (المؤلف)

(٣) آلظّ : ألح ولزم . (المؤلف)

(٤) ذكّر الشطر الثاني في الديوان هكذا: وسرّ إمام العالمين محمد . وسهل بن بيضاء صحابي أسلم بمكة
 وأخى إسلامه، وهو الذي مشى إلى نفر الذين قاموا في شأن الحقيقة، حتى اجتمع له منهم عدة
 تبرؤوا منها وأنكروها.

(٥) أسود: جبل، قتل فيه قتيل فلم يعرف قاتله، فقال أولياء المقتول: لديك البيان لو تكلمت أسود،
 فذهب مثلاً. توجد في ديوان أبي طالب [ص ٤٦ و ٩٦] أبيات من هذه القصيدة غير ما ذكر لم
 نجدها في غيره. (المؤلف)

الخصائص الكبرى (١/١٥١)، ديوان أبي طالب (ص ١٣)، السيرة الحلبية (١/٣٥٧ - ٣٦٧)، سيرة زيني دحلان هاشم الحلبية (١/٢٨٦ - ٢٩٠)، طلبة الطالب (ص ٩، ١٥، ٤٤)، أسنى المطالب (ص ١١ - ١٣)^(١).

وذكر ابن الأثير قصة الصحيفة في الكامل^(٢) (٣٦/٢) فقال: قال أبو طالب في أمر الصحيفة وأكل الأرضة ما فيها من ظلم وقطيعة رحم أبياتاً، منها:

٣٦٦/٧

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة
محا الله منها كفرهم وعقوقهم
فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً
متى ما يُخبر غائب القوم يعجب
وما نقموا من ناطق الحق مُعرب
ومن يخلق ما ليس بالحق يكذب



١٣- وصية أبي طالب عند موته:

عن الكلبي قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال: يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، فيكم السيد المطاع، وفيكم المقدم الشجاع، الواسع الباع، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه، ولا شرفاً إلا أدركتموه، فلکم بذلك على الناس الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب وعلى حريكم إلب، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية - يعني الكعبة - فإن فيها مرضاة للرب، وقواماً للمعاش، وثباتاً للوطأة، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل، وزيادة في العدد، واتركوا

(١) الطبقات الكبرى: ١/١٨٨، ٢٠٨، السيرة النبوية: ١٤/٢ - ١٩، تاريخ اليعقوبي: ٣١/٢، الاستيعاب: القسم الثاني/ ٦٦٠ رقم ١٠٨٠، صفة الصفوة: ٩٨/١ رقم ١، الروض الأنف: ٣٤١/٣، خزائن الأدب: ٥٧/٢، البداية والنهاية: ١٠٦/٣، ١٢١، ١٢٢، عيون الأثر: ١/١٦٥، الخصائص الكبرى: ١/٢٤٩، ديوان أبي طالب: ص ٤٥ - ٤٦، السيرة الحلبية: ١/٣٣٧ - ٣٤٥، السيرة النبوية: ١/١٣٧، أسنى المطالب: ص ١٩ - ٢٢.

(٢) الكامل في التاريخ: ١/٥٠٤ - ٥٠٧.

البغي والعقوق ففيها هلكة القرون قبلكم، أجبوا الداعي، وأعطوا السائل فإن فيها شرف الحياة والمهات. وعليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة، فإن فيها محبة في الخاص، ومكرمة في العام.

وإني أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، وقد جاءنا بأمر قبله الجنان، وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وإيم الله كأنني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظّموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده، قد محضته العرب وودادها، وأصفت له فؤادها، وأعطته قيادها، دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاةً ولحزبه حماةً، والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة، وفي أجلي تأخير، فكففت عنه الهزاهز، ولدافعت عنه الدواهي.

الروض الأنف (٢٥٩/١)، المواهب (٧٢/١)، تاريخ الخميس (٣٣٩/١)، ثمرات الأوراق هامش المستطرف (٩/٢)، بلوغ الإرب (٣٢٧/١)، السيرة الحلبية (٣٧٥/١) السيرة لزيني دحلان هامش الحلبية (٩٣/١)، أسنى المطالب (ص ٥)^(١).

٣٦٧/٧

قال الأميني: في هذه الوصية الطافحة بالإيمان والرشاد دلالة واضحة على أنه ﷺ إنما أرجأ تصديقه باللسان إلى هذه الآونة التي يشس فيها من الحياة حذار شنآن قومه المستتبع لانشياهم عنه، المؤدي إلى ضعف المنة^(٢) وتفكك القوى، فلا يتسنى له حينئذ الذب عن رسول الله ﷺ وإن كان الإيمان به مستقرّاً في الجنان من

(١) الروض الأنف: ٣٠/٤، المواهب للدينية: ٢٦٥/١، تاريخ الخميس: ٣٠٠/١، ثمرات الأوراق: ص ٢٩٤، السيرة الحلبية: ٣٥٢/١، السيرة النبوية: ٤٥/١، أسنى المطالب: ص ١١.
(٢) المنة: القوة.

أول يومه، لكنّه لما شعر بأزوف الأجل وفوات الغاية المذكورة أبدى ما أجنّته أضالعه^(١) فأوصى بالنبي ﷺ بوصيته الخالدة.

١٤- وصية أبي طالب لبني أبيه :

أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى^(٢) : أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب فقال : لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد، وما اتبعتم أمره، فاتبعوه وأعينوه ترشدوا.

وفي لفظ : يا معشر بني هاشم أطيعوا محمداً وصدّقوه تفلحوا وترشدوا.

وتوجد هذه الوصية^(٣) في تذكرة السبط (ص ٥)، الخصائص الكبرى (١/٨٧)، السيرة الحلبية (١/٣٧٢، ٣٧٥)، سيرة زيني دحلان هامش الحلبية (١/٩٢، ٢٩٣)، أسنى المطالب (ص ١٠). ورأى البرزنجي هذا الحديث دليلاً على إيمان أبي طالب ونعمًا هو، قال : قلت : بعيد جدًا أن يعرف أن الرشاد في أتباعه ويأمر غيره بذلك ثم يتركه هو.

قال الأميني : ليس في العقل السليم مساع للقول بأن هذه المواقف كلّها لم تتبع عن خضوع أبي طالب للدين الحنيف وتصديقه للمصاحف به ﷺ، وإلا فماذا الذي كان يحدوه إلى مخاشنة قريش ومقاساة الأذى منهم وتعكير الصفو من حياته لا سيما أيام كان هو والصفوة من فنته في الشعب، فلا حياة هنيئة، ولا عيش رغداً، ولا أمن يُطمأن به، ولا خطر مدروءاً، يتحمّل الجفاء والقطيعة والقسوة المؤلمة من قومه، فإذا

(١) أجنّته : أخفاه وستره.

(٢) الطبقات الكبرى : ١/١٢٣.

(٣) تذكرة الخواص : ص ٨، الخصائص الكبرى : ١/١٤٧، السيرة الحلبية : ١/٣٥٢، السيرة النبوية :

١/٤٥ و ١٤٠، أسنى المطالب : ص ١٧.

الذي أقدمه على هذه كلها؟ وماذا الذي حصره وحبسه في الشعب عدّة سنين تجاه أمر لا يقول بصدقه ولا يُخبت إلى حقيقته؟ لاها الله لم يكن كلّ ذلك إلا عن إيمان ثابت، وتصديق وتسليم وإذعان بما جاء به نبيّ الإسلام، يظهر ذلك للقارئ المستشفّ لجزئيات كلّ من هذه القصص، ولم تكن القرابة والقومية بمفردها تدعوه إلى مقاساة تلکم المشاقّ كما لم تدعُ أبا هب أخاه، وهب أن القرابة تدعوه إلى الذبّ عنه عليه السلام لكنّها لا تدعو إلى المصارحة بتصديقه وأنّ ما جاء به حقّ، وأنّه نبيّ كموسى خطّ في أوّل الكتب، وأنّ من اقتصّ أثره فهو المهتدي، وأنّ الضالّ من ازورّ عنه وتخلّف، إلى أمثال ذلك من مصارحات قالها بملء فيه، ودعا إليه عليه السلام فيها بأعلى هتافه.

١٥ - حديث عن أبي طالب :

ذكر ابن حجر في الإصابة (١١٦/٤) من طريق إسحاق بن عيسى الهاشمي عن أبي رافع قال: سمعت أبا طالب يقول: سمعت ابن أخي محمد بن عبدالله يقول: إنّ ربّه بعثه بصلّة الأرحام، وأن يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره، ومحمد الصدوق الأمين.

وذكره السيّد زيني دحلان في أسنى المطالب^(١) (ص ٦) وقال: أخرجه الخطيب، وأخرجه السيّد فخار بن معد في كتاب الحجّة^(٢) (ص ٢٦) من طريق المحافظ أبي نُعيم الأصبهاني، وبإسناد آخر من طريق أبي الفرج الأصبهاني، وروى الشيخ إبراهيم الحنبلي في نهاية الطلب عن عروة الثقفي قال: سمعت أبا طالب عليه السلام يقول: حدّثني ابن أخي الصادق الأمين وكان والله صدوقاً: إنّ ربّه أرسله بصلّة الأرحام، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وكان يقول: اشكر ترزق، ولا تكفر تُعذّب.

(١) أسنى المطالب: ص ١٥.

(٢) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ١٣٥.

- ٣ -

ما يروي عنه آل وذووه

من طرق العامة فحسب

أما رجال آل هاشم، وأبناء عبدالمطلب، وولد أبي طالب، فلم يؤثر عنهم إلا ٣٦٩/٧
التهافت بإيمانه الثابت، وأن ما كان يؤثره في نصرة النبي الأقدس ﷺ كان منبعثاً عن
تدين بما صدع به ﷺ وأهل البيت أدرى بما فيه.

قال ابن الأثير في جامع الأصول: وما أسلم من أعمام النبي ﷺ غير حمزة
والعبّاس وأبي طالب عند أهل البيت عليهم السلام. انتهى.

نعم: هتفوا بذلك في أجيالهم وأدوارهم بملء الأفواه وبكل صراحة وجبهوا من
خالقهم في ذلك.

إذا قالت حذام فصّدّقوها فإنّ القول ما قالت حذام

١ - قال ابن أبي الحديد في شرحه^(١) (٣١٢/٣): روي بأسانيد كثيرة بعضها
عن العبّاس بن عبدالمطلب وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة: إنّ أبا طالب ما مات
حتى قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. والخبر مشهور أنّ أبا طالب عند الموت قال
كلاماً خفياً، فأصغى إليه أخوه العبّاس^(٢)، وروي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «ما مات

(١) شرح نهج البلاغة: ٧١/١٤ كتاب ٩.

(٢) راجع سيرة ابن هشام: ٢٧/٢ [٥٩/٢]، دلائل النبوة للبيهقي [٣٤٦/٢]، تاريخ ابن كثير: ٣/

١٢٣ [١٥٢/٣]، عيون الأثر لابن سيد الناس: ١٣١/١ [١٧٣/١]، الإصابة: ١١٦/٤ [رقم

٦٨٥]، المواهب اللدنية: ٧١/١ [٢٦٢/١]، السيرة الحلبية: ٣٧٢/١ [٣٥٠/١]، السيرة الدحلانية

هامش الحلبية: ٨٩/١ [السيرة النبوية: ٤٤/١]، أسنى المطالب: ص ٢٠ [ص ٣٥]. (المؤلف)

أبو طالب حتى أعطى رسول الله ﷺ من نفسه الرضا» .

وذكر أبو الفداء والشعراني عن ابن عباس : أن أبا طالب لما اشتد مرضه قال له رسول الله ﷺ : يا عمّ قلها استحلّ لك بها الشفاعة يوم القيامة يعني الشهادة ، فقال له أبو طالب : يا بن أخي لولا مخافة السبّة وأن تظنّ قريش إنّما قتلها جزعاً من الموت لقلتها . فلما تقارب من أبي طالب الموت جعل يحرك شفّتيه فأصغى إليه العباس بإذنه وقال : / والله يا بن أخي لقد قال الكلمة التي أمرته أن يقولها . فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي هدّاك يا عمّ ^(١) .

٣٧٠/٧

وقال السيّد أحمد زيني دحلان في السيرة الحليّة ^(٢) (٩٤/١) : نقل الشيخ السحيمي في شرحه على شرح جوهرة التوحيد عن الإمام الشعراني والسبكي وجماعة أن ذلك الحديث - أعني حديث العباس - ثبت عند بعض أهل الكشف وصحّ عندهم إسلامه .

قال الأميني : ذكرنا هذا الحديث بحجارة للقوم ، وإلا فما كانت حاجة أبي طالب مسيسة عند الموت إلى التلفظ بتينك الكلمتين اللتين كرّس حياته الثمينة للهدف بمفادها في شعره ونثره ، والدعوة إليهما ، والذب عمّن صدع بهما ، ومعاناة الأهوال دونها حتى يومه الأخير . ما كانت حاجة أبي طالب مسيسة عندئذٍ إلى التفوّه بهما كأمر مستجدّ ، فمتى كفر هو ؟ ومتى ضلّ ؟ حتى يؤمن ويهتدي بهما ، أليس من الشهادة قوله الذي أسلفناه (ص ٣٣١) :

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| وزيرٍ لموسى والمسيح ابن مريم | ليعلم خيار الناس أن محمداً |
| فكلّ بأمر الله يهدي ويعصم | أتانا يهدي مثل ما أتيا به |
| بصدق حديث لا حديث مبرجم | وإنكم تتلونّه في كتابكم |

(١) تاريخ أبي الفداء : ١٢٠/١ ، كشف الغمّة للشعراني : ١٤٤/٢ . (المؤلف)

(٢) السيرة النبوية : ٤٦/١ .

وقوله في (ص ٣٣٢):

أمين حبيب في العباد مسوم
نبي أتاه الوحي من عند ربه
بجاتم ربّ قاهر في الخواتم
ومن قال لا يقرع بها سنّ نادم

وقوله في (ص ٣٣٢):

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمداً
رسولاً كموسى خطّ في أوّل الكتب

وقوله في (ص ٣٣٤):

وظلم نبيّ جاء يدعو إلى الهدى
وأمر أتى من عند ذي العرش قيم

وقوله في (ص ٣٣٤):

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
ودعوتني وعلمت أنّك ناصحي
وابشر بذاك وقرّ منك عيوننا
ولقد دعوت وكنت ثمّ أمينا
ولقد علمت بأنّ دين محمد
من خير أديان البرية دينا

وقوله في (ص ٣٣٥):

أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب
على نبيّ كموسى أو كذي النون

وقوله في (ص ٣٣٧):

نصرت الرسول رسول الملك
أذب وأحمي رسول الاله
ببيض تلالا كلعج البروق
حمية حام عليه شفيقي

وقوله في (ص ٣٤٠):

فأيده ربّ العباد بنصره
وأظهر ديناً حقّه غير باطل

وقوله في (ص ٣٥٦):

والله لا أخذلُ النسبي ولا
نحن وهذا النبي نصرته
يخذله من بني ذو حسب
نضربُ عنه الأعداء بالشهب
وقوله في (ص ٣٤٥):

أتبغون قتلاً للنبي محمد
وقوله في (ص ٣٥٧):

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد
وخط من أتى بالحق من عند ربه
وكن مظهراً للدين وفقت صابراً
بصدق وعزم لا تكن حمز كافراً
فقد سرتني إذ قلت إنك مؤمن

وقوله وقد رواه أبو الفرج الأصبهاني:

زعمت قريش أن أحمد ساحر
ما زلت أعرفه بصدق حديثه
كذبوا ورب الراقصات إلى الحرم^(١)
وهو الأمين على الحرائب والحرم

وقوله المروي من طريق أبي الفرج الأصبهاني كما في كتاب الحجّة^(٢) (ص ٧٢)
ومن طريق الحسن بن محمد بن جرير كما في تفسير أبي الفتوح^(٣) (٢١٢/٤):

قل لمن كان من كنانة في العز
قد أتاكم من الملك رسول
وأهل الندى وأهل المعالي
فأقبلوه بصالح الأعمال
وانصروا أحمداً فإن من الله
رداءً عليه غير مدال

وقوله من أبيات في شرح ابن أبي الحديد^(٤) (٣١٥/٣):

(١) أراد بالراقصات إلى الحرم الإبل الراكضات. رقص الجمل إذا ركض. (المؤلف)

(٢) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٢٨١.

(٣) تفسير أبي الفتوح: ٤٧٢/٨.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٧٨/١٤ كتاب ٩.

فخير بني هاشم أحمد رسول الإله على فترة؟^(١)

ولو كان يؤثر أقل من هذا عن أحد من الصحابة لطبل له، وزمر من يتشبث بالطحلب في سرد الفضائل لبعضهم مغالاةً فيهم، لكنني أجد إسلام أبي طالب مستعصياً فهمه على هؤلاء ولو صرخ بألف هتاف من ضرائب هذه. لماذا؟

أنا لا أدري!

٢ - أخرج ابن سعد في طبقاته^(٢) (١٠٥/١) عن عبيد الله بن أبي رافع عن عليّ قال: أخبرت رسول الله ﷺ بموت أبي طالب، فبكى ثم قال: اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه.

وفي لفظ الواقدي: فبكى بكاءً شديداً ثم قال: اذهب فاغسله. الخ.

وأخرجه^(٣) ابن عساكر كما في أسنى المطالب (ص ٢١)، والبيهقي في دلائل النبوة، وذكره سبط ابن الجوزي في التذكرة (ص ٦)، وابن أبي الحديد في شرحه (٣١٤/٣)، والحلي في السيرة (٣٧٣/١)، والسيد زيني دحلان في هامش السيرة الحليّة (٩٠/١)، والبرزنجي في نجاته أبي طالب وصححه كما في أسنى المطالب (ص ٣٥) وقال: أخرجه أيضاً أبو داود، وابن الجارود، وابن خزيمة وقال: إنما ترك النبي ﷺ المشي في جنازته اتقاءً من شرّ سفهاء قريش. وعدم صلاته لعدم مشروعيتها صلاة الجنائز يومئذٍ.

(١) أشار إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُولِ﴾ [المائدة: ١٩] وتوجد الأبيات في كتاب الحجّة لسيد فخار: ص ٧٤ [ص ٢٨٣]. (المؤلف)

(٢) الطبقات الكبرى: ١/١٢٣.

(٣) مختصر تاريخ مدينة دمشق: ٣٢/٢٩ أسنى المطالب: ص ٣٨، دلائل النبوة: ٣٤٨/٢، تذكرة الخواص: ص ٨، شرح نهج البلاغة: ٧٦/١٤ كتاب ٩، السيرة الحليّة: ٣٥١/١، السيرة النبوية: ٤٤/١، أسنى المطالب: ص ٦٢.

عن الأسلمي وغيره: توفي أبو طالب للنصف من شوال في السنة العاشرة من حين نبي رسول الله ﷺ؛ وتوفيت خديجة بعده بشهر وخمسة أيام فاجتمع على رسول الله ﷺ عليها وعلى عمه حزن شديد حتى سمي ذلك العام عام الحزن.

طبقات ابن سعد (١٠٦/١)، الامتاع للمقرزي (ص ٢٧)، تاريخ ابن كثير (١٣٤/٣)، السيرة الحلبية (٣٧٣/١)، السيرة لزيني دحلان هامس الحلبية (٢٩١/١)، أسنى المطالب (ص ١١)^(١).

٣٧٣/٧

لفت نظر: عين ابن سعد لوفاة أبي طالب يوم النصف من شوال كما سمعت، وقال أبو الفداء في تاريخه (١٢٠/١) توفي في شوال، وأوعز القسطلاني في المواهب^(٢) (٧١/١) موته في شوال إلى القليل، وقال المقرزي في الامتاع (ص ٢٧): توفي أول ذي القعدة وقيل: النصف من شوال، وقال الزرقاني في شرح المواهب (٢٩١/١): مات بعد خروجهم من الشعب في ثامن عشر رمضان سنة عشر، وفي الاستيعاب: خرجوا من الشعب في أول سنة خمسين وتوفي أبو طالب بعده بستة أشهر فتكون وفاته في رجب. انتهى. وهذا الاختلاف موجود في تأليف الشيعة أيضاً.

٣ - أخرج البيهقي عن ابن عباس: أن النبي ﷺ عاد من جنازة أبي طالب فقال: «وصلتك رحم، وجزيت خيراً يا عم» وفي لفظ الخطيب: عارض النبي جنازة أبي طالب فقال: «وصلتك رحم، جزاك الله خيراً يا عم».

دلائل النبوة للبيهقي، تاريخ الخطيب البغدادي (١٩٦/١٣)، تاريخ ابن كثير

(١) الطبقات الكبرى: ١٢٥/١، البداية والنهاية: ١٥٦/٣، السيرة الحلبية: ٣٤٦/١، السيرة النبوية:

١٣٩/١، أسنى المطالب: ص ١٤، ٢٠.

(٢) المواهب اللدنية: ٢٦٢/١.

إيمان أبي طالب وسيرته / ما يروي عنه آل وذووه ٥٠١

(١٢٥/٣)، تذكرة السبط (ص ٦)، نهاية الطلب للشيخ إبراهيم الحنفي كما في الطرائف (ص ٨٦)، الإصابة (١١٦/٤)، شرح شواهد المغني (ص ١٣٦)^(١).

وقال اليعقوبي في تاريخه^(٢) (٢٦/٢): لما قيل لرسول الله: إن أبا طالب قد مات عظم ذلك في قلبه واشتد له جزعه، ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرّات وجبينه الأيسر ثلاث مرّات، ثم قال: «يا عمّ ربّيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عني خيراً، ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: وصلتك رحم، وجزيت خيراً».

٤ - عن إسحاق بن عبدالله بن الحارث قال: قال العباس: يا رسول الله أترجو لأبي طالب؟ قال: «كلّ الخير أرجو من ربّي».

أخرجه ابن سعد في الطبقات^(٣) (١: ٦/١) بسند صحيح رجاله كلّهم ثقات رجال الصحاح وهم: عقان بن مسلم، وحماد بن سلمة، وثابت البناني^(٤)، وإسحاق ابن عبدالله.

وأخرجه ابن عسّاكر^(٥) كما في الخصائص الكبرى^(٦) (٨٧/١)، والفقهاء الحنفي

(١) دلائل النبوة: ٣٤٩/٢، البداية والنهاية: ١٥٥/٣، تذكرة الخواص: ص ٨، الطرائف: ص ٣٠٥ ح ٣٩٣، شرح شواهد المغني: ٣٩٧/١ رقم ١٩٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٣٥/٢.

(٣) الطبقات الكبرى: ١٢٤/١.

(٤) في الأصل: البناني، وفي الخصائص الكبرى: البناني، وكذا ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى: ٢٣٢/٧، والذهبي في سير أعلام النبلاء: ٢٢٠/٥، وفي تذكرة الحفاظ: ١٢٥/١.

(٥) مختصر تاريخ مدينة دمشق: ٣٢/٢٩.

(٦) الخصائص الكبرى: ١٤٧/١.

الشيخ / إبراهيم الدينوري في نهاية الطلب كما في الطرائف^(١) (ص ٦٨)، وذكره ابن أبي الحديد في شرحه^(٢) (٣/٣١١)، والسيوطي في التعظيم والمنة (ص ٧) نقلاً عن ابن سعد.

٥ - وعن أنس بن مالك قال: أتى أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله لقد أتيناك وما لنا بغير يئط، ولا صبي يصطح^(٣)، ثم أنشد:

أتيناك والعدراء يدمى لبانها وقد شغلّت أم الصبي عن الطفل
وألقى بكفيه الصبي استكانة من الجوع ضعفاً ما يمرُّ ولا يحلي
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل^(٤)
وليس لنا إلا إليك فرأونا وأين فرارُ الناس إلا إلى الرُّسل

فقام رسول الله ﷺ يجرّ رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: «أَللّهُمَّ اسقنا غيثاً مغنياً سخياً طبقاً غير رائث، تنبت به الزرع وتملا به الضرع، وتحبي به الأرض بعد موتها، وكذلك تخرجون».

فما استتمّ الدعاء حتى التقت السماء بروقها؛ فجاء أهل البطانة يضحّون: يا رسول الله الفرق، فقال: «حوالينا ولا علينا». فانجاب السحاب عن المدينة كالإكليل، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: «لله درّ أبي طالب لو كان حياً لقرّت عيناه، من الذي ينشدنا شعره؟ فقال علي بن أبي طالب كرم الله

(١) الطرائف: ص ٣٠٥ - ٣٩٤.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٦٨/١٤ كتاب ٩.

(٣) أظت الإبل: أنتت تعباً أو حنيناً. يصطح: يشرب اللبن صباحاً.

(٤) العلهز: وبر الإبل يُخلط بالدم ثم يشوى بالنار، وكان أهل الجاهلية يتخذونه طعاماً في سني المجاعة. الفسل: الحقير الذي لا قيمة له.

وجهه: يا رسول الله كأنك أردت قوله:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال: أجل» فأنشده أبياتاً من القصيدة ورسول الله يستغفر لأبي طالب على المنبر، ثم قام رجل من كنانة وأنشد:

لك الحمدُ والحمدُ ممن شكر سُقينا بوجه النبي المطرُ
دعا الله خالقه دعوةً وأشخصَ معها إليه البصرُ
فلم يك إلا كإلقاء الردا وأسرع حتى رأينا الدررُ
دفاق العزالي جمّ البعاق^(١) أغاثَ به الله عليا مضرُ
فكان كما قاله عثمهُ أبو طالب أبيض ذو^(٢) غررُ
به الله يسقي صيوب الغمام وهذا العيانُ لذاك الخبرُ

فقال رسول الله ﷺ: «إن يك شاعراً يحسن فقد أحسنت».

أعلام النبوة للهاوردي (ص ٧٧): بدائع الصنائع (٢٨٣/١)، شرح ابن أبي الحديد (٣١٦/٣)، السيرة الحلبية، عمدة القاري (٤٣٥/٣)، شرح شواهد المغني للسيوطي (ص ١٣٦)، سيرة زيني دحلان (٨٧/١)، أسنى المطالب (ص ١٥)، طلبة الطالب (ص ٤٣)^(٣).

قال البرزنجي كما في أسنى المطالب: فقول النبي ﷺ: «الله درّ أبي طالب»

(١) راجع ص ٤ من الجزء الثاني من هذا الكتاب. (المؤلف)

(٢) كذا في المصدر بالواو وحقه النصب بالألف لأنه خبر (كان).

(٣) أعلام النبوة: ص ١٣٠، شرح نهج البلاغة: ٨١/١٤ كتاب ٩، السيرة الحلبية: ١١٦/١، عمدة

القاري: ٣١/٧، شرح شواهد المغني: ٣٩٨/١ رقم ١٩٧، السيرة النبوية: ٤٣/١، أسنى المطالب:

يشهد له بأنه لو رأى النبي وهو يستقي على المنبر لسره ذلك، ولقرت عيناه، فهذا من النبي ﷺ شهادة لأبي طالب بعد موته أنه كان يفرح بكلمات النبي ﷺ وتقر عينه بها، وما ذلك إلا لسرّ وقر في قلبه من تصديقه بنبوته وعلمه بكلماته. انتهى.

قال الأميني: وذكر جمع هذا الحديث في استسقاء النبي ﷺ وحذف منه كلمة: «لله درّ أبي طالب». وأنت أعرف منّي بالغاية المتوخاة في هذا التحريف، ولا يفوتنا عرفانها.

٦ - قال ابن أبي الحديد في شرحه^(١) (٣/٣١٦): ورد في السير والمغازي أنّ عتبة بن ربيعة أو شيبه لما قطع رجل أبي عبيدة بن الحارث بن المطلب يوم بدر أشبل^(٢) عليه عليّ وحمزة فاستنقذه منه وخطبا عتبة بسيفها حتى قتلاه، واحتملا صاحبهما من المعركة إلى العريش فألقياه بين يدي رسول الله ﷺ وإنّ محّ ساقه ليسيل، فقال: يا رسول الله لو كان أبو طالب حيّاً لعلم أنه قد صدق في قوله:

كذبتُم وبيتِ الله تُحلي محمداً ولما نطاعن دونه وناضل
ونصره حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقالوا: إنّ رسول الله ﷺ استغفر له ولأبي طالب يومئذٍ.

٧ - عن رسول الله ﷺ أنه قال لعقيل بن أبي طالب: «يا أبا يزيد إنّي أحبّك حين حبّاً لقرابتك منّي، وحبّاً لما كنت أعلم من حبّ عمّي أبي طالب إياك».

(١) شرح نهج البلاغة: ١٤/٨٠ كتاب ٩.

(٢) أشبل: عطف.

أخرجه^(١) أبو عمر في الاستيعاب (٥٠٩/٢)، والبغوي، والطبراني كما في ذخائر العقبى (ص ٢٢٢)، وتاريخ الخميس (١٦٢/١)؛ وعماد الدين يحيى العامري في بهجة المحافل (٣٢٧/١)، وذكره ابن أبي الحديد في شرحه (٣١٢/٣) وقال: قالوا: اشتهر واستفاض هذا الحديث، والهشمي في مجمع الزوائد (٢٧٣/٩) وقال: رجاله ثقات.

هذا شاهد صدق على أن النبي ﷺ كان يعتقد إيمان عمه، وإلا فما قيمة حب كافر لأي أحد حتى يكون سبباً لحبه ﷺ أولاده؟

وقول رسول الله ﷺ هذا لعقيل كان بعد إسلامه كما نص عليه الإمام العامري في بهجة المحافل وقال: وفيها إسلام عقيل بن أبي طالب الهاشمي، ولما أسلم قال له النبي ﷺ: يا أبا يزيد. إلى آخره.

وقال جمال الدين الأشخر اليمني في شرح البهجة عند شرح الحديث: ومن شأن المحبِّ محبة حبيب الحبيب.

ألا تعجب من حب رسول الله ﷺ أبا طالب إن لم يك معتقاً لدينه - العياذ بالله - ومن إغرابه عنه بعد وفاته. ومن حبه عقيلاً لحب أبيه إياه؟

٨ - أخرج أبو نعيم^(٢) وغيره عن ابن عباس وغيره قالوا: كان أبو طالب يحب النبي ﷺ حباً شديداً لا يحب أولاده مثله، ويقدمه على أولاده؛ ولذا كان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرجه معه حين يخرج.

(١) الاستيعاب: القسم الثالث/١٠٧٨ رقم ١٨٣٤، المعجم الكبير: ١٩١/١٧ ح ٥١٠، شرح نهج

البلاغة: ٧٠/١٤ كتاب ٩.

(٢) دلائل النبوة: ٢٠٩/١ و ٢١٢.

ولما مات أبو طالب نالت قريش منه من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً، فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه؛ فقامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وتبكي ورسول الله ﷺ يقول لها: «يا بنية لا تبكي فإن الله مانع أباك، ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»^(١).

وفي لفظ: «ما زالت قريش كاعين - أي جنباء - حتى مات أبو طالب».

وفي لفظ: «ما زالت قريش كاعنة حتى مات أبو طالب».

تاريخ الطبري (٢/٢٢٩)، تاريخ ابن عساكر (١/٢٨٤)، مستدرک الحاکم (٢/٦٢٢)، تاريخ ابن كثير (٣/١٢٢، ١٣٤)، الصفوة لابن الجوزي (١/٢١)، الفائق للزمخشري (٢/٢١٣)، تاريخ الخميس (١/٢٥٣)، السيرة الحلبية (١/٣٧٥)، فتح الباري (٧/١٥٣، ١٥٤)، شرح شواهد المغني (ص ١٣٦) نقلاً عن البيهقي، أسنى المطالب (ص ١١، ٢١)، طلبه الطالب (ص ٤، ٥٤).

٩ - عن عبدالله قال: لما نظر رسول الله ﷺ يوم بدر إلى القتلى وهم مصرعون قال لأبي بكر: «لو أن أبا طالب حي لعلم أن أسياقنا قد أخذت بالأماثل» يعني قول أبي طالب:

كذبتم وبيت الله إن جدّ ما أرى لتلتبسُن أسياقنا بالأماثل

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٣٤٤/٢، مختصر تاريخ دمشق: ٣٣/٢٩، المستدرک علی الصحیحین: ٦٧٩/٢ ح ٤٢٤٣، البداية والنهاية: ١٠٦/٣ و ١٥١، صفة الصفوة: ٦٦/١ و ١٠٥ رقم ١، الفائق: ٢٩٠/٣، السيرة الحلبية: ٣٥٣/١، فتح الباري: ١٩٤/٧، شرح شواهد المغني: ٣٩٧/١ رقم ١٩٧، دلائل النبوة: ٣٥٠/٢، أسنى المطالب: ص ١٩ و ٢٨.

الأغاني^(١) (٢٨/١٧)، طلبه الطالب (ص ٣٨) نقلاً عن دلائل الإعجاز^(٢).

١٠ - أخرج المحافظ الكنجي في الكفاية^(٣) (ص ٦٨): من طريق المحافظ ابن فنجويه عن ابن عباس في حديث مرفوعاً قال ﷺ لعلي: لو كنت مستخلفاً أحداً لم يكن أحد أحق منك لقدمتك في الإسلام، وقرابتك من رسول الله، وصهرك وعندك فاطمة سيّدة نساء المؤمنين وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب، أي أي حين نزل القرآن وأنا حريص أن أرعى ذلك في ولده بعده.

قال الأميني: إن شيئاً من مضامين هذه الأحاديث لا يتفق مع كفر أبي طالب، فهو ﷺ لا يأمر خليفته الإمام ﷺ بتكفين كافر ولا تغسيله، ولا يستغفر له ولا يترحم عليه، كما في الحديث الثاني، ولا يُجزّيه خيراً كما في الحديث الثالث، ولا يرجو له بعض الخير - فضلاً عن كفه - كما في الحديث الرابع، ولا يستدرّ له الخير كما في حديث الاستسقاء، ولا يستغفر له كما في الحديث السادس، ولا يحبّ عقيلاً لحبه إياه؛ فإن الكفر يزع المسلم عن بعض هذه، فكيف بكلها فضلاً عن نبي الإسلام ﷺ؟ وهو الصادق بقول الله العزيز: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾^(٥).

(١) الأغاني: ٢١٤/١٨.

(٢) دلائل الإعجاز: ص ١٥.

(٣) كفاية الطالب: ص ١٦٦، وانظر الدر المنثور: ٦٦١/٨.

(٤) المجادلة: ٢٢.

(٥) الممتحنة: ١.

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُواهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾^(٢). إلى آيات أخرى.

الكلم الطيب :

أخرج تمام الرازي في فوائده؛ بإسناده عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية».

ذخائر العقبي (ص ٧)، الدرر المنيفة للسيوطي (ص ٧)، مسالك الحنفيا (ص ١٤)، وقال فيه: أخرجه أبو نعيم وغيره وفيه التصريح بأن الأخ من الرضاة، فالطرق عدة يشد بعضها بعضاً؛ فإن الحديث الضعيف يتقوى بكثرة طرقه، وأمثلها حديث ابن مسعود فإن الحاكم صححه.

وفي تاريخ اليعقوبي^(٣) (٢٦/٢) روي عنه ﷺ أنه قال: «إن الله عز وجل وعدني في أربعة: في أبي وأمي وعمي وأخ لي في الجاهلية».

أخرج ابن الجوزي بإسناده عن علي بن أبي طالب مرفوعاً: «هبط جبرئيل علي فقال: إن الله يقرئك السلام ويقول: حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك»، أما الصلب فعبد الله، وأما البطن فأمنة، وأما الحجر فعمه - يعني أبا طالب -

(١) التوبة: ٢٣.

(٢) المائدة: ٨١.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٣٥/٢.

وفاطمة بنت أسد، التعظيم والمنة للحافظ السيوطي (ص ٢٥).

وفي شرح ابن أبي الحديد^(١) (٣/٣١١): قال رسول الله ﷺ: «قال لي جبرائيل: إن الله مشفقك في ستة: بطن حملتك آمنة بنت وهب، وصلب أنزلك عبدالله ابن عبدالمطلب، وحجر كفلك أبو طالب، وبيت آواك عبد المطلب، وأخ كان لك في الجاهلية» إلى آخره.

رثاء أمير المؤمنين والده العظيم:

ذكر سبط ابن الجوزي في تذكرته^(٢) (ص ٦): أن علياً عليه السلام قال في رثاء أبي

طالب:

أبا طالبٍ عصمةً المستجيرِ
وغيثَ المحولِ ونورَ الظلمِ
لقد هددَ فقدك أهلَ الحفاظِ
فصلّى عليك وليُّ النعمِ
ولقاك ربُّك رضوانه
فقد كنت للظهر من خير عم

هذه الأبيات توجد في ديوان أبي طالب أيضاً (ص ٣٦)، وذكرها أبو عليّ الموضح كما في كتاب الحجّة^(٣) (ص ٢٤) للسيد فخار ابن معد المتوفى (٦٣٠)، وقال ابن أبي الحديد: قال أيضاً:

أرقتُ لطيْرِ آخرِ الليلِ غرّداً
أبا طالبٍ مأوى الصعاليكِ ذا الندى
فأمستُ قريشٌ يفرحون بموتهِ
أرادوا أموراً زينتها حلومهم
يذكّرني شجواً عظيماً مجدداً
جواداً إذا ما أصدر الأمرَ أوردا
ولست أرى حياً يكون مخلداً
ستوردُهم يوماً من الغيِّ مورداً

(١) شرح نهج البلاغة: ٦٧/١٤ كتاب ٩.

(٢) تذكرة الخواص: ص ٩.

(٣) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ١٢٢.

يُرْجُونَ تَكْذِيبَ النَّبِيِّ وَقَتْلَهُ
 كَذِبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ حَتَّى نَذِيقَكُمْ
 فإِذَا تَبِيدُونَا وَإِنَّمَا نَبِيدُكُمْ
 وَإِلَّا فإِنَّ الْحَيَّ دُونَ مُحَمَّدٍ
 وَأَنْ يُفْتَرَى قَدِمَا عَلَيْهِ وَيَجْحَدَا
 صَدُورَ الْعَوَالِي وَالْحَسَامَ الْمَهْنَدَا
 وَإِنَّمَا تَرَوْا سَلَمَ الْعَشِيرَةِ أَرْشِدَا
 بَنِي هَاشِمٍ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ مُحْتَدَا^(١)

هذه الأبيات توجد في الديوان المنسوب إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام مع تغيير يسير وزيادة وإليك نصها:

أرقت لنوح آخر الليل غرّدا
 أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى
 أخا الملك خلّي ثلمة سيدها
 فأمست قريش يفرحون بفقدِهِ
 أرادت أمورا زينتها حلومهم
 يُرْجُونَ تَكْذِيبَ النَّبِيِّ وَقَتْلَهُ
 كَذِبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ حَتَّى نَذِيقَكُمْ
 وَيَبْدُونَ مِنَّا مَنْظَرَ ذُو كَرِيمَةٍ
 فإِذَا تَبِيدُونَا وَإِنَّمَا نَبِيدُكُمْ
 وَإِلَّا فإِنَّ الْحَيَّ دُونَ مُحَمَّدٍ
 وَإِنَّ لَهُ فِيكُمْ مِنْ اللَّهِ نَاصِرًا
 نَبِيٌّ أَتَى مِنْ كُلِّ وَحْيٍ بِحُظِّهِ
 أَغْرَى كُضُوءَ الْبَدْرِ صُورَةَ وَجْهِهِ
 أَمِينٌ عَلَيَّ مَا اسْتَوْدَعَ اللَّهُ قَلْبَهُ
 وَإِنْ كَانَ قَوْلًا كَانَ فِيهِ سَدًّا
 وَتُورِدُهُمْ يَوْمًا مِنَ الْغَيِّ مُورِدَا
 وَأَنْ يُفْتَرُوا بِهَتَا عَلَيْهِ وَيُجْحَدَا
 صَدُورَ الْعَوَالِي وَالصَّفِيحَ الْمَهْنَدَا
 إِذَا مَا تَسْرِبَلْنَا الْحَمِيدَ الْمَسْرَدَا
 وَإِنَّمَا تَرَوْا سَلَمَ الْعَشِيرَةِ أَرْشِدَا
 بَنِي هَاشِمٍ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ مُحْتَدَا
 وَلَسْتُ بِبَلَاقِي صَاحِبِ اللَّهِ أَوْحَدَا
 فَسَمَّاهُ رَبِّي فِي الْكِتَابِ مُحَمَّدَا
 جَلَا الْغَيْمِ عَنْهُ ضَوْؤُهُ فَتَوَقَّدَا
 وَإِنْ كَانَ قَوْلًا كَانَ فِيهِ سَدًّا

(١) هذه الأبيات لم نثر عليها في شرح ابن أبي الحديد، وهي موجودة بتمامها في تذكرة الخواص:

كلمة الإمام السجّاد:

قال ابن أبي الحديد في شرحه^(١) (٣١٢/٣): روي أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام سئل عن هذا - يعني عن إيمان أبي طالب - فقال: «واعجبا إنّ الله تعالى نهى رسوله أن يقترّ مسلمة على نكاح كافر وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام ولم تزَل تحت أبي طالب حتى مات».

كلمة الإمام الباقر:

سئل عليه السلام عما يقول الناس إنّ أبا طالب في ضحضاح من نار فقال: «لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه» ثمّ قال: «ألم تعلموا أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام كان يأمر أن يحجّ عن عبدالله وابنه^(٢) وأبي طالب في حياته ثمّ أوصى في وصيته بالحجّ عنهم».

شرح ابن أبي الحديد^(٣) (٣١١/٣) بمير طبع رسيدي

كلمة الإمام الصادق:

روي عن أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إنّ أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر فآتاهم الله أجرهم مرّتين، وإنّ أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرّتين». شرح ابن أبي الحديد^(٤) (٣١٢/٣).

قال الأميني: هذا الحديث أخرجه ثقة الإسلام الكليني في أصول الكافي^(٥)

(١) شرح نهج البلاغة: ٦٩/١٤ و ٦٨ كتاب ٩.

(٢) كذا في الطبعة التي اعتمدها العلامة عليه السلام من شرح النهج، وفي الطبعة المحقّقة: وأبيه أبي طالب.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٦٨/١٤ كتاب ٩.

(٤) المصدر السابق: ٧٠/١٤ كتاب ٩.

(٥) أصول الكافي: ٤٤٨/١ ح ٢٨.

(ص ٢٤٤) عن الإمام الصادق غير مرفوع ولفظه: «إِنَّ مِثْلَ أَبِي طَالِبٍ مِثْلُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ أُسْرُوا بِالْإِيمَانِ وَأُظْهِرُوا الشَّرْكَ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ» .

وبلفظ ابن أبي الحديد ذكره السيّد ابن معد في كتابه الحجّة^(١) (ص ١٧) من طريق الحسين بن أحمد المالكي وزاد فيه: «وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالحجّة» .

كلمة الإمام الرضا:

كتب أبان بن محمود إلى عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: جعلت فداك إنّي قد شككت في إسلام أبي طالب .

فكتب إليه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) . الآية، وبعدها «إِنَّكَ إِنْ لَمْ تَقْرَبِ إِيْمَانَ أَبِي طَالِبٍ كَانَ مَصِيرَكَ إِلَى النَّارِ» شرح ابن أبي الحديد^(٣) ٣/٣١٦، موسوعة الغدير

قصارى القول في سيّد الأبطح عند القوم:

إِنَّ كَلَّامًا مِنْ هَذِهِ الْعُقُودِ الذَّهَبِيَّةِ بِمُفْرَدِهِ كَافٍ فِي إِثْبَاتِ الْغُرُضِ فَكَيْفَ بِمَجْمُوعِهَا، وَمِنَ الْمَقْطُوعِ بِهِ أَنَّ الْأَثْمَةَ مِنْ وَلَدِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَبْصَرَ النَّاسَ بِحَالِ أَبِيهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَنْوَهُوا إِلَّا بِمَحْضِ الْحَقِيقَةِ، فَإِنَّ الْعَصْمَةَ فِيهِمْ رَادِعَةٌ عَنْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَقَدْ أَجَادَ مَفْتِي الشَّافِعِيَّةِ بِمَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ فِي أَسْنَى الْمَطَالِبِ، حَيْثُ قَالَ^(٤) فِي (ص ٣٣):

هذا المسلك الذي سلكه العلامة السيّد محمد بن رسول البرزنجي في نجاة أبي

(١) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٨٤.

(٢) النساء: ١١٥.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٦٨/١٤ كتاب ٩.

(٤) أسنى المطالب: ص ٥٩ - ٦٠ .

طالب لم يسبقه إليه أحد فجزاه الله أفضل الجزاء ، ومسلكه هذا الذي سلكه يرتضيه كل من كان متصفاً بالإنصاف من أهل الإيمان ؛ لأنه ليس فيه إبطال شيء من النصوص ولا تضعيف لها ، وغاية ما فيه أنه حملها على معانٍ مستحسنة يزول بها الإشكال ويرتفع الجدل ، ويحصل بذلك قرّة عين النبي ﷺ ، والسلامة من الوقوع في تنقيص أبي طالب أو بغضه ، فإن ذلك يؤذي النبي ﷺ وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢) .

وقد ذكر الإمام أحمد بن الحسين الموصلي الحنفي المشهور بابن وحشي في شرحه على الكتاب المسمى بشهاب الأخبار للعلامة محمد بن سلامة القضاعي المتوفى (٤٥٤) : أن بغض أبي طالب كفر ، ونصّ على ذلك أيضاً من أئمة المالكية العلامة عليّ الأجهوري في فتاويه ، والتلمساني في حاشيته على الشفاء ، فقال عند ذكر أبي طالب : لا / ينبغي أن يذكر إلا بحماية النبي ﷺ لأنه حماه ونصره بقوله وفعله ، وفي ذكره بمكروه أذية للنبي ﷺ ومؤذي النبي ﷺ كافر ، والكافر يقتل ، وقال أبو طاهر : من أبغض أبا طالب فهو كافر .

ومما يؤيد هذا التحقيق الذي حققه العلامة البرزنجي في نجاة أبي طالب أن كثيراً من العلماء المحققين وكثيراً من الأولياء العارفين أرباب الكشف قالوا بنجاة أبي طالب ، منهم : القرطبي والسبكي والشعراني وخلائق كثيرون ، وقالوا : هذا الذي نعتقده وندين الله به ، وإن كان ثبوت ذلك عندهم بطريق غير الطريق الذي سلكه البرزنجي ، فقد اتفق معهم على القول بنجاته ، فقول هؤلاء الأئمة بنجاته أسلم للعبد عند الله تعالى لا سيما مع قيام هذه الدلائل والبراهين التي أثبتتها العلامة البرزنجي . انتهى .

(١) الأحزاب : ٥٧ .

(٢) التوبة : ٦١ .

وذكر السيد زيني دحلان في أسنى المطالب^(١) (ص ٤٣) قال : والله درّ القائل :

قفا بمطلع سعدٍ عزّ ناديه
 واستقبلا مطلع الأنوار في أفق الـ
 مغنى به وابل الرضوان منهم
 قفا فذا بلبل الأفراح من طرب
 واستمليا لأحاديث العجائب عن
 حامي الذمار مجير الجار من كرم
 عم النبي الذي لم يُثنه حد
 هو الذي لم يزل حصناً لحضرتة
 وكل خير ترجاه النبي له
 فيا من أمّ العلى في الخالدات غدا
 قد خصك الله بالمختار تكلؤه
 عنيت بالحب في طه فزت به
 كم شمت آيات صدق يستضاء بها
 من الذي فاز في المنين أجمعهم
 كفلت خير الوري في يتيه شغفاً
 عضدته حين عادته عشيرته
 نصرت من لم يشم الكون رائحة الـ
 إن الذي قت في تأييد شوكتيه
 إن الذي أنت قد أحبيت طلعتة
 لله درك من قناص فرصته

وأمليا شرح شوقي في مغانيه
 حججون واحترسا أن تهبها فيه
 ونائرات الهدى دلت مناديه
 يروي بديع المعاني في أماليه
 بحر هناك بديع في معانيه
 منه السجابا فلم يفخر مباريه
 عن نصره فتغالى في مرضيه
 موثقاً لرسول الله بحميه
 وهو الذي قط ما خابت أمانيه
 أغت للهفانه واسعف مناديه
 وتستعز به فخراً وتطريه
 ومن ينل حب طه فهو يكفيه
 وتلا القلب إيماناً وترويه
 بمثل ما فزت من طه وباريه
 وبس بالروح والأبناء تفديه
 وكنت حائظه من بغى شانيه
 سوجود لو لم يقدر كونه فيه
 هو الذي لم يكن شيء يساويه
 حبيب من كل شيء في أياديه
 مذ شمت برق الأماني من نواحيه

٣٨٣/٧

يهنيك فوزك أن قدمت منك يداً
من يُشد أحسن معروفٍ لأحسن من
ومن سعى لسعيدٍ في مطالبه
فيا سعيد المساعي في متاجره
مستمطراً منك مزن الخير معترفاً
إلى آخره.

ثم قال^(١) في (ص ٤٤) وقيل أيضاً:

إن القلوب لتبكي حين تسمع ما
فإن يكن أجمع الأعلام أن له
أما إذا اختلفوا فالرأي أن ترداً
نتابع المثبتى الإيمان من زمرته
وهم عدولٌ خيارٌ في مقاصدهم
لا تزدريهم أتدري من هم فهمو
هم السيوطي^(٤) والسبكي مع نفرٍ
وأهل كشف وشعرانئهم وكذا
أبدى أبو طالب في حق من عظمها
ناراً فله كل الكون يفعل ما^(٢)
موارداً يرتضيها عقل من سلما
في معظم الدين تابعناهم فكما^(٣)
فلا نقل إنهم لن يبلغوا عظما
هو عرى الدين قد أضحوا به زعماً
كعدّة النقا حقاظ أهل حمى
القرطبي والسحيمي الجميع كما^(٥)

(١) أسنى المطالب: ص ٨١.

(٢) أي يفعل ما يشاء. (المؤلف)

(٣) أي كما تابعناهم في معظم الدين نتابعهم في هذا. (المؤلف)

(٤) للسيوطي كتاب: بغية الطالب لإيمان أبي طالب وحسن خاتمته. توجد نسخته في مكتبة (قوله)

بمصر ضمن مجموعة رقم ١٦، وهي بخط السيد محمود، فرغ من الكتابة: سنة ١١٠٥. راجع

الذريعة لشيخنا الطهراني: ٥١١/٢. (المؤلف)

(٥) أي كما ترى في الوثيقة. (المؤلف)

- ٤ -

ما أسنده إليه من لاث به وبخع له

هؤلاء شيعة أهل البيت عليهم السلام لا يشك أحد منهم في إيمان أبي طالب عليه السلام ويروونه في أسمى مراقبه وعلى صهوته العليا آخذين ذلك يداً عن يد حتى ينتهي الدور إلى الصحابة منهم والتابعين لهم بإحسان، ومدعين في ذلك بنصوص أئمتهم عليهم السلام بعد ما ثبت عن جدّهم الأقدس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال المعلّم الأكبر شيخنا المفيد في أوائل المقالات^(١) (ص ٤٥): اتفقت الإمامية على أن آباء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لدن آدم إلى عبدالله مؤمنون بالله تعالى موحدون. إلى أن قال: وأجمعوا على أن عمّه أبا طالب مات مؤمناً، وأن آمنه بنت وهب كانت على التوحيد. الخ.

وقال شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في التبيان^(٢) (٣٩٨/٢): عن أبي عبدالله وأبي جعفر عليهم السلام أن أبا طالب كان مسلماً، وعليه إجماع الإمامية لا يختلفون فيه، ولها على ذلك أدلة قاطعة موجبة للعلم.

وقال شيخنا الطبرسي في مجمع البيان^(٣) (٢٨٧/٢): قد ثبت إجماع أهل البيت على إيمان أبي طالب وإجماعهم حجة؛ لأنهم أحد الثقلين اللذين أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بهما بقوله: «إن تمسكتم بهما لن تضلوا».

وقال سيدنا ابن معد الفخار: لقد كان يكفينا من الاستدلال على إيمان أبي طالب عليه السلام إجماع أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم أجمعين وعلماء شيعتهم على إسلامه واتفاقهم على إيمانه، ولو لم يرد عنه من الأفعال التي لا يفعلها إلا المؤمنون،

(١) أوائل المقالات: ص ٥١.

(٢) التبيان: ١٦٤/٨.

(٣) مجمع البيان: ٤٤٤/٤.

إيمان أبي طالب وسيرته / ما أسنده إليه من لاث به ٥١٧

والأقوال التي لا يقو لها إلا المسلمون، ما يشهد له بصحة الإسلام وتحقيق الإيمان، إذ كان إجماعهم حجة يعتمد عليها ودلالة يصمد إليها. كتاب الحجّة^(١) (ص ١٣).

وقال شيخنا الفتال في روضة الواعظين^(٢) (ص ١٢٠): اعلم أن الطائفة المحقة قد أجمعت على أن أبا طالب، وعبدالله بن عبدالمطلب، وآمنة بنت وهب، كانوا مؤمنين وإجماعهم حجة.

وقال سيدنا الحجّة ابن طاووس في الطرائف^(٣) (ص ٨٤): إنني وجدت علماء هذه العترة / مجتمعين على إيمان أبي طالب. وقال^(٤) في (ص ٨٧): لا ريب أن العترة أعرف بباطن أبي طالب من الأجانب، وشيعة أهل البيت عليهم السلام مجتمعون على ذلك، ولهم فيه مصنفات، وما رأينا ولا سمعنا أن مسلماً أحوجوا فيه إلى مثل ما أحوجوا في إيمان أبي طالب، والذي نعرفه منهم أنهم يثبتون إيمان الكافر بأدنى سبب، وبأدنى خبر واحد وبالتلويح، وقد بلغت عداوتهم لبني هاشم إلى إنكار إيمان أبي طالب مع ثبوت ذلك عليه بالحجج الثواقب، إن هذا من جملة العجائب.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه^(٥) (٣١١/٣): اختلف الناس في إيمان أبي طالب؛ فقالت الإمامية وأكثر الزيدية: ما مات إلا مسلماً، وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك؛ منهم الشيخ أبو القاسم البلخي وأبو جعفر الإسكافي وغيرهما.

وقال العلامة المجلسي في البحار^(٦) (٢٩/٩): قد أجمعت الشيعة على إسلامه وأنه

(١) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٦٤.

(٢) روضة الواعظين: ١٣٨/١.

(٣) الطرائف: ص ٢٩٨.

(٤) المصدر السابق: ص ٣٠٦.

(٥) شرح نهج البلاغة: ٦٥/١٤ كتاب ٩.

(٦) بحار الأنوار: ١٣٨/٣٥ ح ٨٤.

قد آمن بالنبي ﷺ في أول الأمر، ولم يعبد صنماً قط، بل كان من أوصياء إبراهيم عليه السلام واشتهر إسلامه من مذهب الشيعة حتى إن المخالفين كلهم نسبوا ذلك إليهم وتواترت الأخبار من طرق الخاصة والعامة في ذلك، وصنف كثير من علمائنا ومحدثينا كتاباً مفرداً^(١) في ذلك، كما لا يخفى على من تتبع كتب الرجال.

ومستند هذا الإجماع إنما هو ما جاء به رجالات بيت الوحي في سيد الأبطح، وإليك أربعون حديثاً:

١ - أخرج شيخنا أبو علي الفتال وغيره عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «نزل جبرئيل عليه السلام على النبي ﷺ فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول: إني قد حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك. فالصلب صلب أبيه عبد الله بن عبد المطلب، والبطن الذي حملك آمنة بنت وهب، وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب». وزاد في رواية: «وفاطمة بنت أسد»^(٢). روضة الواعظين^(٣) (ص ١٢١).

راجع^(٤) الكافي ثقة الإسلام الكليني (ص ٢٤٢)، معاني الأخبار للصدوق، كتاب الحجّة للسيد فخار بن معد (ص ٨)، ورواه شيخنا المفسر الكبير أبو الفتوح الرازي في تفسيره (٢١٠/٤) ولفظه: «إن الله عز وجل حرّم على النار صلباً أنزلك، وبطناً حملك، / وتدياً أرضعك، وحجراً كفلك».

٢ - عن أمير المؤمنين قال: قال رسول الله ﷺ: «هبط عليّ جبرئيل فقال لي: يا محمد إن الله عز وجل مشقّعك في ستّة: بطن حملتك آمنة بنت وهب، وصلب

(١) سترافيك عدّة ممن أفرد التأليف في إيمان أبي طالب عليه السلام. (المؤلف)

(٢) راجع ما أسلفناه: ص ٣٧٨. (المؤلف)

(٣) روضة الواعظين: ١٣٩/١.

(٤) أصول الكافي: ٤٤٦/١ ح ٢١، معاني الأخبار: ص ١٣٦ ح ١، الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٤٨، تفسير أبو الفتوح الرازي: ٤٧٠/٨.

أنزلك عبد الله بن عبد المطلب، وحجر كفلك أبو طالب، وبيت آواك عبد المطلب، وأخ كان لك في الجاهلية، وثدي أرضعك حليلة بنت أبي ذؤيب».

رواه السيد فخار بن معد في كتاب الحجّة^(١) (ص ٨).

٣ - روى شيخنا المعلم الأكبر الشيخ المفيد بإسناد يرفعه قال: لما مات أبو طالب أتى أمير المؤمنين رسول الله ﷺ فأذنه بموته فتوجّع توجّعاً عظيماً وحزن حزناً شديداً ثم قال لأمر المؤمنين ﷺ: «إمض يا علي فتولّ أمره، وتولّ غسله وتحنيطه وتكفينه، فإذا رفعته على سريريه فأعلمني». ففعل ذلك أمير المؤمنين ﷺ، فلما رفعه على السرير اعترضه النبي ﷺ فرّق وتحزّن، وقال: «وصلتكم رحم وجزيت خيراً يا عمّ، فلقد ربّيت وكفّلت صغيراً، ونصرت وآزرت كبيراً»، ثم أقبل على الناس وقال: «أمّ والله لأشفعنّ لعنّي شفاععة يعجب بها أهل الثقلين».

وفي لفظ شيخنا الصدوق: «يا عم كفّلت يتيماً، وربّيت صغيراً، ونصرت كبيراً فجزاك الله عني خيراً»^(٢).

راجع^(٣): تفسير علي بن إبراهيم (ص ٣٥٥)، أمالي ابن بابويه الصدوق، الفصول المختارة لسيدنا الشريف المرتضى (ص ٨٠)، الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب (ص ٦٧)، بحار الأنوار (١٥/٩)، الدرجات الرفيعة لسيدنا الشيرازي، ضياء العالمين.

٤ - عن العباس بن عبد المطلب عليه السلام أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: ما ترجو لأبي طالب؟ فقال: «كلّ الخير أرجو من ربّي عزّ وجلّ».

(١) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ٤٨.

(٢) راجع ما مرّ في صفحة: ٣٧٢. (للمؤلّف)

(٣) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ١/٣٨٠، الأمالي: ص ٣٣٠، الفصول المختارة: ص ٢٢٨، الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٢٦٥، بحار الأنوار: ٦٨/٣٥، الدرجات الرفيعة: ص ٦١.

كتاب الحجّة^(١) (ص ١٥)، الدرجات الرفيعة^(٢). راجع ما أسلفناه (ص ٣٧٣).

٥ - عن رسول الله ﷺ أنه قال لعقيل بن أبي طالب: «أنا أحبك يا عقيل حبين: حباً لك وحباً لأبي طالب لأنه كان يحبك»^(٣).

علل الشرائع لشيخنا الصدوق، الحجّة (ص ٣٤)، بحار الأنوار (١٦/٩)^(٤).

٦ - عن رسول الله ﷺ قال: «لو قمت المقام المحمود لشفعت في أبي وأمي وعمي وأخ [كان] لي مواخياً في الجاهلية».

تفسير علي بن إبراهيم (ص ٣٥٥، ٤٩٠)، تفسير البرهان (٧٩٤/٣)^(٦). راجع

ما أسلفناه في صفحة (٣٧٨).

٧ - عن الإمام السبط الحسين بن عليّ عن والده أمير المؤمنين أنه كان جالساً

في الرحبة والناس حوله فقام إليه رجل فقال له: يا أمير المؤمنين إنك بالمكان الذي أنزلك الله وأبوك معذب في النار، فقال له: «مه فض الله فاك، والذي بعث محمداً بالحق نبياً لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشقعه الله، أبي معذب في النار وابنه قسيم الجنة والنار؟ والذي بعث محمداً بالحق إن نور أبي طالب يوم القيامة ليطلق أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار: نور محمد ونور فاطمة ونور الحسن والحسين ونور ولده من الأئمة، ألا إن نوره من نورنا، خلقه الله من قبل خلق آدم بالني عام».

(١) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٧١.

(٢) الدرجات الرفيعة: ص ٤٨.

(٣) راجع ما أسلفناه: ص ٣٧٥. (المؤلف)

(٤) علل الشرائع: ١٦٢/١، الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ١٧٩، بحار الأنوار:

٧٥/٣٥.

(٥) من المصدر.

(٦) تفسير علي بن إبراهيم: ٢٥/٢، ١٤٢، البرهان في تفسير القرآن: ٢٣٠/٣ ح ١.

المناقب المثة للشيخ أبي الحسن ابن شاذان^(١)، كنز الفوائد للكراجكي (ص ٨٠)، أمالي ابن الشيخ (ص ١٩٢)، احتجاج الطبرسي كما في البحار، تفسير أبي الفتوح (٢١١/٤)، الحجّة (ص ١٥)، الدرجات الرفيعة، بحار الأنوار (١٥/٩)، ضياء العالمين، تفسير البرهان (٧٩٤/٣)^(٢).

٨ - عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام إنه قال: «والله ما عبد أبي ولا جدّي عبدالمطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قطّ»: قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: «كانوا يصلّون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به».

رواه^(٣) شيخنا الصدوق بإسناده في كمال الدين (ص ١٠٤)، والشيخ أبو الفتوح في تفسيره (٢١٠/٤)، والسيد في البرهان (٧٩٥/٣).

٩ - عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: قال عليّ عليه السلام: «إنّ أبي حين حضره الموت شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرني عنه بشيء خير لي من الدنيا وما فيها».

رواه بإسناده السيّد فخار بن معد في كتاب الحجّة^(٤) (ص ٢٣)، وذكره / الفتوني ٨٨/٧ في ضياء العالمين.

١٠ - عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه الرضا» تفسير علي بن إبراهيم (ص ٣٥٥)، كتاب الحجّة (ص ٢٣)، الدرجات

(١) محمد بن أحمد الفقي الفامي أحد مشايخ شيخ الطائفة الطوسي والكراجكي والكتاب مخطوط موجود عندنا. (المؤلف)

(٢) المناقب المثة: ص ١٦١، كنز الفوائد: ١/١٨٣، أمالي الطوسي: ص ٣٠٥ ح ٦١٢، الاحتجاج: ١/٥٤٦ ح ١٣٣، تفسير أبي الفتوح: ٨/٤٧١، الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٧٢، الدرجات الرفيعة: ص ٥٠، بحار الأنوار: ٣٥/٦٩، البرهان في تفسير القرآن: ٣/٢٣١ ح ٤.

(٣) كمال الدين: ص ١٧٤، تفسير أبي الفتوح: ٨/٤٧٠، البرهان في تفسير القرآن: ٣/٢٣٢ ح ١٥.

(٤) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ١١٢.

الرفيعة، ضياء العالمين^(١).

١١ - عن الشعبي يرفعه عن أمير المؤمنين أنه قال: كان والله أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتُم إيمانه مخافةً على بني هاشم أن تنابذها قريش. قال أبو علي الموضح: ولأمير المؤمنين في أبيه يرثيه:

| | |
|----------------------------|--|
| أبا طالبٍ عصمةَ المستجير | وغيتَ المحول ونور الظلم |
| لقد هدَّ فقدك أهلَ الحفاظِ | فصلَّى عليك وليَّ النعم |
| ولقَاك ربُّك رضوانه | فقد كنت للمصطفى خيرَ عم ^(٢) |

كتاب الحجّة^(٣) (ص ٢٤).

١٢ - عن الأصمغ بن نباته قال: سمعت أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول: مرّ رسول الله ﷺ بنفر من قريش وقد محرواً جزوراً وكانوا يسمونها الفهيرة ويدبحونها على النصف فلم يسلم عليهم، فلما انتهى إلى دار الندوة قالوا: يمر بنا يتيم أبي طالب فلا يسلم علينا، فأيكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه؟ فقال عبدالله بن الزبير السهمي: أنا أفعل؛ فأخذ القرث والدم، فانتهى به إلى النبي ﷺ وهو ساجد فلأبه ثيابه ومظاهره، فانصرف النبي ﷺ حتى أتى عمه أبا طالب فقال: «يا عم من أنا؟» فقال: ولم يا بن أخي؟ فقص عليه القصة فقال: وأين تركتهم؟ فقال: «بالأبطح» فنادى في قومه: يا آل عبد المطلب يا آل هاشم يا آل عبد مناف، فأقبلوا إليه من كل مكان ملتبين، فقال: كم أنتم؟ قالوا: نحن أربعون، قال: خذوا سلاحكم. فأخذوا سلاحهم وانطلق بهم حتى انتهى إلى أولئك النفر، فلما رأوه أرادوا أن يتفرقوا، فقال

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ٣٨٠/١، الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ١٠٨.

(٢) راجع ما أسلفناه: ص ٢٧٨. (المؤلف)

(٣) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ١٢٢.

لهم: ورب هذه البنية لا يقوم منكم أحد إلا جللته بالسيف. ثم أتى إلى صفاة كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات حتى قطعها ثلاثة أفهار^(١) ثم قال: يا محمد سألتني من أنت؟ ثم أنشأ يقول / ويومي بيده إلى النبي ﷺ:

أنت النبي محمد
قرم أغر مسود

إلى آخر ما مرَّ في (ص ٣٣٦) ثم قال: يا محمد أيهم الفاعل بك؟ فأشار النبي ﷺ إلى عبد الله بن الزبيري السهمي الشاعر، فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتى أدماها. ثم أمر بالفرت والدم فأمر على رؤوس الملائكة ثم قال: يا بن أخ أرضيت؟ ثم قال: سألتني من أنت؟ أنت محمد بن عبد الله، ثم نسبه إلى آدم ﷺ ثم قال: أنت والله أشرفهم حسباً، وأرفعهم منصباً، يا معشر قريش من شاء منكم أن يتحرك فليفعل؛ أنا الذي تعرفوني^(٢).

رواه^(٣) السيد ابن معد في الحجّة (ص ١٠٦)، وذكر لدة هذه القضية الصفوري في نزهة المجالس (١٢٢/٢) وفي طبع (ص ٩١)، وابن حجّة الحموي في ثمرات الأوراق بهامش المستطرف (ص ٣/٢) نقلاً عن كتاب الأعلام للقرطبي.

١٣ - ذكر ابن فياض في كتابه شرح الأخبار: أن علياً ﷺ قال في حديث له: إن أبا طالب هجم عليّ وعلى النبي ﷺ ونحن ساجدان فقال: أفعلتهاها؟ ثم أخذ بيدي فقال: انظر كيف تنصره، وجعل يرغبني في ذلك ويحضني عليه. الحديث.

راجع ضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف الفتوني.

(١) ثلاثة أفهار: ثلاث قطع كل منها تملأ الكف. (المؤلف)

(٢) راجع ما أسلفناه: ص ٣٥٩، ويأتي في الجزء الثامن في الآيات ما يؤيد هذه القصة. (المؤلف)

(٣) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٢٤٦، نزهة المجالس: ٩١/٢، ثمرات الأوراق:

١٤ - روي أن أمير المؤمنين عليه السلام قيل له : من كان آخر الأوصياء قبل النبي ﷺ ؟ فقال : « أبي » . ضياء العالمين للفتوني .

١٥ - عن الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين بن علي عليه السلام أنه سُئل عن أبي طالب أكان مؤمناً؟ فقال عليه السلام : « نعم » . فقيل له : إن هاهنا قوماً يزعمون أنه كافر . فقال عليه السلام : « واعجباً كلّ العجب أيطعنون عليّ أبي طالب أو عليّ رسول الله ﷺ ؟ وقد نهاه الله تعالى أن يقَرَّ مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن ، ولا يشكّ أحد أن فاطمة بنت أسد رضي الله تعالى عنها من المؤمنات السابقات ، فإنها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب عليه السلام » .

راجع^(١) : ما مر (ص ٣٨٠) ، وكتاب الحجّة (ص ٢٤) ، والدرجات الرفيعة ، ضياء العالمين فقال : قيل : إنَّها متواترة عندنا .

١٦ - عن أبي بصير لث المرادي قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : سيدي إنَّ الناس يقولون : إنَّ أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه . فقال عليه السلام : « كذبوا والله إنَّ إيمان أبي طالب لو وُضع في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في كفة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم » . إلى آخر ما مرّ (ص ٣٨٠) . رواه^(٢) السيّد في كتاب الحجّة (ص ١٨) من طريق شيخ الطائفة عن الصدوق ، والسيّد الشيرازي في الدرجات الرفيعة ، والفتوني في ضياء العالمين .

وروى السيّد ابن معد في كتاب الحجّة (ص ٢٧) من طريق آخر عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال : مات أبو طالب بن عبدالمطلب مسلماً مؤمناً . إلى آخره .

١٧ - عن الإمام الصادق أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام قال : « إنَّ مثل أبي

(١) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب : ص ١٢٣ ، الدرجات الرفيعة : ص ٥٠ .

(٢) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب : ص ٨٥ ، الدرجات الرفيعة : ص ٤٩ .

طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين» .

راجع^(١) : الكافي لثقة الإسلام الكليني (ص ٢٤٤)، أمالي الصدوق (ص ٣٦٦)، روضة الواعظين (ص ١٢١)، كتاب الحجّة (ص ١١٥)، وفي (ص ١٧) ولفظه من طريق الحسين بن أحمد المالكي :

قال عبد الرحمن بن كثير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يزعمون أن أبا طالب في ضحاح من نار. فقال: «كذبوا، ما بهذا نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وآله»، قلت: وبما نزل؟ قال: «أتى جبرائيل في بعض ما كان عليه فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة، ثم قال: كيف يصفونه بهذا وقد نزل جبرائيل ليلة مات أبو طالب فقال: يا محمد اخرج من مكة فما لك بها ناصر بعد أبي طالب؟» .

وذكره^(٢) العلامة المجلسي في البحار (٢٤/٩) والسيد في الدرجات الرفيعة، والفتوني في ضياء العالمين، وروى شيخنا أبو الفتوح الرازي هذا الحديث في تفسيره (٢١٢/٤).

١٨ - أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي^(٣) (ص ٢٤٤)؛ بالإسناد عن إسحاق بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: قيل له: إنهم يزعمون أن أبا طالب كان كافراً، فقال: « / كذبوا، كيف وهو يقول:

(١) أصول الكافي: ٤٤٨/١، أمالي الصدوق: ٤٩٢، روضة الواعظين: ١٣٩/١، الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٣٦٢، ص ٨٣.

(٢) بحار الأنوار: ٧٢/٣٥، الدرجات الرفيعة: ص ٤٩، تفسير أبي الفتوح: ٤٧٤/٨.

(٣) أصول الكافي: ٤٤٨/١.

ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً نبياً كموسى خُطَّ في أوّل الكتب»

وذكره غير واحد من أئمة الحديث في تأليفهم رضوان الله عليهم أجمعين .

١٩ - أخرج ثقة الإسلام الكليني في أصول الكافي^(١) (٢٤٤)، عن الإمام

الصادق قال: «كيف يكون أبو طالب كافراً وهو يقول:

لقد علموا أن ابننا لا مكذبٌ لدينا ولا يعبا بقليل الأباطل

وأبيض يُستسقى الغمامُ بوجهه ثمّال اليتامى عصمةً للأرامل»

وذكره السيّد في البرهان^(٢) (٧٩٥/٣)، وكذلك غير واحد من أعلام الطائفة

أخذاً عن الكليني .

٢٠ - روى شيخنا أبو علي الفتال في روضة الواعظين^(٣) (ص ١٢١) عن الإمام

الصادق عليه السلام قال: لما حضر أبا طالب عليه السلام الوفاة جمع وجوه قريش فأوصاهم، فقال:

يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه، وقلب العرب، وأنتم خزنة الله في أرضه

وأهل حرمة، فيكم السيّد المطاع، الطويل الذراع، وفيكم المقدام الشجاع، الواسع

الباع، إعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المفاخر نصيباً إلا حزتموه، ولا شرفاً إلا

أدركتموه، فلکم على الناس بذلك الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم

حرب إلى آخر ما مرّ في (ص ٣٦٦) من مواقف سيّدنا أبي طالب المشكورة المروية من

طرق أهل السنّة، وذكر هذه الوصيّة شيخنا العلامة المجلسي في البحار^(٤) (٢٣/٩).

٢١ - حدّث شيخنا أبو جعفر الصدوق في إكمال الدين^(٥) (ص ١٠٣)، بالإسناد

(١) أصول الكافي: ٤٤٩/١.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ٢٣١/٣ ح ٧.

(٣) روضة الواعظين: ١٣٩/١.

(٤) بحار الأنوار: ١٠٦/٣٥.

(٥) كمال الدين: ١٧٤/١.

عن محمد بن مروان عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ أبا طالب أظهر الكفر وأسرَّ الإيمان، فلما حضرته الوفاة أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: أخرج منها فليس لك بها ناصر. فهاجر إلى المدينة».

وذكره سيّدنا الشريف المرتضى في الفصول المختارة^(١) (ص ٨٠) فقال: هذا يبرهن عن إيمانه لتحقيقه بنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وتقوية أمره.

وذيل الحديث رواه السيّد الحجّة ابن معد في كتابه الحجّة^(٢) (ص ٣٠) وقال في (ص ١٠٣): لما قبض أبو طالب اتفق المسلمون على أن جبرئيل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وآله وقال / له: ربك يقرئك السلام ويقول لك: إن قومك قد عولوا على أن يبيتوك وقد مات ناصرك فاخرج عنهم. وأمره بالمهاجرة. فتأمل إضافة الله تعالى أبا طالب رحمه الله إلى النبي صلى الله عليه وآله وشهادته له أنه ناصره، فإن في ذلك لأبي طالب أوفى فخر وأعظم منزلة، وقريش رضيت من أبي طالب بكونه مخالطاً لهم مع ما سمعوا من شعره وتوحيده وتصديقه للنبي صلى الله عليه وآله، ولم يكتفهم قتله والمنازعة له لأن قومه من بني هاشم وإخوانهم من بني المطلب بن عبد مناف وأحلافهم ومواليهم وأتباعهم، كافرهم ومؤمنهم كانوا معه، ولو كان نابذ قومه لكانوا عليه كافة، ولذلك قال أبو هلب لما سمع قريشاً يتحدّثون في شأنه ويفيضون في أمره: دعوا عنكم هذا الشيخ فإنه مغرم بابن أخيه، والله لا يقتل محمد حتى يقتل أبو طالب، ولا يقتل أبو طالب حتى تقتل بنو هاشم كافة، ولا تقتل بنو هاشم حتى تقتل بنو عبد مناف، ولا تقتل بنو عبد مناف حتى تقتل أهل البطحاء؛ فأمسكوا عنه وإلا ملنا معه. فخاف القوم أن يفعل فكفوا. فلما بلغت أبا طالب مقالته طمع في نصرته فقال يستعطفه ويرققه:

عجبت لحلمٍ يا بن شيبَةَ حادٍ وأحلامٍ أقوامٍ لديك ضعافُ

(١) الفصول المختارة: ص ٢٢٩.

(٢) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٨٤، ص ٣٤١.

إلى آخر أبيات ذكرها ابن أبي الحديد في شرحه^(١) (٣٠٧/٣) مع زيادة خمسة أبيات لم يذكرها السيد في الحجّة . وذكرها ابن الشجري في حماسته (ص ١٦) .
فقال السيد: فلما أبطأ عنه ما أراد منه قال يستعطفه أيضاً:

وإنَّ امرأً من قومه أبو معتب لني منعة من أن يُسام المظالم
أقول له وأين منه نصيحتي أبا معتب^(٢) ثبَّت سوادك قائماً

إلى أبيات خمسة . وقد ذكرها ابن هشام في سيرته^(٣) (٣٩٤/١) مع زيادة أربعة أبيات، غير أن البيت الأول فيه :

وإنَّ امرأً أبو عُتبية عمُّه لني روضة ما إن يُسام المظالم
وذكرها^(٤) ابن أبي الحديد في الشرح (٣٠٧/٣)؛ وابن كثير في تاريخه (٩٣/٣) .

٢٢ - عن يونس بن نباتة عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « يا يونس ما يقول الناس في أبي طالب؟ » قلت: جعلت فداك يقولون: هو في ضحاح من نار يغلي منها أم رأسه فقال: « كذب أعداء الله، إنَّ أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » . ٣٩٣/٧

كز الفوائد لشيخنا الكراجكي (ص ٨٠)، كتاب الحجّة (ص ١٧)، ضياء العالمين .

٢٣ - روى الشريف الحجّة ابن معد في كتابه الحجّة^(٥) (ص ٢٢) من طريق

(١) شرح نهج البلاغة: ٥٧/١٤ كتاب ٩، الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ٣٤٢ .

(٢) يعني أبا لهب . (المؤلف)

(٣) السيرة النبوية: ١٠/٢ .

(٤) شرح نهج البلاغة: ٥٧/١٤ كتاب ٩، البداية والنهاية: ١١٦/٣ .

(٥) الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ١٠٤ .

شيخنا أبي جعفر الصدوق عن داود الرقي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ولي على رجل دين وقد خفت تواه^(١) فشكوت ذلك إليه فقال عليه السلام: إذا مررت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطف عن أبي طالب طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطف عن عبد الله طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصلّ عنها ركعتين. ثم ادع الله عزّ وجلّ أن يرّد عليك مالك. قال: ففعلت ذلك ثمّ خرجت من باب الصفا فإذا غريمي واقف يقول: يا داود جئني هناك فاقبض حقك.

وذكره العلامة المجلسي في البحار^(٢) (٢٤/٩).

٢٤ - أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي^(٣) (ص ٢٤٤)؛ بالإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: بينا النبي صلى الله عليه وآله في المسجد الحرام وعليه ثياب له جُدّد فألقى المشركون عليه سلا^(٤) ناقة فلقوا ثيابه بها فدخله من ذلك ما شاء الله، فذهب إلى أبي طالب فقال له: «يا عمّ، كيف ترى حسبي فيكم؟» فقال له: وما ذاك يا ابن أخي؟ فأخبره الخبر، فدعا أبو طالب حمزة وأخذ السيف وقال لحمزة: خذ السلا ثمّ توجه إلى القوم والنبي صلى الله عليه وآله معه. فأتى قريشاً وهم حول الكعبة. فلما رأوه عرفوا الشرّ في وجهه ثمّ قال لحمزة: أمرّ السلا على أسبلتهم^(٥) ففعل ذلك حتى أتى على آخرهم ثمّ التفت أبو طالب إلى النبي فقال: يا ابن أخي هذا حسبك فينا.

وذكره جمع من الأعلام وأئمة الحديث في تأليفهم.

(١) التوى: الخسارة والضياع.

(٢) بحار الأنوار: ١١٢/٣٥.

(٣) أصول الكافي: ١/ ٤٤٩.

(٤) السلا: الجلدة التي يكون فيها الولد.

(٥) وفي بعض النسخ: سبأهم جمع السبلة: مقدّمة اللحية وما على الشارب من الشعر. (المؤلف)

٢٥ - أخرج أبو الفرج الأصبهاني بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يروى شعر أبي طالب عليه السلام وأن يدون وقال: تعلموه وعلموه / أولادكم فإنه كان على دين الله وفيه علم كثير » . ٣٩٤/٨

كتاب الحجّة (ص ٢٥)، بحار الأنوار (٢٤/٩)، ضياء العالمين للفتوني ^(١).

٢٦ - روى شيخنا الصدوق في أماليه ^(٢) (ص ٣٠٤)، بإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « أوّل جماعة كانت أن رسول الله ﷺ كان يصلي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب معه، إذ مرّ أبو طالب به وجعفر معه قال: يا بني صل جناح ابن عمك، فلما أحسّه رسول الله ﷺ تقدّمها، وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول:

إنّ عليّاً وجعفرأ ثقتي عند ملئم الزمان والكرب

إلى آخر أبيات مرّت صحيفة (٣٥٦) وتأتي في (ص ٣٩٧)، والحديث رواه الشيخ أبو الفتوح في تفسيره ^(٣) (٢١١/٤).

٢٧ - أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي ^(٤) (ص ٢٤٢)، بإسناده عن درست ابن أبي منصور؛ أنه سأل أبا الحسن الأوّل - الإمام الكاظم - عليه السلام: « أكان رسول الله ﷺ محجوجاً بأبي طالب؟ فقال: « لا، ولكنه كان مستودعاً للوصايا فدفعها إليه »، فقال: قلت: قدفع إليه الوصايا على أنه محجوج به؟ فقال: « لو كان محجوجاً به ما دفع إليه الوصية »، قال: قلت: فما كان حال أبي طالب؟ قال: « أقرّ بالنبيّ وبما جاء به ودفع إليه الوصايا ومات من يومه ».

(١) الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ١٣٠، بحار الأنوار: ١١٥/٣٥.

(٢) أمالي الصدوق: ص ٤١٠.

(٣) تفسير أبي الفتوح: ٤٧٢/٨.

(٤) أصول الكافي: ٤٤٥/١.

قال الأميني: هذه مرتبة فوق مرتبة الإيمان، فإنها مشفوعة بما سبق عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام تثبت لأبي طالب مرتبة الوصاية والحجّة في وقته فضلاً عن بسيط الإيمان، وقد بلغ ذلك من الثبوت إلى حدّ ظنّ السائل أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان محجوجاً به قبل بعثته، فنفى الإمام عليه السلام ذلك، وأثبت ما ثبت له من الوصاية وأنه كان خاضعاً للإبراهيميّة الحنيفيّة، ثمّ رضخ للمحمدية البيضاء، فسلم الوصايا للصادع بها، وقد سبق إيمانه بالولاية العلوية الناهض بها ولده البارّ صلوات الله وسلامه عليه.

٢٨ - أخرج شيخنا أبو الفتح الكراجكي ^(١) (ص ٨٠)؛ بإسناده عن أبان بن محمد، قال: كتبت إلى الإمام الرضا عليّ بن موسى الرضا عليها السلام: جعلت فداك. إلى آخر ما مرّ في (ص ٣٨١) ^(٢).

وذكره ^(٣) السيّد في كتاب الحجّة (ص ١٦)، والسيّد الشيرازي في الدرجات الرفيعة، / والعلامة المجلسي في بحار الأنوار (ص ٣٣)، وشيخنا الفتوني في ضياء العالمين.

٢٩ - روى شيخنا المفسّر الكبير أبو الفتوح في تفسيره ^(٤) (٢١١/٤)؛ عن الإمام الرضا سلام الله عليه، وقال: روى عن آبائه بعدة طرق: أنّ نقش خاتم أبي طالب عليه السلام كان: رضيت بالله ربّاً، وبابن أخي محمد نبياً، وبابني عليّ له وصياً. ورواه ^(٥): السيّد الشيرازي في الدرجات الرفيعة، والإشكوري في محبوب القلوب.

(١) كنز الفوائد: ١٨٢/١.

(٢) مرّ ذكره هناك باسم أبان بن محمود كما في شرح ابن أبي الحديد، وفي كنز الفوائد: أبان بن محمد.

(٣) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٧٦، الدرجات الرفيعة: ص ٥٠، بحار الأنوار: ١١٠/٣٥.

(٤) تفسير أبي الفتوح: ٤٧١/٨.

(٥) الدرجات الرفيعة: ص ٦٠، محبوب القلوب: ٣١٩/٢.

٣٠ - أخرج الشيخ أبو جعفر الصدوق بإسناد له: أن عبد العظيم بن عبد الله العلوي الحسيني المدفون بالري كان مريضاً فكتب إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام: عرّفني يا بن رسول الله عن الخبر المروي أن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه. فكتب إليه الرضا عليه السلام:

« بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإنك إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار. »

كتاب الحجّة ^(١) (ص ١٦)، ضياء العالمين لأبي الحسن الشريف.

٣١ - أخرج شيخنا الفقيه أبو جعفر الصدوق، بالإسناد عن الإمام الحسن بن علي العسكري، عن آبائه عليهم السلام في حديث طويل: « إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وآله إني قد أيدتك بشيعتين: شيعة تنصرك سرّاً، وشيعة تنصرك علانية؛ فأما التي تنصرك سرّاً فسيدهم وأفضلهم عمك أبو طالب، وأما التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم ابنه علي بن أبي طالب. ثم قال: وإن أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه. »

كتاب الحجّة ^(٢) (ص ١١٥): ضياء العالمين لأبي الحسن الشريف.

٣٢ - أخرج شيخنا الصدوق في أماليه ^(٣) (ص ٣٦٥) من طريق الأعمش عن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: قال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وآله يا بن أخي الله أرسلك؟ قال: « نعم ». قال: فأرني آية. قال: « ادع لي تلك الشجرة ». فدعاها فأقبلت حتى سجدت بين يديه ثم انصرفت، فقال أبو طالب: أشهد أنك صادق، يا علي صل جناح ابن عمك.

(١) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٦٢.

(٣) أمالي الصدوق: ص ٤٩١.

ورواه أبو علي الفتال في روضة الواعظين^(١) (ص ١٢١)، ورواه السيّد ابن معد في الحجّة^(٢) (ص ٢٥) ولفظه: قال أبو طالب للنبي ﷺ بمحضر من قريش ليريهم فضله: يا ابن أخي الله / أرسلك؟ قال: نعم. قال: إنّ للأنبياء معجزاً وخرق عادة فأرنا آية قال: «أدع تلك الشجرة وقل لها: يقول لك محمد بن عبدالله: أقبلي بإذن الله». فدعاها فأقبلت حتى سجدت بين يديه ثمّ أمرها بالانصراف فانصرفت، فقال أبو طالب: أشهد أنّك صادق. ثمّ قال لابنه عليّ عليه السلام: يا بنيّ الزم ابن عمك. وذكره غير واحد من أعلام الطائفة.

٣٣ - أخرج أبو جعفر الصدوق قدّس الله سرّه في الأمالي^(٣) (ص ٣٦٦) بإسناده عن سعيد بن جبير عن عبدالله بن عباس أنّه سأله رجل فقال له: يا بن عمّ رسول الله أخبرني عن أبي طالب هل كان مسلماً؟ قال: وكيف لم يكن مسلماً وهو القائل:

مركز تحقيقات كميّتر علوم راسدي

وقد علموا أنّ ابننا لا مكذب لدينا ولا يعبا بقليل الأباطل

إنّ أبا طالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف حين أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرّتين.

ورواه السيّد ابن معد في الحجّة^(٤) (ص ٩٤، ١١٥)، وذكره غير واحد من أئمّة الحديث.

٣٤ - أخرج شيخنا أبو علي الفتال النيسابوري في روضة الواعظين^(٥)

(١) روضة الواعظين: ١٣٩/١.

(٢) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ١٢٨.

(٣) أمالي الصدوق: ص ٤٩١.

(٤) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٣١٩ - ٣٢٢.

(٥) روضة الواعظين: ١٤٠/١.

(ص ١٢٣) عن ابن عباس قال: مرّ أبو طالب ومعه جعفر ابنه برسول الله ﷺ وهو في المسجد الحرام يصلي صلاة الظهر وعليّ ﷺ عن يمينه، فقال أبو طالب لجعفر: صل جناح ابن عمك، فتقدّم جعفر وتأخر عليّ واصطفّا خلف رسول الله ﷺ حتى قضى الصلاة، وفي ذلك يقول أبو طالب:

إِنَّ عَلِيًّا وَجَعْفَرًا ثِقْتِي عِنْدَ مَلَمِّ الزَّمَانِ وَالنُّوْبِ^(١)
أَجْعَلُهَا عَرْضَةَ الْعِدَاءِ إِذَا أَتَرَكَ مَيْتًا وَأَنْتَمِي إِلَى حَسْبِي
لَا تَخْذَلَا وَانصُرَا ابْنَ عَمِّكَمَا أَخِي لِأُمِّي مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَبِي
وَاللَّهِ لَا أَخْذَلَ النَّبِيَّ وَلَا يَخْذَلُهُ مِنْ بَنِي ذُو حَسْبٍ^(٢)

وأخرج سيّدنا ابن معد في كتاب الحجّة^(٣) (ص ٥٩)، بإسناده عن عمران بن الحصين / الخزاعي قال: كان والله إسلام جعفر بأمر أبيه، ولذلك: مرّ أبو طالب ومعه ابنه جعفر برسول الله وهو يصلي وعليّ ﷺ عن يمينه، فقال أبو طالب لجعفر: صل جناح ابن عمك فجاء جعفر فصلّى مع النبي ﷺ، فلما قضى صلاته قال له النبي ﷺ: «يا جعفر وصلت جناح ابن عمك، إن الله يعوّضك من ذلك جناحين تطير بهما في الجنّة». فأنشأ أبو طالب رضوان الله عليه يقول:

إِنَّ عَلِيًّا وَجَعْفَرًا ثِقْتِي عِنْدَ مَلَمِّ الزَّمَانِ وَالنُّوْبِ
لَا تَخْذَلَا وَانصُرَا ابْنَ عَمِّكَمَا أَخِي لِأُمِّي مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَبِي
إِنَّ أَبَا مَعْتَبٍ قَدْ أَسْلَمْنَا لَيْسَ أَبُو مَعْتَبٍ بَدِي حَدْبٍ^(٤)
وَاللَّهِ لَا أَخْذَلَ النَّبِيَّ وَلَا يَخْذَلُهُ مِنْ بَنِي ذُو حَسْبٍ

(١) وفي نسخة: عند احتدام الهموم والكرب. (المؤلف)

(٢) راجع فيما أسلفناه: ص ٣٩٤. (المؤلف)

(٣) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ص ٢٤٩.

(٤) أبو معتب كنية أبي لهب كما مرّ. ذي حدب: ذي تعطف. (المؤلف)

حتى ترون الرؤوس طائحةً منا ومنكم هناك بالقضبِ
نحن وهذا النبيُّ أسرتَه نضرب عنه الأعداء كالشهبِ
إن نلتموه بكلِّ جمعكمُ فنحن في الناس الأم العربِ

ورواه شيخنا أبو الفتح الكراجكي^(١) بطريق آخر عن أبي ضوء بن صلصال قال: كنت أنصر النبي ﷺ مع أبي طالب قبل إسلامي، فإني يوماً لجالس بالقرب من منزل أبي طالب في شدة القيظ إذ خرج أبو طالب إليّ شبيهاً بالملهوف، فقال لي: يا أبا الغضنفر هل رأيت هذين الغلامين؟ يعني النبي وعلياً عليهما السلام فقلت: ما رأيتهما منذ جلست، فقال: قم بنا في الطلب لهما فلست آمن قريشاً أن تكون اغتالتهما، قال: فضينا حتى خرجنا من أبيات مكة ثم صرنا إلى جبل من جبالها فاسترقيناه إلى قلته، فإذا النبي ﷺ وعلي عن يمينه وهما قائمان بإزاء عين الشمس يركعان ويسجدان، فقال أبو طالب لجعفر ابنه وكان معنا: صل جناح ابن عمك. فقام إلى جنب علي فأحس بهما النبي ﷺ فنقدهما وأقبلوا على أمرهم حتى فرغوا مما كانوا فيه، ثم أقبلوا نحونا فرأيت السرور يتردد في وجه أبي طالب ثم اتبعث يقول الأبيات.

٣٥ - عن عكرمة عن ابن عباس قال: أخبرني أبي أن أبا طالب ﷺ شهد عند الموت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ضياء العالمين.

٣٦ - في تفسير وكيع^(٢) من طريق أبي ذر الغفاري؛ أنه قال: والله الذي لا إله إلا هو ما مات أبو طالب ﷺ حتى أسلم بلسان الحبشة، قال لرسول الله ﷺ: أتفقه الحبشة؟ قال: يا عم إن الله علمني جميع الكلام. قال: يا محمد اسدن لمصاقاً قاطا لاها يعني أشهد مخلصاً لا إله إلا الله، فبكى رسول الله ﷺ وقال: إن الله أقر

(١) كنز الفوائد: ١٨١/١.

(٢) هو وكيع بن الجراح الرزاسي، توفي سنة ١٩٧ هـ كان حافظاً للحديث، له عدة تصانيف، منها: تفسير القرآن، والمعرفة، والتاريخ.

عيني بأبي طالب . ضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف .

أحبَّ سيّد الأبطح الشهادة بلغة الحبشة في موقفه هذا بعد ما أكثرها بلغة الضاد وبغيرها، كما فصل القول فيها شيخنا الحجّة أبو الحسن الشريف الفتوي المتوفّي (١١٣٨) في كتابه القيم الضخم ضياء العالمين، وهو أثن كتاب ألف في الإمامة .

٣٧ - روى شيخنا أبو الحسين^(١) قطب الدين الراوندي في كتابه الخرائج والجرائح^(٢) عن فاطمة بنت أسد أنها قالت: لما توفي عبد المطلب أخذ أبو طالب النبي ﷺ عنده لوصية أبيه به، وكنت أخدمه، وكان في بستان دارنا نخلات، وكان أوّل إدراك الرطب، وكنت كلّ يوم ألتقط له حفنة من الرطب فما فوقها وكذلك جاريتي، فاتفق يوماً أن نسيت أن ألتقط له شيئاً ونسيت جاريتي أيضاً، وكان محمد نائماً ودخل الصبيان وأخذوا كلّ ما سقط من الرطب وانصرفوا، فنمت ووضعت الكمّ على وجهي حياءً من محمد ﷺ إذا انتبه، فانتبه محمد ﷺ ودخل البستان فلم ير رطوبة على وجه الأرض فأشار إلى نخلة وقال: أيتها الشجرة أنا جائع . فرأيت النخلة قد وضعت أغصانها التي عليها الرطب حتى أكل منها ما أراد ثم ارتفعت إلى موضعها، فتعجبت من ذلك وكان أبو طالب ﷺ غائباً، فلما أتى وقرع الباب عدوت إليه حافية وفتحت الباب وحكيت له ما رأيت فقال هو: إنّما يكون نبياً وأنت تلدين له وزيراً بعد ياس . فولدت عليّاً ﷺ كما قال .

٣٨ - روى شيخنا الفقيه الأكبر ابن بابويه الصدوق في أماليه^(٣) (ص ١٥٨)، بالإسناد عن أبي طالب سلام الله عليه قال: قال عبد المطلب: بينا أنا نائم في الحجر إذ رأيت رؤيا هالتي فأتيت كاهنة قريش وعليّ مطرف خزّ وجمتي تضرب منكبي، فلما نظرت إليّ عرفت في وجهي التغير، فاستوت وأنا يومئذ سيّد قومى، فقالت: ما شأن

(١) في الأصل: الحسن ومرّ مثله في ص ١١٣، فراجع التصويب هناك .

(٢) الخرائج والجرائح: ١/١٣٨ .

(٣) أمالي الصدوق: ص ٢١٦ .

سَيِّدُ الْعَرَبِ مُتَغَيِّرُ اللَّوْنِ؟ هَلْ رَابَهُ مِنْ حَدَثَانِ الدَّهْرِ رَيْبٌ؟ فَقُلْتُ لَهَا: بَلَى إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ فِي الْحَجَرِ كَأَنَّ شَجْرَةَ قَدْ نَبَتَتْ عَلَيَّ ظَهْرِي قَدْ نَالَ رَأْسُهَا السَّمَاءَ وَضُرِبَتْ بِأَغْصَانِهَا الشَّرْقَ / وَالغَرْبَ، وَرَأَيْتُ نُورًا يَظْهَرُ مِنْهَا أَعْظَمُ مِنْ نُورِ الشَّمْسِ سَبْعِينَ ضِعْفًا، وَرَأَيْتُ الْعَرَبَ وَالْعَجَمَ سَاجِدَةً لَهَا، وَهِيَ كُلُّ يَوْمٍ تَزْدَادُ عَظْمًا وَنُورًا، وَرَأَيْتُ رَهْطًا مِنْ قَرِيشٍ يَرِيدُونَ قَطْعَهَا فَإِذَا دَنَوْا مِنْهَا أَخَذَهُمْ شَابٌّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجَهًا وَأَنْظَفَهُمْ ثِيَابًا فَيَأْخُذُهُمْ وَيَكْسِرُ ظُهُورَهُمْ وَيَقْلَعُ أَعْيُنَهُمْ، فَرَفَعْتُ يَدِي لِأَتَنَاوَلَ غَصْنًا مِنْ أَغْصَانِهَا فَصَاحَ بِي الشَّابُّ وَقَالَ: مَهَلًا لَيْسَ لَكَ مِنْهَا نَصِيبٌ، فَقُلْتُ: لِمَنِ النَّصِيبُ وَالشَّجْرَةُ مِنِّي؟ فَقَالَ: النَّصِيبُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَدْ تَعَلَّقُوا بِهَا وَسَيَعُودُ إِلَيْهَا، فَانْتَبَهْتُ مَذْعُورًا فزَعَا مُتَغَيِّرُ اللَّوْنِ، فَرَأَيْتُ لَوْنَ الْكَاهِنَةِ قَدْ تَغَيَّرَ ثُمَّ قَالَتْ: لَنْ صَدَقْتَ لِيَخْرُجَنَّ مِنْ صُلْبِكَ وَلَدٌ يَمْلِكُ الشَّرْقَ وَالغَرْبَ وَيَنْبَأُ فِي النَّاسِ. فَتَسَرَّيْتُ عَنِّي غَمِّي، فَانظُرْ أَبَا طَالِبٍ لَعَلَّكَ تَكُونُ أَنْتَ، وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَحَدِّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ خَرَجَ وَيَقُولُ: كَانَتْ الشَّجْرَةُ وَاللَّهُ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَمِينِ.

٣٩ - قال السيد الحجّة في كتابه الحجّة^(١) (ص ٦٨): ذكر الشريف النسابة العلوي العمري المعروف بالموضّح، بإسناده: أنّ أبا طالب لما مات لم تكن نزلت الصلاة على الموقى، فما صلى النبي عليه ولا على خديجة، وإنما اجتازت جنازة أبي طالب والنبي ﷺ وعليّ وجعفر وحمزة جلوس، فقاموا وشيعوا جنازته واستغفروا له فقال قوم: نحن نستغفر لموتانا وأقاربنا المشركين أيضاً ظناً منهم أنّ أبا طالب مات مشركاً لأنّه كان يكتُم إيمانه، فنفى الله عن أبي طالب الشرك ونزّه نبيّه ﷺ والثلاثة المذكورين ﷺ عن الخطأ في قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾^(٢)، فمن قال بكفر أبي طالب فقد حكم على النبي

(١) الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ٢٦٨.

(٢) التوبة: ١١٣.

بالخطأ والله تعالى قد نزهه عنه في أقواله وأفعاله . إلى آخره .

وأخرج أبو الفرج الأصبهاني ؛ بالإسناد عن محمد بن حميد قال : حدثني أبي قال : سئل أبو الجهم بن حذيفة : أصلى النبي ﷺ على أبي طالب ؟ فقال : وأين الصلاة يومئذ ؟ إنما فرضت الصلاة بعد موته ، ولقد حزن عليه رسول الله ﷺ وأمر علياً بالقيام بأمره وحضر جنازته ، وشهد له العباس وأبو بكر بالإيمان وأشهد على صدقها لأنه كان يكتُم إيمانه ولو عاش إلى ظهور الإسلام لأظهر إيمانه .

٤٠ - عن مقاتل : لما رأت قريش يعلو أمر النبي ﷺ قالوا : لا نرى محمداً يزداد إلا كبراً وإن هو إلا ساحر أو مجنون ، فتعاقدوا لئن مات أبو طالب ﷺ ليجمعن القبائل كلها على قتله ، فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وأحلافهم من قريش فوصاهم بالنبي ﷺ وقال : ابن أخي كل ما يقول أخبرنا بذلك آباؤنا وعلماؤنا ، وإن محمداً نبي صادق ، وأمين ناطق ، وإن شأنه أعظم شأن ، ومكانه من ربه أعلى مكان ، فأجيبوا دعوته واجتمعوا على نصرته ، وزاموا عدوه من وراء حوضته ، فإنه الشرف الباقي لكم طول الدهر ، ثم أنشأ يقول :

| | |
|------------------------------|---|
| أوصي بنصر النبي الخير مشهده | علياً ابني وعم الخير عباسا |
| وحمزة الأسد المخشي صولته | وجعفرأ أن يذودا دونه الناسا |
| وهاشمأ كلها أوصي بنصرته | أن يأخذوا دون حرب القوم أمراسا ^(١) |
| كونوا فداءً لكم أمي وما ولدت | من دون أحمد عند الروح أتراسا |
| بكل أبيض مصقول عوارضه | تخاله في سواد الليل مقباسا ^(٢) |

قال الأميني : هذه جملة مما أوقفنا السير عليه من أحاديث رواة الحق والحقيقة وصفحنا عما يربو على الأربعين روماً للاختصار ، فأنت إذا أضفت إليها ما أسلفناه مما

(١) أمراس : جمع مرس ، وهو الحبل .

(٢) ضياء العالمين لشيخنا الفتوي . (المؤلف)

يروى عن آل أبي طالب وذويه، وأشفعتها بما مرّ من أحاديث مواقف سيّد الأباطح، وجمعتها مع ما جاء من الشهادات الصريحة في شعره تربو الأدلة على إيمانه الخالص وإسلامه القويم على مئة دليل، فهل من مساعٍ لذي مسكة أن يصفح عن هذه كلّها؟ وكلّ واحد منها يحقّ أن يستند إليه في إسلام أيّ أحد، نعم، إنّ في أبي طالب سرّاً لا يثبت إيمانه بألف دليل، وإيمان غيره يثبت بقيل مجهول ودعوى مجرّدة! اقرأ واحكم.

وقد فصلّ القول في هذه الأدلة جمع من أعلام الطائفة؛ كشيخنا العلامة الحجّة المجلسي في بحار الأنوار^(١) (١٤/٩ - ٣٣)، وشيخنا العلم القدوة أبي الحسن الشريف الفتوني في الجزء الثاني من كتابه القيم الضخم ضياء العالمين - والكتاب موجود عندنا - وهو أحسن ما كتب في الموضوع، كما أنّ ما ألفه السيد البرزنجي ولخصه السيد أحمد زيني دحلان أحسن ما ألف في الموضوع بقلم أعلام أهل السنّة، وأفرد ذلك بالتأليف آخرون منهم:

- ١ - سعد بن عبدالله أبو القاسم الأشعري القميّ: المتوفى (٢٩٩، ٣٠١)، له ٤٠١/٧ كتاب فضل أبي طالب وعبد المطلب وعبدالله أبي النبي ﷺ. رجال النجاشي^(٢) (ص ١٢٦).
- ٢ - أبو عليّ الكوفي أحمد بن محمد بن عمار: المتوفى (٣٤٦)، له كتاب إيمان أبي طالب كما في فهرست الشيخ (ص ٢٩)، ورجال النجاشي^(٣) (ص ٧٠).
- ٣ - أبو محمد سهل بن أحمد بن عبدالله الديباجي، سمع منه التلعكبري سنة (٣٧٠) له كتاب إيمان أبي طالب، ذكره النجاشي في فهرسته^(٤) (ص ١٣٣).

(١) بحار الأنوار: ٧٤/٣٥ - ١٣١.

(٢) رجال النجاشي: ص ١٧٧ رقم ٤٦٧.

(٣) المصدر السابق: ص ٩٥ رقم ٢٣٦.

(٤) المصدر السابق: ص ١٨٦ رقم ٤٩٣.

٤ - أبو نُعَيْمٍ عَلِيّ بن حمزة البصري التيمي اللغوي : المتوفى (٣٧٥) ، له كتاب إيمان أبي طالب ، توجد نسخته عند شيخنا الحجّة ميرزا محمد الطهراني^(١) في سامراء المشرفة ، نقل عنه بعض فصوله الحافظ ابن حجر في الإصابة^(٢) في ترجمة أبي طالب وأتهم مؤلفه بالرفض .

٥ - أبو سعيد محمد بن أحمد بن الحسين الخزاعي النيسابوري جدّ المفسر الكبير الشيخ أبي الفتوح الخزاعي لأمه ، له كتاب مني الطالب في إيمان أبي طالب . رواه الشيخ منتجب الدين كما في فهرسته^(٣) (ص ١٠) عن سبطه الشيخ أبي الفتوح عن أبيه عنه .

٦ - أبو الحسن عليّ بن بلال بن أبي معاوية المهلبى الأزدي ، له كتاب البيان عن خيرة الرحمن في إيمان أبي طالب وآباء النبي ﷺ ، ذكره له الشيخ في فهرسته (ص ٩٦) والنجاشي^(٤) (ص ١٨٨) .

٧ - أحمد بن القاسم ، له كتاب إيمان أبي طالب ، رآه النجاشي كما في فهرسته^(٥) (ص ٦٩) بخطّ الحسين بن عبيدالله الغضائري .

٨ - أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن طرخان الكندي الجرجاني صديق النجاشي : المتوفى (٤٥٠) ، ذكر له النجاشي في فهرسته^(٦) (ص ٦٣) كتاب إيمان أبي طالب .

(١) توفى قدس الله سرّه وأبقى له آثاراً ومآثر تذكر مع الأبد وتشكر . (المؤلف)

(٢) الإصابة : ١١٥/٤ - ١١٩ رقم ٦٨٥ .

(٣) فهرست منتجب الدين : ص ١٥٧ .

(٤) رجال النجاشي : ص ٢٦٥ رقم ٦٩٠ .

(٥) المصدر السابق : ص ٩٥ رقم ٢٣٤ .

(٦) المصدر السابق : ص ٨٧ رقم ٢١٠ وفيه : الجرجاني .

٩ - شيخنا الأكبر أبو عبد الله المفيد محمد بن محمد بن النعمان: المتوفى (٤١٣) له كتاب إيمان أبي طالب، كما في فهرست النجاشي^(١) (ص ٢٨٤).

١٠ - أبو علي شمس الدين السيّد فخار بن معد الموسوي: المتوفى (٦٣٠)، له كتاب الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب، قرّظه العلامة السيّد محمد / صادق بحر العلوم بقوله:

بشراك فخار بما أولا ك الخالق في يوم المحشر
نرّهت بحجّتك الغرّا شيخ البطحاء أبا حيدر
عما نسبوه إليه من ال كفر المردود دعاة الشر
أنى وبه قام الإسلام ثم فنال بعلياه المفخر
قسماً بولاء أبي حسن لولاه الدين لما أزهز
فعلية من الله الرضوا وللأعداء نار تسعر

١١ - سيّدنا الحجّة أبو الفضائل أحمد ابن طاووس الحسيني: المتوفى (٦٧٣)، له كتاب إيمان أبي طالب، ذكره في كتابه بناء المقالة العلوية لنقض الرسالة العثمانيّة، وهو كتاب في الإمامة ألّفه في الردّ على رسالة أبي عثمان الجاحظ.

١٢ - السيد الحسين الطباطبائي اليزدي الحائري الشهير بالواعظ: المتوفى (١٣٠٦)، له كتاب منية الطالب في إيمان أبي طالب، فارسي مطبوع.

١٣ - المفتي الشريف السيّد محمد عباس التستري الهندي: المتوفى (١٣٠٦)، له كتاب بغية الطالب في إيمان أبي طالب، أحد شعراء الغدير، تأتي ترجمته في القرن الرابع عشر إن شاء الله تعالى.

١٤ - شمس العلماء ميرزا محمد حسين الكركاني، له كتاب مقصد الطالب في

(١) رجال النجاشي: ص ٢٩٩ رقم ١٠٦٧.

إيمان آباء النبي وعمّه أبي طالب، فارسي طبع في بمبي سنة (١٣١١).

١٥ - الشيخ محمد علي بن ميرزا جعفر علي الفصيح الهندي نزيل مكة المعظمة، له كتاب القول الواجب في إيمان أبي طالب.

١٦ - شيخنا الحجّة الحاج ميرزا محسن ابن العلامة الحجّة ميرزا محمد التبريزي^(١).

١٧ - السيد محمد علي آل شرف الدين العاملي^(٢)، له كتاب شيخ الأبطح أو أبو طالب، طبع في بغداد سنة (١٣٤٩) في (٩٦) صفحة وقد جمع فيه فأوعى، ولم يُبق في القوس منزعاً.

١٨ - الشيخ ميرزا نجم الدين ابن شيخنا الحجّة ميرزا محمد الطهراني، له كتاب الشهاب الثاقب لرجم مكفر أبي طالب.

١٩ - الشيخ جعفر بن الحاج محمد النقدي المرحوم، له كتاب مواهب الواهب في فضائل أبي طالب، طبع في النجف الأشرف سنة (١٣٤١) في (١٥٤) صفحة، فيه فوائد جمّة وطرائف ونوادر.

وقد نظم ذلك كثيرون من أعاضم الشيعة في قريضهم، ومما يسعنا إثباته هاهنا قول السيد أبي محمد عبدالله بن حمزة الحسيني الزيدي من قصيدة:

حمّاه أبونا أبو طالب وأسلمَ والناس لم تسلّم
وقد كان يكتُمُ إيمانه وأمّا الولاء فلم يكتّم

(١) له كتاب إيمان أبي طالب وأحواله وأشعاره. راجع الذريعة الى تصانيف الشيعة: ٥١٣/٢ رقم ٢٠١٥.

(٢) انتقل إلى دار البقاء سنة ١٣٧٢ وأبقى لهفةً وجوىً في قلوب أمة كبيرة كانت تعرفه بفضائله وفواضله. (المؤلف)

وقول الشريف العلامة السيد علي خان الشيرازي^(١) في الدرجات الرفيعة^(٢):

| | |
|------------------------------|--|
| أبو طالب عم النبي محمد | به قام أزر الدين واشتد كاهله |
| ويكفيه فخراً في المفاخر أنه | موازره دون الأنام وكافله |
| لئن جهلت قوم عظيم مقامه | فما ضر ضوء الصبح من هو جاهله |
| ولولاه ما قامت لأحمد دعوة | ولا انجاب ليل الغي وانزاح باطله |
| أقرّ بدين الله سرّاً لحكمة | فقال عدو الحق ما هو قائله |
| وماذا عليه وهو في الدين هضبة | إذا عصفت من ذي العناد أباطله |
| وكيف يحمل الذم ساحة ماجد | وأخيره محموداً وأوائله |
| عليه سلام الله ما ذر شارق | وما تليت أحسابه وفضائله ^(٣) |

ومن قصيدة للشريف الأجل سيّدنا آية الله السيد ميرزا عبدالهادي

الشيرازي^(٤):

مرآة حقايق تكملة ميرزا علي قاسمي

| | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| ولي ندحة في مدحة الندب والد ال | أئمة أعدال الكتاب أولي الأمر |
| هو العلم الهادي أزين بمدحه | شعوري ويزهو في مآثره شعري |
| أبو طالب حامي الحقيقة سيّد | تُزان به البطحاء في البر والبحر |
| أبو طالب والخيل والليل واللوا | له شهدت في ملتقى الحرب بالنصر |
| أبو الأوصياء الغر عم محمد | تضوع به الأحساب عن طيب النجر |
| لقد عرفت منه الخطوب محتكاً | تدرّع يوم الزحف بالباس والحجر |
| كما عرفت منه الجدوب أخا ندى | دوين سداه الغمر ملتطم البحر |

٤٠٤/٧

(١) أحد شعراء الغدير، تأتي ترجمته إن شاء الله تعالى. (المؤلف)

(٢) الدرجات الرفيعة: ص ٦٢.

(٣) في المصدر: وما تليت أخباره.

(٤) أحد شعراء الغدير، يأتي ذكره وترجمته في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله تعالى. (المؤلف)

فذا واحداً الدنيا وثانٍ له الحيا
وأنتي يحيط الوصفُ غرَّ خصاله
حمى المصطفى في باس ندب مدجج
فلولاه لم تنجح لطفه دعايةً
وآمن بالله المهيمن والورى
وجابه أسراب الضلالِ مصدقاً
كفى مفخراً شيخ الأباطح أنه
وصلّى عليه الله ما هبت الصبا

وقل في سناه ثالث الشمس والبدر
وقد عجزت عن سردها صاغة الشعر
تذلُّ له الأبطالُ في موقف الكر
ولا كان للإسلام مستوسقُ الأمر
لهم وثباتٌ من يعوق إلى نسر
نبي الهدى إذ جاء يصدع بالأمر
أبو حيدر المندوب في شدة الضر
برياً ثنا شيخ الأباطح في الدهر

وقال العلامة الحجة شيخنا الأوردبادي (١):

بشيخ الأبطحين فشا الصلاح
براه الله للتوحيد عصباً
وعمّ المصطفى لولاه أضحى
نضا للدين منه صفيح عزم
وأشرع للهدى بأساً مريعاً
وأصحز بالحقيقة في قريض
صريخة هاشم في الخطب لكن
أخو الشرف الصراح أقام أمراً
فلا عاب (٣) يدنسه ولكن
فعلم زانه خلق كريم
ومنه الغيث إمام عمّ جذب

وفي أنواره زهت البطاح
يلين به من الشرك الجاح
حمى الإسلام نهياً يستباح
عنت لمضائه القضب الصفاح
تحطم دونه السم الرماح
عليه الحق يطفح والصلاح
تزم لنيله الإبل الطلاح (٢)
حداه لمثله الشرف الصراح
غرائز ما برحن به سجاج
ودين فيه مشفوع سماح
وفيه الغوث إن عن الصياح

(١) من شعراء الغدير، يأتي ذكره في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله تعالى. (المؤلف)

(٢) الطلاح: جمع الطليحة وهي اناقة المتعبة.

(٣) العاب: الوصمة والعيب.

مناقبُ أعييتِ البلغاءَ مدحاً
وصفوا القولِ أنَّ أبا عليٍّ
ولكن لابنه نصبوا عداءً
فنالوا من أبيه وما المعالي
وضوءُ البدرِ أبلجُ لا يوارى
وهبني قلت إنَّ الصبح ليلُ
فدع بمتاهةِ التضليلِ قوماً
فذا شيخُ الأباطحِ في هداه
أبو الصَّيدِ الأكارمِ من لؤيٍّ
لهم كأبيهم إن جال سهمٌ
وتنفذُ دونها الكَلِمُ الفِصاحُ
له الدينُ الأصيلُ ولا براحُ
وما عن حيدرٍ فضلُ يزاحُ
لكلِّ محاولٍ قصداً تُباحُ
وإن يكُ حوله كَثُرَ النباحُ
فهل يخفى لذي العينِ الصباحُ
بمرتبكِ الهوى لهمُ التياحُ
تصافقه الإمامةُ والنجاحُ
مقاديمُ جحاجةٍ وِضاحُ
لأهلِ الفضلِ فائزةٌ قداحُ

وقال العلامة الأوحى الشيخ محمد تقي صادق العاملي من قصيدة يمدح بها أهل

البيت عجليل:

بسيفِ عليٍّ قد أُشيدتِ صروحُه
أبو طالبٍ أصلُ المعالي ورمزها
توحدُ في جمعِ الفضائلِ والنهي
وتنحطُّ عنه رفعةُ هامةِ الشها^(١)
حمى الخائفِ اللاجئِ ومربغِ أمنه
تحلَّق في جمعِ المكارمِ نفسه
أصاخ إلى الدينِ الحنيفِ مليئاً
وباع بإعزازِ الشريعةِ نفسه

كما بأبيه قامَ قدماً بناؤه
ومبدأ عنوانِ الهدى وانتهائه
وضمَّ جميعِ المكرماتِ رداؤه
ويأرج في عَرَفِ الخزامى ثناؤه
وكعبةً قصدِ المرتجبي وغناؤه
ويسمو به للسنيرين إباؤه
لدعوته لما أتاه نداؤه
فبورك قدراً بيعه وشرائه

(١) الشها: كويكب صغير خفي الضوء.

وقال العلامة الشريف المجلل السيد علي النقي اللكهنوي^(١) :

| | |
|--------------------------------------|---------------------------|
| غداة غدا يذود عن النبي | زهت أم القرى بأبي الوصي |
| يراعم كل مختال غوي | وقام بنصرة الإسلام فرداً |
| بأمضى من ذباب المشرفي ^(٢) | يذب عن الهدى كيد الأعادي |
| فجاهر فيه بالسر الخفي | وأبصر رشده من دين طه |
| بقلب موحد بر تقي | وآمن بالإله الحق صدقاً |
| محاطاً بالفخار الهاشمي | بني للسودد العربي صرحاً |
| توارثه صفتاً عن صفي | تلقى الرشد عن آباء صدق |
| تلدن سوى نبي أو وصي | كأن الأمهات لهم أبت أن |
| ولم يبرخ على النهج السوي | فكان على الهدى كأيه قدماً |
| وتم بنجمله الزاكي علي | وكان به رواء الشرع بدءاً |

٤٠٦/٧

وقال العلامة الفاضل الشيخ محمد السماوي^(٣) من قصيدة نشرت في آخر كتاب

الحجة (ص ١٣٥) مطلعها:

| | |
|-----------------------|------------------------|
| غدا كُرة في يدي لاعب | فؤادي بالفادة الكاعب |
| فمن طالع لي ومن غارب | كأنني بدائرة من هوى |
| بمنقطع النظر الصائب | بليت بمن ضربت خدرها |
| حُ فمن مشرفي إلى راغي | بحيث الصفاح وحيث الرما |
| كأن أباه أبو طالع | لها منعة في ذرى قومها |
| وشيخ الأباطح من غالب | فخار الأبى وعم النبي |

(١) أحد شعراء الغدير، يأتي في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله تعالى. (المؤلف)

(٢) ذباب المشرفي: حد السيف.

(٣) أحد شعراء الغدير، يأتي ذكره إن شاء الله. توفي في يوم الأحد ٢ محرم سنة ١٣٧٠. (المؤلف)

أمنع لا يرتقي أجدل
إذا الرافع الطرف يرنو له
تهلل طلعتة للعبو
أقام عماد العلى سامكاً
بمثل علي إلى جعفر
أولئك لا زمعات الرجاء
ومن ذا كعبد مناف يطو
حمى الدين في سيفه فانبرى
وآمن بالله في سره
وصدق أحمد في وحيه
فكم بين مخف لتصديقه
لنعم ملاذ الهدى والتقى
ومعتصم الدين في مكة
وماح حوزة أهل الهدى
فلولاه ما طفق المصطفى
ولم يعب الشرك مستظهاً

إلى ذروة منه أو غارب
يعود بتنحية الناصب
ن كما جرّد الغمد عن قاضب
بأربعة كالسنا الثاقب
ومثل عقيل إلى طالب
ل من قالص الذيل أو ساحب
ل على راجل ثم أو راكب
بمكة ممتنع الجانب
لأمر جلي على الطالب
وقام بما كان من واجب
وأخر مبد له كاذب
ومستجع الوافد الراغب
إذ الدين منفرد الصاحب
مدى العمر من وثبة الوائب
ينادي على المنهج اللاحب
بيوم يضيق على العائب

٤٠٧/٧

وللبخاتة الفاضل صاحب التأليف القيمة الشيخ جعفر ابن الحاج محمد
النقدي^(١) من قصيدة ذكرها في كتابه مواهب الوهاب في فضائل أبي طالب^(٢). المطبوع
في النجف الأشرف في (١٥٤) صفحة مطلعها:

(١) من شعراء الغدير، يأتي تفصيل ترجمته في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله. ارتحل إلى رحمة
ربه الودود يوم السبت ٨ محرم ١٣٦٩ بالكاظمية، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف. (المؤلف)
(٢) مواهب الوهاب في فضائل أبي طالب: ص ٢٩٣.

برقُ ابتسامِك قد أضاء الوادي وحيا خدودِك فيه رِيُّ الصادي

قوله :

مهما تراكمت الخطوب فإنها
عبد المناف الطهر عمُّ محمدٍ
غيثُ المكارم ليثُ كلِّ ملقمةٍ
شيخُ الأباطح من بصارم عزمه
دانت لديه المكرمات رقائبها
جدُّ الأئمة شيخُ أمةِ أحمدٍ
سيفُ له المجدُّ الأثيلُ همائلُ
داعي الوريُّ للرشد في عصرٍ به
وله قريشُ كم رأت من معجزٍ
كرضاعه خير البرية أحمداً^(١)
وبشارة الأسد الهصور بنجله
وكلامه بالوحي قبل صدوره
وبيوم مولدِ أحمدٍ إخباره
وله على الإسلام من سنِّ غدت
كفلَ النبيِّ المصطفى خير الوريُّ
رباه طفلاً واقتفاه يافعاً

تجلى متى بأبي الوصي أنادي
الطاهرُ الآباء والأجدادِ
غوثُ المنادي بدرُ أفقِ النادِ
بلغ الأنام لخطبة الإرشادِ
وإليه ألقى الدهرُ فضلَ قيادِ
ربُّع الأمانِ مربعُ الوقادِ
وله الفخارُ غدا حليَّ نجادِ
لا يعرفون الناس نهجَ رشادِ
عرفوه فيه واحد الآحادِ
وقبول دعوته لسقي الوادي^(٢)
وشفائه بدعا النبي الهادي^(٣)
وله انفجارُ الأرض إذ هو صادي
عن حيدرِ الكرارِ بالميلادِ^(٤)
للمسلمين قلائد الأجيادِ
ورعى الحقوق له بصدقٍ ودادِ
وحماه كهلاً من أذى الأضدادِ

٤٠٨/٧

(١) أخرج حديث هذه المكرمة شيخنا ثقة الإسلام الكليني في أصول الكافي: ص ٣٤٤ [٤٤٨/١].

(المؤلف)

(٢) راجع ما أسلفناه صفحة : ٣٤٥. (المؤلف)

(٣) يوجد حديثه في غير واحد من كتب الفريقين. (المؤلف)

(٤) راجع ما مرَّ في صفحة: ٣٤٧، ٣٩٨. (المؤلف)

ولأجله عادى قريشاً بعد ما
ورآهم متعاضدين ليقتلوا
فسطا بعزم ناله من معشر
وانصاع يفدي أحماً في نفسه
وأقام ينصره إلى أن أصبحت
أفديه من صادٍ لواءٍ للهدى
قد كان يعلم أنه المختار من
ولقد روى عن أنبياء جدوده
وعلا به عيناً على كل الوري
إن ابن آمنة النبي محمداً
راعت فيه قرابة موصولة
يا والد الكرار والطيار وال
كم معجز أبصرته من أحمد
من لصق أحجارٍ ومزق صحيفة
لا فخر إلا فخرك السامي الذي
إن المكارم لو رأت أجسادها
شكر الإله فعالك الغر التي
له همك التي خضعت لها
له هيبتك التي رجفت بها
له كفك كم بها من معدم
إلى آخره.

سلكوا سبيل الغي والإفساد
خير البرية سيد الأجداد
شم الأنوف مصالتي أنجاد
والجاء والأموال والأولاد
تزهو شريعته بكل بلاد
يحمي لأفصح ناطق بالضاد
رب السماء عميد كل عماد
فيه حديثاً واضح الإسناد
إذ قال فيه بمطرب الإنشاد
عندي يفوق منازل الأولاد^(١)
وحفظت فيه وصية الأجداد
أطهار أبناء النبي الهادي
باهلت فيه معاشر الحساد
ونزول أمطارٍ ونطق جماد^(٢)
فقتت به أبصار أهل عناد
عين رأتك الروح للأجساد
فرحت بها أملاك سبع شداد
من خوف بأسك شامخ الأطواد
أعداء مجدك عصابة الإلحاد
أحييت في الإصدار والإيراد

(١) راجع ما أسلفناه: ص ٣٤٣. (المؤلف)

(٢) أشار شاعرنا النقدي بهذا البيت إلى أربع مكرمات لرسول الله ﷺ شاهدها شيخ الأبطح

أبو طالب، مرّ حديثها صفحة: ٣٣٦، ٣٦٢، ٣٧٥، ٣٩٦. (المؤلف)

وله قصيدة (٤٣) بيتاً يمدح بها شيخ الأباطح أبا طالب سلام الله عليه توجد في الواهب^(١) (ص ١٥١) مستهلها:

بِاللهِ يَا قاصِدَ الأَطْلالِ فِي العِلْمِ سَلِمْتَ سَلْمٌ عَلَيَّ سَلْمِي بِذِي سَلْمٍ

هاهنا نجعجع بالقلم عن الافاضة في القول لأن نطاق الجزء

ضاق عن التبسط فنرجئ تكملة البحث إلى أوليات

الجزء الثامن إن شاء الله تعالى

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين




مركز تحقيقات كميوتير علوم اسلامی

محتويات الكتاب

شعراء الغدير في القرن التاسع



| | |
|----------|--------------------------|
| ١١ - ٣٥ | ابن العرندس الحلّي |
| ١٨ | ما يتبع الشعر |
| ٢٤ | الشاعر |
| ٣٧ - ٤٧ | ابن داغر الحلّي |
| ٤١ | الشاعر |
| ٤٩ - ٨٩ | الحافظ البرسي الحلّي |
| ٥٠ | الشاعر |
| ٥٤ | تأليفه القيمة |
| ٥٥ | شعره الرائق |
| ٩١ - ٦٩ | المغلاة في الفضائل |
| ٩٧ - ٣١٩ | الغلوّ في أبي بكر |
| ١٠٧ | مقاطع من الخطبة الشقشقية |

- ١٠٩ كلمتنا حول هذه الخطبة
- ١١٧ ● فضائل المأثورة
- ١٢٧ ● ملكاته ونفسياته
- ١٣٨ الخليفة في الإسلام
- ١٤٠ الكلالة
- ١٤٥ تقدّم الخليفة في السنّة
- ١٥٥ غاية جهد الباحث عن علم الخليفة بالسنّة
- ١٦٣ ١ - رأي الخليفة في الجدّة
- ١٦٤ - رأي الخليفة في الجدّتين
- ١٧٧ - رأي الخليفة في قطع السارق
- ١٧٧ - رأي الخليفة في الجدّ
- ١٧٩ ٥ - رأي الخليفة في تولية المفضول  *مختار علوم حسيني*
- ١٨٥ الخلافة عند القوم
- ١٨٥ كلمة الباقلاني
- ١٨٩ كلمة التفتازاني
- ١٩٠ كلمة القاضي الايجي
- ١٩١ كلمة أبي التشاء
- ١٩٢ ما تتعقد به الإمامة
- ١٩٣ كلمة الماوردي
- ١٩٤ كلمة الجويني
- ١٩٤ كلمة القرطبي
- ١٩٥ رأي الخليفة الثاني في الخلافة
- ١٩٧ نظرة في الخلافة التي جاء بها القوم

| | |
|-----|---|
| ٢٠٧ | رأي الخليفة في القَدَر |
| ٢١٠ | ترك الخليفة الضحية مخافة أن تُسْتَنَّ |
| ٢١٠ | ردة بني سليم |
| ٢١٢ | حرق الخليفة الفجاءة |
| ٢١٤ | ١٠- رأي الخليفة في قصة مالك |
| ٢١٨ | نظرة في القضية |
| ٢١٨ | الناحية الأولى |
| ٢٢٤ | الناحية الثانية |
| ٢٢٩ | - ثلاثة وثلاثة وثلاثة |
| ٢٣٠ | الثلاثة الأولى |
| ٢٣٥ | الثلاثة الوسطى |
| ٢٣٧ | الثلاثة الأخرى |
| ٢٤٠ | تحفظ على كرامة |
| ٢٤١ | - سؤال يهودي أبا بكر |
| ٢٤٢ | - وفد النصارى وأسئلتهم |
| ٢٤٥ | هلمّ معي إلى الغلوة |
| ٢٤٩ | ● مظاهر علم الخليفة |
| ٢٤٩ | المظهر الأول |
| ٢٥٠ | المظهر الثاني |
| ٢٥٢ | المظهر الثالث |
| ٢٧٥ | المظهر الرابع |
| ٢٦٣ | لفت نظر |
| ٢٦٧ | ● التمسك بالأفانك |

- شجاعة الخليفة ٢٧٠
- حجاج بالعريش ٢٧٩
- الفريق يتشبت بكل حشيش ٢٨٧
- ثبات الخليفة على المبدأ ٢٩١
- تهالك الخليفة في العبادة ٢٩٤
- تبرّز الخليفة في الأخلاق ٢٩٩
- إعتذار الخليفة إلى الصديقة ٣٠٦
- نظرة في كلمة قارصة ٣١٠

أحاديث الغلو أو قصص الخرافة ٣٢٠ - ٤٤٤

- ١ - الشمس على العجلة ٣٢٠
- التوسّل بلحية أبي بكر ٣٢٣
- شهادة أبي بكر وجبرئيل ٣٢٩
- خاتم النبيّ وسجله ٣٢٩
- ٥ - عرض جنّة أبي بكر ٣٣٣
- الله يستحي من أبي بكر ٣٣٤
- كرامة دفن أبي بكر ٣٣٥
- جبرئيل يسجد مهابة من أبي بكر ٣٣٨
- قصّة فيها كرامة لأبي بكر ٣٤١
- ١٠ - أبو بكر شيخ يُعرف والنبيّ شاب لا يُعرف ٣٤٦
- الأنصار في البيعتين ٣٥٢
- نبأ الهجرة ٣٥٧
- أبو بكر أسنّ من النبيّ ٣٦٢
- إسلام أبي بكر قبل ولادة عليّ ٣٦٤

- رجال الرواية ٣٧٠
- نظرة في حديث كعب ٣٧٤
- أبو بكر أسن أصحاب النبي ٣٧٧
- أبو بكر في كفة الميزان ٣٨٤
- رجال الرواية ٣٨٤
- ١٥ - توصل الشمس بأبي بكر ٣٨٧
- وهنا أسئلة جمّة ٣٨٧
- كلبة من الجنّ مأمورة ٣٨٨
- هبة أبي بكر لمحبيه ٣٩١
- أبو بكر في قاب قوسين ٣٩٤
- الدين وسمعه وبصره ٣٩٥
- ٢٠ - أبو بكر ومنزلته عند الله ٣٩٨
- النبي مؤيد بالشيخين ٤٠١
- الأشباح الخمسة من ذرية آدم ٤٠٣
- أبو بكر خير أهل السموات والأرض ٤١٠
- ثواب النبي ﷺ وأبي بكر ٤١٢
- ٢٥ - الحبّ والشكر الواجبان على الأمة ٤١٣
- أبو بكر في كفة الميزان ٤١٤
- رجال إسناده ٤١٤
- ما أسلم أبو مهاجر إلا أبو أبي بكر ٤١٧
- إسلام والدي أبي بكر ٤٢١
- القسم الأوّل ٤٢١
- رجال الإسناد ٤٢٨

- ٤٣١ القسم الثاني
- ٤٣٤ إسلام أمّ أبي بكر
- ٤٤٠ ٢٨ - أبو بكر وأبواه في القرآن
- ٥٥٠ - ٤٤٤ **إيمان أبي طالب وسيرته**
- ٤٤٤ الغاية للقالة
- ٤٤٦ ● نظمه الدال على إيمانه
- ٤٥٠ لفت نظر
- ٤٦١ ● ما ناء به من عمل بارّ وقول مشكور
- ٤٦١ ١ - استصحاب أبي طالب النبي ﷺ إلى الشام
- ٤٦٥ ٢ - استسقاء أبي طالب بالنبي ﷺ
- ٤٦٧ ٣ - أبو طالب في مولد أمير المؤمنين ﷺ
- ٤٦٨ ٤ - بدء أمر النبي وأبو طالب
- ٤٦٩ ٥ - أبو طالب وفقده النبي ﷺ
- ٤٧٠ لفظ آخر
- ٤٧١ لفظ ثالث
- ٤٧٣ ٦ - أبو طالب في بدء الدعوة
- ٤٧٧ ٧ - قول أبي طالب لعليّ إزم ابن عمك
- ٤٧٩ ٨ - قول أبي طالب صل جناح ابن عمك
- ٤٨٠ ٩ - أبو طالب وحنوّه على النبي ﷺ
- ٤٨٢ ١٠ - أبو طالب وابن الربعري
- ٤٨٣ ١١ - سيّدنا أبو طالب وقريش
- ٤٨٧ ١٢ - سيّد الأباطح وصحيفة قريش
- ٤٩١ ١٣ - وصيّة أبي طالب عند موته

- ٤٩٣ ١٤ - وصية أبي طالب لبني أبيه
- ٤٩٤ ١٥ - حديث عن أبي طالب
- ٤٩٥ ● ما يروي عنه آله وذووه
- ٥٠٨ الكلم الطيب
- ٥٠٩ رثاء أمير المؤمنين والده العظيم
- ٥١١ كلمة الإمام السجاد
- ٥١١ كلمة الإمام الباقر
- ٥١١ كلمة الإمام الصادق
- ٥١٢ كلمة الإمام الرضا
- ٥١٢ قصارى القول في سيد الأبطح عند القوم
- ٥١٦ ● ما أسنده إليه من لاث به وبخج له





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی